

مجموع

رسائل العلامة

مرعي الكرمي الحنبلي

المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ

يحوي أكثر من ٥٠ رسالة في مختلف الفنون

تطبع مجموعة أول مرة مقابلة على عدة نسخ خطية

حققها وعلق عليها وخرج أحاديثها

محمد بركات — ماهر أديب حبوش — د. علي محمد زينو

محمد وائل الحنبلي — جمال عبد الرحيم الفارس — محمد طارق مغربية

جمعها وأشرف على تحقيقها وقدم لها

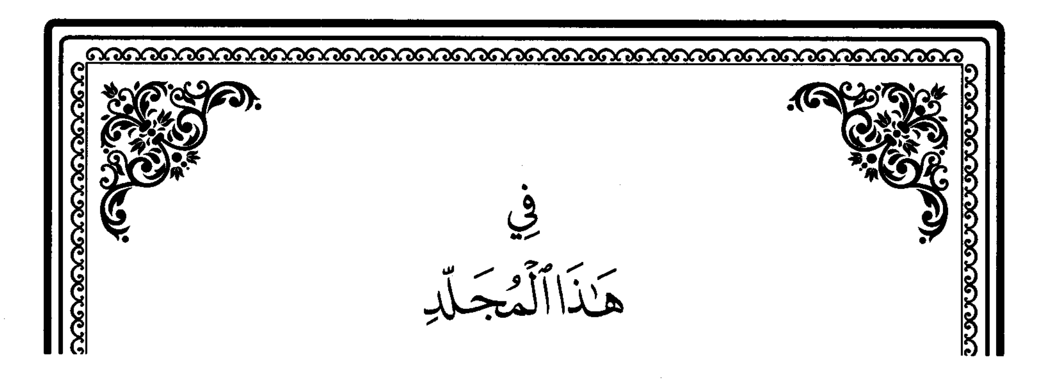
محمد خلوف العبد الله

المجلد السادس









الرسالة	الصفحة

الرسالة رقم (٤٠): بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات ٥

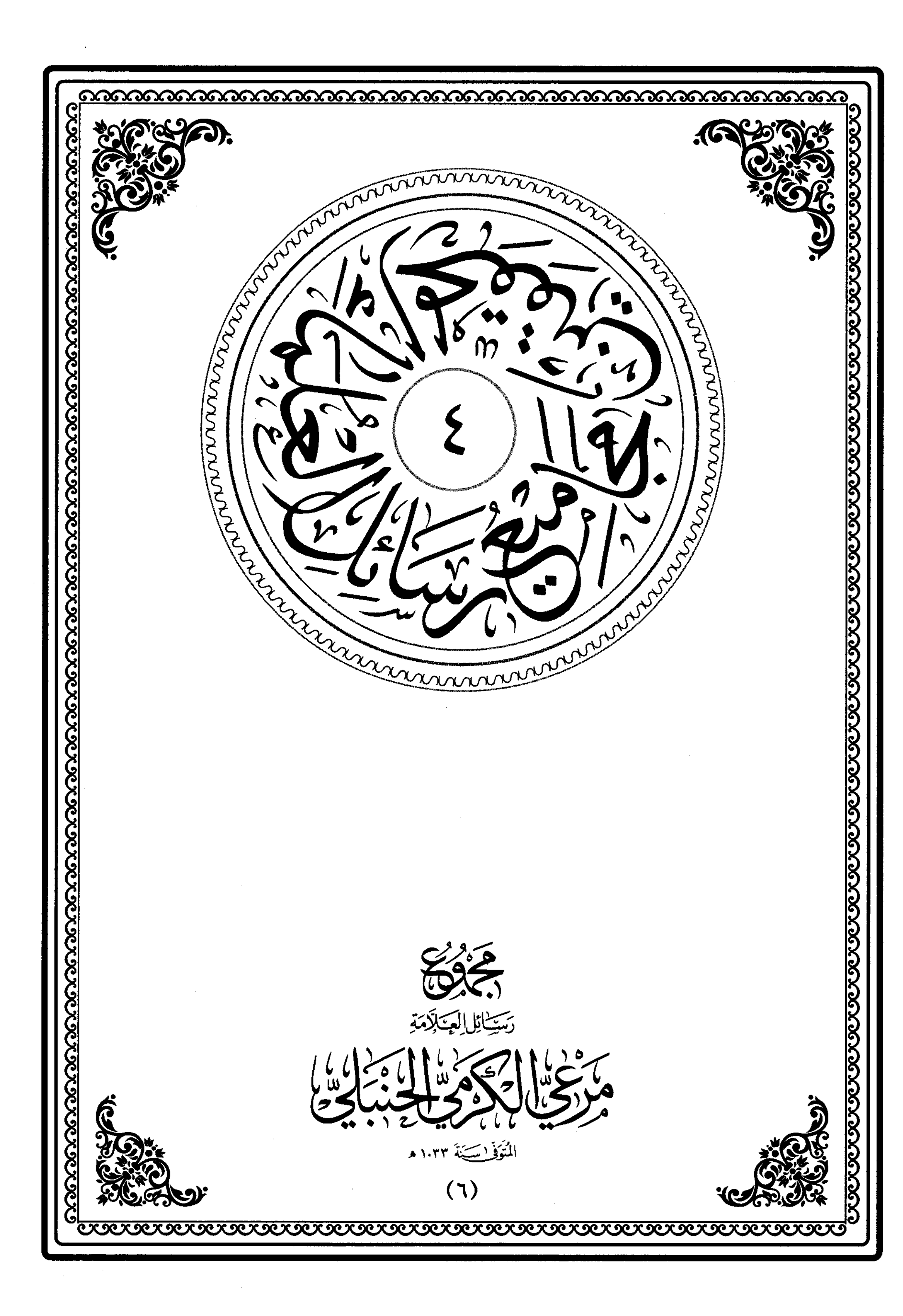
الرسالة رقم (٤١): دليل الطالبين لكلام النحويين ١٤٣

الرسالة رقم (٤٢): غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح ٢٣٩

الرسالة رقم (٤٣): سلوان المصاب بفرقة الأحباب ٢٩٥

الرسالة رقم (٤٤): تسكين الأشواق بأخبار العشاق ٣٦٩

***



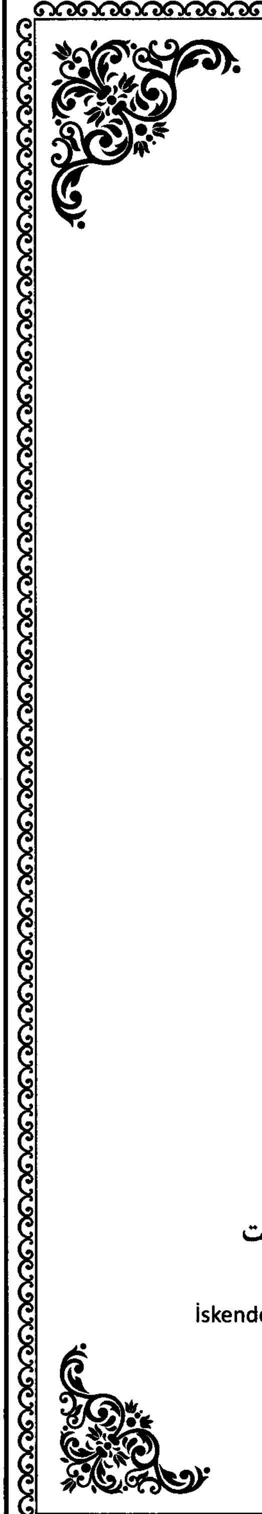
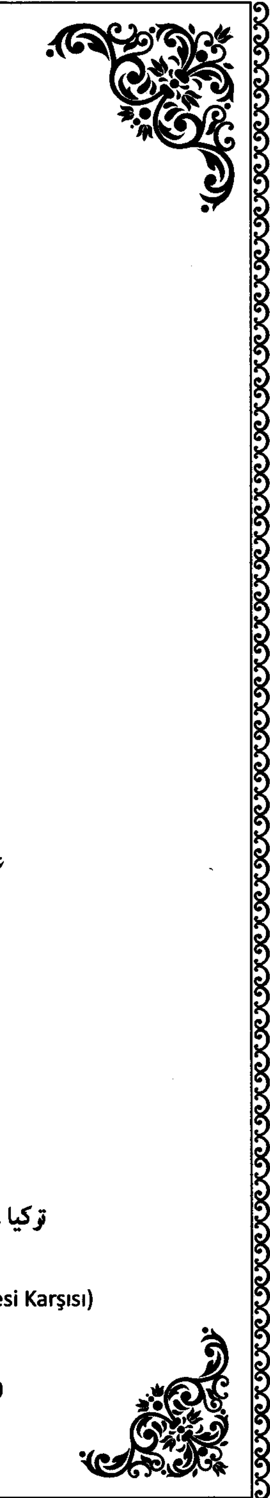
مجموع

رسائل العلامة

مرعي الكرمي الحنبلي

المتوفى سنة ١٠٣٣هـ

(٦)

الطبعَة الأولىٰ

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



الخطوط بقلم: عدنان الشيخ عثمان

الإخراج الفني: خالد محمد ياسين علوان



تركيا - اسطنبول - الفاتح - اسكندر باشا - كزتاش - مفرق بنك الكويت

مقابل مستشفى الفاتح - بناء رقم ٧ - ط ٥

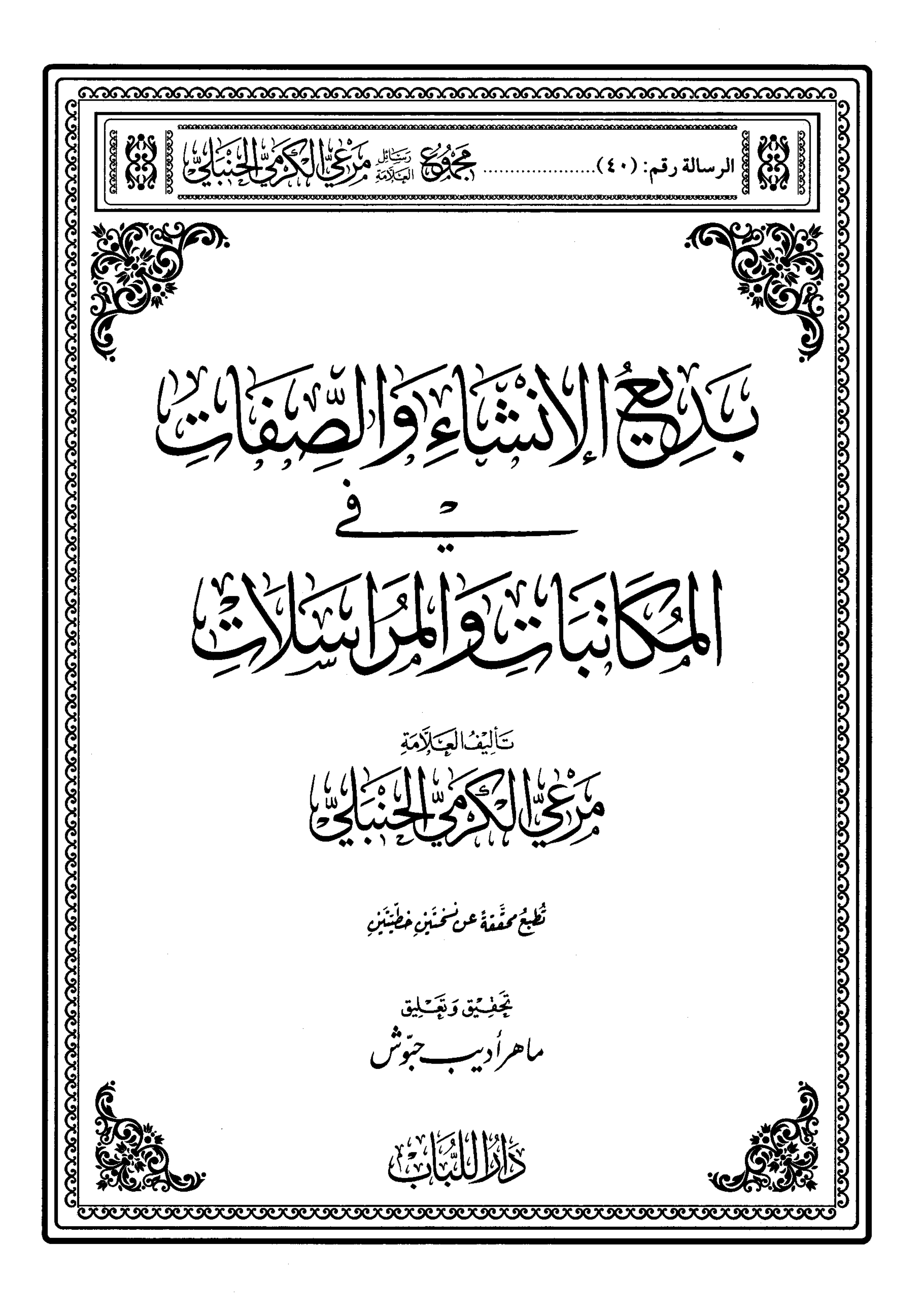
İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

Tel: 00902125255551 - Mob: 00905454729850

Www.allobab.com - Email: info@allobab.com



بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات

تأليف العلامة

مرعي الكرمي الحنبلي

تطبع محققة عن نسختين خطيتين

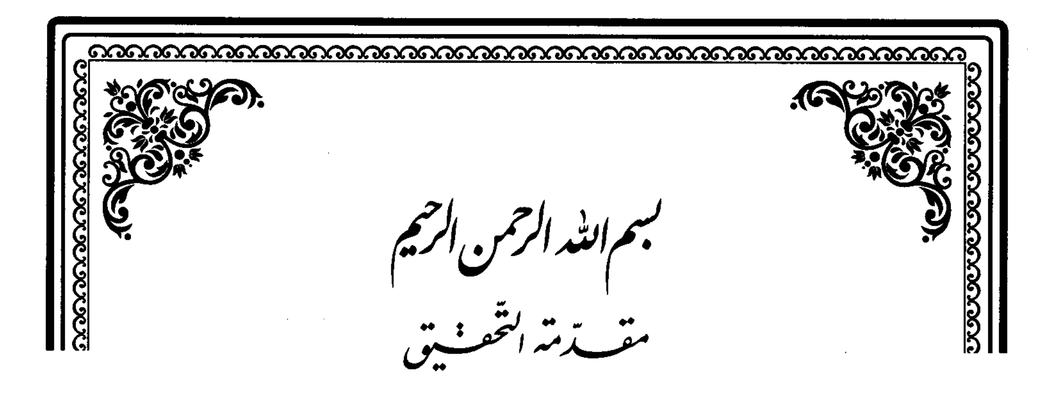
تحقيق وتعليق

ماهر أديب حبوش

دار اللباب

مكتبة أسعد أفندي (ع)

مكتبة رسول كتاب (ر)



الحمدُ لله على نَعْمائه، والصلاةُ والسلامُ على صفوةِ خَلْقِهِ وخاتَمِ أنبيائِه، وعلى آلِهِ وجميعِ أصحابِه.

وبعدُ:

فإنَّ للكتابةِ أهميةً عظيمةً في حياةِ الأُمم، وهي عند هذه الأمَّةِ أعظمُ موقعاً وأهمّ، فبالكتابةِ جُمع القرآنُ، وحُفِظَتِ الأحاديثُ والآثارُ، ووكِّدتِ العُهودُ، وأُثْبتتِ الحُقوقُ، وسِيقَتِ التَّواريخُ، وبقِيَتِ الصُّكوكُ، وأَمِنَ الإنسانُ النسيانَ، وقيِّدت الشهاداتُ، وأَنْزلَ الله في ذلك آيةَ الدَّينِ، وهي أطولُ آيةٍ في القُرآن.

وقد كانَت مهنةُ الكتابةِ عندَ المسلمينَ مِن أرفعِ الأعمال، ومُمارِسُها يعدُّ من أهلِ الوَجاهةِ وسلامةِ الأحوال، وقد قالوا في بيانِ فضلِ الكتَّاب: جَعَل اللهُ تعالى كَتَبَةَ الملائكةِ كراماً كاتبين، حيث يقولُ: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١١ ـ ١٢]، وقال تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥ ـ ١٦].

وقيل: بلَغتِ الكتابةُ بقومٍ مَبْلَغَ الملوكِ، وأعطَتْهم أزمَّةَ الخلافةِ، ونالَ الخلافةَ أربعةٌ من الكتَّاب: عثمانُ وعليٌّ ومعاويةُ وعبدُ الملِكِ.

وسأَلَ أعرابيٌّ: مَن أصحابُ النبيِّ ﷺ؟ فذُكِروا له، حتى انْتَهوا إلى ذِكْر

معاويـةَ، فقالـوا: كان كاتـبَ النبيِّ ﷺ، فقال: فَلَـجَ[١] وربِّ الكعبة، فـإن الأمور بيد الكتَّاب.

قال الشاعرُ:

مـا النَّـاسُ إلا الكَـتَبـهْ ... هـم فضَّـة فـي ذَهَبـهْ

قـد أَحْـرَزوا دُنيـاهُـمُ ... بـشُعْبةٍ مِـن قَصَبـهْ[٢]

لكـنْ ليـس كلٌّ يُكتـبُ لـه الفلاحُ فـي هذا المجـال، فصاحبُـه يجـبُ أنْ يؤتَى مـن الفصاحـةِ والبلاغـةِ الغايـةَ، ويتحلَّـى بحُسـنِ التعبيـرِ وقـوَّةِ التَّحرير وجزالـةِ المقال.

قال الحسنُ بن سهلٍ لكاتبِهِ الحرَّاني: ما منزلةُ الكاتب في قوله وفعله؟ قال: أنْ يكونَ مطبوعاً محتنِكاً بالتَّجربة، عالماً بحلالِ الكتابِ والسُّنَّةِ وحرامِها، وبالدُّهورِ في تَداوُلها وتَصَرُّفها، وبالملوكِ في سِيَرِها وأيامِها، مع براعةِ اللفظ وحُسنِ التَّنسيقِ، وتأليفِ الأوصالِ بمشاكلةِ الاستعارةِ وشرحِ المعنى حتى يَنصبَ صُوَرها، وبمقاطعِ الكلامِ ومعرفةِ الفَصْلِ مِن الوَصْل؛ فإذا كان ذلك كذلك فهو كاتبٌ مجيدٌ، والقولُ إذا استكْمَلَ آلتَه واستَتَمَّ معناه فالفصلُ عندَه[٣].

وقيل: كلُّ صناعةٍ تحتاجُ إلى ذكاءٍ، إلَّا الكتابةَ فإنها تحتاجُ إلى ذكاءَين: جمعِ المعاني بالقلب، والحروفِ بالقَلَم.

وقـال الجاحـظ: لـم أرَ مثلَ طريقـةِ الكتَّاب، فإنَّهـم اختاروا مِن الألفـاظِ ما لم

---

(١) أي: ظَفِر. انظر: «القاموس» (مادة: فلج).

(٢) انظر: «محاضرات الأدباء» للراغب الأصفهاني (١/ ١٢٨).

(٣) انظر: «الصناعتين» لأبي هلال العسكري (ص٤٤٠).

يكـنْ وحشـيًّا، ولا سـاقطاً سُـوقيًّا، وقـال: إنما عَذُبَ شـعرُ النابغـةِ لأنـه كان كاتباً، وكذلـك زهيرٌ(١).

وهذه الرسالةُ في هذا الفنِّ مِن أجملِ الرَّسائل، وأَتمِّ الوسائل، في تعليمِ أساليبِ الكتابةِ والفَصاحَة، وما يتطلَّبُه ذلك مِن قوَّةِ العقلِ والرَّجاحة، فما تركَ المؤلفُ غايةً لكاتب، ولا قصةً لخلٍّ معاتب، ولا بثًّا لعاشقٍ أو شَكْوَى، ولا حُزناً مِن مفارقٍ أو نَجْوَى، إلا وقد سَطَّر فيها أجملَ الرسائل، مذلِّلاً صعابَ معانيها، معلِّماً مَن يُعانيها، بأمتنِ العباراتِ وأحسَنِها، وأَنْسبِ الألفاظِ مِن أسهلِها وأَجْزَلِها، وسماها:

«بدِيع الإنشَاءِ والصِّفاتِ في المُكاتَباتِ والمُراسَلاتِ»

وهـي زاخـرةٌ بالعبـاراتِ الجميلـة والألفـاظِ الفَصِيحـة، والنصائـحِ الحسـنةِ المليحـة، فمِـن ذلـك مـا ذكـره عـن أبـي جعفـرٍ المنصـور، منبهـاً أحـدَ عمَّالـهِ مـن الوقـوعِ فـي المحـذور، فكَتـبَ إليـه يقـول: أمَّـا بَعـدُ؛ فقَـدْ كَثُـرَ شَـاكُوكَ وقلَّ شَـاكِروكَ، فإمَّـا اعتَدَلْـتَ، وإمَّـا عُزِلْـتَ.

وقولُ بعضهم لكَاتِبِهِ: اجمَعِ الكَثِيرَ مما تُرِيدُ في القَلِيلِ مما تَقُولُ.

وأورد عن الأصمَعِي أنه كتب إلى بعْضِ أصحابِهِ وقدْ رأى مِنهُ إعْراضَاً: وكفَى بالإعراضِ حَاجِباً، وبالانقِباضِ طارِداً، ومَن مَطَلَكَ ولو ساعَةً فقَدْ حرمَك، ومَن كتَمَ سرَّهُ عنكَ فقَدِ اتَّهمك، ومَن صافَى عَدوَّكَ فقَدْ عاداك، ومَن عادَى عدوَّكَ فقَدْ والاك، ومَن أقبَلَ بحدِيثِهِ عَلَى غيرِكَ فقَدْ طردَك، ومَن شكا لكَ سُوءاً فقَدْ سأَلَك، ومَن سكَتَ عِندَ ذمِّ النَّاسِ لكَ فقَدْ ذمَّك، ومَن بلَّغَكَ شتْمَكَ فقَدْ شتَمَك، ومَن نقَلَ لكَ فقَدْ نقَلَ عنك، ومَن شهِدَ لكَ فقَدْ شهِدَ عَليك، ومَن تجرَّأَ لكَ فقَدْ تجرَّأَ عَليك.

---

(١) انظر: «محاضرات الأدباء» للراغب الأصفهاني (١/ ١٢٨).

ومن أجملِ ما رأيتُ فيها مِن الرسائل، رسالةٌ من عاشقٍ يقولُ فيها: فيا مَن بطُولِ التجنِّي قدِ اتَّصف، ومَلأ بالتثنِّي القُلوبَ منَ الشَّغَف، أمَا رحمَةٌ لصَبٍّ مُستهام، وأسِيرٍ في قُيودِ الوجدِ والغَرام، وأليفٍ لمسامرَةِ النُّجوم، وحَليفٍ لمُساهرةِ الهُموم، أمَا رأفةٌ لمُضناك، أمَا عَطفةٌ عَلَى ذاهبٍ في مَعناك، فانٍ في مَغناكَ، أما رِقةٌ لمغرَمٍ مُرغمٍ بهواك، أمَا حنانَةٌ لصَبٍّ لا يَعرِفُ ولا يألَفُ سِواك:

بـالله رِفْـقَـاً بالـقُـلُوْبِ فإنَّهَـا لا تَسْتَطِيْعُ مَعَ الغَرَامِ تَحَمُّلا

ولـه فـي التعزيـةِ كلامٌ من أجمـلِ المقـال، حيث قال مِـن جملةِ ما قـال: فهذِهِ سبيلٌ درَجَ عَلَيهـا الأوَّلُ والآخِـر، وقضيَّةٌ استَوَى فيها الضَّعيفُ والقادِر، لا يسـلَمُ مِن ذلِـكَ ملِكٌ نافِـذُ الأمر، ولا فقِيـرٌ خامِلُ القَـدْر، ومـآلُ الدُّنيا كلِّها إلـى الزَّوال، ومقـامُ كلِّ حـيٍّ آيلٌ إلـى الارتِحال، وانتِهـاءُ عِمرانِها إلى الخَـراب، ومَصيرُ عَزيزِها وذلِيلِها إلـى التراب، وغيـرُ خافٍ عَلَـى المولَى أنَّ جِـوارَ الله خيرٌ مِن جـوارِه، وأنَّ الـدارَ الآخِرةَ خَيـرٌ مِن دارِه.

هـذا عـدا عمَّـا حَـوَى مـن أشـعارٍ جميلـة، مشـتملةٍ علـى أغـراضٍ متنوِّعـةٍ ومعـانٍ جليلـة.

لكنْ لا يَخْلو الأمرُ من بعضِ المبالغاتِ في الـمَقال، التي لا تَسُوغُ في الشَّرع بحالٍ من الأحوال، كقولِهِ في الكتابةِ لصوفيٍّ: ذو الكَراماتِ الظَّاهِرَة، والمقامَاتِ الفاخِرة، والسَّرائرِ الزَّاهرة، والبصائرِ الباهرَة، والأحوالِ الخارقَة، والأنفاسِ الصَّادقَة، والوارِدَاتِ الرَّحمانيَّة، والنَّفحاتِ الرُّوحانيَّة، والمحاضَراتِ القُدسيَّة، والأوقاتِ الأُنسيَّة، والكلِماتِ الموسَويَّة، والأسرارِ الملَكُوتيَّة، والأنوارِ اللاهُوتيَّة، مَن لهُ المعراجُ الأعلَى في المعارِف، والمنهَاجُ الأسنَى في الحقائقِ والعوارِف، واليدُ

البيضَاءُ في عُلومِ الموارِد، والباعُ الطَّويلُ في التَّصريفِ النافد، والكشْفُ الخارِقُ عَن حَقائقِ الآيات، والفتحُ الفائقِ عَنْ عَوائدِ العادَات.

ففي قوله: (ذو الكَراماتِ الظَّاهِرَة)، تساهُلٌ كبير، فأهلُ الكراماتِ قليلٌ مَعْدودون، كما أنَّهم في الغالبِ عن الخلقِ مَسْتورون، وليس صواباً أنْ تُنسَبَ الكراماتُ جُزافاً.

وقوله: (والأسرارِ الملَكُوتيَّة، والأنوارِ اللاهُوتيَّة)، أقربُ إلى كلام النصارى منه إلى كلامِ أهل الإيمان.

وأما قوله: (والسَّرائرِ الزَّاهرة)، فلا يَعلمُ السرائرَ إلَّا الله.

وفي قوله: (والكشْفُ الخارِقُ عَن حَقائقِ الآيات)، إشارةٌ إلى ما عُرف عن الصُّوفيَّةِ من التفسيرِ بالإشارات، وهي طريقةٌ ليستْ مقبولةً عند جمهورِ العلماء، ومَن سَكَتَ عنها فليس لأنه يعدُّها من التفسير، بل هي عندَه من بابِ الشيءِ بالشيءِ يُذْكر، وإلا فللتَّفسير ضوابطُه التي لا يجوز الحيدُ عنها، ولو فُتح هذا البابُ لساغ للباطنيَّة تسويغُ افتراءاتهم الباطلةِ في الآياتِ القرآنيَّة[1].

ومن المبالغاتِ قولُه في خطابِ قاضي العَسْكرِ:.. ولِمَ لا وببدَايتِهِ قدْ حصَلَ للإسْلامِ النصْرُ والفُتوح، وبنهَايتِهِ قدْ أُزيلَ الظَّلامُ والعُسرُ مِن عَهدِ نُوح.

والمبالغةُ فيه ظاهرةٌ لا تحتاجُ إلى مزيدِ تأمُّلٍ ولا كثيرِ نظر.

ومِن ذلك قولُه في الكتابةِ لكريمٍ: لا برِحتْ يدُهُ الميمُونةُ يدَ الأيادِي، وكعبَةَ العاكِفِ والبادِي، إذا فُتحَتْ فللتَقبِيلِ والكَرم، وإذا قُبضَتْ فعَلَى استرقاقِ العُربِ والعجَم...

---

(١) وقد ذكرنا في هذه المسألة تحريراً حسناً في مقدمة تحقيقنا لكتاب «روح المعاني»، والحمد لله.

فالعبارةُ الأخيرة فيها نظرٌ ظاهر.

ومن ذلك: وبعدُ فالمحِبُّ لا يزَالُ يرعَى لكُمْ عَهْداً، ويحفَظُ لكُمْ ولاءً ووِدّاً، حنيناً إلى تلْكَ الذَّاتِ المحروسَة، والصفاتِ المأنُوسة، التي لا يسكُنُ القلبُ إلا إلَيها، ولا يعوِّلُ في الباطِنِ والظَّاهرِ إلا عَلَيها.

ولا يجوزُ التَّعويلُ على أحدٍ سوى اللهِ، وحتَّى لو كانت هذا عباراتٍ أدبيةً، فعليها أن تَلتزمَ بالآدابِ الإسلاميَّةِ والأحكامِ الربَّانيَّة.

ومما يؤخذ عنه القسم بغير الله، وقد تكرَّر، كما في قوله: وقَسَماً بحياتكُمِ الشهيَّة، ويمِيْناً بصِفاتكُمِ الزكيَّة، إنَّ الشَّوقَ لا يبرُدُ بغيرِ رُؤياكُمْ غَليلُهُ، ولا يشْفَى بغَيرِ لُقياكُمْ علِيلُهُ.

وقوله: قسَماً بالغَرامِ وما بأهلِهِ صَنَع، ويمِيْناً بالهُيامِ وما بقلُوبِ ذَويهِ هكذا صَدَع، لقدْ أهاجَ بعدُ حبِيبي عنِّي ساكِنَ القَلق.

وقوله: وقَسماً بصدقِ المحبَّةِ وخالِصِ المودَّة، إنهُ لو علِمَ المالِكُ ابتهَاجَ المملُوكِ بشرَفِ قُربِه، وسُرورَهُ بورُودِ مشرِّفاتِ كُتبِه، لرغِبَ في مُواصَلَتها ليتشَرَّفَ المملُوكُ بمتَابعَتِها.

والقسمُ بغيرِ الله لا يجوز.

لكنَّ هذا لا يَغُضُّ مِن قيمة هذه الرسالةِ ومكانَتِها، وقد قسَّمها إلى أبوابٍ ليَسْهُل عرضُها، فجعلَها في أربعةَ عَشَرَ باباً:

البابُ الأوَّلُ: في معرفَةِ طَريقَةِ المكاتَبَةِ.

البابُ الثَّاني: في ألفَاظِ السَّلامِ وصُدُورِ المكاتَبَاتِ.

البابُ الثالِثُ: في مُكاتبَاتِ المُلوكِ والوُزراءِ ومَن في مَقامِهِمْ.

البابُ الرابعُ: في ذكرِ الأوصافِ والألقَابِ.

البابُ الخامِسُ: في ذِكرِ الأدعِيةِ.

البابُ السَّادسُ: في رسائلِ الأشْواقِ.

البابُ السَّابعُ: في رسائلِ العِتابِ.

البابُ الثَّامِنُ: في رسَائلِ التَّهاني.

البابُ التاسِعُ: في التَّعزيةِ.

البابُ العاشِرُ: في الشفَاعاتِ زكاةِ المُروءاتِ.

البابُ الحادِي عَشَرَ: في الكُتُبِ المنفَذَةِ معَ الهديَّةِ.

البابُ الثاني عشَرَ: في الحثِّ عَلَى المواعِيدِ وشَكْوى الحالِ.

البابُ الثالثَ عشَرَ: في أجوبةِ الكتُبِ والرَّسائلِ.

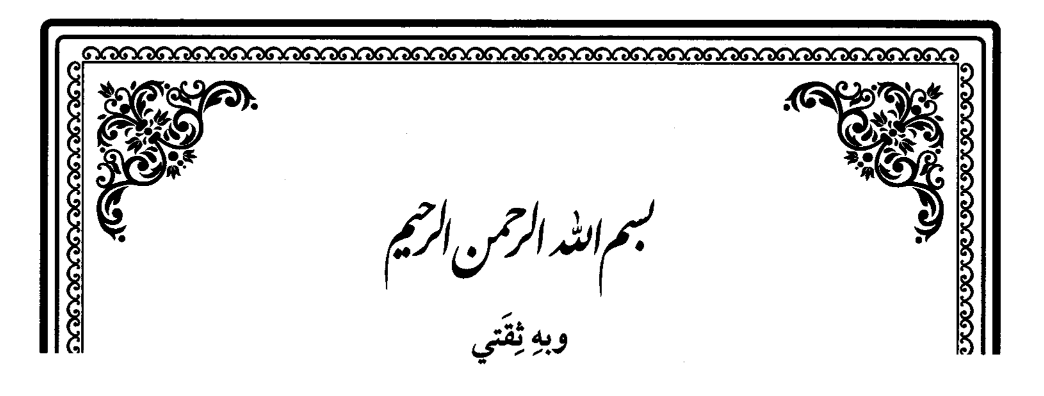
البابُ الرابعَ عشَرَ: في المواعِظِ والنَّصائحِ وتَوبيخِ غَيرِ المُستقِيمِ.

وقد اعتمَدنا في تحقيقِ هذا المؤلَّف الجليل على نسختينِ خطِّيتينِ هما: نسخة رسول كتاب ورمزها (ر)، ونسخة عاطف أفندي ورمزها (ع).

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

المحقق

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم

وبهِ ثِقَتي

قالَ العَبدُ الفَقِيرُ إلى الله تَعَالى مَرعِي بنُ يُوسُفَ الحَنبلِيُّ المقدِسِيُّ(١):

الحمْـدُ لله الذِي أكرَمَ الإنسَـان، وحَـلَّاهُ بحِليةِ النُّطـقِ والبَيان، وجعَلَ اللِّسـانَ تَرجُمـانَ الجَنـان، والصَّـلاةُ والسَّـلامُ عَلـى مَن حـلَّ منَ الفَصاحَـةِ والبَلاغـةِ أعْلَى مـكان، وعَلى آلِـهِ وأصْحَابـهِ أُولي البَيـانِ والتِّبيان.

وبَعدُ:

فهَذِهِ إشَاراتٌ يسِيرَة، وعِباراتٌ قَصِيرة، وضَعْتُها في المُكاتَبات، وهَذَّبتُها في المُراسَلات، يحتَاجُ إلَيها أرْبابُ الفَضَائل، خُصُوصاً مَنِ ابتُلِيَ بكَثرَةِ الرسَائل، أو خدَمَ الملُوكَ والحكَّام، لا سيَّما أربابُ الأقلام، وضَعْتُها وضْعَ مَن في أوقاتِهِ محصُورٌ، متَّصِفاً بصِفَاتِ العَجزِ والقُصور، بسَببِ ضِيقِ المعِيشَة، وكَدَرِ العِيشَة، والقَلبُ ليسَ لهُ إلا وِجهَةٌ، فمَتى توجَّهَ إلى جِهةٍ انصَرَفَ عَن غَيرِها، ومتَى اعترَت المرءَ الهُمومُ ذهَبَ فِكرُهُ، فكَيفَ بصَاحبِ سَهيرِها(٢)، وقدْ حصَلَ لي بسبَبِ بَعضِ

---

(١) في (ر): «بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ وصلى اللهُ عَلى سيِّدِنا محمدٍ وعَلى آلهِ وصحبِهِ وسلمَ، قالَ الشَّيخُ الإمامُ العالِمُ العلامَةُ العُمدةُ الفهَّامةُ شيخُ الإسلامِ بركَةُ الأنامِ مَرعِي بنُ يوسفُ بنُ أبي بكر بنِ أحمدَ المقدِسيُّ الحنبَليُّ رحمَهُ اللهُ تَعالى آمينَ».

(٢) في (ر): «سميرِها».

المباشِرينَ في الأوْقافِ، في استِحقَاقِ معلُومِ تدْرِيسي بمصْرَ المحْروسَةِ غَايةُ الظُّلمِ والإجْحاف، بلِ العدَمُ المحْض، معَ أنَّ أداءَ الحُقِوقِ فَرض.

مفرد:

ذا مَــا أقُــوْلُ وقِدْمــاً كُنْــتُ أعْتِبُــهُ وقَــدْ رَجَعْــتُ ولَكِــنْ أعْتِــبُ الزَّمَنَـا

مِسكِينٌ مَن يريدُ يزِيدُ بمالِ المستَحقِّينَ مالَهُ، ولمْ يكفِهِ مِن جَزيلِ الدُّنيا ما لَهُ، ولعلَّ ذلِكَ ليكُونَ مِصداقَ ما كانَ يُتلَى في الكتابِ: (ولا يملأُ عَينَ ابنِ آدَمَ إلا التُّرابُ، ويَتوبُ اللهُ عَلى مَن تاب)، وسمَّيتُهُ:

«بَديعَ الإنشَاءِ والصِّفات في المكاتَباتِ والمراسَلات»

وجعَلتُهُ يشْتَملُ عَلى أبوابٍ ليكُونَ أسهَلَ لطَريقِ الصَّوابِ:

البابُ الأوَّلُ

في معرِفَةِ طَرِيقَةِ المكاتَبةِ

اعلَمْ أنَّ السلَفَ المتقَدِّمينَ كانُوا لا يتحَرَّونَ في مُكاتَباتِهِمْ تَسجِيعَ الألْفاظ، ولا تَنمِيقَها كأهْلِ هَذا الزَّمان، وكانُوا يكْتُبونَ السَّلامَ بلا تسْجِيعٍ، ثمَّ يَقُولُونَ: (وبَعدُ؛ فإنِّي أحمَدُ إليكُمُ اللهَ الذِي لا إلَهَ إلا هوَ، وأصَلِّي وأسلِّمُ عَلى محَمَّدٍ وآلِهِ وصَحبِهِ، وإنَّ الأمْرَ كَيتَ وكَيتَ).

وأمَّا المتأخِّرُونَ فقَدْ بالَغُوا في تَزوِيقِ الألفَاظِ وتحسِينِها، وتَنمِيقِ الكَلِماتِ وتَزيِينِها، ومع ذلِكَ فقَالُوا: الأَوْلى عدَمُ التَّطويلِ، وعِندِي أنَّ هذا فيهِ تَفصِيلٌ.

فلا يُطوَّلُ الكَلامُ في مَقَامٍ لا يَقتضِيهِ، خُصُوصاً معَ الملُوكِ[1] والحكامِ؛ لكَثْرَةِ أشغَالِهِمْ واشتِغَالِهِمْ بالقَصَصِ، لا سيَّما وقدْ قِيلَ: عَيبُ الكَلامِ تَطويلُهُ، و: خَيرُ الكلامِ ما قلَّ ودلَّ، و: أحسَنُهُ ما قلَّ لفظُهُ وكثُرَ مَعناهُ.

قالَ أبو بكْرٍ الصِّدِّيقُ لبَعضِ أمَرائِهِ: (إذا وعَظْتَ أصْحَابكَ فأوْجِزْ، فإنَّ كثِيرَ الكَلامِ يُنسِي بَعضُهُ بَعضاً)[2].

وما أحسَنَ ما كتَبَ الخَلِيفَةُ أبو جَعفَرٍ المنصُورُ لبَعض عُمَّالِهِ: (أما بَعدُ؛ فقَدْ كَثُرَ شَاكُوكَ وقلَّ شَاكِروكَ، فإمَّا اعتَدَلْتَ، وإمَّا عُزِلتَ)[3].

---

(١) بعدها في (ر) زيادة: «بالقصص».

(٢) قطعة من وصية أبي بكر رضي الله تعالى عنه ليزيد بن أبي سفيان، رواها البلاذري في «أنساب الأشراف» (١٠/ ١١٢) عن شيخه محمد بن سعد عن شيخه محمد بن عمر الواقدي.

(٣) انظر: «خاص الخاص» للثعالبي (ص٨٨). ونسبه إبراهيم البيهقي في «المحاسن والمساوئ» (ص٣٦٤) للمأمون، وأبو هلال العسكري في «الصناعتين» (ص١٩١) لجعفر بن يحيى، وهو البرمكي.

ولا بـأسَ بتَطوِيلِـهِ إنْ ناسَـبَ المقَام، فقَـدْ قِيلَ: لـكلِّ مَقَام مَقَالٌ، لا سِـيَّما في رسَـائلِ الأشْـواقِ بيـنَ إخْـوانِ الصَّفـا، والـوِدِّ والوَفـا، فـإنَّ ذلِـكَ محَـلُّ الإطنَاب، وتَطوِيـلِ الخِطـاب، وقـالَ بَعضُهُمْ لكَاتِبـهِ: (اجمَعِ الكَثِيـرَ مما تُريدُ فـي القَلِيلِ مما تَقُـولُ)، يُريدُ بذَلـكَ الإيجَازَ.

قـالَ ابـنُ قُتَيبَـةَ: وهـذا لَيـسَ بمَحْمُـودٍ فـي كلِّ مَوضِـعٍ، ولا مُختـارٍ فـي كلِّ كِتـابٍ، بـلْ لكُلِّ مَقـامٍ مَقالٌ، ولـو كانَ الإيجَـازُ محْمُوداً فـي الأحْوالِ كُلِّهـا لجرَّدهُ اللهُ تَعَالـى مِـنَ القُـرآنِ، ولكِنَّـهُ أطـالَ تـارةً للتَّوكِيـدِ، وحذَفَ تـارةً للإيجَـازِ، وكرَّرَ تـارةً للإفْهَـامِ[١]، انتَهَى.

ونحْـنُ وإنْ ذكَرْنـا فـي كِتَابِنـا هَـذا لـكُلِّ مَقـامٍ عُنوانـاً، وكَلامٍ دِيوانـاً، فإنَّمـا هـوَ مجـرَّدُ إشَـاراتٍ، وتلوِيْـحُ عِبـاراتٍ، وإلا فالمقَاصـدُ لا تحْصَـى، والمـوارِدُ لا تُستَقْصَى، ومـا وَضَعْنـاهُ مِن هـذِهِ الكَلِمـاتِ اليَسِـيرة، والعِبـاراتِ القَصِيـرة، فإنَّما هـوَ تمرِيـنٌ للطَّالِـب، وتدْرِيـبٌ للرَّاغـب، يُرشِـدُهُ لمـرادِه، ويهدِيـهِ سُـبلَ رشَـادِه، والعـارِفُ لا يقتَصِـرُ مِـن كلامِنـا عَلَى شَـيءٍ بعينِـه، بلْ يأخُـذُ لنَفسِـه ولمَـنْ يُكاتِبُهُ مِـن كلِّ شَـيءٍ أحسَـنَه، ومِـن كلِّ مَقـامٍ أزيَنَه.

قالَ بعضُهُمْ: إنَّما الكلامُ أربَعةٌ: (سُؤالُكَ الشَّيءَ، وسُؤالُكَ عنِ الشَّيءِ، وأمرُكَ بالشَّيءِ، وخَبرُكَ عَنِ الشَّيءِ، فهَذِهِ دعائِمُ المقَالاتِ إنِ التُمِسَ إلَيها خامِسٌ لم يُوجَدْ، أو نُقِصَ مِنها رابعٌ لم تتِمَّ، فإذا طلَبْتَ فأسجِحْ[٢]، وإذا سَألْتَ[٣] فأوْضِحْ، وإذا أمرْتَ فأحكِمْ، وإذا أخبَرْتَ فحقِّقْ).

---

(١) انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص١٩).

(٢) قوله: «أسجح»؛ أي: أحسن وارفق وسهِّل. انظر: «شرح أدب الكاتب» للجواليقي (ص٨٤).

(٣) في هامش (ر): «ذكرت».

إذا تقرَّرَ هذا فقدْ قالَ أهلُ هذِهِ الصِّناعَةِ كابنِ فضْلِ اللهِ العُمَرِيِّ وغيرِهِ: إنَّ أعلَى المكاتَباتِ بالنِّسبَةِ إلى الكاتِبِ: (يُقبِّلُ الأرْضَ، ويُنهِي كَيتَ وكَيتَ)، ويكْتُبُ في رأسِ الوَرقَةِ بعدَ البَسملَةِ: (المملُوكُ فلانٌ)[١]، ويجتَنِبُ فيها التَّسجِيعَ، وبذلِكَ يكتبُ إلى الخُلَفاءِ والمُلوكِ، وذَوِي المناصِبِ مِن نُوَّابِ السَّلطنَةِ والوُزراءِ[٢].

قالُوا: وكلَّما كثُرَ الدُّعاءُ والشَّوقُ كانَ أخفَضَ في رُتبَةِ المكتُوبِ إلَيهِ، لكِنْ يُغتفَرُ ذلِكَ مِنَ الأصحَابِ والرُّفقَةِ.

ولا يُوسِّعُ بينَ السُّطورِ ولا يُكبِّرُها، ولا يُطوِّلُ الألفاظَ، فإنَّهُ كلَّما كثُرَ اللَّفظُ في المكاتَبةِ، أو اتَّسعَتْ سُطُورُها، أو غَلظَ القلَمُ، كانَ ذلِكَ نَقصاً في حقِّ المكتُوبِ إلَيهِ، ويُغتفَرُ ذلِكَ لمَنْ لا يعرِفُ القاعِدَةَ، وللأصْحَابِ الذِين سقَطَتِ الكُلْفةُ مِن بَينِهِمْ.

ويَنبَغِي للكَاتِبِ أنْ يُنزِّلَ ألفاظَهُ عَلى قدْرِ الكاتِبِ والمكْتُوبِ إلَيهِ، فلا يُعطِي خَسِيسَ النَّاسِ رَفيعَ الكلامِ، ولا رفِيعَ النَّاسِ وَضِيعَ الكلامِ.

ويحسُنُ بالكاتِبِ أنْ يكتُبَ لكلِّ مَن لهُ قصْدٌ دُعاءً يُناسِبُ قَصدَهُ، وكذلِكَ يُراعِي الاسمَ واللَّقبَ كما سيأتي في بابِ الأدْعِيةِ.

***

فصْلٌ

في ذكْرِ بعضِ أشعَارٍ ينبَغِي تقدِيمُها أمَامَ السَّلامِ ونحْوِهِ:

اعلَمْ أنَّهُ لا بأسَ بتقْدِيمِ شَيءٍ منَ الشِّعرِ أمامَ السَّلام، تحْتَ طُرَّةِ الكِتابِ إنْ ناسَبَ المقَام، بحسْبِ ما يحضُرُ الكاتِبَ ممَّا يُناسِبُ، فإنَّ الشِّعرَ أجلَبُ للاستِعْطاف،

---

(١) فتصبح الرسالة هكذا: «بسم الله الرحمن الرحيم المملوك فلان يقبل الأرض وينهي...».

(٢) في (ع): «من الوزراء».

وأدْعَى للاستِلْطاف، وبالشِّعرِ تسْكُنُ نوافِرُ الأخْلاق، وتهيْجُ كوامِنُ الأشْواق، وهوَ أبهَجُ وألذُّ للنُّفوس، وهَذا أمرٌ مشَاهَدٌ محسُوس، لا يحتاجُ لتَطويلِ كَلامٍ، والسَّلامُ.

شِعرٌ:

نَسِيْمَ الصَّبَا بَلِّغْ تحِيَّةَ مُغْرَمٍ ... نحِيْفٍ ضَعِيْفٍ بَلْبَلَتْهُ بَلابِلُه
لمَنْ قَدْ غَدَتْ آدَابهُمْ وصِفَاتهُمْ ... كرَوْضٍ مِنَ الأزهَارِ ناحَتْ بَلابِلُه
وبَلِّغْهُمُ مِنْهُ السَّلامَ تحِيَّةً ... وقُلْ عَلَّ طَيْفاً مِنْ حِماكُمْ يُوَاصِلُه

غيرُهُ(١):

سَلامٌ تُحَاكِيْهِ رِيَاضٌ أزَاهِرُ ... وشَوْقٌ بهِ نَمَّتْ عُيُوْنٌ سَوَاهِرُ
تَحيَّةَ مَنْ شَطَّتْ بهِ عَنْكَ دَارُهُ ... ولَكِنَّهُ للودِّ والعَهْدِ ذَاكِرُ
وإنْ كانَ بُعْدُ الدَّارِ قَدْ حَالَ بَيْنَنَا ... فأنْتَ لَهُ قَلْبٌ وسَمْعٌ ونَاظِرُ

غيرُهُ(٢):

سَلامٌ كعَرْفِ المِسْكِ فَاشٍ ونَاشِرٌ ... وكالرَّوْضِ بالأشْوَاقِ زَاهٍ وزَاهِرُ
عَلَى غَائبٍ عَنِّي وفي القَلْبِ حَاضِرٌ ... ألا فاعْجَبُوا مِنْ غَائبٍ وهْوَ حَاضِرُ

غيرُهُ:

سَلامٌ وتَفْسِيرُ السَّلامِ سَلامَةٌ ... تَحيَّةَ مُشْتَاقٍ وتُحْفَةَ زَائرِ
وأزْكَى تحِيَّاتٍ وأسْنَى هَدِيَّةٍ ... إلى مَنْ غَدَا قَلْبِي وسَمْعِي ونَاظِرِي

---

(١) «غيره» من (ر).

(٢) في (ر): «وقال».

غَيرُهُ(١):

سَلامٌ عَلَى وَادِي الحَبِيْبِ ولَيْتَنِي   حَلَلْتُ بَوادِيْهِ مَكَانَ سَلامِي
سَلامٌ عَلَيهِ أيْنَمَا حَلَّ رَكْبُهُ   سَلامَ محِبٍّ مُبْتَلٍ بغَرَامِ

غَيرُهُ(٢):

وإنِّي لأسْتَهْدِي الرِّيَاحَ سَلامَكُمْ   إذا مَا نَسِيْمٌ مِنْ دَيارِكُمُ هَبَّا
وأسَألُها حَمْلَ السَّلامِ إلَيْكُمُ   لتَعْلَمَ أنِّي لا أزَالُ بكُمْ صَبَّا

شِعرٌ:

كَتَبْتُ ولَمْ أدْرِي لعُظْمِ صَبَابَتِي   وكَثْرَةِ أشْوَاقِي وطُوْلِ حَنِيْنِي
فلَوْ كانَتِ الأقْدَارُ طَوْعَ مَشيئَتِي   وكانَ زَمَانِي مُسْعِدِي ومُعِيْنِي
لكُنْتُ عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ وقُرْبِها   مَكَانَ الذِي خَطَّتْ إلَيْكَ يمِيْنِي(٣)

غَيرُهُ:

ولمَّا نَأيْتُمْ فلَمْ أقْتَدِرْ   أسِيْرُ لحَضْرَتِكُمْ بالقَدَمْ
وَصَلْتُ إلَيْكُمْ بقَلْبٍ شَجِيّ   وخَاطَبْتُكُمْ بلِسَانِ القَلَمْ

---

(١) في (ر): «وأيضاً».

(٢) في (ر): «وقال».

(٣) هذا الشعر من (ر). وجاء في هامشها: «ورأيت عوض البيتين الأولين:

وأقسم لولا أنني كنت حاسداً   لكتبي أن تحظى بوصلك دوني
لأرسلت أوراقاً إليك مدادها   دم القلب ممزوجاً بماء جفوني
ولو كانت الأقدار..........   ....إلخ».

غيرُهُ(١):

أيُّهَا السَّائرُ المُجِدُّ تحَمَّلْ ... حَاجَةً للمُتيَّمِ المُشْتَاقِ

أقْرِ مِنِّي السَّلامَ أهْلَ المُصَلَّى ... فبَلاغُ السَّلامِ بَعْضُ التَّلاقي

غيرُهُ(٢):

كَتَبْتُ وقَلبِي يُشْهِدُ اللهَ عِنْدَكُمْ ... ولَو أنَّني طَيْرٌ لكُنْتُ أطِيرُ

وكَيْفَ يَطِيرُ المرْءُ مِنْ غيرِ أجْنُحٍ ... ولكِنَّ قَلبَ المُسْتَهامِ يَطِيرُ

وقالَ أيْضاً:

قَسَماً بمَنْ نَطَقَ الحَصَاةُ بكفِّهِ ... فغَدَتْ بَلاغاً بالفَصَاحَةِ تَنْطِقُ

لَمْ يَبْقَ في المَمْلُوكِ مَنْبِتُ شَعْرَةٍ ... إلَّا وفِيهِ إلى لِقَاكَ تَشَوُّقُ

غَيرُهُ:

أقسمْتُ باللهِ أيماناً مُؤكَّدَةً ... أنِّي إلى وَجْهِكَ الوَضَّاحِ مُشْتَاقُ

وكَيفَ لا أشْتكِي شَوقاً إلى رَجُلٍ ... لَهُ مِنَ الجُودِ في الأعْنَاقِ أطْواقُ(٣)

كَتبْتُ إلَيْكَ مِنْ شَوقِي كِتَاباً ... جَعَلْتُ مِدادَهُ ما في فُؤادِيْ

فرُدَّ جَوَابَ صَبٍّ مُسْتهَامٍ ... أضَرَّ بجِسْمِهِ طُولُ البِعَادِ

---

(١) في (ر): «وقال».

(٢) في (ر): «وأيضاً».

(٣) من قوله: «وقال أيضاً» من (ر).

غَيرُهُ[١]:

كَتَبْتُ إِلَيْكَ والعَبرَاتُ تَمْحُو ... سُطُورِي والغَرَامُ عَلَيَّ يمْلِي
وقَدْ أرْسَلتُ رُوْحِي في كِتَابي ... ولَو أنِّي اسْتَطَعْتُ لكُنْتُ كُلِّي

غَيرُهُ:

شَهِدَ اللهُ أنَّ قَلْبِي مَشُوقٌ ... وحَفِيْظٌ عَلَى العُهُوْدِ وَثِيقُ
مَا سَلا قَطُّ عَنْ وِدَادِي خَلِيْلاً ... حَاشَ للهِ إنَّهُ لصَدُوْقُ
أنْتُمُ القَصْدُ والمَرَامُ فدُمْتُمْ ... في صَفَاءٍ وطِيْبِ عَيْشٍ يَروْقُ
وعَلَى سَيِّدِي أجَلُّ سَلامٍ ... ما تَلا الأمَدَ اللَّيَالِي تَرُوقُ[٢]

غَيرُهُ[٣]:

إنَّ السَّلامَ وإنْ أهْدَاهُ مُرْسِلُهُ ... وزَادَهُ رَونَقاً مِنهُ وتحْسِينَا
لمْ يَبلُغِ العُشْرَ مِن قَوْلٍ تُبلِّغُهُ ... أذُنَ الأحِبَّةِ أفْواهُ المحِبِّيْنَا

غَيرُهُ[٤]:

ولَو أنَّ أقْلامِي تُحِسُّ[٥] ببَعْضِ مَا ... يحِنُّ بهِ قَلبِي إلَيْكُمْ لحَنَّتِ
ولكِنَّها تجْرِي ولمْ تَدْرِ ما جَرَى ... بهِ الآنَ مِنْ شَوْقِي وعُظْمِ مَحبَّتِي

---

(١) في (ر): «وقال».
(٢) هذا الشعر من (ر).
(٣) في (ر): «آخر».
(٤) في (ر): «وأيضاً».
(٥) في (ع): «تحن».

غيرُهُ[١]:

يـا أَيُّهَـا الخِـلُّ الـذِي لـمْ يُثْنِنـي ... عَـنْ حُبِّـهِ بيـنَ الأنـامِ عِتَـابُ
الشَّـوقُ أَسْـمَى أنْ يُحِيْـطَ بوَصْفِـهِ ... قلَـمٌ وأنْ يُطْـوَى عَلَيـهِ كِتَـابُ

غيرُهُ:

لمَّـا أَتَانـي مِـنْ عَزِيـزِ جَنابِكُـمْ ... كِتابٌ شَرِيفٌ كامِلُ اللَّفْظِ والمَعْنَى
سُـرِرْتُ بـهِ حَتَّـى ظَنَنْـتُ بـأَنَّـهُ ... كِتَابي وقَـدْ أُوتِيْتُـهُ بيَـدِ اليُمْنَـى[٢]

غَيرُهُ:

وَقَفْتُ عَلَى ما جَاءَني مِن كِتابِكُمْ ... فـكَان لآلامِ القُلُـوبِ مُداوِيـا
فهَيَّـجَ أشْـواقَاً وحَـرَّكَ سَـاكِنَاً ... وذَكَّرنـي عَهْـدَاً ومـا كُنْـتُ نَاسِـيا

غَيرُهُ[٣]:

يُقَبِّـلُ الأرْضَ عَبْـدٌ بالدُّعَـاءِ غَـدَا ... أرْضَـاً لنَعْلَيـكَ عَـنْ صِـدْقٍ يُؤمِّلُـهُ
لَـو كَانَ يُمكِنُـهُ إرْسَـالُ نَاظِـرِهِ ... مَـعَ الكِتَـابِ إلَيْكُـمْ كانَ يُرْسِـلُهُ

غيرُهُ:

وَرَدَ الكِتَـابُ فـلا عَدِمْـتُ أنَامِـلاً ... كَتَبَـتْ بحُسْـنِ تَلطُّـفٍ وتَعَطُّـفِ
فكَأنَّنـي يَعْقُـوبُ مِـنْ طُـولِ البُكَا ... وكأنَّـهُ ثَـوْبٌ أَتَـى مِـنْ يُوسُـفِ[٤]

---

(١) في (ر): «وقال».

(٢) هذا الشعر من (ر).

(٣) في (ر): «آخر».

(٤) هذا الشعر من (ر).

غَيرُهُ[١]:

يُقَبِّلُ الأرْضَ مَن ذَابَتْ حُشَاشَتُهُ لبُعدِكُمُ وجَفَا مِنْ جَفنِهِ وَسَنُهْ
مُتَيَّماً عَدَّ أعْوامَ اللِّقا سَنةً وعَدَّ مِنْ بُعدِكُمْ يوماً بألْفِ سَنَة

وقالَ:

ما عَلَيكُمْ سَادَتي مِنْ حَرَجٍ لَوْ تَرُدُّونَ لَيالِيْنَا القُدَامى
إنْ تَنَاءَتْ دَارُنَا عَنْ دارِكُمْ فاذْكُرُوا العَهْدَ وزُوْرُونا مَنَامَا
هَيَّجَتْنِي نَسْمَةٌ مِن أرضِكُمْ تركَتْ قَلْبي قَتِيْلاً مُسْتَهَامَا
أنْتُمُ مِنْ دَمِي المسْفُوحِ في أوْسَعِ الحِلِّ وإنْ كَانَ حَرَاماً[٢]

غَيرُهُ:

يُقَبِّلُ الأرْضَ عَبْدٌ قدْ أضَرَّ بِهِ طُولُ البِعَادِ وكَادَ الشَّوْقُ يُهْلِكُهُ
يَوَدُّ في عُمْرِهِ أنْ لا يُفَارِقَكُمْ ما كُلُّ مَا يَتمَنَّى المَرْءُ يُدرِكُهُ

غَيرُهُ[٣]:

يُقَبِّلُ الأرْضَ مملُوكٌ وَظِيفَتُهُ بَذْلُ الدُّعاءِ وهَذا بَعْضُ ما يَجِبُ
ويَسْألُ اللهَ أنْ يُبْقِيْكَ في دَعَةٍ ونِعْمَةٍ ذَيْلُها في العِزِّ يَنْسَحِبُ

غَيرُهُ:

ولَو أنَّنِي أُوْتِيْتُ كُلَّ بَلاغَةٍ وأفْنَيْتُ بحْرَ النُّطْقِ في النَّظْمِ والنَّثْرِ
لما كُنْتُ بَعْدَ الكُلِّ إلّا مُقَصِّراً ومُعْتَرِفاً بالعَجزِ عَنْ وَاجِبِ الشُّكْرِ

---

(١) في: «البعضهم».
(٢) هذا الشعر من (ر).
(٣) في (ر): «وقال».

الباب الثَّاني

في ألفَاظِ السَّلام وصُدُورِ المكاتَبَاتِ

اعلَمْ أنَّ ألفاظَهُ في المكاتَباتِ لا تتقَيَّدُ بلفْظٍ خاصٍّ، فإنْ شاءَ قالَ: أشرَفُ ـ أو: أسْنَى ـ سَلامٍ، أو تحيَّاتٍ، أو: غبُّ سلامٍ، أو: إهداءُ سَلامٍ.

وغِبُّ كلِّ شيءٍ ـ بكسْرِ الغَينِ المعجَمَةِ ـ: عاقِبتُهُ.

وإذا أنهَى السَّلامَ قالَ: نخُصُّ بذلِكَ مَولانا، ثمَّ يشرَعُ في الأوصَافِ والألقَابِ اللائقَةِ بهِ[1] ممَّا سيأتي، ثمَّ يذكُرُ المسَلَّمَ عَليهِ باسمِهِ صَرِيحاً أو تَلويحاً كما قِيلَ:

سَيَكْفِيْكَ مِنْ ذَاكَ المسَمَّى إشَارَةٌ ... فدَعْهُ مَصُوناً بالجَلالِ مُحَجَّبَا

وكمَا قيلَ:

لسْنَا نُسَمِّيكَ إجْلالاً وتَكْرِمَةً ... وقَدْرُكَ المُعْتَلِي عَنْ ذَاكَ يُغْنِيْنَا

إذا انْفَرَدْتَ ومَا شُورِكْتَ في صِفَةٍ ... فحَسْبُنا الوَصْفُ إيْضَاحاً وتَبْيينَا

ثمَّ يشْرَعُ في الدُّعاءِ بما يُناسِبُهُ منَ الأدعِيَةِ الآتيَةِ، وإنْ شاءَ ذكَرَ الأوصَافَ، ثمَّ الدُّعاءُ، ثمَّ يسلِّمُ ويقُولُ: نخُصُّ بذلِكَ المشارَ إلَيهِ.

وقدْ بالَغَ المتأخِّرونَ فقدَّمُوا أمَامَ السَّلامِ سَجْعاً لَطِيفاً، وإنَّ للمَنامِ لَطَيْفاً.

صُورةُ سَلامٍ:

إنَّ ألفَحَ كِمامَةٍ[2]، وأصدَحَ حَمامَةٍ، وأبدَعَ عِبارةٍ، وأرفَعَ إشَارةٍ، وألطَفَ

---

(١) «به» ليست في (ر).

(٢) الكِمامة: وعاء الطّلع وغطاء النَّور. انظر: «القاموس» «مادة: كمم».

مِنْ نسَماتِ الصَّبا حرَّكتِ الأفْنان، وأطرَبَ مِن تغارِيدِ الأطيَارِ أمَالَتِ الأغصَان، وأحْلَى مِن عتابِ حَبيبٍ مُواصِل، وأعطرَ مِن رُبى أزهَارِ الخمَائل، سلامٌ تعطَّرَتْ بنفحَاتِهِ رياضُ المحبَّةِ والوِداد، وتفتَّحتْ بنسَماتِهِ أزهارُ الإخْلاصِ والاتِّحاد، وتَسليمَاتٌ يفُوقُ شذَاها عَلَى المسكِ والخُزام، وتحيَّاتٌ صافياتٌ أغزَرُ مِن قطْرِ الغَمام، نخُصُّ بذلِكَ مَولانا فلاناً لا زالَ كَذا وكَذا، والمعرُوضُ، أو ويُنهِي مِن دُعائِهِ ما يرفَعُهُ عَلى الدَّوامِ والاستِمرارِ، ومِن أشْواقِهِ ما لا صَبرَ عَلى مِثلِهِ ولا قَرارَ، وأنَّ الأمرَ كيتَ وكيتَ.

سلامٌ[١] **آخرُ**: إنَّ مِن أبلَغِ ما تُدبَّجُ بهِ مَهارِقُ الكتُبِ والرسائلِ وأطيَبِ ما تُؤرَّجُ بِهِ مفارِقُ الخطَبِ والوَسائل، وأعطَرُ مِن أنفاسِ الرِّياضِ باكَرَها الغَمامُ، وأنضرُ مِن حدائقِ الغِياضِ ترنَّمتْ عَلَيها ساجِعاتِ الحمَام، إهداءُ سَلامٍ ألذَّ عَلَى القلُوبِ مِن تغرِيدِ البلابِل، وأسحَرُ لذوِي النُّهَى مِن سحرِ بابِل، نخُصُّ بذلِكَ حضرَةَ مَولانا لا زالَ كذا وكذا، بعدَ عرْضِ دُعاءٍ يرفَعُهُ عقِبَ الفُرُوضِ والنَّوافِل، وثناءٍ يعطِّرُ نشرُهُ أكنافَ الربُوعِ والمحافِل، ونشرِ ولاءٍ أكيدٍ قامَ عَلَى برهانِ صدقِهِ أوضَحُ الدَّلائل، ويقبِّلُ تلكَ الأعتَابَ التي هِيَ مسجِدُ جِباهِ الأماجِدِ[٢] والأفاضِلِ، إنَّ الأمرَ كَذا وكَذا.

سلامٌ آخَرُ: إنَّ أحسَنَ زِينةٍ تحلَّتْ بها وجَناتُ الطُّروس[٣]، وأحصَنَ تمِيمَةٍ حفِيظَةٍ لنفَائسِ النُّفوس، وألطَفَ مِن مُنظَماتِ اللآلئِ عُقُوداً، وأظرَفَ مِن رياضِ الأزهَارِ بُروداً، وأزهَى رَوضَةٍ إذا بكَى الغَمامُ عَلَيها تبَسَّمَ ثغْرُ زهْرِها، وأبهَى حَدِيقةٍ طابَتْ رَوائحُ نشْرِها، قدْ هزَّ الشِّمالُ أطيارَها فصدَحَتْ، وحرَّكَ النَّسيمُ أزهَارَها

---

(١) «سلام» ليس من (ر).

(٢) في (ر) و(ع): «الأمجاد»، والمثبت من هامش (ر).

(٣) جمع الطِّرْس بالكسر: وهو الصَّحيفةُ، أو التي مُحِيَتْ ثم كُتِبَتْ. انظر: «القاموس» «مادة: طرس».

فنفَحَتْ، حمْداً للهِ عَلَى نعِمهِ التي لا يُداني جُودَها غمامٌ، ولا يُقارِبُ حسْنَ مَواقعِها تبسُّمُ زهرٍ مِن ثغرِ الحمَام، معَ تحيَّاتٍ تُفاوِحُ نسمَاتِ الرَّوضِ الممْطُور، وتسلِيمَاتٍ تُصافِحُ جنَّاتِ أفنَانِ فنُونِ الزُّهور.

سلامٌ آخرُ: إنَّ أبدَعَ ما تزيَّنتْ بهِ صَحائفُ الوِداد، وأبرَعَ ما اشتَمَلَ بهِ متمسِّكُ بذَيلِ الوَلاءِ والاعتِقاد، تحيَّاتٌ مَناهِلُها صافِية، وتسلِيماتٌ مَلابِسُها مِن حُلَلِ البهَاءِ وافِية، تتأكَّدُ مَصادِرُها بتوابعِ الشَّوقِ والغَرام، ويتجرَّدُ مَزيدُها عَن غَيرِ عَوامِلِ الوجْدِ والهُيام.

سلامٌ آخرُ: إنَّ أحْلَى ما سارَتْ بهِ مُسايرَةُ الأقلام، وتراسلَتْ بهِ في الطَّيفِ أمانِي الأحلام، شَرائفُ تحيَّاتٍ نَشرُها عَميْم، ولطائفُ أثْنِياتٍ[1] كالرَّوضِ الوسِيم، وصَالحُ دعَواتٍ تتنَاسَقُ كالدُّرِّ النَّظيم، وبثُّ أشواقٍ يقِفُ لسانُ القلَمِ عَنْ نشْرِها، وتجِفُّ أفواهُ المحابرِ عَنْ حصْرِها، إلى تلْكَ الحضرَةِ العليَّة، والطلعَةِ السنِيَّة.

سلامٌ آخرُ: إنَّ أحْلَى ما تحلَّتْ بهِ حُرُوفُ الرِّقاع، وأبهَى ما تشَرَّفَتْ بهِ أنواع[2] السَّماع، وأكمَلَ ما وشَّاهُ البَنانُ مِن غُررِ البَيان، وأجمَلَ ما أنشَأهُ الإنسَانُ مِن دُررِ اللِّسان، بعدَ حمْدِ الرحِيمِ الرحمن، سلامٌ أحْلَى مِن رحِيقِ الأفواهِ لدَى الصَّباح، وهُيامٌ أجْلَى مِن عقِيقِ الشِّفاهِ مِن الصِّباحِ[3]، وأعبَقُ مِن عَبيرِ ورْدِ الخُدُودِ الفوَّاح، وأنشَقُ مِن عَنبرِ شَقِيقِها وقدْ فاح، وأنسَقُ مِن لُؤلُؤِ المُزنِ في لآلِئِ الأقاح، وأزْهَى مِن زهْرِ الرُّبى، وأرَقُّ مِن نسِيمِ الصَّبا.

---

(١) لعلها جمع أثنية، فإن جمع التكسير يجمع على صيغة جمع المؤنث السالم، والأثنية جمع الثناء، وهو المدح.

(٢) في (ر) و(ع): «أنوف»، والمثبت من هامش (ر) وعليها علامة التصحيح.

(٣) جمع صبيح، وهو الوجه المشرق الجميل.

سلامٌ آخَرُ: إنَّ أزهَرَ رَوْضٍ كلَّلَتْ تيجَانَهُ لآلِئُ الغيثِ السَّجِيم، وأنضَرَ زهرٍ صَقلَتْ يدُ النَّسيمِ ديباجَةَ وجْهِهِ الوسِيم، وأزْهَى صَحيفةٍ تَنظَّمتْ سُطُورها في طُروسِها كالدُّرِّ النَّظيم، يُعرِبُ مَضمُونُها عِنْ شوقٍ مَزيد، وحُبٍّ أكيد، معَ سَلامٍ أسْنَى، وتحيَّاتٍ مُباركَةٍ حُسنَى.

صُورةُ سَلامٍ آخَرَ: غِبَّ سَلامٍ يُغادِي رِيحَ الصَّبا ويُراوحُه، ويصَابِحُ زهرَ الرُّبى ويُصافِحُه، وتتعَلَّقُ[1] أغصَانُ الأشْواقِ ببدِيعِ براعَته، وتتراسَلُ ساجِعاتُ الحمَائمِ بألفَاظِ بلاغَته، وتنسَابُ جَداولُ المحبَّةِ في رياضِ أسرَارِه، وتبدُو لوامِعُ المودَّةِ مِن سَمَا أنوارِه، وتتفَتَّحُ بنسِيمِ ريحانِهِ كمَائمُ الزُّهور، وتترَنمُ بفُنونِ ألحانِه[2] سَواجِعُ الطُّيورِ.

سلامٌ آخرُ: غِبَّ سَلامٍ يترَدَّدُ تردُّدَ الأرواحِ في الأشبَاح، ويمتَزِجُ بالمحبَّةِ والمودَّةِ امتِزاجَ الماءِ بالرَّاح، تُزهِرُ بالمحبَّةِ رِيَاضُه، وتثمِرُ بالمودَّةِ غِياضُه، وتَنمُو بهِ أغصَانُ الوِداد، وتزْهُو بهِ أفنَانُ الاعتِقَاد.

آخرُ: غِبَّ سلامٍ يُراوِحُ نسِيمَ الأسحَار، ويُفاوِحُ شمِيمَ الأزْهار، تسْجَعُ بألحانِهِ ذَواتُ الطَّوقِ عَلَى أفنَانِ الشَّوق، يرِقُّ كالماءِ انسِجَاماً، ويَروقُ عَلى الزَّهرِ ابتِسَاماً، مِن صَبٍّ صَبَّ المدَامِعَ أنهَاراً، وأطلَقَ المحاجِرَ غِياثاً مِدْرَاراً.

آخرُ: غِبَّ إهداءِ تحيةٍ[3] نَفَّاحةٍ بنسِيمِ الجَنان، مَيَّاسةٍ بحُللِ الحُورِ والولْدان، عالِيةٍ وغالِيةٍ عَن أنْ يُقاسَ بها فاغِيةٌ[4] وغَاليةٌ مِن محِبٍّ يتمَسَّكُ بطِيبِ الإخَاءِ

---

(١) في (ر): «تتعانق».

(٢) في (ع): «ألحان».

(٣) في (ر): «تحيات».

(٤) الفاغية: نور الحناء، وقيل: نَور الرَّيحان، وقيل: نَور كل نبت من أنوار الصحراء التي لا تزرع، وقيل: فاغية كل نبت نَوره. انظر: «النهاية» (مادة: فغا).

والوِداد، ويتمَسَّكُ بذَيلِ الوَلاءِ والاعتِقاد، لا ينقَطِعُ ورُودُه، ولا يفْنَى مَعدُودُه.

آخرُ: غِبَّ تحيَّاتٍ نفحَتْ بالشَّوقِ والتَّوقِ كمَائمُها، وصدَحتْ بالمحبَّةِ والمودَّةِ حمَائمُها، بارِزةٌ أسرارُها عَن صَمِيمِ الفُؤادِ، مِن محِبٍّ مخلِصٍ فاقَ بحُسْنِ توَدُّدِهِ ألفَ وادّ، وفاتَ العَدَّ حصْرُ أوصَافِهِ الحُسنى، فلا يتَّسِعُ لها ألفُ واد.

آخرُ: غِبَّ إهداءِ تحيَّاتٍ فواتِحُها مَكيَّة، وتسْليماتٍ فوائحُها مِسكيَّة، ودعَواتٍ أنفَاسُها قُدسِيَّة، وابتِهالاتٍ مِن قُلوبٍ أقدسيَّة.

آخرُ: غِبَّ سَلامٍ تتبَرَّجُ مخَدَّراتُهُ في آرائكِ العُقول، ودُعاءٍ مفُرَّغٍ مِن صافي القُلُوبِ في قالَبِ القَبول، وثناءٍ تتبَسَّمُ ثُغورُهُ عَن درٍّ تُزرِي بقَلائدِ النُّحور، وتجْرِي مَواخِرُ صِدقِهِ برخَاءِ قصْدِهِ فتشُقُّ زواخِرَ البُحور.

آخرُ: غِبَّ سَلامٍ يتمَسَّكُ بذَيلِ عَرفِهِ النسِيمُ، وأوفَى[1] تحيَّةٍ أصْفَى منَ التَّسنِيم[2]، وأتمِّ إكرامٍ يتكرَّمُ بمكَارمِ أخلاقِهِ كلُّ كريم، وأسرِّ إنعَامٍ يلِيهِ الخُلودُ بدارِ النَّعيم، وأكمَلِ[3] رحمَةٍ يَشمَلُها سلامٌ قولاً مِن ربٍّ رحِيم.

آخرُ: غِبَّ سلامٍ أزهَى مِن زواهِرِ النُّجُوم، وثناءٍ كأنَّهُ اللُّؤلؤُ المنظُوم، وشَوقٍ حرَّكَ ساكِنَ الغَرام، وضاعَفَ الوجْدَ والهُيام، وترَكَ دمْعَ العَينِ في انسِجام، ونارَ القلْبِ في اضطِرام، مِن محِبٍّ محبَّتُهُ صَادِرةٌ مِن صمِيمِ الفُؤاد، ومُشتاقٍ أشْواقُهُ لو تجَسَّمتْ لملأتْ ألْفَ واد.

آخرُ: غِبَّ سلامٍ تتبسَّمُ[4] بالمحبَّةِ والمودَّةِ ثُغورُ سُطورِه، وترقُّمُ بصدْقِ

---

(١) في (ر): «في أوفى».

(٢) في (ر): «التنسيم».

(٣) في (ر): «وأكرم».

(٤) في (ر): «تبسم».

الإخْلاصِ أحرُفَ مَنثُورِه، يهدِيهِ مَن لمْ يزَلْ يهتِفُ بذكرِكُمْ هُتوفَ[١] الحمَائم، ويرسِلُ العُيونَ كالعُيونِ ووابِلِ الغَمائم.

آخرُ: غِبَّ تسليماتٍ تتعطَّرُ الأكْوانُ بطِيبِ نَشرِها، وتتبَسَّمُ ثُغورُ الأُقحُوانِ مِن حُسنِ بِشْرِها، صادِرةٍ عَن ودٍّ لا يَزولُ ولو تَزُولُ الجِبال، وحبٍّ لا يَفْنى ولو تَفْنى الأيَّامُ واللَّيال.

آخرُ: أزْكَى تحيَّاتٍ سامِية، وأوفَى تَسليماتٍ نامِية، يستَعِيرُ المسْكُ مِن شَذَاها، ويقتَبِسُ النَّدُّ مِن طِيبِ رُبَاها، تمِيْسُ في مَلابِسِ الشَّوقِ عَرائسُها، وتمِيدُ في خِلَعِ الغَرامِ نَفائسُها، صادِرةٍ عَنْ شوقٍ أحرَقَ الفُؤاد، وشرَّدَ الرُّقاد، ومزَّقَ الأكباد، إلى حَبيبٍ حبَّةُ الفُؤادِ مَثواه، وسُويداءُ[٢] القَلبِ مَسكنُهُ ومأواه.

آخرُ: غِبَّ إهداءِ تحيَّاتٍ يَتلألأُ في سَماءِ الطُّروسِ بدْرُها، ويلُوحُ في آفاقِ الأوراقِ زَهرُها، وصُدورِ شَوقٍ وغَرام، وسُطُورِ توقٍّ وهُيام، تُبدِي الغرَامَ عَنْ كبدٍ حرَّاءَ، ومُقلةٍ سَهراءَ، تِسعِينَ عاماً وشَهراً.

آخرُ: غِبَّ سلامٍ تُزهرُ بالمحبَّةِ والمودَّةِ كواكِبُه، وتزهُو بالمعزَّةِ والإخْلاصِ مَواكبُه، أينعَتْ ثمراتُ رياضِه، وزهَتْ زهرَاتُ غِياضِه، تترَنمُ بسجْعِهِ حمَائمُ الأسحَار، وتترَنمُ بنسَائمِ لُطفِهِ عَذَباتُ البانِ بائعَةُ الأزْهار، يهدِيه محِبٌّ أرادَ أنْ يكتُبَ عَلى قدْرِ ما هوَ واجِدٌ، وعَلى حسبِ حالِ ما هوَ بِهِ واجِدٌ، فمَا اتسعَتْ لهُ صحِيفةٌ فأمسَكَ عنِ البيان، وأحالَ عَلَى شرحِهِ عِندَ مُشاهدَةِ العِيان.

آخرُ: غِبَّ إهداءِ سَلامٍ تَزهُو بالمحبَّةِ رِياضُه، وتترَعُ بالمودَّةِ حِياضُه، أنضَرُ مِن

---

(١) في (ر): «شوق».

(٢) في (ع): «وسويد».

زهْرِ الرُّبى، وألطَفُ مِن نسِيمِ الصَّبا، وألذُّ مِن أيَّامِ الشَّبيبَةِ والصِّبا، وثناءٍ كأنَّهُ عُقودُ الجُمَان، وأبهَى منَ الدرِّ في أجيَادِ الحسَان، ودَعاءٍ مَشمُولٍ بعَنبرِيِّ الشَّمول، مَقرُونٍ بالإخْلاصِ والقَبول، نُوجِّه ذلِكَ غضَّاً طريّا، ووَرداً جنيّا، ورَوضاً بهيّا.

آخرُ: غِبَّ سلامٍ أطيَبَ مِن عَرفِ النَّسيم، وأعذَبَ مِن رحيقٍ مختوم، خِتامُهُ مسكٌ ومِزاجُهُ مِن تَسنيم، وأكرمِ تحياتٍ يُشرِقُ عَلَى الآفاقِ سَنَا نُورِها، وتَسلِيماتٍ يَشُوقُ المشتَاقَ أنِيقُ شَذا نورِها.

آخرُ: أشـرَفُ تحيَّـاتٍ صافيَـاتٍ مُتوَّجَـةٍ بالقَبول، وألطَـفُ تَسـلِيماتٍ وافِياتٍ تَضوَّعَ نَشـرُها بنسِـيمِ الصَّبـا والقَبول، وسَـلامٌ ألطفُ مِـن عَرفِ النَّسـيم، وأرَقُّ مِن ماءِ التَّسـنِيم[1].

آخرُ: غِبَّ إهداءِ تحيَّاتٍ مَبْنيَّةٍ عَلى صِدقِ الوِداد، وتسلِيماتٍ مُنْبِيَةٍ عن[2] محبَّةِ الفُؤاد، ودعواتٍ لتلْكَ الذَّاتِ البهيَّةِ التي مَن أمَّ حِماها أو تيمَّمَ بتُرابِ ثَراها حصَلَ لهُ الفَخرُ والمجْد، ومَن شاهَدَ سَناها وتشرَّفَ بسَناها حصَلَ لهُ مِن الهيامِ أكثرُ مِن هيمَانِ العرَبِ إلى رُبى نجد.

آخرُ: غِبَّ سلامٍ هوَ أصْفَى مِن ماءِ الغَمام، وأضوءُ مِن بدرِ التَّمام، وأرَقُّ مِن شوقِ المحِبِّ حالَ الهُيام، وأضوَعُ مِن عَبيرِ العَنبرِ ومِسكِ الخِتام، سَلامٌ تحلَّتْ بدَرارِي ألفَاظِهِ سُطورُ الطُّروس، وتجلَّتْ بدُررِ مُفرداتِهِ عُقودُ السُّطورِ كما العَروس[3]، سلامٌ هو للْعَينِ جَفنٌ، وللفَمِ لسانٌ، بلْ للإنسَانِ روحٌ، وللرُّوحِ إنسَانٌ.

---

(١) في (ر): «التنسيم».

(٢) في (ر): «مبنية على».

(٣) في (ر): «كالعروس».

آخرُ: غِبَّ سلامٍ يَروِي بنشْرِ الرَّوضِ غيث[١] السَّحائب، وثناءٍ لا يحصُرُهُ وصْفُ واصِفٍ ولا شرْحُ كاتِب، وأشواقٍ لا تسَعُها صحائفُ الأوراق، ولا تُدْركُها لطائفُ العَقل ولو رقَّ ورَاق.

آخرُ: غِبَّ إهداءِ سلامٍ لا يكَادُ يوصَف، وثناءٍ أرَقُّ منَ النسِيمِ وألطَف.

سلامٌ آخرُ: غِبَّ إهداءِ تحيَّاتٍ صافِياتٍ عَنبريَّةِ النَّفحات، وأزكَى تسلِيماتٍ وافِياتٍ عِطريةِ النسَمات، وسلامٍ أزهَى مِن عقُودِ الجُمان، وثناءٍ أبهَى منَ الدرِّ في أجيادِ الحسَان.

سلامٌ لصوفيٍّ[٢]: غبَّ إهداءِ سلامٍ[٣] يتعطَّرُ فِردَوسُ الجنَانِ بشَميمِهِ، ويتضوَّعُ رِضوانُ الوِلدانِ بنسِيمِهِ، ممزُوجاً بأنفاسِ الملائكَةِ المقرَّبين، سارِياً بنفحَاتِ الأقطَابِ الواصِلِين، تمدُّهُ الرحمُوتيَّةُ واللاهُوتيَّةُ بأسرارِها، وتصاحِبهُ الحقِيقَةُ المحمَّديةُ المُرسلِيةُ بأنوارِها.

سلامٌ لمنطقِيٍّ[٤]: غبَّ إهداءِ سَلامٍ تنطَبقُ كليَّاتُهُ وجُزئيَّاتهُ عَلَى قضايا الأشواق، وتُنتِجُ مُقدِّماتُهُ منَ الأشكالِ ما يعجَزُ عَن وصفِ خاصَّتِهِ الرسْمُ والحدُّ مِن الاشتِياق، نخُصُّ بذلكَ حضْرةَ سيِّدِنا ذي القضيَّةِ الموجَّهةِ إلى كلِّ مجد، أكمَليَّةٍ عَلى مُقدِّماتِ العزِّ المعدُولةِ عنِ العكْسِ والطَّرد، مَولانا فلانٍ لا زالَ مجدُهُ عَلى عاتقِ الجوازِ محمُولاً ومَرفُوعاً، وعدُوُّهُ عَقِيماً عَنْ بلوغِ الآمالِ مَوضُوعاً.

---

(١) في (ر): «غب».

(٢) في (ر): «آخر لصوفي».

(٣) في (ر): «غب سلام».

(٤) في (ر): «آخر لمنطقي».

سلامٌ[١] لمحدِّثٍ: غبَّ إهداءِ سلامٍ يتَّصِلُ بهِ سَندُ المحبَّةِ والشَّوق، ويتسلْسَلُ معَهُ حديثُ الغرامِ والتَّوق، قدْ صحَّتْ منَ الضَّعفِ آثارُه، وحَسُنَتْ مِن طَريقِ المحبَّةِ أخبارُه، مُرسَلُ ذلِكَ مَرفوعٌ، إلى مَن مَقامُهُ مَرفوعٌ، غَريبٌ بلْ عَزيزٌ أمثالُه، مَن عَنعنتْ بالسنَدِ العَالي أحادِيثُ كمَالِه، مِن غيرِ إبهامٍ ولا انقِطاعٍ ولا إنكَارٍ لمسانِيدِ فَضلِهِ وأفضَالِه، واتَّفقتِ الآراءُ والألسِنةُ بأنهُ غريبُ الأوصَافِ في أقوالِهِ وأفعالِه، مَولانا فلانٍ، لا برِحَتْ هذِهِ الأوصَافُ مَوقُوفةً عَليه، ومحامِدُ الألسِنةِ مُدرجَةً بكلِّ اعتبارٍ إليه، والقُلوبُ عَلَى محبَّتِهِ مُؤتلِفةٌ، وليسَتْ إلا إلى أبوابِ فضلِهِ مختَلفَةٌ.

سلامٌ[٢] لنحوِيٍّ: غبَّ سلامٍ تَبرزُ ضَمائرُ الشَّوقِ مِن تَوضِيحِ مسالِكِ مَعانيْه، وتَظهَرُ عَوامِلُ الغَرامِ مِن مُعرَباتِ مَبانِيه، يُهدِيه محِبٌّ انتَصبَتْ محبَّتُهُ بينَ الورَى عَلَى التَّمييز، وارتفَعتْ مَودَّتُهُ بماضِي[٣] عَهدِكُمْ لأنهُ يرَى أنَّ العهْدَ عَزيز، محِبٌّ مُبتدَأُ أحوالِهِ لا يعرِبُ[٤] عَنها الخبرُ، وأفعالُ أشواقِهِ لا يحكِيها إلا مَن لهُ خبر، وحُروفُ غَرامِهِ لا سَبيلَ إلى تَوضِيحِ مَعانِيها إلا لـمُعايِنِها ولو معَ غايةِ الإمعَانِ والنظَر، حضْرةَ مَولانا فلانٍ مَن رفَعَ اللهُ مقامَهُ حتَّى انخفَضَ بالإضَافةِ إليهِ كلُّ مقامٍ، ونَصَبَ لهُ أعلامَ السَّعادةِ والسِّيادةِ حتَّى جزَمَ كلُّ أحدٍ بأنهُ علَمُ الأفرادِ ومَعرفةُ الأعلام، المتميِّزُ بلُطفِهِ عَن مُضارعٍ في ماضِي الأيَّام، والمنعُوتِ بعطفِهِ عَلى جميعِ الأنام، لا زالَ كَذا وكَذا، وبعدُ: فالمعرُوضُ شوقٌ كادَ أنْ يكُونَ عَلَماً ممنُوعاً منَ الصَّرف، أو موصُولُ اسمٍ لا

---

(١) في (ر): «سلام آخر».

(٢) في (ر): «سلام آخر».

(٣) في (ر): «بما مضى».

(٤) في (ر): «يعرف».

يعتَريهِ نَقصٌ ولا حَذف، فالمحِبُّ أَبداً مجرُورُ القلبِ بالإضَافةِ إلى مَعناكُم، مجزُومُ الأمرِ بأَنَّهُ مفرَدُ جموعِ الداخِلينَ تحْتَ ولائكُم، لا يساويهِ في محبَّتِهِ لكُمْ زيدٌ ولا عمرو، ولا يُدانِيهِ في صدقِ مودَّتهِ خالدٌ ولا بكْر.

أو يقولُ[1]: ويُنهِي غَراماً لمْ يزَلْ يحركُهُ عامِلُ الاشتِياق، ويُهيِّجهُ ساكِنُ الأشواقِ، قدْ جمَعَ الشوقُ قلبَهُ ولكِنْ جمْعَ تكسِير، وخفضَهُ البَينُ ولَبَّهُ[2] ولمْ يغنِهِ التَّحذير، وضُمَّتْ جوانحُهُ عَلى الودِّ الصَّحيحِ السالم، وتحصَّنتْ أحشَاؤهُ عَنْ دخُولِ الجَوازم، تنازَعَ في جفنِهِ عامِلُ الوجْدِ والسهَر، وهذا مُبتدأُ الحالِ فلا تسأَلْ عَنِ الخَبر.

آخرُ: غِبَّ سلامٍ فاحَ نشْرُهُ ولاحَ بِشرُه، وولاءٍ ثبتَ أُسُّهُ وزكَا غرسُه، وثَناءٍ أضَاءَ نُورُهُ وزَها نَورُه، ودعاءٍ أُجيبَ سائلُهُ ونجَحتْ وسائلُه، وتحيَّاتٍ أزهَى منَ الأزْهارِ النَّواضر، وأبهَى منَ النُّجومِ الزَّواهر.

***

---

(١) في (ر): «آخر» بدل: «أو يقول».

(٢) «ولبه» ليست في (ر).

البابُ الثالِثُ

في مُكاتبَاتِ المُلوكِ والوُزراءِ ومَن في مَقامِهِمْ

اعلَمْ أنَّ أهلَ[١] هذِهِ الصِّناعةِ قدْ بالغُوا في تعظِيمِهِمْ حتَّى نزَّهُوهُمْ عنِ السَّلامِ الذِي لا يَتنزَّهُ عنهُ عاقِلٌ لأنهُ هوَ المشرُوعُ، وتحيَّةُ الأنبياءِ وأهلِ الجنَّةِ في الجنَّةِ، ورضُوا لأنفُسِهِمْ بذلِكَ، وأحبُّوا أنْ يخاطَبُوا بنحوِ: يُقبِّلُ الأرْضَ، كما أحبُّوا الركُوعَ لهُم الذِي هوَ مِن عظائمِ الذُّنوبِ، وأحبُّوا السُّجودَ الذِي هوَ كفرٌ كمَا ذهَبَ إليهِ بعضُ العُلماءِ، أو يُقارِبُ الكفرَ كما ذهَبَ إليهِ[٢] آخَرونَ، ويرحَمُ اللهُ المأمونَ؛ فإنهُ عطَسَ يوماً بحضرَةِ جُلسائهِ، فلَمْ يُشمِّتهُ أحدٌ، فنظَرَ إليهِمْ وقالَ: لِمَ لَمْ تُشمِّتُوني؟ فقالُوا: هِبناكَ وأجْلَلناكَ يا أمِيرَ المؤمِنينَ، فقالَ: أعُوذُ باللهِ أنْ أكُونَ ممنْ يُجَلُّ عَن رحمَةِ اللهِ.

فممَّا يخاطَبُونَ بِهِ: (يُقبِّلُ اليدَ الكَريمةَ) أو: الباسِطةَ، أو: (يُقبِّلُ الأرْضَ)، وإنْ قيلَ: إنهُ مَكرُوهٌ ولا بدَّ[٣]، بلْ قالَ أهلُ الصِّناعَةِ: إنَّ أعلَى المكاتَباتِ: (يُقبِّلُ الأرْضَ ويُنهِي كذا).

صُورَةُ ذلِكَ[٤]: يُقبِّلُ الأرْضَ التي هيَ مَلجأُ العُفاه، ومُلتثَمُ الشِّفاهِ، ومحلُّ الكَرمِ الذِي لا يُخيِّبُ منِ اقتفَاهُ.

آخرُ[٥]: يقبِّلُ الأرْضَ حمَى اللهُ ساحَتَها مِن غيَرِ الزَّمانِ، واكتنَفَها بالأمَانِ، مِن

---

(١) «أهل» ليست في (ع).

(٢) قوله: «بعضُ العُلماءِ، أو يُقارِبُ الكفرَ كما ذهَبَ إليهِ» ليست من (ر).

(٣) «ولا بد» ليست في (ع).

(٤) كتب تحتها في (ر): «غيره».

(٥) في (ر): «غيره».

صُروفِ الحدثانِ، لا برِحَتْ محرُوسَةَ الرحَاب، مَأنُوسةَ الأبْواب، هامِيةَ السَّحاب، فسِيحَةَ الجنابِ لمَنْ أناب.

آخرُ: يقبِّلُ الأرْضَ أمَامَ جَنابِه، ويَشتَاقُ إلى تَقبِيلِ يدِهِ وعَتبَةِ بابِه، ويودُّ أنْ لو كانَ عِوَضَ كِتابِه، ليفُوزَ بتَقبِيلِ الأرض، وتأدِيةِ ما يجِبُ عَليهِ منَ الفَرض.

آخرُ: يقبِّلُ الأرْضَ التي فاضَتْ بحارُ عُلومِها، وتجمَّلتِ الطُّروسُ بأزهارِ[1] مَنْثُورِها ومَنظُومِها، وفاخرَتْ حَصباؤها النُّجومَ الكَواكِب، وطاوَلتِ السَّبعَ الطِّباقَ فأقرَّتْ لها بأنَّ[2] مَرتَبتَها أرفَعُ المراتِب.

آخرُ: يقبِّلُ اليدَ الشَّريفَةَ لا زالَتْ جارِيةً بسَوابغِ النِّعمِ، هامِيةً بغُيوثِ الكرَمِ، مَبسُوطةً لتَقبِيلِ العرَبِ والعجَمِ، تُقلِّدُ الأعنَاقَ أطْواقَ المنَن، وتدَّخِرُ عندَ اللهِ الأجرَ الحسَن، آمِينَ.

آخرُ: يُقبِّلُ اليدَ الشَّريفَةَ لا زالَ بَنانُها المقْبِلُ وبِرُّها المقبُول، وفضْلُها الـمُنْطِقُ بالشُّكرِ حتَّى ألسِنةُ الأقلامِ فتقُومُ وتقُول، وخلَقَها خلْقَ الغَمامَةِ إمَّا بالصَّيبِ تُصيْبُ وإمَّا بالصَّواعقِ تَصُول، وأيامُها بينَ القَبائلِ كخَيلٍ لها غُرَرٌ مَعلُومةٌ وحُجُول.

آخرُ: يُقبِّلُ يدَ الذَّاتِ العلِيَّةِ التي أشرَقَ اللهُ جَمالَها وجَلالَها، وأعْطَاها كمَالَها كمَا لَها، لا زالَتْ تهتَزُّ تِيهاً بما أفاضَ اللهُ عَلَيها وأنالَها، وشأنُ مجْدِها يقُولُ بلسَانِ العزْمِ: أنا لها، أنا لها.

آخرُ: أقبِّلُ أرْضَ رِياضِ مَواطِئِ أقدَامِ السِّيادَة، وألثُمُ ترابَ أعتَابِ أبوابِ السَّعادَة، وأمرِّغُ نضَارةَ الخُدودِ عَلى ممَرِّ النِّعال، وأُسبِلُ قطَراتِ عَبراتِ الدُّموعِ

---

(١) في (ر): «بأنهار».

(٢) في (ر): «أن».

عَلَى ممرِّ اللَّيال، وأُرسِلُ معَ مَدامِعي وسائلَ الرَّسائل، وأبتَدِئُ في صُدُورِ سُطُورِ الطُّروسِ بحبِّكُمْ وأسَائل: هلْ ترجِعُ الرَّسائل؟ وأبتَهِلُ إلى اللهِ سُبحانَهُ وتَعَالى بأكُفِّ الضَّراعةِ وألسِنَةِ الافتِقَار، سَائلاً تأبيدَ تأييدِ النَّصرِ والاستِبشَار، لتلْكَ الحضْرةِ العليَّةِ(١) والأوصَافِ الجليَّةِ.

آخرُ: يقبِّلُ اليدَ الشَّريفَةَ تَقبيلاً يقُومُ بواجِبِ الخدَم، ويوَدُّ أنْ لو سَعَى عَلَى الرَّأسِ إنْ لمْ يُسعِفهُ القدَم.

آخرُ لصاحِبِ سَيفٍ: يُقبِّلُ اليدَ الشَّريفةَ لا برَحَ النَّصرُ بأعِنَّتِها مَعقُوداً، والعدوُّ والعدَمُ بوجُودِها مَفقُوداً، والسُّيوفُ بهمَمِه لا تتوسَّدُ خمائلَ ولا تفترِشُ غُموداً، لا زالَتْ عَزائمُهُ تفُكُّ الصَّوارمَ، وآراؤهُ تقِلُّ العظائمَ، ولا ينفَعُ مِن عَزماتِهِ الرُّقى والعَزائمُ.

آخرُ: يقبِّلُ الأرضَ لا برِحَتْ وآياتُ عزائمِها بهِ مَنصُورة، وأسنَّةُ رماحِهِ ممدُودةٌ إلى همَمِ أعادِيهِ(٢) المقصُورة، وفتكَاتُ سَطواتِهِ القاهِرةُ بنصْرِ اللهِ مَشهُورة، لا زالَتْ تَفيضُ عَلَى الأعنَّةِ والسُّيوف، وتهيبُ الجنودَ والألُوف، وتبسُطُ في الوفُود، وتبطِشُ في الصُّفوفِ، وينهِي أنهُ بعدَ أدعِيةٍ بتأييدِ عزائمِه، وسفكِ دماءِ العِدَى عَلَى ألسنَةِ صَوارمِه.

آخرُ لكَريمٍ: يقبِّلُ اليَدَ الشَّريفةَ لا زالَتْ هامِيةً بالمكَارمِ أكفُّ أنامِلِها، ناجحَةً آمَالُ سائلِها ووسائِلِها، مَشكُورةً بلسَانِ الإجمَاعِ فواضِلُها وفضَائلُها، فهيَ يومَ الوغَى نارُ شُعاعِها بريقُ السُّيوف، ويومَ النَّدى بحرٌ لا يَغِيضُهُ ورُودُ الألُوف.

---

(١) في (ر): «العالية».

(٢) في (ر): «أعدائه».

آخرُ: أحقُّ الأيادِي بالتَّقبِيلِ والخدم، يدٌ قدِ استكمَلَتْ فَضِيلتَي السَّيفِ والقلَم، وجمعَتْ مرتَبتي العِلمِ والعلَم، ووقفَتْ دُونَ هِمَّتِها أعَالي الهِمم.

آخرُ لمشتاقٍ: يُقبِّلُ الأرضَ ويخدِمُ بثنائهِ الوافي الأقسَامِ، وولائه الذِي يتضَاعَفُ عَلى ممرِّ الأيام، ويُنهِي شَوقهُ الذِي غمَرَ أرجاءَ لُبِّه، وعمَرَ سُويداءَ قَلبِه، وحرَّكَ كلَّ جارِحةٍ إلى شرَفِ قُربه، وعجَّزَ جَوانحَهُ عَنْ حملِه، فكيْفَ صحائفُ كتُبه؟

وفيمَا ذكرناهُ كفايةٌ للتَّمرينِ.

* * *

البابُ الرابعُ

في ذكرِ الأوصافِ والألقَابِ

اعلَمْ أنَّ المطلُوبَ منَ الكاتِبِ أنْ يصِفَ المكتُوبَ إليهِ بما يلِيقُ بهِ منَ الأوصَافِ والألقَابِ، ولا يطوِّلَ ما لمْ تجْرِ العادَةُ بالتطويلِ، أو لمْ يعلَمْ أنَّ المكتُوبَ إليهِ يفرَحُ بذلِكَ، فيُطنِبُ حِينئذٍ[1] في الأوصَاف.

في أوصَافِ السُّلطانِ ونحوِهِ:

السلطَانُ الأعظَمُ، والخاقانُ الأكرَمُ، والملاذُ الأفخَمُ، وارِثُ الخِلافةِ والملك، وسلطَانُ العرَبِ والعجَمِ والتُّرك، مَن ورِثَ الملكَ لا عَن كلالة، وأتاهُ يجرُّ أذيالَه، ولمْ يكُ يصلُحُ إلا له، سُلطانُ البسِيطَة، وإمامُ الخَليقَة، الرافِعُ لأعلام[2] الرَّاياتِ الدِّينيَّة، والقامِعُ لمعانِدي الشَّريعةِ النَّبويَّة، أجلُّ الخَواقينِ العظَام، وقُطبُ فَلَكِ السَّلاطينِ الكِرام، حسنَةُ الزَّمانِ وإسكَنْدَرُ الأوان، وناصِرُ الإيمانِ، وباسِطُ الأمنِ والأمان.

أوصافٌ أُخرُ: جامِعُ كلِمةِ الإيمان، وقامِعُ عبدَةِ الأوثانِ والصُّلبان، سيفُ اللهِ القاطِع، وسهمُهُ اللامِعُ السَّاطع، سُلطانُ الإسلامِ والمسلِمين، ناشِرُ جَناحِ العدْلِ في العالمِين، حامِي حمَى الملَّةِ والدِّين، إمامُ الغُزاةِ والمجاهِدين، قاتِلُ الكفَرةِ والمشركين، محيِي سِيرة الخُلفاءِ الراشِدين، وخادِمُ الحرَمَين، سُلطانُ البرَّينِ وخاقانُ البحرَين.

---

(١) في (ر): «إليه».

(٢) في (ع): «أعلام».

أوصافٌ أُخَرُ[1]: أحقُّ مَن ملَكَ سَريرَ الخِلافةِ باستِحقاق، وأَوْلى مَن وليَ لواءَ[2] الولايةِ في الآفاق، وهوَ الذِي وجَّهَ عِنانَ العِنايةِ لحِمايةِ الإسلامِ بشَهادَةِ الإجماع، وتلكَ شَهادَةٌ لا يتطرَّقُ إليها النِّزاعُ، وجدَّدَ بنيانَ الهدايةِ بعدَ ما اندرَسَتْ آثارُهُ وطُمِستْ مَعالمُه، ومهَّدَ بِساطَ العدلِ بعدَ أنْ لم يوجَدْ إلا مَظلومٌ وظالمُه، الخنكارُ الأعظَم، والخاقانُ الأفخَم، ذو المفاخِرِ التي شهِدَ بفَضْلِها الخاصُّ والعامّ، والمآثِرِ التي ترتَفِعُ عَلَى الثريَّا وتُكاثرُ[3] الغَمام، والأخْلاقِ التي رامَ النسِيمُ أنْ يحاكِيَ لُطفَها فأصبَحَ عَليلاً، والمعالي التي تخيَّلَ الملُوكُ أنْ يتشَبَّهوا بها فلَمْ يجِدُوا إلى ذلِكَ سَبيلاً، الجامعُ لسِيرةٍ أنامَتِ الرَّعايا في مِهادِ الأمان، وسَريرةٍ تكفَّلَتْ أيادِيها بكَفِّ عَوادِي الزَّمان، وعدْلٍ سوَّى في الحقِّ بينَ شَريفِ الخَليقَةِ ومَشرُوفِها، وإحسَانٍ سيَّرَ السَّكَناتِ تجرِي لذَوِي الحاجَاتِ عَلَى حُرُوفها، المفتَخِرُ عَلَى سلاطِينِ الدُّنيا بفخَامةِ مملكَةٍ تردُّ الأبصَارَ حَسْرى، وسريرِ سَلطنَةٍ إذا استَوى عَليهِ أحيَى ذكرَ السلَفِ الصَّالحِ وأماتَ ذِكرَ كسْرَى، إذا سارَ بينَ المواكِبِ فما هوَ إلا القمَرُ حُفَّ بالكَواكِب، بصوارِمِ سُيوفٍ تَعطفُ حُروفُها أعناقَ المعتَدِين، وأهلَّةِ قسِيٍّ ترسِلُ نجُومَ سِهامِها عَلَى شَياطِينِ البُغاةِ والمتمَرِّدين، وراياتٍ تخفقُ قلوبُ الأعداءِ لخفَقَانها، وتَنْخفضُ[4] رُتَبهُمْ لرفعِ شأنِها، لا يرتَابُ مُتأمِّلُهُ في أنهُ البحرُ والعساكِرُ أمواجُه، ومراحِمهُ الدرُّ التي يظفَرُ بها طلَّابُ العُرفِ وأفْواجُه.

أوصافٌ أُخرُ: السُّلطانُ الأعظَمُ والخاقانُ الأفخَم، ناشِرُ لواءِ العدلِ عَلَى

(١) في (ر): «غيره».

(٢) «لواء» من (ر).

(٣) في (ع): «وتكاثر في».

(٤) في (ع): «وتتخفض».

رُؤوسِ الأُمـم، جامِـعُ عـزَّةِ[١] العـرَبِ إلى عِـزةِ العَجم، وضـامُّ تهلِيلِ السَّـيفِ إلى صَريـرِ القلَـم، عاقـدُ ألويَـةِ فُنونِ العلْـمِ والفضْل، وشـاهِرُ بـوارِقِ[٢] سُـيوفِ الحلْمِ والعـدْل، المالِكُ لـرقِّ العُليا، وفخرُ مُلوكِ بَنـي الدُّنيا، مُقلِّدُ أعنَـاقِ البَرايا بالتَّحقِيقِ طـوقَ امتِنانِـه، وناشِـرُ ألويـةِ البراعَةِ واليراعَـةِ عَلَـى جمِيعِ الـورَى ببيانِـهِ[٣] وبنانِه، حامِـي ثُغورِ الموحِّديـن، والقائمُ بنصرَةِ الدِّيـن، وإمامُ الغُـزاةِ والمجاهِدين، القائمُ بالجِهـادِ وفرضِـه، الصَّـادقُ عَليهِ قولُهُ ﷺ: «السُّـلطانُ ظلُّ اللهِ في أرضِـهِ»[٤]، مَعدِنُ العـدلِ والفضْلِ واليُمـنِ والأمَانِ، الممتثِـلُ[٥] قـولَ اللهِ تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

الدُّعاءُ: خلَّدَ اللهُ لهُ[٦] مُلكَه، وجعَلَ الدُّنيا بأسرِها مِلكَه، وأدامَ سعادَةَ أيَّامِه، وجعَلَ البسِيطَةَ[٧] قبضَةَ يدِيهِ وطَوعَ[٨] أحكامِه، ولا زالَ لِواءُ عدلِهِ المنشُورُ إلى يومِ النُّشُور، ولا برِحَتْ دُولُ[٩] الأيَّامِ عَلَى يدِيهِ[١٠] دائرةً، ووجُوهُ السَّعادةِ إلى مسَاعيهِ

(١) في (ر): «هزة».

(٢) «بوارق» ليست في (ر).

(٣) في (ر): «بليانه».

(٤) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٢٤) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه. وله شواهد تنظر في «المقاصد الحسنة» (ص١٨١).

(٥) في (ع): «المتمثل».

(٦) «له» ليست في (ر).

(٧) في (ر): «البسط».

(٨) «طوع» ليست في (ر).

(٩) في (ر): «دول دول».

(١٠) في (ع): «يده».

سافرَة، وأجنِحةُ النِّعمِ بأبوابِهِ مَقصُوصةً وبأبنائِه[١] طائرة، وعَزائمُ التَّوفيقِ لآرائِهِ مُسخَّرةً وبأعدائِهِ سَاخرَة، مَرفُوعةً أعلامُ دَولتِهِ إلى محيطِ القبَّةِ الخضْراء، وجدَّدَ لهُ في كلِّ مكانٍ وزمَانٍ عِزّاً ونَصراً، ومَسرَّةً وبُشْرَى، ولا زالَتْ سِلسلَةُ سَلطنتِهِ مُسلسلَةً[٢] إلى انتِهاءِ سِلسلَةِ الزَّمان، رافِلاً في حُلَل[٣] السَّعادةِ والسِّيادة، والرِّضا والرِّضوان، ولا زالَ الوجُودُ بدَوامِ خِلافتِهِ سَنيّاً عامِراً، ولا برِحَ الإيمانُ في أيَّامِ سَلطنتِهِ قَويّاً ظاهِراً.

أو يقُولُ: لا زالَ ماسِكاً ببنَانِ هَيبتِه أعنَّةَ الأُسُودِ الكاسِرةِ والملُوكِ الأكاسِرة، فاتِكاً بحُسَامِ عزَّتِهِ أقيالَ الجَبابرَةِ والعُتاةِ القَياصِرة، ممدُوداً بعسَاكرِ الظفَرِ والنصْر، مَرصُوداً بالغلَبَةِ والقهْرِ عَلى أهلِ العصْر، تَذِلُّ الملُوكُ لعزَّةِ سُلطانِه، وتخضَعُ لعظمَةِ شَأنِه، ولا برِحَتْ أيَّامُ مُلكِهِ كالشَّمسِ وضُحَاها، ولَيالي دَولتِهِ كالقَمرِ إذا تَلاها، وعسَاكرُهُ مَنصُورةً في غُدوِّها ومَسراها، ومَواهبُهُ شاملَةً للبرِيةِ أقصَاها وأدْناها، وأيَّدَ دولَتهُ التي عزَّ بها الإسْلامُ، ونُشرَتْ لهُ بها في كلِّ الأقطَارِ الأعْلام.

أو يقول: لا زالَ النَّصرُ يمتَدُّ لآرائِهِ والظفَرُ لراياتِه، مُقترِناً بها التَّوفيقُ والسَّعدُ في حَركاتِهِ وسكَناتِه، والملُوكُ خاضعَةً لعزَّةِ شَأنِه، مَقهُورةً بعظِيمِ سطوَتهِ وسُلطانِه، والنصْرُ مَقرُوناً بعسَاكرِهِ وأعلامِه، والسَّعدُ رائدَ عزمِهِ وقائدَ اهتِمامِه، ولا برِحَ ظلُّ لوائهِ الشَّريفِ عَلى الأنامِ ممدُوداً، ونظَمُ عَقْدِ عدلِهِ المنيفِ بدَوامِ الأيَّامِ مَعقُوداً، قاعِداً مقاعِدَ الخِلافَةِ الإسلاميَّة، عاقِداً مَعاقدَ مُهمَّاتها الإيمانيَّة، ولا زالَتْ خَيراتُهُ ومساعِيهِ في مَصالحِ العِبادِ مَشكُورةً مَقبولة، ومَبرَّاتهُ وصِلاتُهُ واصِلةً مَوصُولة، آمِينَ.

---

(١) في (ع): «وبأنيابه».

(٢) في (ع): «سلسلة».

(٣) في (ع): «طلب».

في أوصافِ الوُزراءِ:

الوزيـرُ المعظَّـم، والمشِـيرُ المفخَّـم، ومدبِّـرُ أمـورِ جمهُـورِ الأُمـم، الجامِـعُ بيـنَ مرتبَتـي العِلـمِ والعَلـم، والحائـزُ فضِيلَتـي السَّـيفِ والقَلـم، قـرَّةُ عيـنِ المملكَةِ والـوِزارَة، درَّةُ[1] تـاجِ السـلْطنَةِ والإمَـارة، طـرازُ المملكَـةِ الملكيَّـة، سَـيفُ الدَّولـةِ السُّـلطانيَّة، ولسَـانُ الصَّولةِ الخاقانِيَّة، وصَفوةُ الحضـرَةِ العُثمانيَّة، رافِـعُ أعلامِ العدْلِ والإنصَاف، خافِضُ ظَلامِ الجَورِ والاعتِسـاف، مُؤسِّـسُ قواعِدِ الدَّولـةِ والإقبَالِ برأيِهِ الصَّائـب، مُشـيِّدُ أركانِ الصَّولـةِ والإجْـلالِ بفكرِهِ الثَّاقـب، صاحِبُ العـزِّ والإجْلال، سـاحِبُ أذيَـالِ السَّـعدِ والإقبَـال، حامِـي حِمـى الإسـلامِ بالدِّيـارِ المصرِيَّة، ومُشـيِّدُ تخـوتِ العـدْلِ بالأقطَارِ اليوسـفيَّة.

أوصَافٌ أخَرُ: الوزيرُ الأعظَم، والمشِيرُ الأفخَم، والدُّستورُ الأكرَم[2]، صاحِبُ السَّيفِ والقلَم، ومنصِفُ المظلُومِ ممَّنْ[3] ظَلَم، جمالُ الإسْلامِ والمسلِمين، وسيِّدُ الوزَراءِ في العالَمِين، مَن عضَدَ اللهُ بِهِ المملَكةَ وشدَّ أزْرها، ووصَلَ أسبابَ الدَّولةِ وأعلَى قَدرَها، كيفَ لا وهوَ صاحِبُ تَدبِيرِها، والقائمُ بصَلاحِ أُمُورِها، والكافلُ أمرَ صَغِيرِها وخَطِيرِها، مَن هوَ في الأرْضِ ظلُّ الرحمَن، والمأمُورُ بالعدْلِ والإحسَان.

أوصَافٌ أخَرُ: الوزيرُ الأعظَم، والمشِيرُ الأفخَم، وناشِرُ لواءِ الأمْنِ عَلى رُؤوسِ الأُمم، سيّدُ الوزراءِ الأفاضِل، جامِعُ أسبَابِ الحِكَمِ والفضَائل، مُقلِّدُ جِيْدِ الوجُودِ بوشَاحِ[4] المناقِب، ومُحيي ما اندَرَسَ مِن الجودِ بنظْمِ ذَوِي المواهِبِ في سُلوكِ

---

(١) «درة» ليست في (ر).

(٢) في (ر): «المكرم».

(٣) في (ر): «على من».

(٤) في (ر): «بوثاق».

الرَّغائبِ، المشارُ إليهِ في محافِلِ الوزَراءِ بالأنامِل، إذا قيلَ: مَن هوَ منهُم العالِمُ الفاضِلُ والماهِرُ العادِل؟ مالِكُ الدِّيارِ المِصريَّة، وكافِلُ الأقطارِ الحجَازيَّة، وحارِسُ الأمصَارِ اليُوسفيَّة، وفخرُ الدَّولةِ العُثمانيَّة.

الدُّعـاءُ: خلَّـدَ اللهُ ظِـلالَ عَواطِفِـهِ عَلَـى البريَّـةِ، ويُــمْنَ عَوارِفِـهِ عَلَـى النفُوسِ البشَـرية، ولا برِحَ وجْهُ الوزارَةِ بسَـنا سـعَادتِهِ سـاطِعاً، وضِيـاءُ نُورِها بسِـيادتِهِ لامِعاً، وقلمُـهُ المأمُـونُ لتَفارِيـقِ أمـورِ المملَكـةِ جَامِعـاً، وسَـيفُهُ المصـونُ لعزائـمِ أعدائـهِ قاطِعـاً، ولا زالَـتْ كواكـبُ وِزارَتهِ عَلـى ذُرَى الكمَـالِ لامِعة، وشُـموسُ جَلالتِهِ مِن أُفقِ سـماءِ الجُـودِ والجَلالِ سَـاطعة.

غيـرُهُ: أطلَـعَ اللهُ شُـموسَ سَـعادتِهِ مُشـرِقَةَ الأنـوار، وألبَـسَ الدُّنيـا مِـن حُللِ سِـيادَتهِ مَلابـسَ الافتِخـار، وحُلَـى الممالِـكِ مِن حمِيـدِ تَدبيـرِهِ بما هوَ أحسَـنُ مِن عُقـودِ الكواكِـبِ عَلَـى هالَـةِ الأقمَـار، وجمَّـلَ الدُّنيـا ببقَائِه، وكمَّـلَ الممالِـكَ بما وهَبَهـا مِن سَـناهُ وسَـنائِه.

غيرُهُ: أعلَى اللهُ تَعالى به[1] مَنازِلَ الملكِ وسلطَانَه، وعَمَرَ بِهِ مَرابعَ العزِّ وأوطانَه، وأيَّدَ الوِزارةَ بعلُوِّ شَأنه، وسمُوِّ مكانِه، ولا أخْلَى هذِهِ الدولَةَ الشريفَةَ مِنهُ ناصِراً لحقِّها، وناشِراً لكَلِمتِها في غُروبِ الأرْضِ وشَرقِها، ولا زالَتِ النعمُ[2] محفُوفةً بجنَابه، والبشَائرُ مَوقُوفةً عَلَى بابِه، آمِينَ.

ونحْنُ إنما ذكَرنا هذِهِ الأدعِيةَ هُنا تمييزاً لدُعائهِما عَنْ غيرِه، وإلا فسَيأتي بابُ الأدعِيةِ لكلِّ شخصٍ بما يُناسِبهُ.

---

(١) «به» ليست من (ر).

(٢) في (ر): «الوزارة».

وفي أوصَافِ الأُمراءِ:

أعزُّ أمراءِ الألويةِ السُّلطانيَّة، ومُؤتمَنُ الدَّولةِ العُثمانيَّة.

وإنْ كانَ دفْترداراً قالَ: دَفتَردارُ[١] المملَكَةِ الفُلانيَّة، مَن شُكِرَتْ في الدَّولةِ مَساعيهِ الحسَنة، واتَّفقَتْ عَلَى جميلِ وصفِهِ الآراءُ والألسِنة، ورُفعَتْ رُتبةُ سعدِهِ فأضْحَى غُصنُ مجدِها مُزهِراً، وعَلَتْ مَنزلتُهُ في مجْدِ الارتقَاءِ وإنَّا لنرجُو فوقَ ذلِكَ مَظهَراً، العريقُ في الرئاسَةِ والسِّيادة، الحقِيقُ بارتداءِ ملابِسِ الفَخرِ والسَّعادَة، الذِي قامَتِ الأدلَّةُ عَلى وجُوبِ استِحقاقِه، والبراهِينُ عَلَى حسْنِ تصرُّفهِ في إرفادِهِ وإرفاقِه.

غيرُهُ[٢]: أعزُّ أمراءِ الألويَةِ السُّلطانيَّةِ، وأجَلُّ كُبَراء[٣] الصنَاجقِ الخاقانيَّة، أميرُ اللِّواءِ الشَّريفِ السُّلطانيّ، وصاحِبُ مَعهدِ العزِّ المنيْفِ الخاقانيّ، مَن جمَعَ بَينَ مَرتبتَي العِلمِ والعَلم، وحازَ فَضيلَتي السَّيفِ والقلَم.

غيرُهُ: ركنُ الإسلامِ والمسلِمينَ، سيِّدُ الأمراءِ في العالمِينَ، وذُخرُ الدُّولِ والسَّلاطين.

وإنْ كانَ مجاهِداً قالَ: وزعِيمُ جُيوشِ الموحِّدينَ، وقاهِرُ الكفَرةِ والمشركِينَ.

غيرُهُ: مجدُ الإسْلامِ والمسلِمينَ، وشرَفُ الأمراءِ المحترمِينَ، وشرَفُ الرُّؤساءِ في العالمِينَ، نظامُ الدَّولةِ، مُؤتمَنُ الملُوكِ والسَّلاطين.

---

(١) الدفتردار: كلمة تركية تعني الموظف المالي الْمُكَلف تنظيم الْوَارِد والمنصرف من أَمْوَال الْحُكُومَة. انظر: «المعجم الوسيط» (مادة: دفتر).

(٢) «غيره» من (ر).

(٣) في (ع): «كبر»

لأمراءِ الأقاليمِ: أمِيرُ الأُمراءِ الكرام، عَظِيمُ الكُبَراء[١] الفِخام، صاحِبُ السَّيفِ والقلَم، والبنْدِ والعلَم، مَن بثَّ عساكِرَ فضلِهِ وسراياه، واشتمَلَتْ عَلى العدْلِ سِيرتُهُ وسَجاياه، وأحسَنَ في السِّياسة، وقامَ بحقِّ الرئاسَة، أجرَى مُلوكِ زَمانِهِ في مَيدانِ الوغَى إلى مَدى، وطالَ ما وسَمَ الزَّمانَ بيومِ بأسٍ ويومِ نَدى، حينَ صارَ نُظراؤهُ فوارِسَ اللذَّاتِ لا الفَوارِس، ومجالسُهمْ كراسِيَّ البُيوتِ إذا كانَتِ السُّروجُ هيَ المجالِس، مَن عظُمَ شأنُهُ حتَّى هابتْهُ جميعُ الطَّوائف، ووقَعَ في قلُوبِهِمْ مِن رُعودِ هيبَتِهِ الرَّواجِف، وجدَّدَ عُهودَ الإسلامِ في عصرِه، وعضَدَهُ بسيْفِ عُمَرِهِ[٢] ورأيِ عَمْرِه، وأعادَ بماضِي شجَاعتِهِ ما مضَى مِن عزَّةِ دهرِه، وجعَلَ مآثِرَها نجومَ ليلِهِ وشمسَ نهارِهِ وطَلعَةَ[٣] فجرِه.

ترجمَةٌ لكريمٍ: حدقَةُ الجُود، وحدِيقَةُ الوجُود، الرافِلُ في أثوابِ السَّعادَة، والمتسَربلُ بِرداءِ الفخْرِ والسِّيادة، مَن هوَ الغُرَّةُ في جَبهَةِ الدَّهر، والواسِطَةُ في قِلادَةِ الفَخر، ولا عُلِمَ بأنَّ جُودَهُ عَنْ أحدٍ احتجَب، وهوَ البحرُ فحدِّثْ عنهُ ولا عجَب، فلا وسِيلَةَ إلى فَطَانِ[٤] شيَمِه، ولا حاجِبَ لدَيهِ إلا لسانُ كرَمِه، كيفَ لا[٥] وقدْ أُوتي منَ الجُودِ ما طوَى بِهِ أحادِيثَ الكُرمَاء، وأنسَى كعبَ بنَ مامَةَ[٦]........................

---

(١) في (ع): «الكبر».

(٢) في (ر): «عمر».

(٣) في (ع): «وطليعة».

(٤) في (ر): «قطان».

(٥) «لا» ليست من (ر).

(٦) هو كعب بن مامة بن عمرو، الجواد الذي ضربت يه العرب مثلًا في الجُود، وكان من جُوده أنه خرج في نفر فنفد ماؤهم فاقتسموا الماء، فنظر إلى كعب رجل من النمر بن قاسط، فلما رآه ينظر إليه =

وابنَ ماءِ السَّماء[١]، وهوَ كسَيلٍ يدفُقُ مِن غيرِ سماء، وغَرسٍ أورَقَ مِن غيرِ سُقيا ماء، الجَديرُ بأنْ يُقالَ فيه، ويُروَى لقاصِدِيه:

هُـوَ البحْـرُ مِـن أيِّ النَّواحِـي أَتَيتَـهُ ... فلُجَّتُـهُ المَعْـرُوفُ والجُـوْدُ سَـاحِلُه

تَعَـوَّدَ بَسْـطَ الكَـفِّ حَتَّـى لـوَ انَّـهُ ... أَرَادَ انْقِبَاضَـاً لـمْ تُطِعْـهُ أَنَامِلُـه

ولَـوْ لـمْ يكُـنْ فـي كفِّـهِ غَيْـرُ نَفْسِـهِ ... لجَـادَ بهـا فلْيَتَّـقِ اللهَ سَـائلُه

وحاشَا مَولانا، وهوَ الكَريمُ أنْ تهَزَّ شيَمُه، أو تُستمطَرَ ديمُه، والغَمامُ غنيٌّ بكثرَةِ ما بِهِ عَنِ الاعتِصار، وبخلقِ سماحَتِهِ عنِ الاستِمطَار.

في أوصافِ المشايخِ والقُضَاةِ والعُلماءِ وغيرِهِمْ:

اعلَـمْ أنَّ الأوصـافَ إذا تعـدَّدتْ جـازَ فيهـا العَطـفُ وتركُـهُ كما هوَ مقـرَّرٌ في علـمِ[٢] النَّحوِ.

لصوفيٍّ: شـيخُ الطريقَـة، معدِنُ[٣] السـلُوكِ والحقِيقَة، قطْبُ دائـرَةِ المحقِّقين، صفـوَةُ صُـدورِ المقرَّبيـن، وارثُ مَقامـاتِ الأنبياءِ والمرسَـلين، سُـلطانُ العارِفيَن،

= آثره بمائه وقال: (اسق أخاك النمري يصطبح) فذهبت مثلاً، فرحل القوم ولم يشرب كعب لأنه آثر النمري بحظه، فلما نزلوا اقتسموا أيضاً، فنظر النمري إلى كعب فأعطاه حظه أيضاً، فأدركه الموت فاستكن تحت شجرة وقد قربوا من الماء، فقيل له: (رد كعب إنك وارد) فذهبت مثلاً، ومات. فقال أبوه مامة أبياتاً في رثائه. انظر: «جمهرة الأمثال» (١/ ٩٤).

(١) هو المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، الذي جعل لنفسه يوم بؤس في كل سنة، فكان يركب فيه، فيقتل كل من لقيه. انظر: «جمهرة الأمثال» (١/ ٣٥٩).

(٢) في (ر): «كتب».

(٣) في (ر): «ومعدن».

وبُرهـانُ الواصِليـن، مِفتـاحُ أنـوارِ الحقائـق، مِصبـاحُ رمُـوزِ الدَّقائـق، صاحِـبُ الكشْـفِ والتَّحقِيـق، والمرشِـدُ بتسـليكِهِ إلـى أقـومِ طريـق، كيـفَ لا وهـوَ صـافٍ صُوفـيٌّ علَّامـةٌ، ولـمْ يتذكَّـرْ مُتذكِّـرٌ[1] أوصافَـهُ إلا ولاحَ لهُ مِنـهُ فيهـا[2] عَلَامة.

غيرُهُ: مُنوِّرُ أنوارِ الطَّريقَة، مُظهِرُ أسرارِ الحقِيقَة، وبركَة الخَليقَة، مُربِّي المرِيدين، ومُرشِدُ السالِكين، وقُدوَةُ المسلِّكِين، وكَنزُ الهِدايَةِ واليقِين.

غيرُهُ: قُدوةُ الأولِياءِ الواصِلين، عُمدَةُ الأتقِياءِ العارِفين، خُلاصَةُ الخُلاصَةِ مِن السَّادات، وعينُ أعيانِ ذَوِي العِنايات، صاحِبُ الكشْفِ والتَّحقِيق، والعِرفانِ والتَّدقيق[3]، والعلَمُ الخافِق، عَلى رُؤوسِ الخلائق، مَظهرُ الوِلاية، وعينُ العِناية، المحفُوفُ بصُنوفِ عَوارِفِ اللَّطائف، ولطائفِ المعارِف، مِن بُروجِ سماءِ مَعرفتِهِ كواكِبُ العِناية، ومَنشورِ رياضِ حضَرتِهِ أعلامُ الوِلايَة.

غيرُهُ: بقيَّةُ السلَفِ الصالحِين، وقدوةُ الأولِياءِ العارِفين، رُوحُ مجمَعِ أهلِ الكَمال، دَوحُ[4] أهلِ المعارِفِ والأحوالِ، تاجُ الأتقِياءِ علَمُ الأصفِياء، سراجُ الأولِياء، غَيثُ الأنامِ غوثُ الإسلام، بقيَّةُ السلَفِ عمدَةُ الخلَف، قدوَةُ المحقِّقين، وإمامُ العارِفين، محيِي معالمِ الطَّريقِ بعدَ دُروسِها، ومُظهرُ آياتِ التَّوحيدِ بعدَ أُفولِ أقمارِها وشُموسِها، خُلاصَةُ أهلِ العِرفان، والمتخلِّقُ بمقامِ الإحسَان، فريدُ أهلِ التَّحقيقِ في المعارِف، وحيدُ أهلِ التَّدقيقِ في العوارِف، الذِي أنشأَتْ أهلَ الوجُودِ

---

(١) «متذكر» ليست من (ر).

(٢) «فيها» ليست من (ر).

(٣) في (ر): «والتوفيق».

(٤) في (ع): «روح».

عِباراتُه، وأنعشَتْ أرواحَ السَّامِعينَ إشاراتُه، وتفجَّرتْ يَنابيعُ الحِكَمِ عَلى لسانِه، وفاضَتْ عُيونُ الحقَائقِ مِن خِلالِ جَنانِه، وانبثَّتْ أشعَّةُ أنوارِهِ في الكائنات، وانبعثَتْ جُيوشُ أسرارِهِ في الموجُودات، وتوالَتْ هِباتُهُ ووالَتْ بَركاتُه، وسطعَتْ شُموُس معارِفه، وزكَتْ غُروسُ عَوارِفِه، فهوَ الذِي خطَفَ بيَدِ مَواهبِهِ قلوبَ السَّالكِين فعكَفَ بها في مساجِدِ المشاهِد، ورَقَى بأرواحِ السالِكينَ عَلى مِعراجِ سَرائِرِهِ إلى حضَائرِ القُدسِ وهاتِيكَ المعاهِد.

غيرُهُ: ذو الكَراماتِ الظَّاهرَة، والمقامَاتِ الفاخِرة، والسَّرائرِ الزَّاهرة، والبصائرِ الباهرَة، والأحوالِ الخارقَة، والأنفاسِ الصَّادقَة، والوارِدَاتِ الرَّحمانيَّة، والنَّفحاتِ الرُّوحانيَّة، والمحاضَراتِ القُدسيَّة، والأوقاتِ الأُنسيَّة، والكلِماتِ الموسَويَّة[١]، والأسرارِ الملَكُوتيَّة، والأنوارِ اللاهُوتيَّة، مَن لهُ[٢] المعراجُ الأعلَى في المعارِفِ، والمنهَاجُ الأسنَى في الحقائقِ والعوارِف، واليدُ البيضَاءُ في عُلومِ الموارِد، والباعُ الطَّويلُ في التَّصريفِ[٣] النافذ، والكشْفُ الخارِقُ عَن حَقائقِ الآيات، والفتحُ الفائق عَنْ عَوائدِ العادَات.

للقُضاةِ: رفَعَ اللهُ مَنارَ الإسلام، وعضَدَ عضُدَ الأقضيَةِ والأحكام، ببقَاءِ مالِكِ عِنانِها، وفارِسِ مَيدانِها، وحَبرِ بيانِها، وبحرِ تِبيانِها، وهُمامِ زَمانِها، ومُوضِحِ بُرهانِها، ومُشيِّدِ بُنيانِها، محرِّرِ القضَايا والأحكام، بمزيدِ الإتقَانِ والإحكام، جامِعِ أسبَابِ المعارِفِ والفضْل، والجارِي في اقتِفاءِ آثارِ السلَفِ الصالحِ عَلَى نمطِ العدْل.

---

(١) في (ر): «الموسية».

(٢) في (ر): «أم».

(٣) في (ر): «التصرف».

غيرُهُ: شرَّفَ اللهُ مناصِبَ[1] الشَّريعَةِ وضاعَفَ جمَالها، وأعْلَى كلِمةَ الحقِّ وأوسَعَ مَجالَها، وأوضَحَ نهْجَ الأحكَامِ ووالَى جَلالَها، ببقَاءِ سيِّدِ قُضاةِ الإسلام، فارِسِ ميادِينِ الأقضِيةِ والأحكَام، وفخْرِ القضَاةِ والحكَّام، مميِّزِ الحلالِ منَ الحَرام، وماضِي النقْضِ والإبرام، ومُؤيدِ شَريعَةِ سيِّدِ الأنام.

لقاضِي عسكَرٍ: شيخُ الإسْلام، ملِكُ العلَماءِ الأعلام، سَليلُ الأئمَّةِ الفِخام، وفخْرُ الموالي العِظام، ومرجِعُ الخاصِّ والعامّ، ومَلاذُ الأفاضِلِ الكِرام، ونعمَةُ اللهِ سُبحانَهُ في هذا الزَّمنِ عَلى الأنام، مَن بِلا مِرْيَةٍ قدْ تشرَّفَ الفضْلُ بانتسَابهِ إلَيه، قاضِي العسَاكرِ المنصُورةِ الذِي أوقَفَ جُنودَ العدْلِ بينَ يدَيه، جلَّتْ مَعانيهِ البَديعَةُ أنْ يحصُرَها بيان، أو يُسطِّرَها قلمٌ ببَنان، المرتضَى لإجْراءِ أحكَامِ الشَّريعة، ومَن هوَ لسدِّ أبوابِ المكارِهِ أقوَى ذريعَةً.

غيرُهُ: فريدُ الذَّاتِ والصِّفات، حميدُ الخِصالِ والسِّمات، جامِعُ شملِ المرُوءةِ وقدْ تمزَّقَ جَديدُها، ونامُوسُ الهيبَةِ بعدَ أنْ كلَّ حَديدُها، أذلَّ الباطِلَ وكانَ شامِخَ الطَّرْف، وبسَطَ الإنصَافَ وكانَ مقبُوضَ الكفِّ، وشيَّدَ الشَّرعَ وأعزَّ أنصارَه، وأزالَ الجَورَ وعَفا آثارَه، ذكَّرتْنَا مَباهِجُ مَناهِجِ عَدلِهِ سِيرَةَ العُمَرين، وشهِدتْ لهُ أوصافُهُ الغرُّ بأنهُ ثالِثُ القمَرين.

غيرُهُ: شيخُ الإسلامِ، ملِكُ العُلماءِ الأعْلامِ، مَن جدَّدَ بُنيانَ الهدَايةِ بعدَما اندَرسَتْ آثارُهُ وطُمسَتْ معالمه، ومهَّدَ بسَاطَ العدلِ بعدَ أنْ لمْ يوجَدْ إلا مَظلومٌ وظالمه، وبشَريفِ مَناصبِهِ تفتخِرُ العرَبُ والرُّومُ، وبعلِيِّ مَراتبِهِ تنكشِفُ الكُربُ والغُمومُ، لا غَرْوَ أنَّ المناصِبَ إنْ وسِّدَتْ لغَيرِهِ فهيَ مَظلومَة، والرِّئاسةَ إنْ أُسنِدتْ

(١) في (ر): «منصب».

لِسواهُ فهيَ نكِرةٌ غَيرُ مَعلُومة، ولَمَ لا وببدَايتِهِ قدْ حصَلَ للإسْلامِ النصْرُ والفُتوح، وبنهَايتِهِ قدْ أُزيلَ الظَّلامُ والعُسرُ مِن عَهدِ نُوح، أعزَّ اللهُ تَعَالى بوجُودِهِ الإسْلام، وأفاضَ سجَالَ جُودِهِ العامِّ عَلى الخاصِّ والعامّ، كما نشَرَ لواءَ العدْلِ المحمُودِ بينَ الأنام، وأبادَ الظُّلمَ الذِي وإنْ طالَ فمآلُهُ إلى الانصِرام، والبغيَ الذِي وإنْ تكاثَرَ فمصِيرُهُ للحُطام.

للعُلماءِ: علَّامةُ الأعلام، فهَّامةُ الأنام، الذِي طنَّتْ حَصاةُ فَخَارِه، ورنَّتْ مِرقاةُ افتِخارِهِ، فريدُ العصْرِ إلا أنهُ شَيخُ الإسْلام، وحِيدُ الدَّهرِ إلا أنهُ لا يقبَلُ فضلُهُ الانقِسام، والرَّوضُ إلا أنهُ المزهِر، والصُّبحُ[1] إلا أنهُ المسفِر، الحَبرُ الذِي فاقَ بصِفَاتهِ الأوائل، والبحْرُ المشتَمِلُ بذاتِهِ عَلى جواهِرِ الفضَائل، الذي جمَعَ شملَ الفضْلِ بعدَ شَتاتِه، وردَّ في جسَدِ المجدِ رُوحَ[2] حَياتِهِ، كيفَ لا وهوَ سيِّدُ المحقِّقين، وسنَدُ المدقِّقين، وشيخُ الإسلامِ والمسلِمين، وإنسَانُ عَينِ الدَّهرِ اليمِين.

المدرِّس: صَدرُ المدرِّسِين، فخرُ العلَماءِ الراسِخِين، الفقِيهُ الذِي تزيَّنتْ بدُروسِهِ المساجِدُ والمدارِس، واحتَاج إلى تفريعِ مَنطُوقهِ ومَفهُومهِ كلُّ مُذاكرٍ ومُدارِس، أحيا رؤوسَ[3] المدارِسِ وزانَ دُروسَها، وجمَّلَ صُدورَ المجالِسِ وأطلَعَ شُموسَها، وجمَعَ شمْلَ العُلومِ ونسَّقَ نِظامَها، ورفَعَ منارَ الإفادَةِ وضاعَفَ إعظَامَها.

أو يقُولُ: صدرُ المجالِس، ومُحيِي المدارِس، أمجَدُ الفضَلاءِ المدرِّسِين، وتاجُ النُّبلاءِ المتصدِّرِين، فخْرُ ذوِي الإفتاءِ والتَّدريس، حامِلُ لواءِ الشَّريعةِ

---

(١) في (ع): «والصباح».

(٢) «روح» ليست من (ر).

(٣) في (ر): «دروس».

وناشِرُهُ بفهمِهِ[١] الثاقِبِ النَّفيسِ، إذا أَلقَى الدُّروسَ أحيا رِباعَ[٢] العلْمِ بعدَ الدُّروس.

للمُفتي[٣]: الفَقيهُ الإمام، ومُفتِي الإسْلام، عُمدَةُ المفتِين، قُدوةُ المدرِّسِين، لسانُ المتكلِّمِين، حجَّةُ النَّاظرين، إذا أَتْعبَ راحتَهُ بقلَمِ الفُتيا، أراحَ أرواحَ أهلِ الدُّنيا، تضحَكُ ببكاءِ أقلامِهِ الطُّروس، ويُرَى في صُورَةِ خُطوطِهِ حُظوظُ النُّفوس، إذا مدَّ يراعَ قلمِهِ أخرَجَ الفرائدِ مِنَ البُحور، وجعلَها بعزائمِ همَمِهِ قلائدَ بِيضِ[٤] النُّحور.

أو يقولُ: قدوةُ المحقِّقين، فخرُ العلمَاءِ الراسِخين، مادَّةُ علومِ الدِّين، مُفتي فرَقِ المسلِمين، مفرَدُ الزَّمانِ إلا أنهُ القائمُ مَقامَ الجمْع، والمستغْرِقُ[٥] لأوصافِ الإنسَانِ عندَ كلِّ مِنطقٍ وسمع.

للبليغِ: عُمدَةُ البُلغاءِ والمتكلِّمين، كنزُ النُّحاةِ والمُعرِبين، المتحلِّي كلامُهُ بقَلائدِ العِقيان[٦]، ونظامُهُ ببلاغَةِ قُسٍّ[٧] وفصَاحةِ سَحبان[٨]، كيفَ لا وهوَ الفَصِيحُ

---

(١) في (ر): «وناشر فهمه».

(٢) في (ر): «لرباع».

(٣) في (ر): «لمفتي».

(٤) في (ر): «بعض».

(٥) في (ر): «واستغرق».

(٦) العقيان: الذهب الخالص.

(٧) قُسّ بن ساعدة بن حُذافة بن زهير بن إياد بن نزار الإيادي، كان من حكماء العرب، وهو أول مَن كتب: من فلان إلى فلان؛ وأوّل مَن أقر بالبعث من غير علم؛ وأوّل من قال: البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، وقيل: إنه عُمِّر مائةً وثمانين سنةً. انظر: «نهاية الأرب» للنويري (٢/ ١٣٣).

(٨) سحبان وائل، وهو منسوب إلى وائلِ باهلةَ، وكان خطيباً فضرب به المثل. انظر: «المعارف» لابن قتيبة (ص٦١١).

الذِي إنْ تكلَّمَ أجزَلَ[١] وأوجَز، وأسكَتَ كلَّ ذي لسانٍ ببلاغتِهِ وأعجَز، بلِ البحْرُ الذِي جرَتْ فيهِ سفُنُ الأذهانِ فلَمْ تدرِكْ قرارَه، وعجَزَ النُّظراءُ والبُلغاءُ أنْ يخوضُوا تيَّاره، ما برَزَ في موطِنِ بحثٍ إلا برَزَ عَلَى الأقران، ولا أجرَى جيادَ علُومِهِ إلى غايةٍ إلا كانَتْ مُطلقَةَ العِنَان، ولا أخبرَ عَن فضلِهِ مَن رآهُ إلا تمثَّلَ بـ: ليسَ الخبرُ كالعِيان، كيفَ لا وهوَ البلِيغُ الذِي تلألأتْ بمعَاني بيانِهِ السُّطورُ والطُّروس، واهتزَّتْ لبدِيعِ براعَتِهِ وعِبارتِهِ الأعْطافُ والرُّؤوس.

حازَ فصاحَةً قُسِّيَّة، وبلاغَةً أوسِيَّة، إذا سحَّ سحَابُ كمالهِ ترَى[٢] سحبانَ في روضِ الفصَاحةِ باقلاً، وإذا فاضَ مَعينُ أفضالِهِ تَلقَى مُفاضَ السَّماحَةِ ما درَّ باخلاً، إذا نثَرَ نثَرَ الدُّرَّ، وإذا نظَمَ نظَمَ الغُررَ، حرْفٌ مِن بدِيعِ البَنان، وطَرَفٌ مِن سحرِ البَيان، مَن لسانُ القلَمِ في مدحِهِ ووصفِهِ قصير، ومَن أتَى في نعتِهِ بأبدَعِ مقالٍ فإنَّما هوَ آتٍ بيسِيرٍ مِن كثيرٍ، وإنّي وإنْ أُعمِلْ صارمَ البراعَةِ ومَداها، وأَبلُغْ مِن مسَالكِ البراعَةِ مَداها، وأَلْمَحْ مِنَ الإبداعِ غَوانيَ المغَاني، وأُصْمِي بظُبَاتِ الأقلامِ ظِباءَ المعَاني، ورُمْتُ تعدِيدَ برُوجِ نجُومِ فضائلِه، وتحدِيدَ تخوم مدْرَجِ فواضِله، التي تتنَافسُ فيها الأماثِلُ، وتتباهى، لتَناهَتِ الأَيَّامُ وهيَ لا تتَناهى، ولعرفْتُ أنَّ تَعبِيرَ لسَاني قُصُور، ولاعترَفْتُ بأنِّي مِن جِنانِ مَدائحِهِ في قُصور.

للمفسِّرِ: الذِي كشَفَ عَن مَعالمِ التَّنزيل، وأبانَ أسرارَ الآياتِ البيِّنات بما يُبدِيهِ منَ التفرِيعِ والتأصِيل، مالِكُ أزِمَّةِ تدقِيقِ المعقُول، سالِكُ سبُلِ تحقِيقِ المنقُول، خُلاصَةُ أهلِ الفِرقِ والتمْييز، كشَّافُ أسرارِ البَلاغَةِ باللَّفظِ الوجِيز، مَنهَجُ مِفتاحِ

---

(١) في (ر): «أنجز».

(٢) في (ر): «تراه».

العُلوم، ومجمَعُ جَوامعِ المنطُوقِ والمفهُوم، مُفحِمُ الخصْمِ عَن[١] جوابِهِ، ومُظهِرُ فرائدِ الفَوائدِ[٢] عندَ خِطابِهِ، فمَن خَلا بعرائسِ غُررِهِ اغْتَنى عَنْ كلِّ جَليس، ومَن أنِسَ بنفَائسِ دُررِهِ انتَهى[٣] عَنْ كلِّ أنيس، كيف لا وقدْ جمَعَ جمِيعَ المحامِدِ والأوصاف، وأحاطَتْ بهِ الكَمالاتُ فهِيَ لغَيرهِ لا تُضاف، المستَحقُّ للإطنَابِ والإتحَاف.

للعلمـاءِ أيضَـاً: قدوَةُ العلَمـاءِ المحقِّقيـن، عُمدَةُ البُلغـاءِ المدقِّقيـن، وافتِخارُ العُلمـاءِ الراسِـخين، ومُفيـدُ الطالِبيـن، العلَّامـةُ الأفضَـل، والفهَّامةُ الأمثَـل، وحِيدُ الدَّهـرِ وفرِيـدُ العصـر، وارِثُ العلْـمِ كابِـراً عَـنْ كابـر، الحائـزُ مـنَ الكَمـالِ[٤] مـا قصُـرَتْ عنـهُ عُقـولُ الأكابِر.

غيـرُهُ: أعلَـمُ العُلمـاءِ المتبحِّريـن، أبلَـغُ البُلغـاءِ المتشـرِّعين، حـاوِي فضائلِ المتقدِّميـنَ والمتأخِّريـن، جامِـعُ جميـعِ أنـواعِ العلُـومِ الشَّـرعيَّة، مُكمِّـلُ الفُنـونِ الأدبيَّـة، مُفيـدُ الفُـروعِ والأصُـول، ناهِـجُ مَناهـجِ المعقُـولِ والمنقُـول، مجتهِـدُ زَمانِـه، فريـدُ عصـرِهِ وأوانِه، شـرَفُ العُلمـاء، أوحَـدُ الفضَلاء، مـادَّةُ عُلـومِ الدِّين، مَنبـعُ روحِ اليقِيـن، شـيخُ الإسـلام، مُفتـي الأنـام، أوحَـدُ العُلمـاءِ الأعـلام، مالِكُ قِيـادِ الأدَبِ والعلم، سـالِكُ سُـنَنِ الورَعِ والحِلـم، العَلَم[٥] المشَـارُ بالتَّعظيـمِ إليهِ، والمفـرَدُ المتَّفـقُ بالثنـاءِ[٦] عَليهِ.

---

(١) في (ر): «عند».

(٢) في (ر): «فوائد الفرائد».

(٣) في (ر): «انثنى».

(٤) في (ر): «العلم».

(٥) «العلم» ليست من (ر).

(٦) «بالثناء» ليست من (ر).

للعَروضيِّ: مَن هوَ بحرٌ بكلِّ[1] فضْلٍ محِيطٌ، وحازَ المجدَ الكامِلَ بالجُودِ البسِيط، طويلُ الباع، مَديدُ المناقِب، بسِيطُ الأيادِي بالنَّدَى، المتقارِبُ فضلُهُ الكامِلُ، وافرٌ بالحِكمةِ وفصْلِ الخِطاب، وجوهَرُ فكرِهِ المنسَرِحُ خفِيفُ السِّياحةِ في بحرِ الآداب، ليسَ لهُ في العِلمِ مُضارعٌ ولا في المدِيحِ مُشارك، ولمْ يزَلْ ضِدُّهُ في رَجَزٍ مِن سريعِ بأسِهِ المتدَارِكِ.

للمنطِقيِّ: مَن لبِسَ مِن حُلَلِ السَّعادَةِ كلَّ بهيَّةٍ وسنيَّة، وجُمعَ لهُ في السِّيادةِ كلُّ كليَّةٍ وجُزئيَّة، واكتسَبَ مِن أشكالِ المعرُوفِ المنتِجةِ لمزيدِ الثَّناءِ كلَّ قضيَّةٍ حملِيَّةٍ لا وضعِيَّة، الذِي سلَبَ الألبابَ بكليَّاتِهِ وجُزئيَّاته، وأظهَرَ نتائجَ الأفهَامِ بحسْنِ مُقدِّماتِهِ الوضعيَّةِ وحمليَّاته، والاهُ مَولاهُ، ووالاهُ[2] منَ الأوصَافِ الجمِيلةِ ما يعجَزُ الرسمُ بلِ الحدُّ عَنْ حصْرِ خاصَّةِ مُقدِّماتِها، وقضَى لأعدَائهِ بالعَكسِ والطَّردِ والعُقمِ والسَّلبِ مِن سائرِ جِهاتِها، ولا زالَتْ قضَايا سِيادَتِهِ لازمَة، ومَزايا سعادَتِهِ بدَوامِها جازمَة.

للمحدِّثِ: الذِي رأَى مُنقطِعَ الأخبَارِ فوصلَهُ، وموصُولَ الآثارِ فأوقفَهُ علَى مَن قالَهُ ونقلَهُ، الحسَنُ الفِعالِ الذِي تواتَرَ حَديثُهُ العذبُ وتسَلسَل، واشتَهَرَ خبرُهُ المطلَقُ فصَحَّ أنهُ بقَيدِ البَلاغةِ مُسلسَل.

الأُصوليُّ[3]: الذِي أظهَرَ بمنهَاجِ تحقِيقِهِ أسرارَ جمْعِ الجوامِعِ، وأحجَلَ بتدقِيقِهِ همعَ الهوامِعِ.

---

(١) في (ر): «الكل».

(٢) قوله: «ووالاه» كذا في (ر) و(ع)، ولعل الصواب: «وأولاه».

(٣) في (ر): «للأصولي».

النحويُّ[١]: الذِي سكَّنَ الضَّمائرَ بما فتَحَ لها مِن أسرارِ لسَانِ العرَب، والمغنِي للطَّلبةِ بتوضِيحِ مسالكِهِ عَن مُراجعَةِ غَيرِهِ مِن ذوِي الأدَب.

اللغَويُّ[٢]: الذِي أقامَ فصِيحَ الكَلامِ عَلى أقوَى أساسٍ محكَم، وميَّزَ الصِّحاحَ عَنْ غيرِها بما لديهِ مِن قامُوسِ الفَهمِ وأحكَمَ.

الحيسُوبُ: الذِي جمَعَ شمْلَ الأعدادِ بفهمِهِ الصائبِ، وجبَرَ كسرَ العُقودِ بحسْنِ مُقابلَةِ ذهنِهِ الثَّاقبِ.

لفاضِلٍ[٣]: الإمامُ الفاضِلُ والهُمامُ الكامِلُ، زينُ الأفاضِلِ وحاوِي الفضائلِ، ومَعدِنُ الفَواضلِ وعَينُ الأماثلِ، نُورُ حدَقةِ الأبصَارِ، ونَورُ حديقَةِ الأزهارِ.

لواعِظٍ وخَطيبٍ: الذِي رفعَ اللهُ بهِ أقدارَ المنابرِ والخُطَبِ، وأجرَى بهِ ينابيعَ البَلاغةِ والأدَبِ، وأينَعَ بهِ رياضَ المواعِظِ والزَّواجرِ، وأنزَعَ حياضَ النواهِي والأوامِرِ، وعَمَرَ بزلازِلِ[٤] وعظِهِ القُلوبَ وغمَرَها، وجمَعَ الخواطِرَ بلُطفِ إيرادِهِ وجَبرَها، وأمَّنَ النُّفوسَ وحذَّرَها، ونهاهَا عَنْ مَعصِيةِ اللهِ وبطاعَتِهِ أمَرَها، وخشَعَتْ لمواعظِهِ الأسمَاعُ والأبصَار، واطمَأنَّتْ بذكرِهِ القُلوبُ والأغيَار، وشنَّفَ المسامِعَ وشرَّفَها بما أودَعَها مِن غزيرِ المواعِظِ وأتحَفَها، لا زالَتِ المجالِسُ بمحاسِنِ خُطبِهِ مُشرَّفة، والآذانُ بدُررِ أدبِهِ مُشنَّفة.

آخرُ: الذِي غمَرَ الخواطِرَ بمواطِرِ هِمَمِه، وغمَرَ المجالِسَ بنفائسِ حِكَمِهِ، ولقَّحَ القَرائحَ ونفَحَ الألباب، وشنَّفَ المسامِعَ وحرَّرَ الآداب.

---

(١) في (ر): «للنحوي».

(٢) في (ر): «للغوي».

(٣) في (ر): «للفاضل».

(٤) في (ر): «بزلال».

للأشرافِ: فرعُ الشَّجرةِ الزكيَّة، وخلاصَةُ السِّلسلَةِ المصطفَويَّة، وطِرازُ العِصابَةِ العلويَّة، المنتسِبُ لأشرَفِ نسبٍ عَلا عنصُره، وأحسَبِ نشَبٍ غَلا جَوهرُه، وأرفَعِ سِيادةٍ ضرَبَ مِن المجدِ رِواقَها، وأنفَعِ سعادَةٍ شُدَّ بالمفاخِرِ نِطاقُها، النسبُ[1] النابتُ بطينَةِ المجد، الثابتُ بطَيبَةَ ونجْد، الممدُودَةُ أَلِفُهُ مِن مِدادِ الأمدادِ الممتدَّةِ مِن نُقطَةِ دائرةِ الوُجود، المرتبِطَة بسِلسلَةِ الإسعَافِ والإسعادِ، قطبُ دائرَةِ الأفْلاكِ الحسنِيَّة، واسِطةُ عِقْدِ العِصابةِ الهاشميَّة، سُلالَةُ السِّلسلَةِ الفاطميَّة، خُلاصةُ السَّادةِ الأشراف، صفوَةُ بني عبدِ مَناف، صاحِبُ العزِّ والشرَفِ خَلَفاً بعدَ خلَف، ذو الحسَبِ الطاهِر، والنسَبِ الفاخِر، والجَمالِ الباهِر، أصِيلُ الجدَّينِ وشريف النَّسبَين.

لبكريٍّ: قطبُ دائرَةِ الهالاتِ البكرِيَّة، واسِطةُ عِقْدِ العِصابةِ الصدِّيقيِّةِ والسُّلالةِ العَتيقيَّة، رُوحُ جسَدِ دارِها، وقُطبُ فلَكِها المحيْطِ بدائرَةِ مَدارِها، بلْ قُطبُ دائرَةِ الوجُودِ، مَن لم تبرَحْ أعلامُ وِلايتِهِ مَرفوعَةً إلى مَقامِ الشُّهودِ.

لصاحِبِ الدَّفاترِ: حاوِي المحاسِنِ والمفاخِر، مِفتاحُ خزائنِ الدَّفاتر، قدوَةُ أربابِ الإقْبال، عُمدَةُ أصحَابِ الإجْلال، ووُجوهِ الأمْوال، مُعمِّرُ الخزائنِ السُّلطانيَّةِ بأحسَنِ الأعمَال، مفخَرُ الأماجِدِ والأكارِم، حاوِي المحامِدِ والمكارِم، الأكمَليُّ الأوحدِيُّ الأرشَدِيُّ الأمجَدِيّ، أوحَدُ المعتمَدِين، مرجِعُ أربابِ الأقلامِ المنتخَبِين، رأسُ أربابِ الأقلام، مُعتمَدُ الولاةِ والحُكَّام.

لتاجِرٍ: عُمدَةُ التجَّارِ المعظَّمينَ، قُدوَةُ الأكابِرِ المعتبَرينَ، محِبُّ الفُقراءِ والمساكِينَ، كهْفُ الأرامِلِ والمنقطِعينَ، مَن فاقَ بحسْنِ سِيرتِهِ النُّجومَ الزَّواهر، وبجَميلِ طَلعتِهِ البُدورَ السَّوافر، وشاعَ في الخافقَينِ ذكرُهُ وثَناؤُه عَلَى رغمِ أنفِ كلِّ مُكابر.

---

(١) في (ر): «المجد».

لطبيب: جالِينوسُ زَمانِه، وأفلاطُونُ أوانِه، أو ابنُ سِينا في مَعرفَتِه، وأرِسْطا طَاليسَ في حِكمتِه، مَن عرَفَ غوامِضَ الطبِّ والحِكمَة، وأتقَنَ مِن كلٍّ مِنهُما حدَّهُ ورسمَه، جعَلَ اللهُ عَلى يدَيهِ أسبَابَ الإصَابةِ والنَّجاح، وحسَمَ بلطِيفِ عِلاجِهِ عِلَلَ الأجسَامِ والأرْواح، ولا زالَ مُدرِكاً بسلِيمِ نظرِهِ خَفايا الآلامِ والأعْراض، واصِلاً بصَفاءِ فِكرتِهِ إلى غَوامضِ الأمْراض.

لابنَةِ السُّلطانِ ونحوِها: الدرَّةُ المصونَة، والجوهَرةُ المكنُونة، المتَّصفَةُ بالعفَّةِ والكَمالِ والدِّين، المحجُوبةُ بحجَابِ الحياءِ والجَلالِ[1] عَنْ أَعيُنِ النَّاظرين، درَّةُ إكلِيلِ الدَّولةِ الزاهِرة، وغُرةُ جَبينِ السَّعادةِ الباهرَة، قُدوَةُ المخدَّراتِ المعظَّمات، عُمدَةُ الموقَّراتِ المكرَّمات، عَليَّةُ الذات، جمِيلَةُ الصِّفات، نَتيجَةُ الدُّولِ والسَّعاداتِ[2] والسِّيادات، تاجُ النسَاءِ في العالمِين، سُلالَةُ الملوكِ والسَّلاطِين، صاحِبةُ أفضَالِ الخَيرات، ساحِبةُ أذيالِ المبرَّات.

* * *

(١) «والجلال» من (ر).

(٢) «والسعادات» من (ر).

البابُ الخامِسُ

في ذِكرِ الأدعِيةِ

قدْ ذكَرنا فيما مرَّ بعْضَ أدعِيةِ السُّلطانِ والوزِيرِ استِطراداً، واعلَمْ أنهُ يَنبغِي للكاتِبِ أنْ يُراعِيَ في الدُّعاءِ اسمَ المكتُوبِ إليهِ:

فيقُولُ في أحمَدَ مَثلاً: حمِدَ اللهُ نهيَهُ وأمرَه، ولا جعَلَ لأحَدٍ عَليهِ إمرَة، ولا زالَ كاسمِهِ أحمَدَ الفِعالِ، جمِيلَ الخِصالِ.

وفي شمسِ الدِّينِ: لا زالَتْ شُموسُ سَعادَتهِ مُشرقَة، وأغصَانُ سِيادتِهِ مُورقَة.

وفي عزِّ الدينِ: لا زالَ عِزهُ دائمَاً، وطَرْقُ صُروفِ الدَّهرِ عَن سَعادتِهِ نائمَاً، والزمَانُ في خِدمَتهِ قائمَاً.

وفي سَليمٍ: لا زالَ سَليماً منَ الرَّدَى، قاهِراً للعِدَى.

وفي إبراهِيمَ: لا زالَ بُرهانُ فضلِهِ ساطِعاً، ودلِيلُ مجدِهِ قاطِعاً، ونجمُ سعدِهِ أبداً طالِعاً.

وقِسْ عَلى ذلِكَ.

وينبَغِي للكاتِبِ أيضاً أنْ يكتُبَ لكُلِّ مَن لهُ قصْدٌ دُعاءً يُناسِبُ قصدَهُ:

فيقُولُ للتاجِرِ مَثلاً: لا برِحَتْ تجارَتهُ رابحَةً غَيرَ خاسِرةٍ، وسعادَةُ دُنياهُ مُتصلَةً بسعَادةِ الآخِرةِ.

وللمُسافرِ: فاللهُ يجعَلُ أسفَارَهُ مُقترِنةً بالسَّلامة، والأرباحَ مُتصلَةً بالغِبطَةِ والنجَاح، وقضَى بقُربِ رجعَتِه، وجعَلَ مسيرَهُ سبَباً لرِفعتِه، وسكَّنَ بقُدومِهِ أشواقَ أوليائهِ وأهلِ محبَّتِه.

لصاحِبِ سيفٍ: لا زالَتْ حمائلُ[١] السُّيوفِ تتسَابقُ في بنانِه، وأسنَّةُ الرِّماحِ تلُوحُ يومَ طِعانِه، ومتُونُ الخَيلِ مُتحصِّنةً[٢] بعزائمِهِ فيقْوَى جَنانُها بجَنانِه.

أو يقولُ: لا زالَتْ رحَى حُروبِهِ عَلى أعدائهِ تُدار، وألسِنةُ رِماحِهِ تُنادِي: البِدارَ البِدار، وليوثُ جنُودِهِ تُقاتِلُ مُسفرَةَ الوجُوهِ كُلَّما قاتَلَ الأعْداءَ في قُرىً مُحصنَةٍ أو مِن وراءِ جِدار.

أو يَقولُ: لا برِحَ السَّيفُ والقلَمُ مِن حُماةِ حِمَاه، والعِلمُ والعَلَمُ مِن أوصَافِ مجدِهِ وهُدَاه، والأمنُ والعزُّ مِن شِعارِ نادِيهِ وصِفاتِ حَرمِه، والفخْرُ مِن جُيوشِ آرائهِ ونُعوتِ هِمَمِه، ولا زالَ يصرِّفُ الأسنَّةَ والأعنَّة، ويقلِّدُ أعناقَ أعدائهِ كلَّ أَجَلٍ وأوليائهِ كلَّ مِنَّة.

أو يقولُ: رفَعَ اللهُ قدرَهُ وأمضَى عزائمَهُ التي تُطاوِلُ النُّجوم، ومكَّنَ مِن أعدائهِ سُيوفَهُ التي ما برحِتْ طُيورُ المنايَا عَلَيها تحُوم.

لصاحِبِ دولَةٍ: أسعَدَ اللهُ أيَّامَ دولتِهِ وحرَسَها، وألْقَى محبَّتَها في القُلوبِ وغَرَسَها، وبنَى قواعِدَ مجْدِها وأسَّسَها، ولا زالَت أعلامُ دولَتِهِ مُتبسِّمَةَ الثُّغور، وأرقامُ رِفعتِهِ مُنتظمَةَ السُّرور، ولا برِحَ سُرادِقُ عزِّهِ وسعدِهِ مَنصُوباً أبداً، وعلَمُ دَولتِهِ ومجدِهِ مَرفُوعاً سَرمدَاً، ما[٣] اختَصَّ الاسمُ بالإسنَادِ والنِّدا، كاختِصاصِ يدِهِ الميمونةِ[٤] بالفَيضِ والنَّدَى، ولا زالَتْ رِياضُ العدْلِ بأمطارِ مَعدلتِهِ مَعمُورة، ورِباعُ الفضْلِ بسحَائبِ جُودِهِ ممطُورة، مالِكاً قيادَ الرئاسَة، سَالكاً نهْجَ الرِّعايةِ والسِّياسة.

---

(١) في (ر): «حمائم».

(٢) في (ر): «متخصبة».

(٣) في (ر): «وما».

(٤) في (ع): «اليمنى».

لصاحِبِ صَولةٍ: لا برِحَتِ القُلوبُ ترهَبُ سَطوتَهُ القاهرَة، والعُقولُ تخشَى عَظمتَهُ الباهرَة، مُؤيَّداً بصوارمِ أحكامٍ تخضَعُ لها أعناقُ المتمرِّدين، وصريرِ أقلامٍ تنحَطُّ تحْتَ خُطوطِها رُؤوسُ المتكبِّرين، معَ همةٍ تَفوقُ السِّماكَينِ عُلوّاً، وتجرُّ ذَيلَها فوقَ المجرَّةِ سُموّاً، مِن خيرِ أقوامٍ تهزُّهمْ نخوَةُ الكِرام، وتحرِّكهُمْ حميَّةُ الإسلام، ولا زالَتْ سُدَّةُ أعتابِهِ مَلثومةً بالأفواهِ، وتُرابُ أبوابِهِ مَوسُوماً بالجِباهِ.

أو يقولُ: أيَّدَ اللهُ دولتَهُ الباهرَة، وأيَّدَ صولَتَهُ القاهِرة، ولا زالَتْ كواكِبُ سُعودِهِ زاهرَةَ المطالِعِ، ومَواكِبُ جُنودِهِ قاهرَةَ الطلائع، وكتائبُ النوائبِ بعَوادِي نِقمِهِ إلى أعدائهِ مَبعوثَة، وغَرائبُ الرَّغائبِ بغَوادِي نعَمِهِ إلى أوليائهِ محثُوثَة.

أو يَقولُ: جدَّدَ اللهُ لدولتِهِ القاهرَةِ بكتُبِهِ كتائبَ وجُنوداً، ولسطوَتِهِ الباهِرةِ التي إذا نُشرَتْ كانَتْ أعْلاماً وبُنوداً، وأمدَّها بمعْرفتِهِ التي إذا عُدَّتْ كانَتْ بحرَاً ممدُوداً، بهمَّةٍ لو أشارَ بها إلى الأطْوادِ لنسَفَها، وإلى مُدلهِمَّاتِ غَياهِبِ الخُطوبِ لكَشَفها، ولا زالَ عَدلُهُ سَائراً في الأيَّامِ والأنامِ، وفضلُهُ ناشِراً غمَامَ فيضِهِ عَلَى الخاصِّ والعامّ، باسِطاً بِساطَ أمنِهِ حتَّى تَغدُوَ العُيونُ والقلُوبُ كأنَّها منَ الأمنِ في مَنام.

لصاحبِ قلَمٍ: لا زالَتْ أقلامُهُ[1] تفوقُ عَلى الغُيوثِ الهامِيَة، وأنعامُهُ تزيدُ عَلَى البِحارِ الطامِيَة، ولا بَرِحَ[2] عُمدةَ الكتَّاب، قُدوةَ الحُسَّاب، رئيسَ الأصحَاب.

أو يقولُ: لا زالَتْ أقلامُهُ جاريةً بمصَالحِ العبَادِ والبِلاد، مَوقوفةً عَلَى نهجِ الإصابَةِ والسَّداد، وحفِظَ اللهَ مكارِمهُ التي غَمرَتِ القَريبَ[3] والبَعيد، وحرَسَ أقلامَهُ

---

(١) «أقلامه» ليست في (ر).

(٢) في (ع): «برحت».

(٣) في (ر): «الغريب».

التي هيَ شَجرةُ المعرُوفِ تثمِرُ لكلِّ مُؤمِّلٍ ما يُريد، ولا برِحَتْ مَقرونَةً بالسَّعادةِ أيامُه، جارِيةً بالنَّجاحِ والتَّوفيقِ[١] أقلامُه.

أو يقولُ: لا زالَتْ أقلامُها تجرِي بالسَّعادةِ والسُّعودِ، وتبعَثُ الأمانيَ البِيضَ مِن الخُطوطِ السُّود، وتصوِّبُ سُحبَ إحسَانها عَلَى عُفاتِ الآمالِ وتجُود.

للكريمِ[٢]: لا برِحتْ بحارُ المكارِمِ مِن أيادِيهِ مُتفجِّرة، ووجُوهُ العَطايا تَصدُرُ عَن راحَتِها وهيَ ضاحكَةٌ مُستبشِرة، ولا زالَتْ تتَلألأُ في مِرآةِ طَبعهِ أنوارُ الجُودِ والكرَم، وتتكامَلُ في قَلبِهِ أزهارُ اللُّطفِ والشِّيَم، وشُموسُ المفاخِرِ بوجُودِهِ طالعَة، وأقمَارُ المآثرِ بسُعودِهِ ساطِعة[٣].

أو يقولُ: لا برِحتْ يدُهُ الميمُونةُ يدَ الأيادِي، وكعبَةَ العاكِفِ والبادِي، إذا فتحَتْ فللتَقبِيلِ والكَرم، وإذا قُبضَتْ فعَلَى استرقاقِ العُربِ والعجَم، ولا زالَتْ أطلالُ العُلماءِ ببقائهِ مَعمُورةً، وآمالُ الفُضلاءِ عَلى مكارِمِهِ مَقصُورةً، ولا برِحَ بدْرهُ مُشرِقاً، وغَيثُهُ مُغدِقاً.

أو يَقولُ: لا برِحَ بابُهُ العالي محطَّ رِحالِ الوافِدين، وجنابُهُ المتلالي مَلاذَ القاصِدينَ والوارِدين؟ ولا زالَتِ الألسُنُ بالثَّناءِ عليهِ ناطقة، والقُلوبُ عَلى محبَّتهِ مُتطابقة[٤].

---

(١) «والتوفيق» ليست من (ر).

(٢) في (ر): «لكريم».

(٣) في هامش (ر):

«سبَقُوكَ تارِيخاً وأنْت سَبقْتَهُمْ كَرَماً فأنْتَ السَّابقُ المسْبُوقُ».

(٤) في (ر): «مطابقة».

أو يقُولُ: لا زالَ يقلِّدُ الأعنَاقَ مِنناً، ويدَّخرُ عندَ اللهِ أجراً حسَناً، يمنَحُ العَوارِفَ ويُوْلِيها، ويُصيبُ بالصَّنائعِ مُستحقِّيها، ولا برحَتِ الحسنَاتُ إليهِ مَنسُوبة، والخَيراتُ في صحائفِهِ مَكتوبة، ولا زالَ يضعُ الأشياءَ في محلِّها، ويسنِدُ الأُمورَ إلى أهلِها، جارِياً سننُ قانونِهِ عَلَى أجمَلِ العوائد، وأكمَلِ القَواعد، يُوْلِي المعرُوف، ويأخُذُ بيدِ الملهُوف.

لمَنْ وعَدَ: أنجزَ اللهُ مِنَ الخَيراتِ سالِفَ وعُودِه، وحلَّى جِيدَ الزمَنِ العاطِلَ بلآلِئِ عُقودِه.

للقاضِي: لا برِحَ مُؤيَّداً في أقضِيتِهِ وأحكامِه، مُسدَّداً في مقاصِدِهِ ومَرامِه، مُسدَّدَ الآراء، نافِذَ الأمرِ والقضَاء، مُشيِّداً لقَوانينِ الشَّريعةِ المطهَّرة، مُسدِّداً لوقائعِ الأحكَامِ المحرَّرة، ولازالَ عدلُهُ للخلْقِ غِياثاً، والأرضُ حقّاً لهُ[1] ومِيراثاً.

أو يقولُ: مهَّدَ اللهُ قواعِدَ الشَّريعةِ بأحكامِه، وأوضَحَ أدلَّتها بإتقانِهِ وإحكَامِه، وفصَلَ بينَ الخُصومِ بأحكامِهِ المسدَّدة، وأقضِيتِهِ التي قواعِدُ الإسلام بها ممهَّدة، وأبنِيةُ الشرعِ بها محصَّنةً مُشيَّدة، ولا برِحَ صدْرَ الشَّريعةِ المطهَّرة، وكنزَ الهِدايةِ المنوَّرة، صاحِبَ عُقودِ دُررِ غُررِ الجواهِر، ومحرِّرَ اشتِباهِ الأشبَاهِ والنَّظائر، بحيْثُ يصدُقُ عليهِ المثَلُ السَّائر:

إذا قَالَتْ حَذامِ فصَدِّقُوهَا ... فإنَّ القَوْلَ ما قَالَتْ حَذَامِ

لا برِحَ صَدْراً لمجالِسِ الأحكَام، أحمَدَ القَولِ والفعلِ بينَ جَميعِ الأنام، دافِعاً للضرَرِ بتسدِيدِ أحكَامِه، قامِعاً للمُفسِدِ بتشدِيدِ إبرامِه.

---

(١) في (ع): «له حقاً».

للمُفتي: لا زالَتْ أقلامُ الفتْوى مُشرِقَةً ببنَانِه، والأحكَامُ الشَّرعيَّةُ مُوضَّحةً ببيَانِه، ولا برِحَ بحْرُ عِلمِهِ زاخِراً، وسحَابُ فهمِهِ ماطِراً، ولا زالَتْ ثواقِبُ أفكَارِهِ تُوضِّحُ غَوامِضَ المشكِلات، وأنوارُ أسرارِهِ تحُلُّ عظائمَ المعضِلات، ومحاسِنُ دُروسِهِ تجلُو صَدأَ الأذْهان، وسُطورُ طُروسِهِ تُزرِي بقلائِدِ العِقيان.

للمفسِّرِ: لا برِحَ لسانَ أهلِ التفسِيرِ، ومَنطِقَ ذوِي التَّعبيرِ، جامِعاً بينَ مَرتبَتي المعقُولِ والمنقُول، حَائزاً فضِيلتي الفُروعِ والأُصول، حَبراً للعُلومِ[1] النَّقليَّة، بحْراً للفُنونِ[2] العَقليَّة.

للبَليغِ: نظَمَ اللهُ عُقودَ جَواهِرِ الكَلامِ بنظَامِ نَظمِهِ، وحلَّى سطُورَ الطُّروسِ بوشيِ بلاغَتِهِ ورَقْمِهِ، ولا زالَتْ فوائدُ فرائدِهِ ممدُوحةً لأُولي التَّحقِيق، وفرائدُ فوائدِهِ مُحلاةً بحِليةِ التَّحريرِ والتَّدقيق، ولا برحَتْ أسمَاعُ المتكلِّمِينَ مَشحُونةً بألطافِ تعلِيمِه، وقلوبهُمْ مُشرقةً بإتحافِ دقائقِ تَفهيمِه.

أو يقولُ: لا برِحَ بحْراً يتقاذَفُ موجُهُ بالدُّرر، وعِقداً في جيدِ الدَّهرِ يتلألأُ بالغُرَر، وسمَا في سماءِ المجْدِ كمالُهُ، ونما في نمَاءِ[3] السَّعادةِ مَقالُهُ، ولا زالَ مخصُوصاً بأنواعِ الكَمَالاتِ، طالِعاً بدرُ فضلِهِ من أشرفِ الهالات.

أو يقولُ: لا برحَتْ فرائدُ فوائدِهِ تُخجِلُ جواهِرَ العُقودِ، وجواهِرُ فرائدِهِ تُزرِي بقلائِدِ النفودِ[4]، وخمائلُ[5] الفضَائلِ برشحَاتِ أقلامِهِ مُحصَّلةً، ونسائمُ الأصَائلِ

---

(١) في (ر): «حبر العلوم».

(٢) في (ر): «بحر الفنون».

(٣) «نماء» من (ر).

(٤) في (ر): «النقود».

(٥) في (ر): «وحمائل».

بنسَماتِ أنفاسِهِ مُعقَّلةً، ما رنحَتِ الأقْلامُ بصَريرِها، والأنهارُ بخَريرِها، وضحِكت الأسحَارُ[١] بشُروقِها، والأمطارُ ببرُوقِها، بحُرمةِ مَن لولاهُ لْم يخلَقِ القلَم، ولمْ يتعلَّمِ الإنسَانُ ما لمْ يعلَمْ.

أو يقولُ: لا زالَتِ الأقلامُ خُدَّاماً لخواطِره، والأسماعُ نِظَاماً لجواهِره، والطُّروسُ سواحِلَ لزواخِرِه، والمسارُّ سائرةً إلى سَرائِره، وأشواقُ الفضْلِ والآدابِ بوجُودِهِ[٢] قائمَةً، وديَمُ نعَمِ اللهِ في أفنانِهِ دائمَة، وأنواعُ فضائلِهِ مُتلألئة، وأجنَاسُ فواضلِهِ مُتواليَة، ولا برحَتْ أبكارُ فِكرتِهِ في رياضِ حِكمتِهِ تخجِلُ الأزهار، وأسنَّةُ أقلامِهِ[٣] ببدائعِ إلهامِهِ توقِفُ الأفكارَ.

لصوفيٍّ: أوضَحَ اللهُ بصفَاءِ خَواطرِهِ الخَطِيرةِ غَوامِضَ الحقَائق، ومَلأ بعوارِفِهِ ومَعارِفِهِ المغارِبَ والمشارِق، وأنارَ للمُقتَدينَ بِهِ العَقلَ والدِّراية، وهيَّأَ بِهِ أسبَابَ الرُّشدِ والهِداية، وثبَّتَ بِهِ قواعِدَ الدين، وأيَّدهُ برُوحِ اليقِين.

أو يقولُ: نوَّرَ اللهُ سِرهُ بأنوارِ اليقِين، ورفَعَ قَدْرَهُ في ملئِهِ المقرَّبينَ، ووهَبَ لهُ لسَانَ صِدقٍ ومَقامَ الصدِّيقِين، وأمتَعَ اللهُ ببقائِهِ الإسْلامَ والمسلِمين، ولا زالَ الزُّهدُ شِعارَه، والورَعُ وَقارَه، والذكرُ أنيسَه، والفكرُ جليسَه، حتَّى تظهَرَ لهُ خَفَايا الأسرار، وتبدُوَ لهُ خَبَايا الحقائقِ مِن وراءِ الأستَار، ويُكشَفَ لهُ الغطَاءُ عَن حقائقِ الآخرَةِ وهوَ في هذِهِ الدَّارِ، وفتَحَ لهُ طرِيقاً إليهِ يُسفِرُ عَن كلِّ محجُوب، وكشَفَ لبصَرِ بصِيرتهِ مخبَّآتِ[٤] الغُيوب، واستعبَدَ لهُ أحرارَ أسرارِ القلُوب، حتَّى يرقَى إلى

(١) في (ر): «الأشجار».

(٢) في (ر): «بجوده».

(٣) في (ر): «لأقلامه».

(٤) في (ر): «مخبأة».

درجَاتِ المقرَّبين، ويتَّضِحَ لهُ نهْجُ الحقِّ اليقِين، ولا برِحتْ كواكِبُ هِدايتِهِ تعمُّ بضِيائهَا الوجُود، وأعْلامُ وِلايتِهِ مَرفُوعةً إلى مقامِ الشُّهود، ولا زالَتْ أطيارُ الأرائكِ بمحاسِنِ شيَمِهِ هاتفَة، وأخيَارُ الملائكَةِ بمعمُورِ بيتِهِ المقدَّسِ طائفة، وآياتُ معاليهِ بألسنَةِ الأقلامِ مَتلوَّة، وعرائسُ أبكارِ الأفكارِ بيَدِ مَعانيهِ مجلوَّة.

أو يقولُ: أدامَ اللهُ تَعالى وجودَكُم، وأنارَ بحقَائقِ التَّحقِيقِ شُهودكُم، وحلَّاكُمْ بحليَةِ العِرفان، ورقَّاكُمْ إلى مقامِ الإحسَان.

لواعِظٍ: أدامَ اللهُ بشائرَ أخبارِه، وزواجِرَ إنذَارِه بينَ الحقِّ وأنصَارِه.

لمقرئٍ: لا زالَ نافِعَ أهلِ العصرِ بلسَانِه، حائزَ مراتِبِ الفخْرِ بإتقَانه، والسَّعدِ بتِبيانِه، والمجدِ ببيَانِه.

لمحدِّثٍ: زيَّنَ اللهُ صُدورَ مجامِعِ الحفَّاظِ بوجُودِهِ العالِي، وشرَّفَ بدُروسِهِ الزَّاهرةِ[1] محافِلَ الأفاضِلِ والأعَالي.

لإمَامٍ: رفَعَ اللهُ معالمَ الإمامَةِ بحسْنِ ذاتِه، ونظَمَ نظامَ الكرامةِ بجَميلِ صفَاتِه.

لكلِّ أحدٍ: لا زالَتْ طلعتُهُ الباهرَةُ مَطلِعاً لشُموسِ السَّعادة، وعزَّتُهُ الزاهِرةُ مَوسِماً لبلُوغِ السِّيادة، ولا برِحَتْ أبوابُهُ مَورِداً لأضيافِ الكَرامات، وأعتَابُهُ مَصدَراً لأنواعِ المعَالي والكَمالات.

غيرُهُ: أيَّدَ اللهُ معاقِدَ العزِّ بوجُودِه، وأيَّدَ مَعالي المجدِ ببرِّهِ وجُودِه، ولا زالَتْ روضَةُ عزِّهِ ناضِرة، وأعيُنُ التَّوفيقِ بالسَّعادَةِ لهُ ناظرَة، مُؤيَّداً مَنصُوراً، مُستَبشِراً مسْرُوراً، مُتصِفاً بالفضْلِ الأتمّ، والمجدِ الأشَمّ، ولا برِحَ تاجُ فضائلِه مُكلَّلاً بنفيسِ الفَرائد، وجيِّدُ شمائلِهِ مُتحلِّياً بعُقودِ الفَوائد.

---

(١) في (ر): «الزواهر».

غيرُهُ: لا زالَتْ أيَّامهُ مواسِمَ التَّهاني، مباسِمَ الأمَاني، ومحاسِنُ أوصَافِهِ تملأُ النَّاظرَ والخاطِر، ومواردُ إسعافِهِ تغمُرُ البادِي والحاضِر، في نعمَةٍ مُشرقةِ الأضْواء، مُتدفِّقةِ الأمْواء، رياضُ حدائقِها مخْضرَّةُ الرُّبى، وحِياضُ نَدَاها مُعتلَّةُ الصَّبا، مُتضوِّعةُ النَّسيمِ مُتنوِّعَةُ الشَّميمِ، واللهُ يُطيلُ بقاءَهُ في رِفعةٍ ممدُودةِ الرِّواق، ونعمَةٍ مَشدُودةِ النِّطاق، مَصونةً همَّتهُ عَن عوائقِ الزَّمان، ونعمتُهُ عَن طَوارِقِ الحدَثان، وثبَّتَ قواعِدَ مجدِه، وجدَّدَ أوقاتَ سعدِه، وأشرَقَ هِلالَ سَعادَته، وأمدَّ ظلالَ سِيادتِه.

دعاءٌ لطيفٌ: يقولُ بعدَ السَّلامِ وبثِّ الأشْواقِ، وأمَّا الدعاءُ إلى تلْكَ الحضرَةِ الشَّريفةِ، والحَضيرَةِ[1] المنيفَة، والشَّمائلِ اللَّطيفَة، فما إخالُه إلا أنهُ العرْضُ اللازِم، ولا أشُكُّ في أنهُ الفرْضُ الجازِم، معَ ثناءٍ يُخجِلُ المسْكَ عَبيرُه، ويُزري بالبلابِلِ هدِيرُه، استوهَبَ اللهَ تَعَالى لهُ ولنجلِهِ السعِيدِ عمُراً يُطاوِلُ الأبد، ومِنَناً تَستغْرِقُ العدَد، وزيادَةَ سعدٍ تمتازُها الشَّمسُ وقْتَ الصَّحْو، ورفاهِيةَ عيشٍ يلزمُهُ الهناءُ والصَّفْو، واستَوثقَ منَ الدَّهرِ أنْ لا يكُونَ لهُ فيهِ نظِير، واستغرَقَ سَحائبَ الفَيضِ السُّبوحيِّ لروضِهِ النَّضير، بإغْداقِ سحائبِ المواهِب، وإشْراقِ شموسِ المغارِب، صانَ اللهُ تَعَالى حَضرتَهُ العليَّةَ وحمَاها، وحرَسَها وتولَّاها، وحمَى حِمَاها، وأدامَ مجْدَها وعُلاها، وسَنا[2] ثناها، ولا برحَتْ سُدةُ أعتَابها مَلثومةً بالأفواه، وتُرابُ أبوابِها مَوسُوماً بالجِباه.

دعاءٌ لدولَةٍ سُلطانيَّةٍ: اللهُمَّ إنَّ قُلوبَنا لمْ تزَلْ برفْعِ إخلاصِ الدُّعاءِ صادِقة، وألسِنَتَنا في حالَتي السرِّ والعَلانيةِ ناطقَة، سائلِينَ بلسَانِ الضَّراعةِ

---

(١) في (ر): «والحضرة».

(٢) في (ر): «وثنا».

وقلْبِ الانكسَار، باسِطِينَ أيدِي الذلَّةِ والافتِقار، أنْ تُسعِفَنا بإمدادِ هذِهِ المباركَةِ الميمُونَةِ السُّلطانيَّةِ العُثمانيَّةِ بمزِيدِ العُلا والرِّفعةِ والتَّمكِين، وأنْ تحقِّقَ آمالَنا فيها بإعلاءِ الكلِمة، ففِي ذلكَ رفْعُ قواعِدِ دعائمِ الدِّين، وقمْعُ مكائدِ المُلحِدِين، لأنَّها الدولَةُ التي بَرئتْ مِن غَشَيانِ الجنَفِ والحيْف، وسلِمَتْ مِن طُغيانِ القلَمِ والسَّيف، ألبسَها اللهُ لباسَ العزِّ المقرُونِ بالدَّوام، وحلَّاها بحليَةِ النَّصرِ المستَمرِّ بمرُورِ اللَّيالي والأيَّام.

***

البابُ السَّادسُ

في رسائلِ الأشْواقِ

غِبَّ سَلامٍ ممزُوجٍ بالشَّوقِ والغَرام، مُرتبِطٍ بأسبَابِ المحبَّةِ عَلَى الدَّوام، لا انقِضاءَ لمُدِدِه، ولا انقِطاعَ لـمَددِه، يُهدِيهِ مَن سالَتْ مَدامعُه حتَّى لجَّجَ في بحرِها وعام، وطالَتْ عليهِ أزمِنةُ الهجْرِ حتَّى إنَّ أقلَّ لحظَاتِها ما بَينَ شهرٍ وعام، كيفَ لا وشمسُ جمالكُم قدْ توارَتْ عنهُ بالحِجاب، وطلعَةُ كمالِكُمْ قدْ تستَّرَتْ بسَحابٍ منَ البَينِ مِن فوقِهِ سَحاب.

وبعدُ: فممَّا يعرِضُهُ عندَ الأعتَاب، الدَّاعِي لذلِكَ الجنَاب، غِبَّ سلامٍ أسْنَى، وتحياتٍ حُسنَى، أنهُ لمْ يزَلْ مُقِيماً لحضْرتكُم الشَّريفةِ عَلَى وظيفَةِ الدُّعا، بإخْلاصِ الجَنانِ واللِّسانِ مَعا، ويُنهِي شوقَهُ الذِي غمَرَ أرجاءَ لُبِّه، وعَمَرَ سُويداءَ قلبِه، وحرَّكَ كلَّ جارحةٍ إلى شرَفِ المولى وقُربِه، وعجَزتْ جوانِحُهُ عَن حملِهِ فكيفَ صحائفُ كتبِه، فالعَينُ لبِعادِهِ ساهرة، والنَّفسُ إلى جنابِهِ طائرة، كيفَ لا وقُربهُ لـمُحبِّهِ قوتُ نفسِه، ومغناطِيسُ أُنسِه، وجنابهُ الكريمُ مادَّةُ حياتِه، ومُقيمُ ذاتِه.

أو يقولُ: وبعدُ فالمحِبُّ لا يزَالُ يرعَى لكُمْ عَهْداً، ويحفَظُ لكُمْ ولاءً ووِدّاً، حنيناً إلى تلْكَ الذَّاتِ المحروسَة، والصفاتِ المأنُوسة، التي لا يسكُنُ القلبُ إلا إلَيها، ولا يعوِّلُ في الباطِنِ والظَّاهرِ إلا عَلَيها، فهوَ إلَيها أبداً يتشرَّقُ ويتشوَّق، وعلَيها سَرمَداً يتلهَّفُ ويتحرَّق، قرَّبَ اللهُ ساعاتِ الاجتِماعِ بها؛ لتُشاهِدَ العَينُ طلعَةً تُزرِي الغزَالةَ بهجَةً وبهَا، وأقرَّ بها العَينَ والنَّاظر، والفِكرَ والخاطِر، فإنَّ محبَّتكُمْ قدْ خالطَتِ الـمِزَاج، ولمْ يكُنْ لها سِوى الإخْلاصِ في مودَّتكُمُ المِزَاج[1].

---

(١) لعل المزاج الأول ما رُكِّبَ عليه البدن من الطَّبائع وأُسِّس عليه من الأخلاط، والثاني بمعنى الممازج، فإن كلَّ نوعين امتزجَا فكلُّ واحدٍ منهما لصاحبه مِزْجٌ ومِزاجٌ. انظر: «التاج» (مادة: مزج).

أو يقولُ: وبعدُ؛ فإنْ وجَّهتُمْ وجْهَ خاطرِكُمُ الشَّريفِ إلى السُّؤالِ عَنْ حالِ المحبِّ الضَّعيف، فقَدْ سطَّرَ هذِهِ الأحرُفَ وكبدُهُ بنارِ الأشواقِ[١] تتلظَّى، وفُؤادهُ بسعِيرِ الغرامِ يتشَظَّى، حتى كادَ لا يتمالَكُ لكتابَةِ شيءٍ مِن مَسطُورِهِ، ولا لرَقْمِ حَرفٍ واحدٍ مِن مَنشُورِهِ، لولا مُسكَةٌ مِن ساعاتِ التلهِّي استعارها، وخُلسةٌ مِن أوقاتِ الغفلَةِ اقتفَى آثارَها، حتَّى رسَمَ هذِهِ الأحرُفَ القَليلة، ورقَمَ هذِهِ الأسطُرَ التي جعَلَها رائدَ حالِهِ ودليلَه، وإنْ سألتُمْ عَن حالِ المحبِّ فقَدْ صامَ ولكِنْ عَن غيرِ مَعناكُمْ، وحجَّ ولكِنْ إلى بيْتِ قلبِهِ إذ هوَ مَثواكُمْ ومَأواكُمْ، وباعَ نفسَهُ في محبَّتكُمْ، وأسلَمَ مُهجتَهُ في مودَّتكُمْ، حتَّى صارَ يُقالُ: هذا هوَ المحبُّ الذِي في حبِّهِ قدْ أخلَص، وصدَقَ في وعدِهِ حتَّى تفرَّدَ بهِ وتخصَّص، وقسَماً بحياتكُم الشهيَّة، ويميْناً بصِفاتكُم الزكيَّة، إنَّ الشَّوقَ لا يبرُدُ بغيرِ رُؤياكُمْ غليلُه، ولا يشْفَى بغَيرِ لُقياكُمْ عليلُه.

أو يقُولُ: والمعرُوضُ لظَى شوقٍ لو علِمَتْ بهِ لظَى لَـمَا تأجَّجتْ، أو الجحِيمُ لما توهَّجتْ، وغرامٌ ينقَطِعُ الملَوانِ ولا ينقَطع، وهُيامٌ يُدافِعُ الحدثانِ ولا يندَفِع، ولو أخذَ المحِبُّ يصِفُ شوقَهُ لحضرتكُم الشريفَةِ وذاتِكُم اللَّطيفةِ لمْ يجِدْ إلى ذلِكَ[٢] سَبيلاً، ولوقَفَ دونَ إدراكِ غايتَهِ جُملةً وتَفصِيلاً، ولعجَزَ لسانُهُ عمَّا تضمَّنَ جَنانُه، وملَّتْ بنَانُهُ ممَّا أمْلَتْ أشجَانُه، وماذا يصِفُ مِن شَوقهِ إليكُمْ شوقَ الصَّادِي إلى الزُّلال، والمهجُورِ إلى الوِصال، والغريبِ إلى الوطَن، والفَريدِ إلى السَّكن؟

فـاللهُ يعلَـمُ مـا أجِـدُهُ وأكابِـدُه، وأُعانيـهِ وأُجاهِـدُه، مـنَ الشَّـوقِ الـذِي أحـرَقَ الأحشَـاء، وأوهَـى الاصطِبـارَ كمـا يعلَمُ ربُّنـا ويشَـاء، وقدْ صـدرَتْ هـذِهِ الصحِيفَةُ الشَّـوقيَّةُ والوظِيفَةُ الذوقيَّةُ ممَّـنْ رامَ صَبراً فأعجزَه، وحاوَلَ مَنامـاً فأعوزَه، والمحبُّ

---

(١) في (ر): «الشوق».

(٢) في (ر): «لذلك».

لـمْ يزَلْ يتمسَّـكُ بطيْبِ الإخَـاءِ والوِداد، ويتمسَّـكُ بذيلِ الولاءِ والاعتِقـاد، لا ينقطِعُ ورُودُه، ولا يفْنَـى مَعدُودُه.

أو يقولُ: وبعدُ؛ فإنَّ الأشْواقَ إليكُمْ لا تُحصَى، ولا يُبلَغُ أمدُها ولا يُستَقصَى، جلَّتْ عنِ العدّ، وعَن أنْ تُتصوَّرَ برسمٍ أو حدّ، ويُنهِي المحِبُّ النازِحُ الدَّار[١]، مُلازمُ السُّهدِ والافتِكار، شَوقاً زادَ عَنْ حدِّه، ووَجداً خرَجَ عَنِ الهزْلِ لجِدِّه، وغَراماً لا ينبَغِي لأحدٍ مِن بعدِه، وذَوبَ فُؤادٍ مِن نأيِ الحبيبِ وبُعدِه، ومعَ هذا فالمحِبُّ لمْ يزَلْ مُستمرّاً عَلَى ما هوَ عَليهِ منَ المحبَّةِ القدِيمةِ السَّابقة، والمودَّةِ الأكِيدَةِ الصَّادقة؛ لأنَّ كأسَ حُبِّنا شَرابهُ مُروَّق[٢]، لا يشُوبهُ مَلَقٌ مُزخرَفٌ أو قولٌ مُزوَّق.

أو يقولُ: ويعرِضُ لواعِجَ أشواقٍ تُجاذِبُ الأرْواحَ عَنْ جُثمَانِها، وترحَلُ الأشبَاحَ عَنْ أوطارِها وأوطانِها، وبَثَّ شوقٍ لو قصدَهُ السلُوُّ لضَلَّ طريقَه، ولو سعَتْ في حصرِهِ المبالغَةُ لقصرَتْ عَن كُنْهِ الحقيقَة، وإنْ سألتُمْ عنِ الحالِ فنحْنُ في ظلِّ[٣] السَّلامةِ لولا الالتِياعُ بحرْقِ الاشتِياق، وشارِبُونَ مِن مواردِ العافِيةِ والكَرامةِ إلا أنَّها مُتكدِّرةٌ بلَواعِجِ الاشتِياق.

أو يقولُ: ويُنهِي شَوقاً وغَراماً جلَّ أنْ يُحدّ، وتَوقاً وهُياماً تتابعَتْ أوقاتُهُ فلا تُحصَى أو تعَدّ، بعَدَ ولاءٍ يسِيرُ تحتَ لِوائهِ المحرِّر، وثناءٍ إذا سطَّرتهُ أقلامُ المحابرِ فما الوشِيُ[٤] المخبِّر، ووَصفِ شوقٍ إذا تذكَّرتْهُ القلُوبُ القاسِيةُ فإنَّها تنفَطر، ووِدادٍ حاشَا لعينِهِ الصَّافيةِ مِن واردِ الهجْرِ تتكدَّر، ونشرِ صحائفَ مُشتملةٍ عَلَى أعمالٍ

---

(١) «الدار» من (ر).

(٢) التَّرْوِيقُ: التَّصْفِيَةُ يُقال: رَوَّقَ الشَّرابَ، إذا صفَّاهُ بالرّاوُوق. انظر: «التاج» (مادة: روق).

(٣) في (ر): «ظلال».

(٤) في (ر): «الواشي».

صالحَةٍ فهيَ بذلِكَ تفرَحُ أنْ تُنشَر، وتجرُّعِ كأسِ فِراقٍ تداولْنا شُربَهُ واللهُ أعلَمُ أيُّنا كانَ أصبَرَ، وذمِّ أيامِ هجرٍ وأيامُ الهجْرِ حَقيقةٌ بأنْ تذَمَّ ولا تُشكَر، وحمدِ ليالي وصالٍ كانَتْ أحْلَى منَ السكَّر، وبعدَ وبعدَ وبعدَ حتَّى يعيدَ الزَّمانُ العطْفَ كواوِهِ المكرَّرِ، ويصفُو بذلِكَ شرابُ وصلِهِ المكدَّر[1]، وليس ذلِكَ بتزويقِ اللِّسانِ وصَوغِه، بلْ قدْ خالَطَ اللحمَ والدَّمَ والمولَى بذلِكَ أدْرَى وأخبَر، وإنَّ عهْدَ الوِدادِ بحالِهِ لمْ يتغيَّر، وصفْوَ الحبِّ عَلَى ما عهِدتَهُ[2] وحاشَا أنْ يتكدَّر، فيا ما أحلَى ليالي الوصْلِ والاجتِماع، ويا ما أمرَّ ليالي الهجرِ والانقِطاع، فمُذْ غبتُمْ عَنِ العَينِ لمْ تعرِفْ لذَّةَ الوسَن، ولمْ يزَلِ القلبُ في لَوعةِ الغمِّ والحَزَن، إذا مرَّ ذكرُكُمْ في بالي شرَحْتُ لهُ صَدراً، ودَعَاني الشَّوقُ في خَيالي مرَّةً لَيْتهُ[3] عَشْراً، ولولا رجاءُ القُربِ[4] بعدَ النَّوَى، لذهَب الحَيلُ والقوَى.

شعرٌ:

ولــــولا رَجَائـــي بـــأنْ نَلْتَقِـــي	وأنْ يَجْمَــعَ اللهُ مَــا بَيْنَنَــا
لسَــارَعَتِ الــرُّوْحُ شَــوْقاً إلَيْــكَ	ولَكِنَّهَــا قَنِعَــتْ بالمُنَــى

في رَسائلِ العُشاقِ:

غِبَّ سلامٍ تتبسَّمُ بالمحبَّةِ والمودَّةِ ثغورُ سُطورِه، وتُرقَمُ بصدقِ الإخلاصِ أحرفُ مَنشُورِه، وتسلِيماتٍ تتعَطَّرُ الأكوانُ بطيبِ نَشرِها، وتتبَسَّمُ ثغورُ الأقحُوانِ

(١) «ويصفُو بذلِكَ شرابُ وصلِهِ المكدَّر» ليست من (ر).

(٢) في (ر): «عهدتم».

(٣) في (ع): «لبيته».

(٤) في (ر): «القلب».

مِن حُسنِ بِشرِها، وتحيَّاتٍ يتلألأُ في سماءِ الطُّروسِ بدْرُها، ويلوحُ في آفاقِ الأوراقِ زهرُها، وسُطورِ شوقٍ وغَرام، وصُدورِ توقٍ وهُيام، وأنفاسٍ تتراسَلُ صُعدا، وأحزانٍ تتواصَلُ كمَداً، وأشجَانٍ لا تحصَى، وأشواقٍ لا تُستَقصَى، صادرةٍ عَن ودٍّ لا يَزولُ ولو تزُولُ الجِبال، وحُبٍّ لا يَفنَى ولو تَفنى الأَيَّامُ واللَّيال، يُبدِي الغَرامَ عَن كبدٍ حرَّى، ومُقلةٍ سَهْرى، تسعِينَ عَاماً وشَهرا، يُهدِيهِ مَن لمْ يزَلْ يهتِفُ بذكرِكُمْ هُتوفَ الحمائم، ويرسِلُ العُيونَ كالعُيونِ ووابلِ الغمائمِ، للحَضرةِ التي هزَّتْ أعطَافَ المحاسِنِ والجمَال، وتاهَتْ وباهَتْ بأصنافِ المفاخِرِ والدَّلال.

غيرُهُ: يُهدِي المحبُّ المشتَاقُ وقتِيلُ الأشواقِ مِن السَّلامِ أعطرَه، ومنَ الإكرامِ أكثرَه، ويرسِلُ مِن تحَايا الودادِ أشْرَفَها، ومِن مَزايا المحبَّةِ ألطَفَها، ويكَررُ سَلاماً تتراسَلُ الأرْواحُ برسائِله، وتتواصَلُ الأشباحُ بوسائِله، ويستروِحُ لهبُوبِ نسِيمهِ كلُّ عاشِق، ويَسكرُ بطِيبِ[1] شمِيمهِ كلُّ ناشِق، وتتلاقى بهِ الأرواحُ والقلوب، وتتَوالى بهِ أفراحُ المحِبِّ والمحبُوب، إلى حَبيبٍ هوَ مخطُوبُ الأرْواح، ومَشروبُ النَّفسِ فما الرَّاح؟ حَبيبٍ حبَّةُ الفُؤادِ مَثواه، وسُويداءُ القَلبِ مَسكنُهُ ومَأواه، مَن فتكَتْ بالعُقولِ لواحِظُه، ووجَّهَتْ إلى لبِّ الحكيمِ ما تلاشَتْ بهِ حِكَمُهُ ومواعِظُه، مِن حُسنِهِ لعاشِقِيهِ قدْ سَحَر، وأطالَ ليلَهُمْ بالسُّهادِ فلا سَحَر، مَغنَى نُفوسِ العاشِقِين، ومَعنَى نُقوشِ طُروسِ الشَّائقين، مَن أنبَتَ اللهُ حبَّهُ في أرْضِ صَفاءِ القُلوب، وأثبَتَ ودَّهُ في صحُفِ الأرْواحِ فأصبَحَ لذلِكَ المحبُوب، سُويداءَ قَلبي ونورَ باصِري، وساكِنَ مُهجَتي ومحرِّكَ خاطِري، سالِبَ رُقادِي، ومُحرِقَ[2] فؤادِي.

---

(١) في (ر): «بطيف».

(٢) في (ر): «محرك».

غيرُهُ: فيا مَن بطُولِ التجنِّي قدِ اتَّصف، ومَلأ بالتثنِّي القُلوبَ منَ الشَّغف، أمَا رحمَةٌ لصَبٍّ مُستهام، وأسِيرٍ في قُيودِ الوجدِ والغَرام، وأليفٍ لمسامرَةِ النُّجوم، وحَليفٍ لمُسايرةِ[1] الهُموم، أما رأفةٌ لمُضناك، أما عَطفةٌ عَلَى ذاهبٍ في مَعناك، فانٍ في مَغناك، أما رِقةٌ لمغرَمٍ مُرغَمٍ بهواك، أمَا حنانَةٌ لصَبٍّ لا يَعرِفُ ولا يألَفُ سِواك.

شعرٌ:

بـالله رِفقَـاً بـالـقُـلُـوْبِ فـإنَّـهَـا ... لا تَسْـتَطِيْعُ مَـعَ[2] الغَـرَامِ تَحَمُّـلا

فيا مَن تَنَاءى بشخصِهِ بلا مَينٍ وهوَ في القَلبِ حاضِر، وغَابَ بصُورتِهِ عنِ العَينِ وهوَ في كلِّ وقْتٍ يستَجلِيهِ الفكْرُ والخاطِر، إليكَ أَصدرْتُ بطاقَةَ الشَّوقِ والقَلبُ مَشغوفٌ[3] ومَشغول، والوجدُ بجمِيلِ صفاتِكَ لا يزَالُ ولا يزُول، وانظُرْ إلى الصبِّ الذِي هوَ أعظَمُ والِه، فوالِهِ[4] وارحمْهُ بوصَالكَ بالنبيِّ وآلِه، فإنَّ المحبَّ لمْ يزَلْ بزفرَاتٍ تتواصَل، وعُيونٍ تتراسَل، شَوقاً إلى لفظِكُم الشَّهيّ، ووجهِكُمُ البهِيّ، وتجنِّيكُمُ الذِي يأخُذُ بمجامِعِ القلوب، وتثنِّيكُمُ الذِي يستمِيلُ النُّفوسَ كاستِمالةِ الأغصَانِ في الريحِ الهَبوب، قسَماً بالغَرامِ وما بأهلِهِ صَنَع، ويمِيْناً بالهُيامِ وما بقلُوبِ ذَويهِ هكذا صَدَع، لقدْ أهاجَ بعدُ حبِيبي عنِّي ساكِنَ القَلق[5]، وأثارَ كامِنَ الحَرَق[6]،

---

(١) في (ر): «لمساهرة».

(٢) في (ر): «من».

(٣) في (ر): «والفكر شفوق».

(٤) «فواله» أمر من والى، وجاءت في (ع) خاتمةً للجملة السابقة، والمثبت من (ر)، ولكل وجه.

(٥) في (ر): «الفلق».

(٦) في (ر): «الخرق».

وواصَلَ الجسمُ النُّحولَ والجفْنُ الأرَق، وصِرتُ لوحشَتهِ أليفَ حَزَنٍ وأسَف، وحَليفَ شَجَنٍ وشغَف، وغَريقَ مَدامعَ وحَريقَ لَهَف.

كلَّما تذكَّرتُ أيَّامَ الوصْلِ والاجتِماعِ حنَّ قَلبي، وكلَّما أشفقْتُ مِن دوامِ الفُرقةِ والانقَطاعِ زادَ قلقِي وكَربي، فها أنا بينَ شَوقٍ مُنضِجٍ وتَوقٍ[1] مُزعِج، ولوعَةٍ وبَلبال، وألمٍ وأوجال، فاللهُ تَعَالى يَرْوِي برُؤيتِهِ ناظِري، ويشرَحُ بوصْلِ فُرقتِهِ صَدرِي وخاطِري.

رسالةٌ أُخرَى لطِيفةٌ: وينهِي المحِبُّ بعدَ شوقِهِ الذِي لا يُحصَر، وكسْرِ قلبِهِ الذِي بغَيرِ لقائكُمْ لا يُجبرُ، أنهُ لمْ يزَلِ العبدُ مُتذكِّراً أيَّاماً مرَّتْ ما كانَ أحلاها، وأوقَاتاً سلفَتْ لمْ يبقَ مِنْها سِوى أنْ يتمنَّاها، وليلاتٍ مضَتْ قِصَاراً ما كانَ أهْنَاها.

شعرٌ:

رَعَى اللهُ لَيْلاتٍ تَقَضَّتْ بقُرْبِكُمْ ... قِصَاراً وأحْيَاهَا الحَيَاءُ وأسْقَاها
فمَا قُلْتُ إيْهٍ[2] بَعْدَهَا لمُسَامِرٍ ... مِنَ النَّاسِ إلا قالَ قَلْبِيَ أوَّاهَا[3]

لَيَاليَ ما كُنْتُ بالمَنْظُوْرِ أقْنَعُ مِنْكُم، ولا بالمَسْمُوْعِ أتَصَبَّرُ عَنْكُم، وهَا أنَا اليَوْمَ رَاضٍ بدُوْن ذَلِك، مُتَأسِّفاً عَلَى مَا هُنَالِك.

شعرٌ:

مَا كُنْتُ بالمنْظُورِ أقْنَعُ مِنكُمُ ... ولَقَدْ قَنَعْتُ اليَومَ بالمسْمُوْعِ
يا هَلْ لسالِفِ عَيشِنا بلِقَاكُمُ ... مِنْ عَوْدَةٍ مَحْمُوْدَةٍ ورُجُوْعِ

---

(١) في (ر): «بين منضج وشوق مزعج».

(٢) في هامش (ر): «آها».

(٣) في (ع): «آها».

ويبدِي المحبُّ إليكُمْ تشوُّقاً قلقَلَ الأحشَاءَ بتصاعُدِ الزَّفرات، وأذابَ بنارِهِ[١] المهَجَ والنُّفوسَ وأجرَاها عَلَى صفحَاتِ الخُدودِ عبَرات، وأضرَّ بجفنِهِ القَريحِ أنواعُ الأرَقِ والسُّهاد، وتفتَّتَ حبَابُ قلبِهِ الجريحِ بأنواعِ الصُّدودِ والبعَاد، أحشَاؤهُ مِن نارِ الوجْدِ يَشِبُّ سعِيرُها، وعَيناهُ مِن طولِ الصدِّ فاضَ مَطيرُها، ولو أنَّهُ استمَدَّ مِن ماءِ مُقلتِهِ لجاءتْكَ كتُبهُ محمرَّةً سُطُورها.

شعرٌ:

رَقَمْتُ وأحْشَائي يَشِبُّ سَعِيرُهَا	وعَيْنَايَ سُحْبٌ فاضَ مِنْهَا مَطِيرُها
ولَو أنَّنِي اسْتَمْدَدْتُ مِنْ دَمْعِ[٢] مُقْلَتِي	لجَاءَتْكَ كُتْبِي وهْيَ حُمْرٌ سُطُورُها
وكَيْفَ تُلامُ العَيْنُ إنْ قَطَرَتْ دَماً	وقَدْ غَابَ عَنْهَا أُنْسُها وسُرُورُها

وإنْ سألتُمْ عَنْ حالِ المحبِّ المشتَاق، وقتيلِ الهجرِ والأشْواق، فما حالُ محبٍّ زادَ غَرامُه، وتضاعَفَ وجدُهُ وهُيامُه، وكثُرَ سقامُه، وطالَ داؤُهُ وعزَّ دواؤُه، وتوالَتْ أحزانُهُ وتحرَّكتْ أشجانُه، وفاضَتْ دُموعُه، وتفرَّقتْ جُموعُه، وزادَ اشتِياقُه، ومرَّ مذاقُه، وشطَّتْ دارُه، وبعُدَ مَزارُه، وقلَّ اصطِبارُه، وحلَّتْ بجسمِهِ لبعادِكُمْ جميعُ الأسقَام، وتوالَتْ عَليهِ الغُمومُ والآلام، ولو بثَّ شوقَهُ إليكُمْ لما اسْطَاع[٣]، وكيفَ يستطِيعُهُ مَن بالوَجْدِ قدِ ارْتَاع[٤]؟!

---

(١) في (ر): «بهجره».

(٢) في (ر): «ماء».

(٣) في (ر): «استطاع».

(٤) في هامش (ر): «أحسنُ مِن غفلَةِ الرقيبِ». ولم نجد لها مكاناً.

شعرٌ[١]:

ولـوْ أنَّ مَـا بَيْـنَ الثُّرَيَّـا إلـى الـثَّرَى قَـراطِيْسُ والكُتَّابُ عُـرْبٌ وأَعجَـامُ
ورَامُوا بأنْ يُحْصُوا اشْتِيَاقِي إلَيْكُمُ[٢] لمَا قَدَّرُوا[٣] مِعْشَارَ عُشْرِ الَّذِي رامُوا

وقدْ أقسَمَ القَلبُ والعَينُ أنْ لا يذُوقا سُروراً ولا غَمضاً، وتحالَفَا أنْ لا يَزالا عَلَى البكاءِ حتَّى يرَى بَعضُنا بَعضاً.

شعرٌ:

رَحلْتُـمْ فمَـا للْقَلْـبِ واللهِ بَعْدَكُـمْ سُـرُوْرٌ ولا للعَيْـنِ مُـذْ غِبْتُـمُ غَمْضا
وقَـدْ حَلَفَـا أنْ لا يَـزالا عَلَـى البُـكَا بحَالِهِمَـا حَتَّـى يَـرَى بَعْضُنَـا بَعْضـا

لكنَّ المحِبَّ يتأسَّى بإرسَالِ هذِهِ الأحرُفِ اليسِيرة، ويتسَلَّى بإصدارِ هذِهِ الأسطُرِ القاصرَةِ القَصيرة، فلعلَّها أنْ تفوزَ بمشَاهدةِ جمالكُمْ، وتحْظَى بمحاسِنِ خِصالكُمْ، ولو استَطعْتُ لجعَلتُ طِرسِي ناظِري، ومِدادِي ماءَ محاجِري.

شعرٌ:

وإنِّـي وإنْ أخَّـرتُ عنكُـمْ زِيارتي لـعـذرٍ فـإني فـي المحبَّـةِ أولُ
فمـا الـودُّ تـكـرارُ الـزيـارَةِ دائـمـاً ولكِنْ عَلى ما في القلوبِ المعوَّلُ[٤]
لَـوْ كانَ أمْـرُ مُـرَادِ نَفْسِـي فـي يَـدِي أو كُنْـتُ أمْلِـكُ مَـا يَـوَدُّ فُـؤادِي
لجَعَلْـتُ حِيْـنَ كَتَبْـتُ أَسْـوَدَ نَاظِرِي طِرْسِـي وصَيَّـرْتُ المِـدَادَ سَـوَادِي

---

(١) في هامش (ر): «أولهُ: ولو أنَّ ينبُوعَ المياهِ محابِرٌ.... وكلُّ نباتٍ في البَسِيْطَةِ أقْلامُ».

(٢) في هامش (ر): «إليْكَ تَشوُّقِي».

(٣) في (ر): «أدركوا».

(٤) البيتان من (ر).

فلَعَلَّ عَيْنِي أنْ تَرَاكَ فإنَّ في ... مَرْآكَ غَايَةَ مُنْيَتِي ومُرَادِي

لم أؤخِرْ عمَّنْ أحبُّ كِتابي ... لقلَّى فيهِ أو لتركِ هواهُ

غيرَ أني إذ كتبْتُ كِتاباً ... غلَبَ الدمْعُ مُقلَتي فمحَاهُ[1]

ولو ساعدَتِ الأقدار، عَلى بلوغِ الأماني والأوطار، لَـمَا نابَتْ رقومُ الأقلامِ عنِ المجيءِ إلى حضرتكُمْ عَلى الرَّاسِ، وما قامَتْ رُسومُ الأرقامِ عَنِ السَّعيِ إلى خِدمتكُمْ بالرُّوحِ والأنفاس.

شعرٌ:

ولَوْ كَانَتِ الأقْدَارُ طَوْعَ إرَادَتِي ... وكَانَ زَمَانِي مُسْعْدِي ومُعِيْنِي

لكُنْتُ عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ وقُرْبِها ... مَكَانَ الذِي قَدْ سَطَّرَتْهُ يمِيْنِي

لكِنَّ الأيامَ لَمْ تزَلْ ببعدِ الدَّارِ ونأيِ المزارِ مُولَعة، ولمْ تبرَحِ الأقدارُ في هذِهِ الدَّارِ تسقِي المحبِّينَ كُؤوسَ البَينِ مُترَعة.

شعرٌ:

إنَّ المنيَّةَ والفِرَاقَ لَوَاحِدٌ ... أو تَوْأمَانِ تَرَاضَعَا بلِبَانِ[2]

شَكَا أَلَمَ الفِرَاقِ النَّاسُ قَبْلِي ... ورُوِّعَ بالنَّوَى حَيٌّ ومَيْتُ

وأمَّا مِثْلُ مَا ضَمَّتْ ضُلُوْعِي ... فإنِّي مَا سَمِعْتُ ولا رَأَيْتُ

واللهَ أسألُ أنْ يمُنَّ بعدَ الفُرقةِ بالاجتِماع، وبالوصلِ بعدَ الانقِطاع، وبالقُربِ بعدَ البُعد، وللهِ الأمرُ مِن قبلُ ومِن بعد، والسَّلامُ.

---

(١) البيتان من (ر).

(٢) البيت من (ر).

البابُ السَّابعُ

في رسائلِ العِتابِ

شعرٌ:

إذا رُمْتُ أعْتِبُ مَنْ أُحِبُّ تَعَطُّفاً ... تُعَارِضُنِي للعَتْبِ فيهِ مَوَانِعُ
ولَوْ كانَ هذا مَوْضِعَ العَتْبِ لاشْتَفَى ... فُؤادِي ولَكِنْ للعِتَابِ مَوَاضِعُ

غِبَّ سلامٍ ممزُوجٍ بتسنيمِ[1] المحبَّةِ والعتَاب، مُترَعاً بسُلافِ المودَّةِ لكِنْ عليهِ مِن رحيقِ العَتْبِ حُبابٌ، عَتبٌ يتطفَّلُ النسِيمُ عَلى موائدِ لُطفِه، ويتسنَّمُ طيبَ أخبارِهِ ليتعرَّفَ بعَرْفِه.

آخرُ: غبَّ سلامٍ زاهٍ زاهِر، ودُعاءٍ وافٍ وافِر[2]، وثَناءٍ باهٍ باهِر، مِن صبٍّ ساهٍ ساهر، ومحبٍّ شاكٍ شاكِر، لحضْرةِ المتحلِّي بحُللِ الفضَائل، المتخَلِّي في طلَبِ العُلا عنِ الشَّواغل، مَن لي في حبِّهِ عَن عِتابهِ ألفُ شاغِل.

معاتبةٌ بعدَمِ المكاتَبةِ:

عَجِبْتُ مِنَ المَوْلَى بتَأخِيْرِ كَتْبِهِ ... ومـا هَكَـذَا المَمْلُـوْكُ مِنْـهُ تَعَـوَّدَا
لأَنِّـي إلـى أَخْبَـارِهِ مُتَشَـوِّقٌ ... أُسَـائِلُ مَـنْ قَـدْ غَـابَ عَنْهَـا وأَنْجَدَا

يعزُّ عَليَّ مِن سيِّدي انقِطاعُ كتبِهِ عنِّي، وانفِصَالُ سببِها منِّي، ومِن عادَتِهِ أنْ يُواصِلَني بمُكاتبَاته، ويُتحِفَني بمُراسَلاته، فإنها إذا ورَدْت أوردَتِ القلْبَ بارِدَ زُلالها، والعَينَ طيفَ خَيالها، وسكَّنتْ منَ الجوانِحِ مُتحرِّكَ بلبَالها، وأولَتِ النفُوسَ ارتِياحاً،

---

(١) في (ر): «بتنسم».

(٢) «ودُعاءٍ وافٍ وافِر» من (ر).

والصَّدرَ سَعةً وانشِراحاً، وإذا وصلَتْ وصلَتْ[1] حبْلَ المسرَّةِ والأفراح، ورنَّحتْ أعطَافَ الخواطِرِ والأرواح، كلَّما اشتقْتُ إلى النَّظرِ إليهِ تعلَّلْتُ بنظَرِها، وكلَّما ارتحْتُ إلى سمَاعِ خبرِهِ تروَّحْتُ بخبرِها، ولمْ أزَلْ أُروِّحُ القلْبَ بنسِيمِ استقْبالها، وأُطفِي حرَّ الغُلَّةِ ببارِدِ زُلالِها، وأُسلِّي القلبَ بسائرِ أخبارِها، وأُنزِّهُ العينَ في رِياضِ أبكارِها، وأجعَلُها مِن أعظَمِ ذُخرِي ووسائلِي، وأستريحُ إلى مُنادمَتِها في أسحَارِي وأصائِلي، فما بالُ المولَى قطَعَ عَنِّي مادَّةَ إحسانِه، معَ استَطاعتِهِ لها وإمْكانِه؟! فإنْ كانَ ذلِك لشيءٍ أوجبَهُ الجفَاءُ واقتضَاه، فما هكَذا عوَّدَ العبدَ مَولاه، ولَولا أنَّ العِتابَ يؤكِّدُ أصلَ الودادِ بينَ الأحبَابِ لمْ يختلِجْ بهِ جَناني، ولا عرَضَ بذكرِهِ لسَاني، خُصوصَاً معَ ما بينَنا منَ المحبَّةِ الثَّابتةِ العَقد، والمودَّةِ المحكَمةِ العهْد، وهذا الفضْلُ قدْ جرَّ ذيلَهُ لطْفُ سِياقِ الكلام، وجَلبَهُ حُسنُ عَتَبٍ خيَّمَ بالقلْبِ وأقام، وكانَ سَبيلُ الأدَبِ في بسَاطهِ أنْ يُطوَى، وأنْ ينزَّهَ جَنابُ المولَى عَن أسبابِ المعاتبَةِ والشَّكوى، غيرَ أنهُ جسَّرَ المحبَّ عليهِ الدَّلالةُ عَلى ما عَهِدَ مِن مكارِمِ الجَناب، وما اشتهرَ مِن قولِهِمْ: يبقَى الودُّ ما بقِيَ العِتاب، وقولِهِمْ:

إذا ذَهَبَ العِتَابُ فلَيْسَ وُدٌّ ... ويَبْقَى الودُّ مَا بَقِيَ العِتَابُ

أو يَقولُ: هذا وإنِّي أعجَبُ والزَّمانُ محلُّ العجَب، كيفَ أغفَلَ مَولانا ما لزِمَ مِن حقِّ المحبَّةِ ووجَب، وكيفَ تطاوَلتْ غَفلتُهُ عَن مُحبِّهِ حتَّى بداهُ[2] ببطاقَةِ الشَّوق، ورسَائلِ الوجْدِ والتَّوقِ، معَ أنَّ الأكابرَ هيَ التي عادَتُها تَبدَؤ الأصاغِرَ بما يجبُرُ الخَواطِر، فعَسَى تَنعَمُوا بصُدورِ سُطورٍ تُبرِّدُ الغُلَّة، وتشفِي الفُؤادَ مِن أليمِ ألمٍ ألمَّ[3]

---

(١) «وصلت» الثانية ليست من (ر).

(٢) في (ر): «باداه».

(٣) «ألمَّ» ليست من (ر).

بِهِ وعلَّة، ويا هلْ ترَى يرقُّ لعبدِه، وهلْ عسَاهُ وعَلَّه؟ فإنَّ ذلِكَ أشهَى إلى النفسِ مِنَ الماءِ الزُّلال، وأحبُّ إلَيها منَ المَقيلِ في وَرِيفِ[1] الظِّلال، ولمَ لا وهيَ تُورِدُ القلْبَ مَوارِدَ السُّرورِ والفرَح، وتُزيلُ عنهُ العنَاءَ والتَّرح؟

وقَسَماً بصدقِ المحبَّةِ وخالِصِ المودَّة، إنهُ لو علِمَ المالِكُ ابتهَاجَ المملُوكِ بشرَفِ قُربه، وسُرورَهُ بورُودِ مشرِّفاتِ كُتبه، لرغِبَ في مُواصَلَتها ليتشَرَّفَ المملُوكُ بمتَابعَتِها، فإنَّ السُّرورَ بها يعدِلُ أيَّامَ السُّرورِ بشَريفِ رُؤيتِه، والابتِهاجِ بجمِيلِ مُشاهدَتِه، وما مِن وقْتٍ يمضِي وزمَنٍ ينقَضِي إلا والمملُوكُ مولَعٌ بتذْكارِه، مُتشوِّفٌ لِـمَا يرِدُ مِن أخبارِه.

معاتبةٌ بسببِ الغِيابِ: أفضَلُ العِتاب، ما كانَ بينَ الأحبَاب، بسبَبِ طُولِ الغِياب، سيِّدِي ما سبَبُ طولِ غِيابكَ عنِّي وتباعدِكَ مِنِّي؟ وما العذْرُ في سبَبِ عدَمِ الحضُور، وما الدَّاعِي لهذا النُّفور؟ والقلْبُ بكَ محرُوقٌ ومشغُول، والضميرُ عَلَى محبَّتكَ لا يزَالُ ولا يَزُول، قسَماً بِصدقِ الحبِّ فيك، وإخلاصِ الودِّ لدَيك، إنَّ حُضورَكَ عندِي لأشْهَى منَ الماءِ البارِدِ للعَطشان، وأنتَ عِندِي بمنزِلةِ الرُّوحِ والجَنان.

جوابُ كتابِ مُعاتَبةٍ:

عِتَابُـكَ لـي مَـوْلَايَ واللهِ لـمْ يَـزَلْ ... أَلَـذَّ عَلَـى قَلْبِـي مِـنَ البَـارِدِ العَـذْبِ
ولـمْ لا ومَـا يُبْقِـي المَـوَدَّةَ والإِخَـا ... ويُذْهِبُ أَحْقَادَ القُلُوْبِ سِوَى العَتْبِ

وصَلَ كتابُ مَولانا فوصَلَ بهِ أسبابُ الخيرِ والسَّداد، وغسلَ بزُلالِ عتبِهِ أدرَانَ الأحقَاد، وأكَّدَ بلطِيفِ[2] خِطابِهِ أُصولَ المحبَّةِ والوِداد، وقدْ تضمَّنَ المعاتَبةَ تخيُّلاً

---

(١) في (ر): «زريف».

(٢) في (ر): «بلطف».

منَ المولَى أنَّ كيتَ وكيتَ لحُدوثِ جفاءٍ أو تكديرِ صفاء، ومعاذَ اللهِ أنْ تعبَثَ بمحبَّتِهِ أحداثُ الغِيَر، أو يعترِيَ صفوَ ودِّهِ وولائهِ كدَر، وعجبْتُ منهُ كيفَ خطَرَ ذلِكَ ببالِه، حتَّى صرَّحَ بهِ في مقالِه، معَ تحققُّهِ مِني الودَّ الأكيد، والحبَّ المزيد.

جوابُ مَن عَتبَ بعدَمِ المكاتبَة: ويُنهِي بعدَ بثِّ شَوقِهِ الذِي لا يُنسَخُ حُكمُه، ولا يحُولُ عَلَى ممرِّ الأيَّامِ رسمُه، أنهُ لـمَّا سمِعَ العِتابَ مِنَ الأحباب، بعدَمِ إرسَالِ سَلامٍ أو كتاب، حنَّ تحَسُّراً وغابَ تَفكُّراً، وأسبَلَ عَبراتٍ تتراسَلُ وزَفراتٍ تتواصَل، وأبدَيتَ الاعتِذارَ وفي مُلتقَى الأهدَابِ عبَراتٌ تَنسكِب، وفي مُنحَنى الأضلاعِ جمَراتٌ تَلتهِب، مُعترِفاً بأنَّ العبدَ لو جرَى عَلَى حكمِ الودَاد، وقضيَّةِ الاعتِقاد، لكانَتْ كتبُ خِدمتِهِ ووظائفُ مِدحَتِهِ إلى المولى مُتواصِلة، وإلى شَريفِ حَضرتهِ مُتراسِلَة، لكنَّهُ التزَمَ مَذهبَ التَّعظيم والإجْلال، وتجنَّبَ مَواقعَ التَّصديع[1] والإملال، وصانَ خاطِرَ المولَى الشَّريفِ عَن أنْ يَشتغِلَ[2] عمَّا هوَ بِهِ أبداً مُشتغِلٌ مِن كشْفِ المشكِلات، ودفعِ المعضِلات، وتجدِيدِ معالمِ الزُّهدِ والتَّقوى، وإحياءِ مَدارِسِ الدَّرسِ والفَتوَى.

أو يقولُ: ويُنهِي أنهُ لمْ تتأخَّرِ الكتُبُ عَن حضرَةِ سيِّدِنا أدامَ اللهُ توفِيقَ مَقاصدِهِ وصفاءَ مَوارِدِهِ نِسياناً لذكرِه، ولا إخْلالاً بعظِيمِ قَدْرِه، ولا غِنىً عَن بركاتِهِ في الدَّارين، ولا صَبراً عنِ البُعدِ لمجلِسهِ وتعرُّضِ البَين، بلْ عِلْماً منَ[3] المملُوكِ أنَّ أوقاتَ سيِّدِنا عَزيزَة، ويخشَى أنْ يشغَلَها عَنْ كسْبِ الحسنَاتِ التي هيَ للخَلقِ اكتسابٌ ولهُ غَريزَة، واللهُ يواصِلُ سيِّدَنا بتحَفِ رِضوانِه، ويُوْزِعهُ شكرَ إنعامِهِ بقلبِهِ ولسانِه.

---

(١) في (ر): «التصدير».

(٢) في (ر): «يشغل».

(٣) في (ر): «في».

جوابُ معاتبةٍ بعدَمِ الحضُورِ:

ولمَّـا نَأيْتُـمْ فلَـمْ أقْتَـدِرْ أسِـيْرُ لحَضْرَتِكُـمْ بالقَـدَمْ
وَصَلْـتُ إلَيْكُـمْ بقَلْـبٍ شَـجِيّ وخَاطَبْتُكُـمْ بلِسَـانِ القَلَـمْ

وأمَّا انقطاعُ حُضورِي عَن مجلسكُمُ الشَّريف، ومحفَلِكمُ الـمُنيف، فلِمَا أحدثتْهُ الأيامُ واللَّيالِي منَ العوارَضِ والاشتِغال، وإلا ففِي كلِّ وقتٍ يودُّ المحبُّ أنْ لو كانَ بكعبَةِ مجدكُمْ طائفاً؛ ليجتَنيَ مِن ثمراتِ صفاتكُمْ لطائفاً، فلَمْ تُساعِدهُ الأيامُ عَلى بلوغِ المرام، فأحبَّ أنْ يستَنيبَ للَثمِ أناملكُمُ الشَّريفة، هذِهِ البطاقَةَ اللطِيفة، ولقَدْ كانَ المحبُّ يودُّ أنْ لو كانَ مكانَ هذا الكِتاب، وساعدَتهُ المقادِيرُ عَلَى زيارَةِ ذلِكَ الجنابِ، فإنَّ رؤيتكُمْ مما تَبتهِجُ بها الخواطِرُ، وتنتَعشُ بها القُلوبُ انتعاشَ الرَّوضِ إذا باكرَتهُ الغُيومُ المواطِرُ.

أو يقـولُ: والمحـبُّ يودُّ لـو كانَ بناظرِهِ لطلعَةِ جمالكُمْ مُستجلِياً، ولمشـافَهةِ أقوالكُـمْ مُستَملِياً، غيـرَ أنَّ الأُمـورَ بأوقاتِهـا مَرهونَـة، والأشَـياءَ عَـن بُروزِهـا فـي غيـرِ أوانِهـا مَصونَـة، لكِنَّ القلْـبَ حاضِـرٌ لديكُمُ أبـداً، ومتوجِّـهٌ إليكُمْ عَلـى طُولِ المـدَى، وإنَّ الإحسَـانَ أطلَـقَ اللِّسـانَ فـي كلِّ زمانٍ ومـكان، خُصوصاً فـي البِقاعِ الشَّـريفةِ العليَّةِ الشـان.

أو يقولُ: ويُنهِي ما هوَ عَليهِ منَ الشَّوقِ لشريفِ رُؤيتِه، والتلهُّفِ لجميلِ مُشاهدتِه، والارتياحِ لتقْبيلِ راحتِه، والتألمِ للانقطاعِ عَن جَليلِ حضرتِه، ولمْ يكُنْ ذلِكَ نسْياناً لذكرِه، ولا إخلالاً لعَظيمِ قَدْرِهِ، بلْ لعوائقَ مَنعَتْ، وعوارِضَ قَطعَتْ، وأسبابٍ حجزَتْ، وأقدارٍ برزَتْ، معَ ما يُؤْثِرُه المملُوكُ منَ التَّخفيف، ويتجنَّبُهُ منَ التَّكليف، ويخْشَى عَلى خاطرِهِ الكريمِ منَ التَّثقيل، ويخافُ منَ الإكثَارِ والتَّطويل،

وقسَمَاً بكُمْ، وعلماً لكُمْ، إنَّ المملُوكَ ما نقَضَ الزَّمانُ عهدَه، ولا غيَّرَ البِعادُ ودَّه، ولا حالَ عَنْ طُرقِ الموالاةِ والصَّفاء، ولا تغيَّرَ عَنِ الإخْلاصِ والوفاء، واللهُ سُبحانَهُ وتَعَالى عالمٌ بما تنطَوي عَليهِ الضَّمائر، وتحتَوي عليهِ السَّرائر، وقلبُ المولَى شاهدٌ بذلِك محقِّقٌ لصحَّتِه، مُسجِّلٌ[1] بإثباتِ حجَّتِه.

وإذا كانَ قلبُكَ الشاهِدَ العدْلَ فما لي وللحَدِيثِ الطَّويل، وإذا عرفتَ الحالَ بما أُوتيتَ منَ الفهْمِ والفضْلِ فما لي وللتَّطويل، وحيثُ قلبُ المولَى ناظِرٌ وشاهِد، فهوَ أزكَى وأعدَلُ شاهد.

شعرٌ:

حُبِّي بقَلْبِكَ شَاهِدٌ لي في الهَوَى ... والقَلْبُ أعْدَلُ شَاهِدٍ يُسْتَشْهَدُ

أو يقولُ: ولقدْ كانَ المملُوكُ يَوَدُّ أنْ لو كانَ عوَّضَ خِدمتَهُ ليتمَلَّى بشريفِ مُشاهَدتِهِ ولطِيفِ مُفاكهَتِه، ويفوزَ بتقبِيلِ راحتِهِ، لكِنَّ العَوائقَ والقَواطعَ جمَّة، والأيامَ لا ترقُبُ في أسيرٍ إلاً ولا ذمَّة، والأقدارُ لا تُدافَع، والأقضِيةُ لا تمانَع، ولو جازَ أنْ تسافِرَ نفسٌ عَنْ إنسانِها، أو ترحَلَ مُقلةٌ عَنْ إنسانِها، لكنْتُ أنا ممَّنْ سبَقَ الكتابَ بنفسِه، لتفُوزَ العَينُ بمشاهدَةِ جمالكُم الفائقِ عَلى بدْرِ الأُفُقِ وشمسِه، ولا كانَ المحِبُّ يختارُ المخاطبَةَ بالقلَمِ عَلَى المشافهَةِ بالفمِ، ولا كانَ يقنَعُ بهديَّةِ الألفاظِ عنِ المشاهدَةِ بالألحاظِ، ومَولانا أوْلى مَن قَبِلَ العُذر، وحازَ جمِيلَ الثَّناءِ والأجر، فما زالَتِ الحسنَاتُ إليهِ مَنسوبة، والمثُوباتُ في صحَائفِهِ مَكتوبة.

---

(١) في (ر): «مستجد».

معاتبةٌ بتصدِيقِ الوُشاةِ:

عِتَابِـي مَـوْلايَ ورَبِّـيَ شَـاهِدٌ دَلِيْـلٌ عَلَـى صَفْـوِ المحَبَّـةِ والـودِّ
وعَتْـبُ الفتَـى فـي كُلِّ أمْـرِ صَدِيْقِـهُ عَلَـى كُلِّ حَـالٍ كَانَ خَيْرٌ مِـنَ الحِقْدِ

المعروضُ لدَى مَولانا ذي الشِّيمِ المرضيَّة، والأخلاقِ الرضيَّة، هوَ أنَّ منَ المعلُومِ أنَّ العتابَ بينَ الأحبابِ لمْ يزَلْ يغسِلُ درَنَ الحقد، ويؤكِّدُ أصلَ الولاءِ والودّ، ولما بلَغَ العبدَ تغيُّرُ سيِّدِهِ عليه، بسبَبِ ما أُلقِيَ منَ الكَلامِ إليه، ورأَى وجهَ إقبالِهِ عَنهُ مُنصَرِفاً، وتَودُّدَهُ تكلُّفاً، عجِبَ كلَّ العجَبِ لتَخييلِهِ ما يشهَدُ خاطِرُهُ الشريفُ بخلافِه، وتحقُّقِه للنقْلِ الذِي أجمعَتِ العُقلاءُ عَلَى استِضعافِه، وكيفَ استمالَهُ مثلُ هذا إلى الإعراضِ بعدَ إقبَالِهِ وائتلافِه، وقدْ عتبَ المحبُّ عَلى ذلِكَ عَتَباً[1] صرَّحَ بِهِ جَنانُه، ولمْ ينطِقْ بِهِ لسانُه، فكَيفَ انحرَفَ المولَى في أسرعِ وقتٍ وتغيَّر، وتكدَّرَ صفْوُ ولائهِ ولمْ أَخَلْهُ يتكدَّر، معَ علمِهِ بما يقصِدُهُ أهلُ هذا الزَّمانِ مِن إيغارِ الصُّدور، وحرصِهمْ عَلَى تفريقِ شمْلِ الإخوانِ بالكَذِبِ والزُّور؟ وقد بلغ المحبَّ أن الوشاةَ زَخْرَفوا له أقوالاً، وحرَّفوا له[2] مقالاً، غيَّروا بها جميلَ اعتقادِه، وكدَّروا مواردَ وِدَادِه، فاستعاذَ المملوكُ باللهِ من أنْ يتغيَّرَ عليه الخاطرُ الشَّريف، أو يتكدَّرَ عليه الجَنَابُ الـمُنِيف، وهو مَعَاذي الذي[3] أَلْتَجِئُ إليه، ومَلاذي الذي أَعتمِدُ عليه، وحاشا ودَّه الأكيدَ أن يَعتريَه خَلَل، أو يَشُوبَ صَفْوَه مَلَل.

أو يقول: والمولَى أيَّده اللهُ يَعلمُ أنَّ الواشيَ لا يَخْلو مْن أحدِ أمرَين: إمَّا أنْ

---

(١) في (ر): «عتبا صريحا».

(٢) «له» من (ر).

(٣) في (ر): «معاذ لي».

يكونَ مُحِبًّا ودوداً، أو عدوًّا حسوداً، فإنْ كان الأولَ فمستحيلٌ أنْ يَقْصِدَ المحِبُّ لمحبوبِهِ ضَرَراً، ويحمِّلَه من الإثم وِزْراً، وإن كان الثانيَ فمعلومٌ أنْ يجتهِدَ في أذيَّتِهِ بكلِّ طريق، ويَحْرِصَ أنْ يُغْرِيَ عليه كلَّ عدوٍّ وصَدِيق، على أنَّ أكثر أهلِ العصر على ذلك مَجبولون، وبه مُشتغِلون.

معاتبةُ مَن تغيَّرَ بلا سبَب:

مـا كُنْـتُ أعْهَدُ مِـنْ مَولاي قَـطُّ جَفاً ... إلَّا الـوَلاءَ الَّـذِي يَزْهُـو ويَـزْدَانُ

حَتَّـى تَغَيَّـرَ عَمَّـا كُنْـتُ أعْهَـدُهُ ... لكِنَّـهُ الدَّهْـرُ فـي الإخْـوَانِ خَـوَّانُ

معروضُ المحِبِّ لمن منَحه اللهُ سَوَابغَ النِّعم، وهيَّأ له أسبابَ الخيرِ والكَرَم، هو أنَّ أَمَضَّ الألمِ بل أعظم الـمُصابِ تغيُّرُ الأصدقاء الأصحاب، وتَكَدُّرُ الأَخِلَّاءِ والأحباب، وهذا مما يَعْظُم على العاقلِ أمرُه، ويَضِيقُ به صَدْرُه، ويَشتغِلُ به فِكْرُه؛ لأنَّ إظهار الإعراضِ والصَّدِّ يُؤْذِنُ بتلاشي المحبَّةِ والودّ، سيما إن كان بغيرِ سببٍ يُعْزَى إليه، فإنه لا يُفيدَ العَتَبُ عليه، كما قيل:

كَيْـفَ السَّـبِيْلُ إلى مَرْضَاةِ مَـنْ غَضِبَا ... مِـنْ غَيْـرِ جُرْمٍ ولـمْ أعْـرِفْ لَهُ سَـبَبَا

غَيرَ أنَّ المملُوكَ لم يسعْهُ في ذلِكَ سِوى مُعاتبَةِ المالِك، إذ هيَ سُنَّةُ المحبَّةِ وطريقَةُ أهلِ المودَّةِ، ولولا مَزيدُ محبَّةِ المملُوكِ للمالِك، ما عتبَهُ عَلى شيءٍ مِن ذلِك، معَ أنَّ الزمَانَ أحقُّ بالعِتاب منَ الأخِلَّاءِ والأصحَاب

فقَـدْ أصْغَيْـتَ للواشِـيْنَ حَـتَّى ... رَكَنْتَ إلَيْهِـمُ بَعْـضَ الرُّكُـونِ[1]

---

(١) البيت من هامش (ر).

عتابٌ آخرُ: وقدْ بلَغَ المملُوكَ تغيُّرُ خاطِرِ[١] المالِكِ عليه، وعدَمُ التفَاتِه إليه، لأقاويلَ نمَتْها الوُشاة، وزَخرفَتْها السُّعاة، فكدَّرُوا مَواردَ وِدادِه، وغيَّرُوا جمِيلَ اعتقَادِه، فقلِقَ لذلِكَ جنبُهُ عَنْ مَضجعِه، وجادَ ناظِرُهُ بأدمُعِه، وضاقَ عَليهِ فسِيحُ الأرْض، وتخلَّى بعضُ أعضَائهِ عَنْ بعض، وهوَ يعلَمُ براءَةَ المملُوكِ مما نُسبَ إليه، وثناءَهُ في كلِّ نادٍ عَليه، والرِّيبةُ لا يَنبَغِي أنْ توضَعَ إلا فيمَن يُستَرابُ بمكانِه، ويُعلَمُ مِثلُها مِن شأنِه، والمالِكُ قدْ عرَفَ المملُوكَ حقَّ المعرِفةِ، واستَغْنى بتلْكَ المعرفَةِ عنِ الصِّفَة، وما برِحَ بإحسَانِ المولَى مُقرَّاً، وعلَى طاعتِهِ مُستمرَّاً، لا يعرِفُ وَجهاً يُرضيهِ إلا توجَّهَ إليهِ، ولا أمرَاً مِن جنابِهِ الكريمِ يُدنيهِ إلا اعتمَدَ عليه.

وإذا أَتَتْـكَ مَذَمَّتِـي مِـنْ نَـاقِـصٍ فَهِيَ الشَّـهادَةُ لـي بأنِّـي كامِـلٌ[٢]

عتابٌ آخرُ لَطيف:

ويُنهِي أنَّ الذنبَ لا يؤلِمُ منَ البغِيضِ كما يؤلِمُ منَ الحبِيب، ولا يقَعُ منَ البَعيدِ كمَوقعِهِ منَ القريب، وظُلمُ العارِفِ أشدُّ نِكاية، وما أصعَبَ الجِنايةَ ممَّنْ لمْ تجِدْ لهُ عادَةً بالجِناية، ولولا أنَّ العِتابَ يُزيلُ الموجدَةَ، ويُخمِدُ نارَ القَلبِ الموقَدة، لَـمَا أجرَى المملُوكُ بابَ العِتابِ، ولا شرَعَ في هذا المَعْنى ولا أجابَ.

عتابٌ آخَرُ وتَوبيخ:

الصدِيقُ الصَّدوقُ نُطْقُ لفظِهِ عَلَى الألسنَةِ مَوجود، ومَعناهُ في الحقِيقَةِ مَفقُود، فهوَ كالكِبريتِ الأحمر، يُذكَرُ ولا يُبصَر، أو كالعَنقاءِ والغُول، لفظٌ يوجَدُ بلا مَدلولٍ، وما أحسَنَ قولَ القائلِ حيثُ يقُول:

---

(١) في «ر»: (حال).

(٢) البيت من هامش (ر).

شعرٌ:

صَـادُ الصَّدِيْـقِ وكَافُ الكِيْميَـاءِ مَعَا لا يُوْجَـدَانِ فـدَعْ عَنْ نَفْسِـكَ الطَّمَعَا

وقَولَ[1] الآخرِ:

لمَّـا رَأيْـتُ بَنِـي الزَّمَـانِ ومَـا بِهِـمْ خِـلٌّ وفـيٌّ للصَّدَاقَـةِ أصْطَفِـي

أيْقَنْـتُ أنَّ المُسْـتَحِيْلَ ثَلاثَـةٌ الغُـوْلُ والعَنْقَـاءُ والخِـلُّ الوَفِـي

وسُئِلَ بعضُ الحكَماءِ عَنِ الصَّديقِ فقالَ: اسمٌ لا مَعنى لهُ.

وهذِهِ شيمُ غالِبِ أبناءِ هَذا الزَّمانِ منَ الأخِلَّاءِ والإخْوان، فمثَلُهُمْ كمثَلِ العرَضِ لا يبْقَى زمَانين، ويستَحِيلُ في أسرَعِ مِن طرفَةِ عَين، أو كلمْعِ السَّراب المستَحيلِ فيهِ الشَّرابُ، أو كالخيالِ الذي يبدُو في المنام، وهوَ في الحقِيقةِ أضغاثُ أحلام، ومَن كانَ بهذِهِ الصفَةِ فلا ينبَغِي الوثوقُ بودِّه، ولا التأسُّفُ عَلَى فقدِه، ولا التألمُ عَلَى فُرقتِه، ولا الحُزنُ عَلى غَيبَتِه[2].

عتابٌ لمَنْ ذكِرَ بحضُورِهِ فلَمْ يشكُرهُ: مُوجِبُ العتَبِ أحدُ أمرَينِ: إمَّا الإخلالُ بحَقِّ الصَّدِيق، أو التلَبُّسُ بما لا يَجمُلُ ولا[3] يليق، ومعلُومٌ أنَّ حقَّ الصاحِب، مُتعيِّنٌ عَلَى ذي المرُوءةِ واجب، مِنَ الاجتِهادِ في نفعِه، وتعظِيمِ قَدْرِهِ ورفعِه، وحفظِهِ في حُضورِهِ وغَيبتِه، وذكرِ محاسنِهِ وردِّ غيبَته، فكيفَ سمَحَ خاطِرُهُ باطِّراحِ جانِبي، وقعَدَ عنِ القِيامِ بواجِبي، وأخلَّ بشُروطِ الإخاء، ورغَّبَ عَنْ تعاهُدِ الوفَاء، وبخِلَ

---

(١) في (ر): «وقال».

(٢) في (ر): «غلبته».

(٣) في (ر): «أو».

عَليَّ بأيسَرِ الأشياء، مِن جَميلِ الذِّكرِ والثناء، إذ كانَ الواجِبُ عَليهِ الابتداءُ بهِ في كلِّ مكان، وأنْ يبذُلَ[1] في شكْر مملوكِهِ غايةَ الإمكان، فإنَّ سُكوتَهُ عَن ذلِكَ في الـمَحاضِرِ والمجالِس، ربما أَشعَرَ بتغييرِ الـمُحاضِرِ والمجالِس، وبالجُملةِ فلولا محبَّةُ المملُوكِ للمالِك، ما عتبَهُ عَلى شيءٍ مِن ذلِك.

* * *

(١) في (ر): «يبدي».

البابُ الثَّامِنُ

في رسَائلِ التَّهاني

شعرٌ:

وَرَدَ البَشِيرُ فكَانَ أكْرَمَ وَارِدٍ فمَلا[١] القُلُوبَ مَسَرَّةً وسُرُوْرَا
وأرَاحَ أرْوَاحاً وبَشَّرَ بالمُنَى والكَوْنُ أجْمَعُهُ غَدَا مَسْرُوْرا

غيرُهُ[٢]:

وَرَدَ البَشِيْرُ بمَا أقَرَّ الأعْيُنَا وشَفَى النُّفُوْسَ فنِلْنَ غايَاتِ المُنَى
وتَقَاسَمَ النَّاسُ المَسَرَّةَ بَيْنَهُمْ قِسَماً فكَانَ أجَلَّهُمُ قَسْماً أنا

غيرُهُ:

ومِنَ العَجَائبِ أنَّنِي هَنَّيْتُهُ وأنَا المُهَنَّى فيهِ بالنَّعْمَاءِ
لا زَالَ يَرْقَى فِي المَرَاتِبِ صَاعِدَاً حَتَّى يَجُوْزَ مَرَاتِبَ الجَوْزَاءِ[٣]

اعلَمْ أنهُ قدْ سلَفَ أنَّ الكاتِبَ يُسلِّمُ ثمَّ يصِفُ بالألقَابِ، ثمَّ يدعُو بما مرَّ منَ الأدعِيةِ المناسِبةِ للفَتحِ والنَّصرِ، وكمَا يأتي قَرِيباً.

تهنِئةُ سُلطانٍ بفَتحٍ: ويُنهي ويُهنِّئ بهذِهِ[٤] الدُّنيا عَلَى تباعُدِ أقطارِها، والأُمَمِ عَلَى اختِلافِ ألسِنَتِها ودِيارِها، بدَولتِهِ التي أقرَّتْ أعيُنَ الأنام، وشدَّتْ أَزْرَ الإسلام،

---

(١) في (ر): «ملأ».

(٢) «غيره» من (ر).

(٣) البيتان من (ر).

(٤) «بهذه» من (ر).

وصَولتِه التي أبقَتِ المهَجَ في الصُّدور، ومدَّتْ على الكافَّةِ ظِلالَ الأمْنِ والسُّرور، ويُهنئُ بهذا الفتْحِ الجسِيم، والظفَرِ العظِيم، الذِي ضحِكَتْ بهِ الدُّنيا عَنْ[1] مَباسِمِهما، وتجلَّتْ بِهِ شموسُ النَّصرِ عَنْ غَمائِمِها، وذلكَ بحسنِ سَعادتِهِ لا بالجيُوشِ المتوافِرَة، ويُمنِ سِيادتِهِ لا بالعسَاكرِ المتكاثِرَة.

فالحمْدُ للهِ الذِي أنعَمَ بنصرِهِ عَلَى البَرِيَّة، وأسعَدَ بِهِ الملِكَ والرَّعية، فاللهُ يُعِزُّ بجنابِهِ الإسلام، ويجعَلُ[2] أيامَهُ أعيادَ الأيام، وأعلَى مَقامَهُ ورفَعَ ذكرَهُ عِندَه، وجعَلَ الخافِقَينِ أنصَارَهُ وجُندَه، ولا برِحَتِ الأقدارُ جارِيَةً عَلَى حُكمِه، ومَنابرُ سائرِ البِلادِ مُعطَّرَةً باسمِه، حتَّى لا يبْقَى بلدٌ إلا وهو حاصِلٌ في قَبضتِه، ولا عدُوٌّ إلا وهوَ مَقموعٌ بسطْوتِه، آمِينَ.

تهنئةٌ أُخرَى بالفتحِ: يدعُو للفاتِحِ فيقولُ[3]: لازالَ الفتحُ المبِينُ مُقدِّمةَ جُنودِه، والنَّصرُ العزِيزُ مُقارِناً لصدُورِهِ ووُرُودِه، وأقرَّ بنصرِهِ عُيونَ الإسْلام، وسَرَّ بسعِيدِ أيَّامِهِ الخاصَّ والعامّ، ولا برِحَتْ ثُغورُ الإسلامِ بنصرِهِ[4] باسمَةَ الثُّغور، وعرائسُ المعَالي بفضلِهِ محلَّاةَ النُّحور، وخُيولُ عزِّهِ في مَيادينِ الظفَرِ سابقَة، ورياضُ همَمِهِ بغُيوثِ كرمِهِ ناضِرةً باسقَة.

ثمَّ[5] يقولُ: ويُنهِي بعدَ أدعِيةٍ بتأييدِ عَزائمِه، وسفْكِ دِماءِ العِدَى عَلَى ألسِنةِ

---

(١) في (ر): «على».

(٢) في (ر): «ويحول».

(٣) في (ر): «الدعاء للفاتح: يقول» بدل: «تهنئةٌ أُخرَى بالفتحِ: يدعُو للفاتِحِ فيقولُ».

(٤) «بنصره» ليست من (ر).

(٥) في (ر): «أو».

صَوارِمه، ما عِندَهُ منَ الفرحِ والابتِهاجِ بهذا الفتحِ المبِين، والعزِّ والنصرِ والتَّمكِين، فللهِ مِن فتحٍ قضَى عَلى دمِ العِدَى بالسَّفكِ وحَسُنتْ مَواقعُه، وظهَرتْ في سماءِ السعْدِ والنَّصرِ مطالِعُه، وشَرَّفتْ أقلاماً سَطَّرَتْ وقائعَه، فهوَ الفتحُ الذِي قضَى على دمِ العِدَى بالسَّفكِ[1] ودُموعِهِمْ بالسَّفح، وتُليَتْ لدَيهِ مِن آياتِ التَّهاني: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾، وسيوفُهُ وإنْ كانَتْ باكيةً دَماً فقوابِضُها بهذا الفتْحِ ضَاحكة، وجنُودُهُ مَنصورةٌ كيفَ لا ومِن أنصارِهِ الملائكَة؟ فالآمالُ ممتدَّةٌ في أنْ تكُونَ عَزماتُهُ[2] الكريمةُ لبقيَّةِ البلادِ فاتحة، وراياتُ الظفَرِ مَرفوعةً بينَ يدَيهِ ورِياحُ النصرِ بها نافحة، فاللهُ تَعالى يورِدُ عَلَى القُلوبِ مِن بشائرِ أخبارِهِ كلَّ ثناءٍ يَطيب، ويضاعِفُ لدَيهِ عَلى طُولِ المدَى: ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞ﴾ [الصف: ١٣].

تهنئةٌ بخدْمةٍ سُلطانيَّةٍ:

ومَـا أَنْتُـمْ مِمَّـنْ يُهَنَّـى بمَنْصِـبٍ ... ولَكِـنْ بكُـمْ حَقَّـاً تُهَنَّـى المَنَاصِـبُ

ونهنِّـئُ رُتبـةً نالها مَولانا إذا هَني سِـواهُ بتَجدِيـدِ رُتَبِه، ونعلَمُ أنها تأخُذُ حظّاً منَ الشـرَفِ[3] إذا أدركَـتْ قُربَـه، فهوَ حقيـقٌ أنْ تهنَّئَ بهِ المناصِب، وتُبشَّـرَ بـهِ المراتِب؛ لأنهُ يَزيدُها نَباهةً وسـمُوّاً، ويكْسُـوها جلالةً وعُلوّاً، فشـرفاً لرُتبةٍ ألقَـتْ إليهِ بزمامِها، وسـاسَ مَصالِحَهـا بحسْـنِ تدْبيـرِهِ وحسْـنِ نِظامِها، وبَـخٍ بَخٍ بولايـةٍ أقبَلَ بهـا الدَّهرُ مُتبَسِّـماً بعـدَ العُبـوس، وأَطْلَعَ الفلـكُ نجومَ الحـظِّ بعدَ التهجُّـمِ[4] والبـوسِ، ورفَعَ

---

(١) «بالسفك» ليست من (ر).

(٢) في (ر): «ممتدماته» كذا وقع رسمها.

(٣) في (ر): «الشوق».

(٤) كذا في (ر) و(ع)، ولعل الصواب: «التجهم».

السعدُ أعلامَهُ مَنشُورةَ الذَّوائِب، وأجزَى اليُمنُ أقلامَهُ بحسْنِ العَواقِب، حتَّى لاحَتْ تَباشِيرُ البُشرَى، واستَشْعرَتِ القُلوبُ بالفوزِ سرّاً وجَهراً، فليَهنِهِ منَ المجدِ ما سُحبَتْ أذيالُهُ وأردَانُه، ومِنَ المنصِبِ ما ألقَى في يدَيهِ عِنانُه، لا زالَ الهناءُ أَلِيفَ بابِه، والإقبالُ حَلِيفَ جَنابِه.

أو يقولُ: ويُنهِي ويهنِّئُ لِمَا جُدِّدَ إلَيهِ منَ الرُّتبةِ السنيَّة، والدرجَةِ العليَّة، والوِلايةِ الهنيَّة، وقدْ بلَغَ المحبَّ هذِهِ البُشْرَى السارَّةُ للقُلوب، والوِلايةُ المحصِّلةُ للفَوزِ بالمطلُوب، فالحمْدُ للهِ الذِي ألهَمَ الهمَمَ السُّلطانيَّةَ أسبَابَ الرَّشاد، وبعَثَها عَلَى إصْلاحِ البِلادِ والعِباد، حتَّى وضعَتِ الأشْياءَ في محَلِّها، وفوَّضَتْ أمرَ هذِهِ الخِدمَةِ إلى العليمِ بعَقْدِها وحَلِّها، وندبَتْهُ للنَّظرِ في أمورِها، واعتمَدَتْ عَلَى همَّتِهِ في حُسْنِ تدبِيرِها، فاللهُ يجعَلُها بدايةَ الخيرِ والإفضَال، ومقدِّمةً نتِيجَتُها الإعظَامُ والإجْلال، والواجِبُ أنْ تهنَّئَ الأعمالُ بفائضِ عدْلِه، والرعيَّةُ بمحمُودِ فعلِه، والأقاليمُ بمحاسِنِ سياستِه، والمناصِبُ بسمَاتِ رئاسَتِه.

تهنئةٌ بمنصِبِ قضَاءٍ:

تَهَنَّ بمَا حُزْتَ مِنْ مَنْصِبٍ ... شَرِيْفٍ لَهُ أنْتَ مُسْتَوْجِبُ
ومَا يَنْبَغِيْ أنْ تُهَنَّى بِهِ ... ولَكِنْ ليَهْنَأْ بِكَ المَنْصِبُ

فبُشْرَى لمولانا بهذا المنصِبِ الشَّامخِ الشَّريف، والشَّرفِ الباذِخِ المُنيف، الذي عظُمَ في النُّفوسِ وقعُهُ وقدرُه، وجلَّ أنْ يُضاهَى جَلالُهُ وفخرُه، مَنصبِ الشَّريعةِ النَّبويَّة، والمرتَبَةِ الشَّريفَةِ البهيَّة، واسطَةِ عِقدِ المناصِبِ والرُّتب، الجامِعِ بينَ طرفَي الرِّئاسَةِ والحسَب، فلله دَرُّها مِن منزَلةٍ تَكسُو الوُجوهَ وجاهةً وجَمالاً، وتزيدُ صاحِبَها هيبةً وجَلالاً، فهنَّأَهُ اللهُ بما صارَ إليه، وهيَّأَهُ لشُكرِ نعَمِهِ عَليه، فإنَّ الشكْرَ يستمِدُّ الزِّيادَة، ويفتَحُ أبوابَ القَبولِ والسَّعادة.

أو يقولُ: الحمدُ للهِ الذي أقامَهُ مُقاماً جَلِيلاً تُسَرُّ بهِ الخَواطر، وأحيا بهِ قُلوبَ العُلماءِ إحياءَ الرَّوضِ بالسُّحبِ المواطِر، ورفَعَ مَكانتَهُ فأصبحَتْ رياحُ الأمنِ بها سارِية، وسحائبُ اليُمنِ بها مِن فَوقِها جارية، والأرزاقُ تنهَلُ مِن أقلامِه، وأنْواعُ الخَيراتِ تنصَبُّ مِن غَمامِه، ويُنهِي ويُهنِّئُ بالنِّعمةِ التي عمَّتِ المسلِمين، وأقامَتْ منارَ الشَّريعةِ والدِّين، بلْ عمَّتِ البريَّة، وشمِلَتِ البِلادَ والرعيَّة، فالحمدُ للهِ الذِي أقامَ بها عِمادَ الإسْلام، وأجْرَى عَلَى يديهِ سَعادَةَ الأنام، ومنَّ بهِ عَلَى هذا الإقلِيم، وشَمِلَ أهلَهُ بفضْلِهِ العمِيم، وطرَّزَ بمحاسِنِ أيامِهِ أردَانَ الإسلام، وجعلَهُ تاجاً عَلَى مَفرِقِ الحُكَّام، فزهَتْ مجالِسُ الحُكمِ بتسدِيدِ أحكَامه، وتجملَت القضَايا بنقضِهِ وإبرامِه، هذا وإنَّ المناصِبَ وإنْ عظُمَ شَأنُها، والمراتِبَ وإنْ عزَّ مَكانُها، تُهنَّى بقدُومِ ركابِهِ الشَّريفِ إلَيها، ونشْرِ عَدلِهِ المنيفِ عَلَيها.

تهنِئةٌ بعُرسٍ: وقدْ بلَغَ المحبَّ خبرُ الإمْلاكِ السَّعيدِ الذِي عمَّ الوجُودَ بمَنِّ سَعْدِهِ، وأصبَحَ التَّوفيقُ مِن حامِلِ راياتِهِ وجندِه، فهُوَ العُرسُ الذِي شمِلَ السَّعدُ أوَّلَهُ وآخِرَه، وعمَّ[1] السُّرورُ باطِنَهُ وظاهِرَه، وأضحَتْ فيهِ كواكِبُ الفرَحِ زائدَةَ الأنْوار، ورِياضُ المِنَحِ مُشرقةَ الأزْهار، وأذَّنَ بالرَّفاهِ والبَنين، والعزِّ والتمْكِين، ولمَّا اتَّصلَ بالمحِبِّ هذا الفَرحُ والسُّرور، والهنَاءُ والحُبور، داخلَهُ الطَّرَبُ والارتِياح، واستغْرقَهُ العَجَبُ والانشِراح، واللهُ المسؤولُ أنْ يجعَلَ التَّوفِيقَ بعُرسِهِ مَوصُولاً، والإقبالَ لهُ دَلِيلاً، ويرزُقَهُ مِن الحلِيلَةِ الجلِيلَةِ أبناءً يَحُلُّونَ الـمَجالِسَ والمحاضِر، ويُحَلُّونَ الـمُجالِسَ والمحاضِر.

تهنئةٌ بمسكَنٍ: ويُنهِي ويهنِّئُ بالمسكَنِ السَّعيد، والموطِنِ المبارَكِ الجدِيد،

---

(١) في (ر): «وعمر».

والمنزلِ الـذِي تحوطُ[١] بِهِ السَّعادةُ مِن سائرِ جِهاتِه، ويكتَنفُهُ الإقبالُ مِن جمِيعِ جنَباتِه، فاللهُ تَعالى يجْعَلُ حُلولَ المولَى فيهِ مُؤذِناً بتمَامِ النَّعماء، وكائناً في أسعَدِ الطَّوالعِ مِن نجُومِ السَّماء، ويجعَلُ السَّعادَةَ بُنيانَه، والإقبالَ أركانَه، واليُمنَ ساحَاتِ جنابِه، والتَّوفيقَ عَتبَةَ بابه.

تهنئةٌ بمولُودٍ: ويُنهِي بعدَ ولاءٍ أُسِّسَ عَلى الصِّدقِ بُنيانُه، وعَلَى الوفاءِ قواعِدُهُ وأركانُه، ودُعاءٍ يجرُّ عَلَى المجرَّةِ أردَانه، ويؤمِّنُ عَليهِ سَائرُ الجَوارحِ حتَّى قَلبُهُ ولسَانُه، ويهنِّئُ بقَادمٍ أقدَمَ السَّعادةَ يُمْنُ ورُودِه، وأوفَدَ المسَارَّ بحُسْنِ وفُودِه، وأعدَمَ الهُمومَ بفرحِ وجُودِه، فأطرَبَ قُدومُهُ[٢] ما لا تُطربُهُ المثَاني والمثالِثُ، وضاهَى الشَّمسَ والقمَرَ وهُما اثنانِ فعزَّزْنا بثالِث، فهوَ أكرَمُ مَولُودٍ في عصرِهِ مِن أشرَفِ والِد، وممَّنْ تشرَّفَتْ باسمِهِ المطالِعُ والموالِد، فشَرفاً لَهُ مِن طالعٍ سَعيد وقادمٍ جَديد، يملأُ العَينَ قُرَّة، والقَلبَ مَسرَّة، فهوَ الهِلالُ الذِي ستراهُ إنْ شاءَ اللهُ بَدراً، وللأعيَانِ صَدْراً، وللشَّدائدِ ذُخراً، فاللهُ تَعالى يُريكَ مِن نسلِهِ أولاداً جِياداً، وعظمَاء أمجَاداً.

أو يقولُ: الحمْدُ للهِ الذِي أفاضَ عَلَى الوجُود بمحْضِ الكَرمِ والجُود مَلابسَ المنَنِ والنِّعَم، وغمَرَ العالَمَ بإحسَانِهِ ونفائسِ الفضْلِ والكَرم، وقدْ بلَغَ المحبَّ قدُومُ النَّجلِ السَّعيد، والطَّالعِ الجَديد، بلْ بدرُ التَّمامِ والكَمال، ونجْمُ السُّعودِ والإقْبال، الدرَّةُ المكنُونَة، والغُرةُ الميمُونَة، والطَّلعَةُ السَّعيدَة، والتُّحفةُ الفَريدَة، فشَرَفاً بمولُودٍ تَشرَّفَ بمِيلادِهِ هَذا الوجُود، وتكَامَلَ بظُهورِهِ الإقْبالُ

---

(١) في (ر): «تحفظ».

(٢) «قدومه» ليست من (ر).

والسُّعود، عرَّفَ اللهُ والِدَهُ بركَةَ مَولدِه، وقرَنَ السَّعدَ[١] بمورِدِه، ولا زالَ أبداً يبلُغُ الأماني ويَسمَعُ التَّهاني.

أو يقولُ: ويُنهِي ويهنِّئُ بالنَّجلِ المبارَكِ السَّعيد، والقادِمِ الجَديد، الطالِعِ مِن فلَكِ السَّعادة، والمولُودِ بأسرِّ وأيمَنِ وِلادَة، ولما اتَّصلَتْ بي هذِهِ البُشرَى الجليلَةُ، والعطيَّةُ الجَزيلَة، هزَّني الطرَبُ والارتِياح، واستَغرقتْنِي المسرَّةُ والأفراحُ.

شعرٌ:

وكِدْتُ أطِيرُ مِنْ فَرَحٍ وطَيْشٍ ... لعَمْرِي لَوْ وَجَدْتُ إذَنْ سَبِيْلا
ولَو أَنِّي لأجْلِكَ جِئْتُ سَعْيَاً ... عَلَى رَأسِي لَكَانَ إذَنْ قَلِيْلا

لكنَّ العوائقَ لمْ تزَلْ تَعرِضُ دونَ المطالِب، وتقعُدُ عَنِ القِيامِ بحقُوقِ الصاحِب، فاللهُ تَعالى يجعلُهُ منَ النُّجباءِ الأبرار، ويُريكَ فيهِ ما تحِبُّ وتختَار.

تهنئةٌ بعافِيةِ مريضٍ:

شعرٌ:

المَجْدُ عُوْفِيَ إذْ عُوْفِيْتَ والكَرَمُ ... وزَالَ عَنْكَ إلى أعْدَائِكَ الألَمُ
صَحَّتْ بصِحَّتِكَ الآمَالُ وابْتَهَجَتْ ... بهَا المَكَارِمُ وانْهَلَّتْ بهَا الدِّيَمُ
ومَا أَخُصُّكَ مِنْ بُرْءٍ بتَهْنِئَةٍ ... إذا سَلِمْتَ فكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا
ألَمٌ ألَمَّ بمهجَتي ... مُذْ قيلَ إنكَ تَشتكي
يا مفرداً في عصرِه ... بِعِدَاكَ لا بكَ ما حُكي

---

(١) في (ع): «السعادة».

قالَ:

لا زلـتَ فـي صحَّـةٍ تـدُومُ ولا زالَ زِمـامُ البَـقاءِ طَـوعَ يـدِك

ألـبسَـكَ اللهُ ثـوبَ عـافيـةٍ تُغنيكَ عَـن دَعوتـي وعَـنْ جَلَـدِك

آخرُ:

ولـمـا اشـتكيـتَ اشتكَى كلُّ ما عَلَى الأرْضِ واعتَلَّ شـرْقٌ وغَـربُ

لأنـكَ قـلْـبٌ لـهـذا الـزَّمان وما صـحَّ جسْـمٌ إذا اعتَـلَّ قلْـبُ

آخرُ:

تَلَقَّيْـتَ السَّـلامَةَ مِـنْ مَرِيْضٍ تـوقَّـى كُـلَّ نَـائِبَةٍ تَنُـوْبُ

فإنَّـكَ مَـا اعْتَلَلْـتَ بَـلِ المَعَـالِـي وإنَّـكَ مَـا مَرِضْـتَ بَـلِ القُلُـوْبُ[١]

ويهَنِّئُ بالعافيةِ التي ألبسَتهُ حُللَ الشِّفاءِ والآمال، وأماطَتْ عنهُ لباسَ البأس، ونقلَتْ إلى أعدائهِ الإعلالَ والأغلال، فحمِدَ اللهَ عَلَى صحَّتهِ التي جعلَتهُ عَلى شفاءٍ وقلْبَ عَدوِّهِ عَلى شَفَا، ومحَتْ رسْمَ مرضِهِ فعَفا، لازالَ يلبَسُ مِن حُللِ الصحَّةِ ثيابَ العافِيةِ، حتَّى يحصُلَ الخِصبُ والأمانُ لدِيارِ محبِّيهِ العافية.

أو يقولُ: ويهنئُ بالعافِيةِ التي شرحَتِ الصُّدور، وأهدَتِ السُّرور، وكفَّتِ المحذُور، فالحمْدُ للهِ الذِي أبقَى للإسلامِ سيفَهُ القاطِع، وحصنَهُ المانِع، ووهَبَ للأُمةِ جابِرَ كسِيرِها، وكافِلَ كَبيرِها وصغِيرِها، وباسِطَ ظلِّها، ومُؤمِّنَ سبُلِها، فالحمدُ للهِ الذِي جمَّلَ الزَّمانَ بما فيهِ مِنَ المناقِب، وجعَلَ عاقِبتَهُ مِن أحمَدِ العَواقب، فاللهُ تَعالى يديمُ نعمَتَهُ، ويكمِلُ عافِيتَهُ، ويجعَلُ الصحَّةَ لهُ شِعَاراً، والسَّلامةَ لهُ دِثاراً آمِينَ.

---

(١) من قوله: «ألم ألم بمهجتي...» إلى هنا من هامش (ر).

مما يكتَبُ بهِ إلى مريضٍ: ويهنئُ المملُوكُ إلى مَولانا بعدَ رفْعِ أدعِيتِه، ووصْفِ أشواقِهِ الكَريمةِ لمشاهَدتِه، ما عندَهُ منَ الألمِ لتوجُّعِهِ وشِكايتِه، أقرَّ اللهُ العُيونَ بعَافيَته، وجعَلَ الصحَّةَ لهُ شِعاراً، والسَّعادةَ لهُ دِثاراً، ولو كانَ يدخُلُ تحْتَ الإمْكان نقْلُ الألمِ مِن إنسَانٍ إلى إنسَان، لاحتَملْتُ ما يجدُ مِن الأذَى، ونقلْتُ عنهُ ما يجِدُ منَ الشَّكوى، فاللهُ تَعَالى يعوِّضُهُ العافيَةَ منَ الألم، والبُرءَ منَ السقَم، ويقرُّ عَينَ محبِّيه، ويكمِدُ قُلوبَ أعادِيه، ويكفِيهِ المحذُور، ويسرُّ بعافِيتِهِ أبهَجَ السُّرور(١).

تهنئةُ مُسافرٍ: ويهنِّئُ بقُدومِ المولَى مِن سفرِهِ المسفِرِ عنِ السَّعادةِ والإقبَال، المبشِّرِ ببلُوغِ المقاصِدِ والآمال، وحلُولهِ ببلَدِهِ السَّعيدِ سالِماً، ووصُولِهِ إلى مَنزلِهِ المبارَكِ غانِماً، فالحمْدُ للهِ الذِي أقرَّ بسلامَتِهِ عيونَ أوليائه، وكسَرَ بسارِّ عَودتِهِ قلوبَ أعْدائه، وجمَعَ شملَهُ بالأهلِ والأصْحاب، بعدَ بلُوغِ الأمَاني والآراب.

أو يقولُ: ويهنِّئُ بقُدومِهِ سالماً ووصُولِهِ غانِماً، فالحمْدُ للهِ عَلَى عَودِ ركابِهِ وقُربِ إيابِه، وعَلَى جمْعِ شملِهِ ووصْلِ حبلِه، فاللهُ يجعَلُ السَّعادَةَ حَليفَ جَنابِه، والسَّلامةَ سائرةً تحْتَ رِكابِه، وأَقرَّ بذلِكَ أعْينَ أصحَابِهِ وأحبَابه.

ويزِيدُ للحاجِّ: فبشْراهُ بحِجَّةِ الإسلام، وأداءِ مناسِكِها عَلَى التَّمام، وهَنِيئاً لهُ بما اختُصَّ بهِ مِن مُشاهدَةِ المشاهِدِ الشَّريفَة، والوقوفِ بتلْكَ المواقِفِ المنِيفَة، فاللهُ يجعَلُهُ حجّاً مَبرُوراً، وسَعْياً مَشكُوراً، وذَنباً مَغْفُوراً.

تهنئةٌ بقدومٍ من سفرٍ: وينهي المملُوكُ بعدَ رفْعِ أدعِيتِه، واستِمرارِ شوقِهِ إلى المولى وشريفِ رُؤيته، وما حصَلَ لهُ منَ السُّرورِ بقُدومِهِ وسَلامتِه، فالحمْدُ للهِ الذِي منَّ عَليهِ بالسَّلامة، وظفَّرهُ بأوفَى العزِّ والكرامَة، وكانَ المملُوكُ يوَدُّ أنْ لو كانَ عِوَض

---

(١) من قوله: «مما يكتب به إلى مريض...» إلى هنا من هامش (ر).

عُبودِيتَه، ليتَملَّى منَ المولَى بشريفِ مُشاهدَته، ويحظَى بتقْبيلِ راحتِه، لكِنْ حصَلَ لهُ عَنْ ذلِكَ عَوائقُ جمَّة، والأيامُ لا ترقُبُ في أسِيرِها إلًّا ولا ذمَّة، فلا زالَ محلُّ المولَى مَأنُوساً، وجَنابُهُ منَ اللهِ تَعالى محرُوساً، ولا زالَ السعدُ لهُ مَعِيناً، والقَدرُ لهُ مُعِيناً:

قَدِمْتَ قُدُوْمَ البَدْرِ بَيْتَ سُعُوْدِهِ وأمْرُكَ عَالٍ صَاعِدٌ كصُعُوْدِهِ
لبِسْتَ سَنَاهُ واعْتَلَيْتَ عُلُوَّهُ ونَأمُلُ أنْ تَحْظَى بِمِثْلِ خُلُوْدِهِ[1]

تهنئَةٌ بالهِلالِ[2]: ويهنِّئُ بهذا الهلالِ السَّعيد، والشهْرِ المبارَكِ الجديد، عرَّفَ اللهُ المولَى بركَةَ إقبالِه، وسعادَةَ إهلالِه، ولا برِحَ يَستقبِلُ أمثالَهُ بالِغاً آمالَهُ ما دامَتِ اللَّيالي والأيام، واتَّصلَتِ الشُّهورُ والأعوام.

تهنئةٌ بشهْرِ رمضَانَ: عرَّفَ اللهُ مَولانا بركةَ هذا الشَّهرِ الشَّريفِ الميمُونِ صيامُه، المشرِقةِ بالسُّرورِ لياليهِ وأيَّامُه، وأهلَّهُ عَليهِ باليُمنِ والإقْبال، ونيلِ الأمَاني والآمَال، وقابَلَ بالقَبولِ صِيامَه، وبالفَوزِ قِيامَه، ومنحَهُ مِنَ الخَيراتِ أتمَّها، ومِنَ البركَاتِ أعمَّها، وخصَّهُ فيهِ بالأمْنِ والسَّعادة، وأجرَى فيهِ أُمورَهُ عَلى أجمَلِ عادَة، وأثابَهُ عَنْ سعيِهِ النَّضرَةَ والنَّعيم، وعَن ظمئهِ[3] الرَّحيقَ والتَّسنيم، وأكمَلَ عَليهِ سُعودَهُ بإكمالِه، ومحَقَ حَسودَهُ محقَ هِلالِه، وأحياهُ لأمثالِهِ أطولَ الأعمَار، وصرَفَ عَنْ جَنابِهِ صُروفَ الأقْدار.

تهنئةٌ برمَضانَ:

نلتَ في ذا الصِيامِ ما ترتجِيهِ ووقَاكَ الإلهُ ما تتَّقيهِ

---

(١) من قوله: «تهنئة بقدوم من سفر...» إلى هنا من هامش (ر).

(٢) في (ر): «تهنئة بشهر».

(٣) في (ر): «ظهاره».

أنْتَ فـي النَّاسِ مِثْلَ شَـهْرِكَ في الأشـ ـهُـرِ بَـلْ مِـثْـلَ لَـيْـلَـةِ القَـدْرِ فيْهِ

يقبِّلُ الأرضَ ويهنِّـئُ بهذا الشَّـهرِ العَظيـمِ قدرُه، الشَّـريفِ ذكـرُه، ضاعفَ اللهُ عَلـى المولَـى بركَتَـه، وأجـزَلَ فيهِ صِلتَـه، وقابَـلَ بالقَبولِ صِيامَـه، وبعَظيـمِ المثوبَةِ تهجُّـدَهُ وقِيامَـه، ولا بـرِحَ يَسـتقبِلُ أمثالَـه، ويتلَقَّـى أشـكالَه، فـي عزٍّ يضـرِبُ عَلَى الجَـوزاءِ خِيامَه، وسـعدٍ لا تَنقَضِـي ليالِيـهِ وأيَّامُه[1].

تهنئةٌ بعيدٍ:

فتَهَـنَّ عِيْـداً دَامَ نَحْـوَكَ عَائِداً وعَلَيْـهِ مِنْـكَ جَلالَـةٌ وقَبُـوْلُ

وبَقِيْـتَ يَـا مَـوْلايَ إلْفَـاً بَـعْـدَهُ وجَـنَابُكَ المَأهُـوْلُ والمَأمُـوْلُ[2]

ويُنهِي ويهَنِّئُ المولَى بهذا العيدِ السَّعيدِ الذِي زادَتهُ[3] أيَّامُهُ نَضارةً وحُسناً، وكسَتهُ سَعادَتُهُ بركَةً ويُمناً، فالأعيادُ والأيَّام، والمواسِمُ والأعْوام، وكلُّ مَن في الدُّنيا منَ الأنام، مُهنَّونَ بما أمدَّ اللهُ عليهِمْ مِن ظلِّهِ الظَّليل، ومَنَحهُمْ مِن إحسانِهِ الجزيل، فاللهُ يُهنِّي بطُولِ بقاءِ المولَى العباد، ويحلِّي بمحاسِنِ أيَّامِهِ الأعياد، ويُديرُ بسعَادتِهِ نجومَ السَّماءِ وأفلاكَها، ويقُودُ إلى طاعتِهِ جَبابرةَ الدُّولِ وأملاكَها، وضاعَفَ لديهِ إقبالَه، وبلَّغهُ في ظلِّ السَّعادةِ أمثالَه، ولا زالَ يقطَعُ دَهراً[4] سعِيداً، ويودِّعُ عِيداً ويَستقبِلُ عِيداً.

أو يقـولُ: أعظَـمُ الأعيـادِ بركةً ونـوالاً، وأكمَلُها سَـعداً وإقبـالاً، وأكثَرُها بهجةً وسُـرُوراً، وأوفَرُهـا غِبطـةً وحُبُـوراً، عَلَـى مَولانـا فـلانٍ لا زالَـتْ تهنَّـأُ بـهِ الأعيـادُ

(١) من قوله: «تهنئة برمضان...» إلى هنا من هامش (ر).

(٢) البيتان من هامش (ر).

(٣) في (ر): «زاده».

(٤) في (ر): «زاهراً».

والمواسِـم، نافِـذَ الأمـرِ ماضِـيَ المراسِـم[١]، وأسـعَدَ سُـبحانَهُ بـهِ الأعيـادَ، ووالَـى إقبَالَهـا، وضاعَـفَ بهْجَتَهـا وجَمَالَها.

شعرٌ:

فهـي[٢] أَوْلَـى بالهَنَـاءِ بِهِ ... دَائِـمـاً واللهِ مِنْـه بِهـا
إذْ حَـوَتْ فَخْـراً بِـهِ وسَناً ... وجَـمَـالاً فَـائِـقاً وبَهـا

فاللهُ تَعَالى يُهنئهُ بهذا العِيدِ السَّعيد، ويمدُّهُ مِن فضلِه المزيد، وبالعُمرِ الطَّويلِ المديد، حتَّى يبلُغَ أمثالَ[٣] عدّه، ويكبِتَ بذلِكَ حاسِدَهُ وضِدَّه.

تهنئةٌ بعامٍ جَديدٍ: أبرَكُ السِّنينِ وأحمَدُها، وأيمَنُها طالِعَاً وأسعَدُها، عَلَى مَولانا إهلالَ هذِهِ السنَةِ الجدِيدَة، المباركَةِ الحمِيدَة، التِي أقبلَتْ بجوامِعِ الخَيراتِ والإقْبال، وبشَّرَتْ ببُلوغِ المقاصِدِ والآمَال، فاللهُ سُبحانَهُ يُولي مولانَا أعظَمَ بركاتِها، ويمنحُهُ مِن سائرِ خَيراتِها، ويمدُّهُ بالعُمُرِ المدِيد، والعزِّ المزِيد، والعَيشِ الرَّغيد، والنَّصرِ والتَّأييد، والسعْدِ الجدِيد، حتَّى يَهْنَأَ في كلِّ عامٍ جدِيد، بإقبالِ كلِّ شهرٍ وعيد.

أو يقولُ: ويُنهِي ويهنِّئُ بهذا العامِ الجَديد، والحولِ السَّعيد، المقبِلِ بترادُفِ الإفْضَالِ[٤] والسَّعد، وتضاعُفِ الإقبَالِ[٥] والمجد، فاللهُ تَعَالى يجعَلهُ أيمَنَ الأعْوامِ عَليه، وأسعَدَها في تَوالي النِّعمِ لدَيه، ولا زالَ يغمُرُ الأمَّةَ فَضْلاً وإنعَاماً، ويودِّعُ عَاماً ويستَقبِلُ عَاماً، ما سطعَتِ الأهلَّةُ بتَلاليها، ولمعَتْ شُموسُ السَّعادةِ بتجَلِّيها.

---

(١) في (ر): «المواسم».

(٢) في (ع): «فهو».

(٣) في (ع): «أمثاله».

(٤) في (ر): «الإقبال».

(٥) في (ر): «الإفضال».

البابُ التاسِعُ

في التَّعزيةِ

وهيَ التَّسليةُ والحثُّ عَلى الصَّبرِ بوعْدِ الأجرِ، والدُّعاءُ للمَيتِ والمصابِ، قالَ الإمامُ أحمَدُ: ومَن جاءَتهُ تعزِيةٌ بكتَابٍ ردَّها عَلَى الرَّسُولِ لَفظاً.

وروَى الترمذِيُّ وابنُ ماجَه عَنِ ابنِ مَسعودٍ عنِ النبيِّ ﷺ: «مَن عزَّى مُصاباً فلَهُ مِثلُ أجرِهِ»(١).

وروَى الطَّبرانيُّ عَنِ النبيِّ ﷺ: «مَن عزَّى مُصاباً كسَاهُ اللهُ حُلَّتينِ مِن حُللِ الجنَّةِ لا تقُومُ لهمُ الدُّنيا»(٢).

ومَـا هَــذِهِ الأيَّــامُ إلَّا مَرَاحِــلٌ ... يَحُـثُّ بهـا حَـادٍ مِـنَ المَـوْتِ قَاصِدُ
وأعْجَـبُ شَـيْءٍ لَـو تَأمَّلْـتَ أنَّهـا ... مَنَـازِلُ تُطْـوَى والمسَـافِرُ قَاعِـدُ

ويُنهِي المحبُّ بعدَ رقْمِ سطورٍ والعبَراتُ تُغرِقُها والزَّفراتُ تُحرِقُها، أنهُ قدْ ورَدَ النَّبأُ الذِي أطالَ كربَهُ وأطارَ قلبَه، وأدامَ تَفجُّعَهُ وضاعَفَ ألَمَهُ وتوجُّعه، إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجِعون، ما شاءَ اللهُ كانَ وما لمْ يشَأ لا يكُون، تَسليماً لمَنْ لهُ الخَلقُ والأمر، وصَبراً عَلى هذا المصابِ الذِي أورَثَ في القلْبِ تَزايدَ الجمْر، فلقَدْ قرَّحَ هذا المُصابُ الجُفون، وأسالَ عُيونَ العُيون، ومَولانا حفِظَهُ اللهُ أَولى مَن يتلَقَّى أمرَ اللهِ

---

(١) رواه الترمذي (١٠٧٣)، وابن ماجه (١٦٠٢). قال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ لا نَعْرِفُه مرفوعًا إلا من حديث عليِّ بن عاصمٍ، ورَوَى بعضُهم عن محمدِ بن سُوقَةَ بهذا الإسناد مثله موقوفًا ولم يَرْفعْه، ويقالُ: أكثرُ ما ابْتُلِي به عليُّ بن عاصمٍ بهذا الحديث نَقَموا عليه.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٢٩٢) من حديث جابر رضي الله عنه. وفي إسناده إسماعيل بن إبراهيم راويه عن جابر، وهو مجهول كما قال الحافظ في «الأمالي المطلقة» (ص١١٢).

بالتَّسلِيم، ويلقَى الخطُوبَ[1] الصادعَةَ بقلْبٍ سلِيم، وهوَ أدْرى بأنَّ هذِهِ الدَّارَ ليْسَتْ بدارِ القَرار، وأنَّ مفقُودَهُ نزَلَ في جِوارِ الكَريمِ وشتَّانَ بينَ ذلِكَ الجِوارِ وهذا الجِوار، ولولا أنَّ التَّعزيةَ سنَّةٌ مَشرُوعة، وطَريقةٌ في السلَفِ مَتبوعة، لما أورَدْنا عَلَى جَنابهِ هذِهِ المقالَة، ولا ابتَدَيْنَا لهُ مِنها بهذِهِ[2] الحالَةِ، إذْ هوَ بكلٍّ[3] ذلِكَ أدْرَى، وبمعْرِفتِهِ أوْلى وأحرَى، فلله الخَلقُ والأمر، وليسَ إلا الصبرُ والأجر، هذا والموتُ مَنهلٌ لا بدَّ مِن ورودِه، ومحضَرٌ لا بدَّ مِن شُهودِه، ورسُولٌ[4] لا بدَّ منه، وأمرٌ لا محيْصَ عنه، وما ماتَ أحدٌ قبلَ أجَلِهِ الذِي قُدِّرَ لَه، ولا تقدَّمَ عنهُ ولا تأخَّرَ بوزنِ خَردلة، فاللهُ تَعالى لا يسمِعُ المولَى بعدَها إلا التَّهانيَ وبلُوغَ الأمَاني، ويعظِمُ أجرَهُ ويَجبرُ مصابَه، ويُلهِمُهُ الصَّبرَ عَلَى ما أصابَه، ويحمِيهِ بعدَها مِن طُروقِ المحَن وخطُوبِ الزَّمن[5].

تعزيةٌ بابنٍ:

ولَـمْ تَـرَ عَيْنِـي كالصِّغَـارِ مُصَابَهُمْ ... يُقَلِّـبُ أكْبَـادَ الكِبَـارِ عَلَـى الجَمْـرِ
فَـلا تَبْـكِ مَفْقُـوْداً إلـى رَبِّـهِ مَضَى ... سَعِيْـداً بـلا إثْـمٍ عَلَيْـهِ ولا[6] وِزْرِ
فإنَّـكَ رَأسُ المَـالِ مَـا دُمْـتَ بَاقِياً ... وعُوِّضْـتَ مِنْـهُ بالمَثُوبَـةِ والأَجْـرِ

---

(١) «الخطوب» ليست في (ر).

(٢) في (ر): «هذه».

(٣) في (ع): «بكل في».

(٤) في (ع): «ورسولا».

(٥) في هامش (ر): «تعزيةٌ لبديعِ الزَّمانِ الهمَدانيِّ: الموتُ خطْبٌ قدْ عَظُم حتَّى هانَ، ومسٌّ قدْ خشُنَ حتَّى لاَن، والدُّنيا قدْ تنكَّرَتْ حتَّى صارَ الموتُ أخفَّ خُطُوبِها، وجنَتْ حتَّى صارَ أصغرَ ذنُوبِها، فانظُرْ يَمنَةً هَل تنظُرُ إلا محنَة، وانظُرْ يَسرةً هَلْ ترَى إلا الحسرَةَ».

(٦) في (ع): «بلا».

غيرُهُ:

سَلِّمْ لأَحْكَامِ القَضَاءِ فمَا يُجْدِي الفَتَى جَزَعٌ ولا أَسَفُ
واصْبِرْ فإنَّ الصَّبْرَ يَعْقُبُهُ أَبَدَ الزَّمَانِ الأَجْرُ والخَلَفُ

ويُنهِي أنَّها سطِّرتْ عن كبِدٍ حَرَّى، وفؤادٍ يتنفَّسُ الصُّعداءَ تترَى، وأجفانٍ قريحَة، وعُيونٍ بالدُّموعِ غيرِ شَحيحة[١]، وغيرُ خافٍ على عِلمِ المولَى أنَّ الأولادَ ـ وإنْ كانُوا أعزَّ الأشياءِ عَلى الإنسَانِ في كلِّ مكانٍ وزمَانٍ ـ إنما هُمْ هِباتٌ تُستَرَدُّ وتُستَرجَع، وعَطايا تُسلَبُ وتُنتَزَع، وحَسناتٌ تُدَّخَرُ للوالِدَينِ ودرَجاتٌ تُرفَع، وحيثُ كانَ كذلِكَ فسَبيلُ العاقِلِ المتصوِّر، واللَّبيبِ المتدبِّر، أنْ يُبادِرَ عِندَ نُزولِ القضَا إلى التَّسليمِ والرِّضا، عَلى أنَّ الموتَ حتمٌ عَلَى الكَبيرِ والصَّغير، ومَآلُ كلِّ جَليلٍ وحقِير، وإذا سُلِّمَ الأصلُ فالفَرعُ فائتٌ مُستَدرَك، وغايةٌ في البرِّ حِينَ يُدرَك، فالشَّجرةُ الكَريمَةُ ما دامَتْ ثابتةَ الأصُولِ فهِيَ تخرِجُ كلَّ حِينٍ زَهراً جَدِيداً، وتحمِلُ كلَّ وقتٍ ثمَراً نضِيداً، وبقَاءُ مَولانا أجلُّ المواهِب، في سَلامتِهِ عِوضٌ مِن كلِّ ذاهب، وإذا قاسَ النَّاسُ بينَ ما سَلَبَ الدَّهرُ وبينَ ما وهَب، وميَّزُوا بينَ مَن بقِيَ ومَن ذهَب، علِمُوا أنَّ اللهَ تَعَالى قدْ أبقَى لهُمُ الجانبَ الأمنَع، والجَنابَ الأرفَع، والملاذَ الذِي يَلجَأُ إليهِ الإسْلام، والكهفَ الذِي يعيشُ بظلِّهِ الأنام، والشَّمسَ[٢] التي تُشرِقُ بنورِها الأيَّامُ[٣].

---

(١) من قوله: «وينهي أنها سطرت..» إلى هنا من (ع).

(٢) في (ر): «والثمرة» وعلى الهامش «والشمس».

(٣) بعدها في (ر): «أو يقولُ: ويُنهِي أنَّها سطِّرتْ ـ إلى ـ غيرِ شَحيحةٍ». وقد تقدمت من (ع) في بداية الفقرة.

تعزيةٌ أُخرَى[١]: أمَّا بعدُ؛ فقَدْ بلَغَ المملُوكَ ما أسهَرَ[٢] جُفونَهُ وأجرَى عُيونَه، وأحرَّ فؤادَهُ وشرَّدَ رُقادَه، وأطالَ أنِينَهُ وأكثَرَ حَنينَه، مِن موت عَلَّامةِ الأقران، ونادِرةِ الأوان، وأُعجوبَةِ الزَّمان، مَن كانَ كالبحْرِ لا تُكدِّرُهُ المسائلُ، ولا يُزحزِحُهُ عَنْ مَرتبَةِ الفضْلِ قولُ قائل، واللهُ يعلَمُ ما عِندَ المحِبِّ مِنَ الأسفِ والقَلق، وتجرُّعِ الغُصَصِ والحَرَق، للحادِثِ العَظيمِ والخطْبِ المؤلمِ الجَسيم، ولا ينفَعُ العبدَ إلا التَّسلِيمُ تَسلِيماً لقضائه، ورضاً ببلائه، وصَبراً عَلَى هَذا المصابِ الذِي يملأُ الفُؤادَ ارتِياعاً، وتطِيرُ لهُ القُلوبُ انصِداعاً.

فهذِهِ سبيلٌ درَجَ عَلَيها الأوَّلُ والآخِر، وقضيَّةٌ استَوَى فيها الضَّعيفُ والقادِر، لا يسلَمُ مِن ذلِكَ ملِكٌ نافِذُ الأمر، ولا فقِيرٌ خامِلُ القَدْر، ومآلُ الدُّنيا كلِّها إلى الزَّوال، ومقامُ كلِّ حيٍّ آيلٌ إلى الارتِحال، وانتِهاءُ عِمرانِها إلى الخَراب، ومَصيرُ عَزيزِها وذلِيلِها إلى التراب، وغيرُ خافٍ عَلَى المولَى أنَّ جِوارَ اللهِ خيرٌ مِن جوارِه، وأنَّ الدارَ الآخِرةَ خَيرٌ مِن دارِه.

عزَّى بعضُهمْ صدِيقَهُ بابنِهِ يُسلِّيهِ عنهُ فقالَ: اللهُ خيرٌ لهُ مِنك، وثَوابُهُ خَيرٌ لكَ مِنه، فاللهُ يهَبُ للمَولى صَبراً جَمِيلاً، ويُعوِّضهُ عَنهُ عِوَضاً جَزيلاً، ويُبْقِي جَنابهُ الكَريمَ محميَّاً منَ الشَّوائبِ وطُرُقِ النَّوائب، ويجعَلُ لهُ فيمَنْ خلَفَ تسليةً عمَّنْ سلَف، ويجعَلُ بقاءهُ مَدِيداً، ويزيدُ بعدَ هذِهِ الحادِثةِ كلَّ يومٍ سُروراً جَدِيداً.

كتَبَ بعضُهمْ إلى صدِيقهِ وقدْ ماتَ والدُهُ: قدْ أعانَ اللهُ عَلَى الرزِيَّةِ بحسْنِ البقيَّة، ما ماتَ مَن خلَّفك، ولا غابَ عَنْ أهلِهِ منِ استَخلفَك، فإنْ يكُ

---

(١) «تعزية أخرى» ليست من (ر).

(٢) في (ر): «أنهر».

بالأمسِ[١] مِنَ العُيونِ عُيونٌ عندَ حُدوثِ الحوادِث، فقَدْ قرَّتِ اليومَ الأعيُنُ عندَ انتِصابِ الوارِث.

تعزِيةٌ أُخرَى[٢]:

فوالله لَوْ أَسْطِيْعُ قَاسَمْتُهُ الرَّدَى ... فمِتْنَا جَمِيْعاً أو يُقَاسِمُنِي عُمْرِي

ولكِنَّهَا أرْوَاحُنَا مُلْكُ غَيْرِنَا ... فمَاليَ في نَفْسِي ولا فِيْهِ مِنْ أَمْرِي

ويُنهِي أنَّ المصائبَ تتفاوَتُ في المقدار، والحوادِثُ تختَلِفُ باختِلافِ الأقْدار، وعَلى قَدْرِ المشقَّةِ يكُونُ الثَّواب، ويُضاعَفُ ذلِكَ بحسْبِ المُصاب، وقَدْ بلَغَ المحِبَّ وفاةُ المرحُومِ وكثرَةُ قلَقِ المولَى لفقِدِه، وعَظيمُ حُزنِهِ مِن بعدِه، ولمْ يخْفَ عَن شريفِ علمِه ولطِيفِ فهمِه، أنَّ هَذَا أَمْرٌ مَصِيرُ الأَوَّلِينَ والآخِرِيْنَ إلَيْه، وشَرْعٌ[٣] لا بُدَّ لكُلِّ أحَدٍ مِنَ الوُرُوْد عَلَيْه، وبَابٌ يَلِجُهُ الدَّانِي والقَاصِي، وكَأسٌ يَشْرَبُها الطَّائِعُ والعَاصِي، وحيثُ كانَ كذلِكَ فأَولى ما اعتمَدَ عَليهِ اللَّبيبُ في جمِيعِ أُمورِه، ورجَعَ إليهِ الأرِيبُ في وُرودِهِ وصُدورِه، وتلبَّسَ بِهِ المُصابُ في آصالِهِ وبُكورِه، الرِّضا بقَضاءِ اللهِ ومَقدُورِه، والتسلِيمُ للقضَا، وتلقِّيهِ بالقَبولِ والرِّضا، والإذعَانُ لمقْدُورِهِ ومحتُومِه، والصبرُ عندَ نُزولِهِ ولُزومِه، فالعمُرُ وإنْ طالَ فمآلُهُ إلى الانصِرام، والشَّملُ وإنِ انتظَمَ فلا بدَّ أنْ تُفرقَهُ الأيام، وإذا كانَ كذلِكَ فالجزَعُ لا يَدفع، والقلَقُ لا ينفَع، هيهَاتَ أنْ يرُدَّ الحذَرُ ما سبَقَ بِهِ القدَر.

أو يقولُ: ولما سمِعَ المحِبُّ بهذا الخطْبِ خرَّ مَغشِياً، وتلا: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٣].

---

(١) في (ر): «من الأمس».

(٢) في (ر): «شعر».

(٣) في (ر): «ومشرع».

أو يقولُ:

شعرٌ[١]:

خَطْــبٌ أَتَــى مُسْــرِعَاً فــإِذَا ... أَصْبَــحَ قَلْبِــي بِــهِ جُــذَاذَاً

خَصَّــصَ قَلْبِــي وعَــمَّ غَيْــرِي ... يــا لَيْتَنِــي مِــتُّ قَبْــلَ هــذا

تعزِيةٌ بأُنْثَى: وحَبَّذا[٢] القبرُ صِهراً، والموتُ مَهراً، ومَوتُ البَناتِ مِنَ المكرُمات، وإنْ كنَّ عَرائسَ ومزوَّجات.

تَعَــزَّ إذا رُزِيْــتَ فخَيْــرُ دِرْعٍ ... تُــدُرِّعَ للنَّوائــبِ ثَــوْبُ صَبْــرِ

ولَــمْ أَرَ نِعْمَــةً شَــمَلَتْ كَرِيْمَــاً ... كعَــوْرَةِ مُسْــلِمٍ سُــتِرَتْ بقَبْــرِ

ويقولُ في تَعزيةٍ بزَوجةٍ:

ومَــا شَــمْسُ النَّهَــارِ وأَنْــتَ بَــدْرٌ ... بمُزْعِجَــةٍ إذا غَرَبَــتْ أُفُــولا

فصُــنْ بالصَّبــرِ قَلبَــكَ فهُــوَ سَــيفٌ ... قِــراعُ الهَــمِّ يمْلــؤهُ فُلُــولا

إذا رَضِــيَ الحُجُــوْرَ[٣] المــوْتُ قَسْماً ... فـمَـشكــورٌ[٤] إذا تَــرَكَ الـفُـحُولا

تسليةٌ لمنْ وقَعَ في نكبَةٍ: قدْ علِمَ اللهُ ما عندَ المحبِّ مما نزَلَ بمولانا منَ التَّقدير،

---

(١) «أو يقول شعر» من (ر).

(٢) في (ر): «حبذا».

(٣) قوله: (الحجور) كأنه كنى به عن النساء، وهو جمع الحِجْر ـ بالفتح والكسرِ ـ وهو حِضْنُ الإنسانِ، يُقَال: نَشَأَ فُلانٌ فِي حِجْرِه؛ أي: فِي حِفْظِه وسَتْرِه. ويُقَال: هو في حِجْرِ فلانٍ؛ أي: فِي كَنَفِه ومنعَتِه ومَنْعِه، كلُّه واحدٌ. انظر: «التاج» (مادة: حجر).

(٤) في (ر) و(ع): «فمكسور»، والصواب المثبت.

وهذِهِ سنَّةُ اللهِ في عِبادِهِ في هذِهِ الدَّارِ عَلى كلِّ جَليلٍ وحقِير، فإنَّ ما جرَى بهِ القدَرُ لا ينفَعُ منهُ الحذَر، وما كُتِبَ عَلى الجبينِ يُستَوفى ولو بعدَ حين، ومنِ ابتُلِيَ بالضيقِ والحرَجِ فالصَّبرُ مِفتاحُ الفَرج، وهذا أمرٌ في الحقيقَةِ غيرُ شنيع، ولا مُنكرٍ ولا فظيع، فقَدِ ابتُلِيَ بهِ ساداتُ الأُمةِ وقاداتُ الأئمَّة، فالجوهَرةُ جَوهرةٌ عُقدَتْ في التَّاج، أو وُضِعتْ في الازدِواج، أو كانَتْ في خزائنِ الملوك، أو وقعَتْ في يدِ الصُّعلوك، تنتَقِلُ بها الأحوالُ، ولا تَزدادُ إلا رفعةً وجلالاً[1].

وإنْ كانَ تخلَّصَ مِن حبسٍ قالَ: فالحمدُ للهِ الذي أظهَرَ نورَ الفضَائل، وأطلَعَ هِلالَ المجدِ الآفل، فاحتِباسُهُ إنما كانَ كاحتِباسِ الغَيثِ في غمامِه، واختِفاءِ الزَّهرِ في أكمامِه، ثُّم تخلَّصَ مِن تلكَ النُّوَبِ كما تخلَّصَ بعدَ السَّبكِ الذَّهب.

أو يقولُ[2]: وينهِي إنَّ للأيامِ دُوَلاً تَدُول، وأوقَاتاً تدُورُ وتحُول، فطَوراً للمرءِ وطَوراً عَليه، وتارةً تنصَرِفُ عنهُ وتارةً تنصَرِفُ إليه، فالحمدُ للهِ عَلَى سلامةِ مُهجتِهِ الكَريمة، وإنقاذِها مِن هذِهِ الشدَّةِ العَظيمة، ولكلِّ أجلٍ كِتابٌ مَسطور، ولا قُدرَةَ للخَليقَةِ عَلى مُغالبَةِ المقدُور.

***

---

(١) في (ر): «وجمال».

(٢) «أو يقول» من (ر).

البابُ العاشِرُ

في الشفَاعاتِ زكاة المُروءاتِ

في حَديثِ ابنِ عساكرَ عَنْ مُعاوية رضِيَ اللهُ عنهُ: «اشفَعُوا تُؤجَرُوا»[١].

ورَوَى الطَّبرانيُّ والبَيهقِيُّ أنهُ ﷺ قالَ: «أبلِغُوا حاجَةَ مَن لا يستَطِيعُ إبلاغَ حاجَتهِ، فإنهُ مَن أبلَغَ[٢] سُلطاناً حاجةَ مَن لا يستَطِيعُ إبلاغَها ثبَّتَ اللهُ قدَميهِ يومَ القِيامَةِ عَلى الصِّراطِ»[٣].

شعرٌ:

ذَوُو الحَوَائِجِ يأتُوْنِي لِعِلْمِهِمُ ... أَنِّي لَدَيْكَ مِنَ الأَتْبَاعِ والخَدَمِ

يَسْتَصْحِبُوْنَ كِتَابِي شَافِعَاً لَهُمُ ... لبُلُوْغِ مَطْلَبِهِمْ[٤] مِنْ مَعْدِنِ الكَرَمِ

إذا الشَّافعُ اسْتَوفَى لَكَ الخَيْرَ كلَّهُ ... وإنْ لَمْ ينَلْ نُجحَاً فقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ[٥]

والمستَفادُ مِن حضرَتهِ الشَّريفة، وسيرَتهِ اللَّطيفَة، أنَّ السعيدَ مَنِ احتِيجَ إليه،

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٥٧). ورواه أيضاً أبو داود (٥١٣٢)، والنسائي (٢٥٥٧)، ولفظه عندهم: عن معاويَةَ بن أبي سفيانَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إن الرَّجُلَ لَيَسْأَلُني الشَّيْءَ فَأَمْنَعُهُ حتى تَشْفَعُوا فيه فَتُؤْجَرُوا» وإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا». وله شاهد من حديث أبي موسى رضي الله رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (٢٦٢٧)، بلفظ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا جاءَهُ السَّائِلُ أو طُلِبَتْ إليهِ حاجةٌ قال: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، ويَقْضِي اللهُ عَلَى لسانِ نَبيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ».

(٢) في (ع): «بلغ».

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٥٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٤٣٠) من حديث علي رضي الله عنه. وهو قطعة من حديث هند بن أبي هالة وعلي الطويل في وصف النبي ﷺ.

(٤) في (ر): «لنيل مطلبهم»، وعلى الهامش كتب: «حاجاتهم».

(٥) البيت من (ر).

وعوِّلَ في المُهمَّاتِ عليه، وأجرَى اللهُ الخيراتِ[1] عَلى يدَيه، وحبَّبَ الصالحَاتِ إلَيه، وأنَّ أفضَلَ الأعمالِ المبرُورَةِ جبرُ القُلوبِ المكسُورَة، وأنَّ اللهَ تَعَالى إذا شرَّفَ عَبْداً جعَلَ إلَيهِ حَوائجَ العِباد، وإذا أسعَدَ أحَداً مِن خَلْقِهِ زادَهُ صَبراً عَلَى خَلْقِهِ في الإصدارِ والإيراد، ومنِ اشتهَرَ مثلَكُمْ بالفضْلِ والإفضَال، امتدَّتْ إليهِ أيدِي الرِّجالِ وعُيونُ الآمال، والمسؤولُ مِن غايةِ السُّؤالِ[2] شمولُ حامِلِ رقِّ المحبَّةِ وطِرسِ المودَّةِ بنظرِكُمُ السَّعيد، وقولِكُمُ السَّديد، بإغاثةِ لهفَتِهِ وقضَاءِ حاجَته، وأملُ المملُوكِ منَ المالِكِ أنْ يحقِّقَ بإجابةِ سُؤالِهِ ظنَّه، ويقلِّدَ الشافعَ والمشفُوعَ أعظَمَ منَّه، عَلَى أنَّ في إحسانِ المولَى ما يغنِي قاصِدَ بابِهِ الكريمِ عَنْ تحمُّلِ شَفاعة، ولا يحوِجُهُ إلى تكلُّفِ وسِيلَةٍ ولا ضَراعة، لا زلْتَ في الأبوابِ السُّلطانيَّةِ مَعاذاً، وفي الأعتَابِ العُثمانيَّةِ مَلاذاً، مُؤدياً زكاةَ جاهِكَ للفُقرا، مغدِقاً بأفضَالِكَ عَلى سائرِ الوَرَى.

ويقولُ في مَن معَهُ تمسُّكٌ شرعِيٌّ: والمسؤُولُ بُروزُ الأمرِ الشَّريفِ بما يُؤيدُ صادِقَ الشَّكوَى، ويبطِلُ كاذِبَ الدَّعوَى، فإنَّ بيدِهِ حُجَجاً شرعيَّة، وتواقِيعَ مَرعيَّة، مُثبِتةً لحقِّهِ، شاهدَةً بِقِدَمِ ملكِهِ وسبقِه، ولسْنَا نلتَمِسُ بدلالَةِ المساطير، وشهَادةِ المناشِير، بلْ بعنايتِهِ المُغنيةِ عنِ الحجَج، وهمَّتهِ التي تأتي المكرُماتِ مِنْ أرفَعِ الدّرج، وكيفَ ما كانَ فصدَقاتُ المولَى واسِعة، وسيوفُ كرمِهِ للعدَمِ قاطِعة.

شفاعةٌ وتوصِيةٌ: وإنَّ حامِلَ رِقِّ المحبَّةِ وطِرسِ المودَّةِ فلانٌ ممَّنْ تحلَّى بِحليةِ أهلِ الكَمال، وتخلَّقَ بأخلاقِ الكُمَّلِ منَ الرِّجال، مُلازمٌ عَلَى الخيرِ والاشتِغال.

أو يقولُ: فإنهُ رجُلٌ مِنَ الصُّلحاءِ السالكِين، وأهلِ الوِلايةِ والدِّين، وهو لكُمْ مِن

---

(١) في (ع): «في الخيرات».

(٢) في (ر): «السؤل».

جملَةِ المريدِين، وهوَ حقِيقٌ بالنَّظرِ إليهِ بعَينِ العِنايةِ، وخَليقٌ بمعَاملتِهِ بمزيدِ الرِّعايةِ، لا سيَّما وهوَ مِن أكبرِ المحبِّينَ للفَقير، والمخلِصينَ في ودادِ العاجِزِ الحقِير، ومَن شمِلتُموهُ بالنَّظرِ فازَ ببلُوغِ الأماني والوطَر، وهوَ جدِيرٌ بالإعَانةِ عَلَى قضاءِ مَآربِهِ وبلُوغِ مَطالبِه، حقِيقٌ بالإسْعادِ والإسعَاف، خَليقٌ بأنْ يُسدَلَ عَليهِ سِجافُ الإتحَاف، أهلٌ للإنْعامِ عَليه، وإيصالِ المعرُوفِ إلَيه، ولكُمْ بذلِكَ مَزيدُ الأُجور، وأنواعُ الثَّناءِ والحُبورِ، والمولى لمْ يزَلْ يُسدِي المعرُوفَ لأهلِه، ويضَعُهُ في محلِّه:

وإذا الصَّنِيْعَـةُ صَادَفَـتْ أهْـلاً لهَـا ... دَلَّـتْ عَلَـى تَوْفِيْـقِ مُصْطَنِـعِ اليَـدِ

لا سيَّمَا مَن وجَدَ في سفَرِهِ نَصَباً، واتَّخذَ سبِيلَهُ في البحْرِ عَجَباً، وقدْ قصدَ الحُلولَ بساحَةِ المولى التِماساً لرِفدِه، ورجاءَ أنْ يعُودَ بكلِّ مَسرَّةٍ مِن عندِه، لا زالَ فضْلُ المَولى شامِلاً، وإحسَانُهُ واصِلاً، غيرَ محتَاجٍ تناوُلُ إحسَانِهِ للذَّرائعِ والوسَائل، أو لشفَاعةِ شافعٍ وسُؤلِ سائل.

توصيةٌ عَلَى فاضِلٍ: وإنَّ حامِلَ رقِّ المحبَّةِ وطِرسِ المودَّة، التي لم تَتغيرْ ببُعدِ الدَّارِ ونَأيِ المزار، ممَّنْ لهُ معَ المحِبِّ صُحبةٌ أكِيدَة، ومودَّةٌ وَديدَة، وهوَ معَ ذلِكَ مُتضلِّعٌ مِن مَعرفةِ[1] العُلومِ الدِّينيَّة، والفُنونِ الأدبيَّة، مُشتمِلٌ عَلَى فهمٍ قادِحٍ وعقلٍ راجِحٍ، ومودَّةٍ كامِلةٍ وفتوةٍ شَاملة، وبيتٍ طاهرٍ ونسبٍ فاخر، وعندَ النظرِ إليهِ يلوحُ شاهِدُ ذلِكَ عَليه، وليسَ الخبرُ كالعِيان، وستقرُّ بِهِ عندَ الرُّؤيةِ العَينان، والمأمُولُ مِنَ المولى كما هو المعروفُ مِن لطيفِ إنعامِهِ وشريفِ اهتمَامِهِ أنْ يحسِّنَ مَلقاه، ويكرِمَ مَثواه، ويُبالِغَ في تعظِيمِهِ بإجلالِه، ويحترِمَه احترامَ أمثالِه، ويرعاهُ حقَّ رعايتِه، ويلحظَهُ بعَينِ عِنايتِه، ويتودَّدَ إليهِ باصْطِناعِ الإحسَان، ويبذُلَ في حقِّهِ غايةَ الإمْكان،

---

(١) «معرفة» ليست من (ر).

فإنه إذا[١] فعَلَ ذلِكَ وضَعَ الأشياءَ في محلِّها، وهوَ ممَّنْ كانُوا أحقَّ بها ومِن أهلِها، وما أسداهُ سيِّدُنا إليهِ فهُوَ واصِلٌ إليّ، ومحسُوبٌ في الجَزاءِ عليّ.

أو يقولُ: وما زالَتْ مُلوكُ الإسْلامِ وعُظَماءُ الأنام، يحتَفِلُونَ بأمرِ الفُقراءِ أتمَّ احتِفال، ويسعَونَ في مصالحِهِمْ سعيَ الأبِ الشَّفوقِ في مصالحِ الأطْفال، ويكرِمُونَ مَن قدِمَ إليهِمْ وافِداً، ويهتَمُّونَ بقضَاءِ حوائجِ مَن جاءهُمْ قاصِداً، ويَعدُّونَ ذلكَ فخْراً، ويخلِّدُونَ لهُمْ بهِ ذِكراً، ويمنَحُونَ العطَايا وآثارُ فضلِهِمْ مُبصَرة، ووجوهُ إحسَانِهِمْ ضَاحكَةٌ مُستبشِرة.

توصيةٌ عَلَى كبيرٍ: وإنَّ متحَمِّلَ هذِهِ الخدمَةِ إلى جنابِه، أعزُّ أصحابِ المملُوك وأحبَابِه، مِن أربابِ البُيوتِ الشَّريفةِ والعَناصِرِ المنيفَة، وقدْ كانَتْ لهُ نعمٌ جَسيمَةٌ وقُدرةٌ عَظيمة، وعَطَايا جَزيلةٌ وصَنائعُ جَليلة، فقعَدَ بهِ الوقتُ بعدَ القِيام، وأحالَ حالَ وجدِهِ إلى الإعدام، والموْلَى أوْلَى مَن جبرَ كسْرَ فاقتِه، وغمَرَ صِفْرَ راحتِه، واغتنَمَ صَالحَ دُعائه، ورغِبَ في حُسْنِ شُكرهِ وثنائه، هذَا والسَّعيدُ مَن أحبَّ الصَّالحاتِ وعمِلَ الحَسنات.

توصيةٌ باغتِفَارِ زلَّةٍ:

اعْطِفْ عَلَى المَمْلُوْكِ يا مَالِكِي وهَبْ لهُ الفَارِطَ مِن جُرْمِهِ
عَوَّدْتَهُ الإحْسَانَ فيْمَا مَضَى وقَصْدُهُ يجْرِي عَلَى رَسْمِهِ

والمعروفُ مِن شيَمِ المَولى أنهُ ممَّنِ ارتدَى بالحِلْمِ واتَّزَر، وعَفَا بعدَ أنْ قدَر، وجُبلَتْ طَبيعَتُهُ عَلَى الكرَم، واجتَمعَتْ[٢] فيهِ محاسِنُ الشِّيم، وصفَا

(١) في (ع): «فإذا».

(٢) في (ر): «فاجتمعت».

جوهَرُ قلبِهِ الشفَّافِ منَ الغشِّ والأكدار، وجلَّتْ صِفاتُهُ الجمِيلَةُ أنْ تتَّصفَ بها الأغيار، وتفرَّدَ بالأخْلاقِ الشَّريفة، واشتَمَلَ عَلى الشمائلِ اللَّطيفَة، ومِن شيمِهِ أنهُ يُولي المسيءَ إحسَاناً، والمذنِبَ غُفراناً، والخائِفَ أمَاناً، ومملوكُكُمْ فلانٌ قدْ تشفَّعَ بي إليكُمْ مُعترِفاً بذنبِه، تائباً إلى ربِّه، والأمَلُ فيكُمْ إجابةُ الشَّفاعة، وغُفرانُ ما مَضَى، وفتْحُ بابِ القَبولِ والرِّضا، واغتِفارُ الزَّلل، والإغضَاءُ عَنِ الخطَأِ والخَطَل.

استعطافٌ آخَرُ:

قِيلَ لي قَدْ أسَاءَ إلَيْكَ فُلانٌ ... ومَقَامُ الفتَى عَلَى الذُّلِّ عَارُ
قُلْتُ قَدْ جَاءَنَا وأحْدَثَ عُذْراً ... دِيَةُ الذَّنْبِ عِنْدَنا الاعْتِذَارُ

لا يخفَى عَلى المولَى لا زَالَ حِلمُهُ يؤمِّنُ الجاني، وكرمُهُ يَشمَلُ القاصِيَ والدَّاني، أنَّ أفضَلَ النَّاسِ مَن يعفُو عندَ الاقتِدار(١)، ويقابِلُ الذَّنبَ بالاغتِفار، ويبسُطُ للجَاني أوسَعَ الأعذار، وهذِهِ شيَمُ الكِرامِ المعهُودَة، وسجاياهُمُ المحمُودة، لا سيما وقدْ تشفَّعَ بي مُتبرِّئاً عمَّا عنهُ نُقِل، وما وسِعَ المحبَّ إلا إجابَةُ الشَّفاعةِ حِينَ سُئِل، والمسؤولُ مُعاملتُهُ بحسْنِ الإقبَالِ عَليه، ومعاودَةُ الإحسَانِ إليه، وحاشَا كرمُ المَولى أنْ يتغيَّرَ للنَّقلِ الفاسد، ويصدِّقَ خبرَ الواحِدِ بغَيرِ دليلٍ ولا شاهِد.

وإنْ كانَتْ هفوَةَ لسانٍ قالَ: والمملوكُ المعترِفُ لسيِّدِهِ هَفا هفْوَةً أوجَبها البَسط، إذ كانَتْ حيَّةُ اللِّسانِ ممتَنِعةَ الضَّبط، ولمْ يخطُرْ ببالِهِ أنَّها تؤثِّرُ في خاطرِهِ الشَّريف، ولا تغيِّرُ جَوهرَ قلبِهِ اللَّطيف، إلى أنْ شعَرَ بِهِ وعلِم، فتألَمَ لذلِكَ ونَدِم، وأخَذَ

---

(١) في (ر): «الاعتذار».

يعضُّ البنَان، ويستَعيذُ مِن عثَرَاتِ اللِّسان، ومِثلُ المَولى مَن يعفُو عنِ الهفَوات، ويُقيلُ العثَرات، والكَريمُ لمْ يزَلْ يتَجاوزُ ويصفَح، ويعفُو ويسمَح، ويقابِلُ الإساءَةَ بالإحسان، والذنْبَ بالغُفران، والمسؤولُ مِن غايةِ السُّولِ أنْ يلقَى العبدَ بوجْهِ الرِّضا والإقبال، ويرُدَّ ماضِيَ فعلِهِ إلى الاستِقبال.

استعطافٌ آخَرُ(١):

مِنْ شِيَمِ السَّادَاتِ أنْ يَصْفَحُوا	عَنِ المَمَالِيْكِ إذا أذْنَبُوا
وقَدْ جَنَى عَبْدُكَ فاصْفَحْ لَهُ	فإنَّهُ للعَفْوِ مُسْتَوجِبُ

مِن شيَمِ الكِرامِ جبرُ القُلوبِ، وإنالَةُ المطلُوب، وسَدُّ الخلَّات، واغتِفارُ الزَّلات، وإقالَةُ العثرات، والصَّفحُ عَنِ المذنِبِ الجاني، والعطْفُ علَى القاصِي والدَّاني، هَذا وقدْ توسَّلَ العبدُ عندَ سيِّدِهِ بمعرُوفِهِ المعرُوف، وتشفَّعَ بجودِهِ المألُوف، في حسنِ الإقبالِ عَليه، والنَّظرِ بعَينِ الرِّضا إليه، وحاشَا كرمَهُ أنْ يُؤاخِذَ العبدَ بما اقترَفَ، ويعاقِبهُ وقدِ اعترَف، وبالجُملةِ فقدْ تشفَّع بي في قَبولِ مَعذرتِه، وتلبيةِ دَعوتِه، والظنُّ في المولَى أنهُ لا يخَيبُ مَن قصدَه، ويبذُلُ الفضلَ لمَنِ استرفَدَه.

أو يقولُ: والمستَفَادُ مِن حضرَةِ المولَى أنَّ خيرَ الكِرامِ وأفضَلَ الأنام مَن إذا وعَدَ وفا، وإذا أوعَدَ عفَا، وإذا قدَرَ غفَرَ وصفَح، وإذا استُعطِفَ عطَفَ وسمَح، والمملوكُ قدِ اعترَفَ بما اقترَف، وقدْ قيلَ فيما سلَف: الاعترافُ يمحُو الاقتراف، والاعتذارُ يمحُو السيِّئات، والاستغفَارُ يكفِّرُ الخطيَّات، خُصوصاً ممَّنْ تأكَّدت محبَّته، وصحَّتْ بتحقِيقِ الإخْلاصِ مَودَّته.

---

(١) في (ر): «أو يقول شعر».

وسُـؤالُ العبـدِ منَ المراحِـمِ الكَريمـة، والعَواطـفِ الرَّحيمـة، أنْ يُجريَهُ عَلى ما عهِـدَهُ مِـن إحسـانِه القديـم، وأنْ يتعَاهدَهُ بما عـوَّدهُ مِن بـرِّهِ الجسِـيم، وأنْ يُقبِلَ عَليـهِ بوجهِـهِ الكَريـم، فإنـهُ عَليـهِ محسُـوبٌ، وإلـى جـودِهِ وكرمِـهِ مَنسـوبٌ، وإنَّ أفضَـلَ الأعمَـالِ المبـرُورَةِ جَبـرُ القُلـوبِ المكسُـورَة، وإنـهُ لثَنـاءِ المولَـى ناشِـرٌ، ولإحسَـانهِ شَـاكرٌ، ومَعلـومٌ أنَّ مَـن شـكَرَ اسـتحَقَّ المزِيد، وهـوَ مِن جُملَـةِ الخدَمِ والعَبيدِ.

* * *

البابُ الحادِي عَشَرَ

في الكُتُبِ المنفذَةِ معَ الهديَّةِ

في حديثِ أبي دَاودَ وأحمَدَ: «مَن شفِعَ لأخيهِ شَفاعةً، فأهدَى لهُ عَلَيها هديَّةً فقَبِلها، فقَدْ أتَى باباً عَظِيماً مِن أبوابِ الرِّبا»[١].

وعَن ابنِ مَسعودٍ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: السُّحتُ أنْ يطلُبَ الرجُلُ الحاجَةَ للرجُلِ فتُقضَى لهُ، فيُهدِي إلَيهِ هَديةً فيَقبَلُها[٢].

وقالَ الإمامُ أحمَدُ فيمَن وليَ شَيئاً مِن أمرِ السُّلطانِ: لا أُجِيزُ لهُ أنْ يَقبَلَ شَيئاً.

يروَى: «هَدَايا الأُمراءِ غُلولٌ»[٣].

وقالَ أصحابُنا: وإنْ أهْدَى لمَنْ يشفَعُ لهُ عندَ السُّلطانِ ونحوِهِ لمْ يجُزْ أخذُها لأنَّها كالأُجرةِ، والشَّفاعةُ مِن مَصالحِ العامَّةِ.

وقالَ الفضْلُ بنُ سهلٍ: ما أُرضِيَ الغضْبانُ، ولا استُعطِفَ السُّلطانُ، ولا سلِمَتِ السَّخائمُ، ولا دُفعَتِ المغارِمُ، ولا استُمِيلَ المحبُوبُ، ولا تُوقِّيَ المحذُورُ، بمثلِ الهدِيَّةِ.

ومِن أمثالِهِمْ: إذا قدمْتَ مِن سفَرٍ فأهدِ لأهلِكَ ولو حجَراً.

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٤١)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٢٢٥١)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. ورواه ابن الجوزي في «العلل» (١٢٥٩) وأعله بضعف اثنين من رواته. قلت: وهو مخالف لما في حديث ابن عمر رضي الله عنه: «من آتى إليكم معروفاً فكافئوه» رواه أحمد (٥٣٦٥)، وأبو داود (٥١٠٩)، وإسناده صحيح.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٠٨٦٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٦٠١)، من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

وقالَ الجاحِظُ: ما استُعطفَ السُّلطان، ولا استُرضِيَ الغَضبان، ولا استُكفِيَ الجائر، ولا استُميلَ الهاجِر، ولا استُدفعَتِ المغارِم، ولا حُصِّلَتِ المغانم، بمثلِ الهديةِ.

وقالُوا: في نشْرِ المهاداةِ طَيُّ المعَاداةِ.

وقالَ ضِياءُ الدينِ ابنُ الأثيرِ في رسالةٍ يذكُرُ فيها الهديةَ: الهديةُ رسُولٌ يخاطِبُ عَنْ مُرسلِهِ، ويدخُلُ عَلى القُلوبِ مِن غيرِ استئذانٍ، وبهديَّةِ المرءِ يُستدَلُّ عَلى عقلِهِ، كما حُكِي أنَّ رجُلاً أهدَى إلى قَتادةَ نَعلاً رقيقَةً فجعَلَ يُقلِّبُها بيدِهِ ويقولُ: يُعرَفُ قَدْرُ الرجلِ في سُخْفِ هديَّتِهِ، اللَّهمَّ إلا أنْ يُهْدَى شيءٌ سخِيفٌ حقيرٌ فيَصيرَ بالاعتِذارِ عَنهُ شَريفاً خَطِيراً، كما فَعلَ أبو العَتاهيةِ فإنهُ أهدَى إلى الفضْلِ بنِ ربيعٍ نعلاً وكتَبَ مَعها:

نَعْلاً بَعَثْتُ بها لتَلْبَسَها ... قَدَمٌ بها تَسْعَى إلى المَجْدِ
لَوْ كَانَ يَحْسُن أنْ أُشَرِّكَها ... جِلْدِي جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَدِّي[1]

في الحَديثِ: «تهادَوا تحابُّوا»[2].

وتُذهِبُ الشَّحناءَ، وقالَ ﷺ: «تهادَوا فإنَّ الهديَّةَ تُذهِبُ ما في الصُّدورِ»[3].

---

(١) انظر: «المثل السائر» لأبي الفتح ضياء الدين ابن الأثير (١/ ٣٢٦)، و«غرر الخصائص الواضحة» لأبي إسحاق برهان الدين المعروف بالوطواط (ص٥٦٦)، والكلام منه.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦١٤٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٢٥٠)، والترمذي (٢١٣٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقالَتْ عائشَةُ رضِيَ اللهُ عَنها: اللطفَةُ [عطفة] تزرَعُ في القَلبِ المحبَّةَ والأُلفةَ[١].

وفي الأثرِ: الهديةُ تجلِبُ المودَّةَ إلى القلْبِ والسَّمعِ والبَصَر.

شاعر:

إنَّ الـهـدَيَّـة حُـلْـوَةٌ ... كالسِّحرِ تَجتلِبُ القُلُوبا

تُدْنِـي البَغِيضَ مِـنَ الوَرَى ... حتَّـى تُصيِّـره حَـبِيْبا

وتُعِيْـدُ مُضطغَـنَ العَـدا ... وَةِ فـي تَـباعُدِهِ قَريبـا

آخرُ:

مَـا مِـنْ صَدِيْـقٍ وإنْ تَمَّـتْ صَدَاقَـتُـهُ ... يَوْمَاً بأنْجَـحَ فـي الحَاجَاتِ مِـنْ طَبَقِ

إذا تَلَـثَّمَ بـالمِـنْدِيْـلِ مُـنْطَـلِقَـاً ... لمْ يخْـشَ سَـطْوَة بَـوَّاب ولا غَلَـقِ[٢]

قالَ أبو العتَاهِيةِ:

هَدَايَـا النَّـاسِ بَعْضِهِـمُ لبَعْـضٍ ... تُوَلِّـدُ فـي قُلُوبِهِـمُ الوِصَـالا

وتَـزْرَعُ فـي الفـؤاد هَـوىً ووِدَّاً ... وتَكْسُـوْهُمْ إذا حَضَـرُوا جَمَـالاً

وقالَ أحمدُ بنُ يوسُفَ للمَأمونِ:

عَلَـى العبْـدِ حَـقٌّ وهـوَ لا بُـدَّ فَاعِلُـه ... وإنْ عَظُـمَ المَوْلَـى وَجَلَّـتْ فَوَاضِلُه

أَلَـمْ تَرَنَـا نُهْـدِي إلَـى اللهِ مَـا لَـهُ ... وإنْ كَانَ عَنْـهُ ذا غِنَـىً فهُـوَ قَابِلُـه

---

(١) انظر: «ربيع الأبرار» للزمخشري (٥/ ٣١٦)، و«غرر الخصائص الواضحة» لأبي إسحاق برهان الدين المعروف بالوطواط (ص٥٦٦)، وما بين معكوفتين منهما.

(٢) من قوله: «ومن أمثالهم...» إلى هنا من هامش (ر). وهو منقول بحرفه من «غرر الخصائص الواضحة» لأبي إسحاق الوطواط (ص٥٦٦ ـ ٥٦٧).

شعرٌ:

إنَّ الهَدَايَـا وإنْ جَلَّـتْ نَفَائِسُـهَا … إذا قُرِنَـتْ بهَـا نَعْمَـاكَ تُحْتَقَـرُ

لكِـنَّ مَعْرُوْفَـكَ المَعْـرُوْفَ يَحْمِلُنِي … فيْمَـا حَمَلْـتَ وللتَّقْصِيْـرِ يَغْتَفِـرُ

غيرُهُ:

لَـوْ أنَّ كُلَّ يَسِـيرٍ رُدَّ مُحْتَقَـرَاً … لـمْ يَقْبَـلِ اللهُ يَوْمَـاً للـوَرَى عَمَـلا

فالمَـرْءُ يُهْـدِي عَلَـى مِقْـدَارِ قِيْمَتِـهِ … والنَّمْـلُ يُعْذَرُ في القَـدْرِ الَّذِي حَمَلا

غيرُهُ[1]:

مَمْلُـوْكُ فَضْلِـكَ قَـدْ أَتَـى بهَدِيَّـةٍ … وسُـؤالُهُ مَـوْلايَ مِنْـكَ قَبُولُهَـا

فأَنِلْـهُ مـا يَرْجُـو فإنَّـكَ لـمْ تَـزَلْ … تُوْلِـي الأمَانِـي دائِمَـاً وتُنِيْلُهَـا

ابنُ التَّعاويذي[2]:

هَدِيَّـةُ المَـرْءِ تُنْبِـي عَـنْ مُرُوَّتِـهِ … وعَـنْ حَقَـارَةِ مُهْدِيْهَـا وخِسَّـتِهِ

ومَـا تَحُـطُّ مِـنَ المُهْـدَى إلَيْـهِ إذا … كَـانَتْ مُحَقَّـرَةً عَـنْ قَـدْرِ رُتْبَتِـهِ

فاغْفِـرْ جَرِيمَـةَ مَـنْ خَسَّـتْ هَدِيَّتُهُ … وتِـلْكَ مِنْـهُ عَلَـى مِقْـدَارِ هِمَّتِـهِ

وأهْدَى شَمْسُ المعَالي قَابوسُ بنُ دَسكَرَ لعَضُدِ الدَّولة تسعَةَ أقلامٍ وكَتب معها:

قَـدْ بَعَثْنَـا إلَيْـكَ تِسْعَـةَ أقْلامٍ … لَـها فـي البَهَـاءِ حـظٌّ عَظِيْـمُ

---

(١) في (ر): «وأيضاً».

(٢) محمد بن عبيد الله أبو الفتح ابن التعاويذي، ويعرف أيضاً بسبط ابن التعاويذي، وكلاهما نسبة لجده لأمه أبي محمد المبارك بن المبارك بن علي السراج الجوهري، كان شاعر العراق في وقته وكان كاتبا، توفي سنة (٥٨٣). انظر: «معجم الأدباء» (٥/ ٣٦٥).

مُرْهَفَـاتٌ كـأنَّهـا ألسـنُ الـ حَيَّـاتِ قَـدْ حَازَهـا التَّقْويـمُ
وتَفَالَـتْ إنِ اسْـتَحْوَى الأقـا لِيْمُ بهـا كُلُّ واحِـدٍ إقْلِيْـمُ[1]

يُنهي بعدَ الدُّعاءِ بسعادَةِ أيامِ المولَى ولياليه، ودوامِ إسْبالِ ذيلِ إحسانِهِ وأيادِيه، هوَ أنَّ الهديَّةَ لو كانَتْ قدرَ المُهدَى إلَيه، والمعوَّل في تقْديمها عَليه، لكانَتْ نفائسُ التُّحفِ في مُقابلتِهِ محتَقرةً غيرَ جَليلَة، وعظائمُ الطُّرَفِ بالنِّسبةِ إلى مكارِمِهِ مُستصْغرةً قَليلَة، بلْ لو كانَتِ الهديَّةُ عَلَى قَدْرِ المهدَى إليهِ لانسَدَّ بابُها، ولخجِلَ أصحابُها، غيرَ أنَّ المماليكَ لمْ تزَلْ تتقرَّبُ إلى مَوالِيها باليسِيرِ مِن نِعمِها، ويحمِلُها رقُّ الإحسانِ عَلَى حملِ ما تيسَّرَ مِن إنعَامِها وكرَمِها، والمَولى أولَى بالقَبولِ بمحْضِ فضلِهِ وإحسانِه، وجميلِ برِّهِ وامتِنانِه، وقبولُ الهديَّةِ مِن شيَمِ الكَرامِ المشهُورة، وسجِيَّتِها المأثُورةِ، ومِن محاسِنِ الأوصَافِ والشيَم، ومعالي الأخْلاقِ والهمَم.

ويقولُ إنْ شاءَ: وقدْ نفَّذَ المملُوكُ كَذا وكَذا برسْمِ الغِلمانِ وجَوارِي النِّسوان، مُعوِّلاً عَلَى فضلِ المولَى أنْ يتصدَّقَ بقَبولِه، ويبلِّغَهُ بقَبولِ ذلِكَ إلى مَأمولِه.

أو يقولُ: وإنَّ الكَرائمَ لا تكُونُ إلا عندَ الكِرام، والذِي يصلُحُ للمَولى عَلَى العَبدِ حَرام، وإنْ أجابَ العَبدَ فيما أمَّله، فالفَضلُ له.

أو يقولُ: ويُنهِي بعدَ الدُّعاءِ لمولانا بدَوامِ مَكارِمِهِ الشَّريفة، ونعْمَائِهِ المُنِيفَة، وشمائِلِهِ الرضيَّة، وفضائلِهِ السنيَّة، أنَّ المسؤولَ مِن كرمِهِ السابِق، وجُودِهِ الفائق، أجرُ المملُوكِ عَلَى ما عوَّدهُ مِن إحسانِه، واعتادَهُ مِن تفضُّلِهِ وامتِنانه، وقَبولُ ما قدَّمهُ وأهدَاه، وتبليغُه في ذلِكَ غايةَ ما يتمنَّاه.

---

(١) من قوله: «ابن التعاويذي...» إلى هنا من هامش (ر).

اعتِذارُ مَن لمْ يُهد شَيئاً:

تأنَّـقَ فـي الهَدِيَّـةِ كُلُّ قَـوْمٍ ... إلَيْكَ غَـدَاةَ شُـرْبِكَ للـدَّوَاءِ

فلَـمَّا أنْ هَـمَـمْـتُ بـهِ مُـدِلًّا ... لـمَوْضِعِ حُرْمَتِي بكَ والإخَاءِ

رَأيْـتُ كَـثِيْـرَ مَا يُهْـدَى قَلِيْلاً ... لدَيْكُمْ فاقْتَصَـرْتُ عَلَى الدُّعَاءِ

آخرُ:

وافَـقَ المهْرَجَـانُ حَاشَـاكَ مِـني ... رِقَّـةَ الحَـالِ وهِـيَ دَاءُ الكِـرَامِ

فاقْتَصَرْنَـا عَلَـى الـدُّعَـاءِ وفيْـهِ ... عَوْنُ صِـدْقٍ عَلَـى قَضَـاءِ الذِّمَـامِ

آخرُ:

هَدِيَّتِـي تَقْصُـرُ عَـنْ هِـمَّـتِـي ... وهِـمَّتِي تَفْضُـلُ عَـنْ مَالـي

وخَالِـصُ الـوِدِّ ومَحْضُ الوَلاءِ ... أحَـقُّ مـا يُـهْـدِيْـهِ أمْـثَالِي

شعرٌ:

إنِّـي اجْتَهَـدْتُ فمَـا وَجَـدْتُ هَـدِيَّـةً ... أُهْدِي إلَيْـكَ سِـوَى الدُّعَـاءِ الصَّالـحِ

أَهدَيتُـهُ وعَلَـى الإلَـهِ قَـبُـوْلُـهُ ... وقَـرَنْتُهُ لَـكَ بالثَّنَـاءِ الفَائِـحِ[١]

ويقولُ مَن أهدَى التَّصنِيفَ: ولما كانَتِ الهِدايةُ تزرَعُ الحبَّ وتُضاعفُه، وتَعضُدُ الشكْرَ وتُساعفُه، أحببتُ أنْ أُهدِي إلى مجلسِهِ هديَّةً فائقةً وتحفةً رائقَة، تكُونُ عِندَهُ نافعةً وبقَدْرِهِ لائقَة، ولمْ أجِدْ شَيئاً سوَى العلْمِ الذِي شغفَهُ حبّاً، والحكْمةِ التي لمْ يزَلْ بها صبّاً، معَ اعتِرافي في ذلِكَ أني كمُهدِي القطرَةَ إلى البحر، والعَرفَ إلى الزَّهر، أو كمَنْ أهدَى إلى الشَّمسِ ضِياءً، وإلى القَمرِ سَناءً؛ لأنَّ المولَى هَو البَحرُ المحيْطُ بكُلِّ

---

(١) من قوله: «اعتذار من لم يهد شيئاً...» إلى هنا من هامش (ر).

فضيلَة، والعارِفُ بكلِّ فنٍّ فلا يخْفَى عَليهِ دقيقةٌ منهُ ولا جَليلة، إلا أنَّ هذا المؤلَّفَ قدْ شمِلتْهُ سعادَةُ الوُرود، إلى مَنهلِهِ العذْبِ الموْرُود، فإنْ وافَقَ الغرَض، وقضَى الحقَّ المفترَض، ولَحِظتْهُ الهمَّةُ العاليَة، والعِنايَةُ السَّامية، اكتَسبَ شَرفاً يتخلَّدُ في توارِيخِ الأخبار، ويُكتَبُ بسَوادِ اللَّيلِ عَلَى بياضِ النَّهار، وإنْ قصُرَ عَنِ الأُمنيَّة، فلِي ثوابُ النيَّةِ.

في الشُّكرِ عَلى الإحسَانِ[1]:

أوْلَيتَنِـي البـرَّ والإحْسَـانَ مُبْتَدِئـاً فكَيْـفَ يَطْمَـعُ شُـكْرِي أنْ يُكَافِيْـكَا
ولَيْـسَ لـي قُـدْرَةٌ إلا الدُّعَـاءُ بـأنْ يُعْطِيكَ رَبُّكَ ما تَرْجُو ويحْمِيْكَا

وينهِي بعدَ تقبيلِ الباسطَةِ الكَريمَة، لا زالَ الفضلُ في رياضِ إحسَانها مُقيماً، والمنَحُ تهَبُّ عَلَى آمالِ أرجائهَا نَسيماً، والكرمُ لمواهِبِها قَسْماً لا قَسِيماً، إنَّ العَبدَ مُعترِفٌ بالإحسَانِ شاكِرٌ للامتِنان، بلْ مُقرٌّ بعجزِهِ عَن شُكرِهِ، وعدِّهِ وحصرِه، فكَمْ أولَيتَني نِعَماً لا أستَطيعُ لها شُكراً، وكَم قلَّدتَني مِن إحسانِكَ مِنناً وبرّاً، ولقَدْ عجَزَ نُطقِي عَنْ شُكرِ أيادِيكَ الجزِيلة، وتملَّكَ رِقِّي صنائعُ برِّكَ الجميلَة، وأطلَقَ لساني سَوالفُ إنعَامكَ وكرمِك، وقيَّدَ جَناني عَوارِفُ رِفدِكَ ونِعمِك، وما أنا وحدِي ممَّنْ غمرَهُ نَدَاك، وعمَّتهُ نَعماك، بلِ العالمُ كلُّهمْ مُستمطِرُونَ سحائبَ إحسَانِك، وارِدونَ بحْرَ فضلِكَ وامتِنانِك، فاللهُ تَعالى يُديمُ لكُمْ هذِهِ المكارِمَ العَميمَة، والأيادِيَ الجسِيمة.

فـلا أعْـدَمَ اللهُ الوُجُـوْدَ وُجُودَهـا وأبْقَـى عُلاهَـا فـي الأنَـامِ وجُوْدَهـا
وحَلَّـى بهـا جِيْـدَ الزَّمَـانِ فإنَّهَـا لعَمْـرِيَ أضْحَـتْ للمَعَالـي عُقُودَها

هَيهَاتَ هَيهَات، قصُرَ لسَانُ البلاغَةِ عَنْ بلوغِ شُكرِك، وعجَزَ عَنِ القِيامِ بواجِبِ حقِّكَ وبرِّك، لا برِحَ مجدُكُمْ مَوصُولاً بالسَّعادة، ممدُوداً بالعزِّ والسِّيادَة.

---

(١) في (ر): «أو يقول شعر».

البابُ الثاني عشَرَ

في الحثِّ عَلَى المواعِيدِ وشَكْوى الحالِ

إذا لَمْ يَكُنْ إلا عَلَيْكَ المُعَوَّلُ ... فمَنْ ذا الَّذِي عَنْ بابِ فَضْلِكَ يَعْدِلُ
وإنْ أنْتَ لا تُرْجَى لِكُلِّ[1] مُلِمَّةٍ ... فمَنْ ذا الَّذِي يُرْجَى ومَنْ ذا يُؤَمَّلُ

غيرُهُ:

إذا وَعَدَ الحُرُّ يوماً فَعَلْ ... ووَعْدُ الكَرِيمِ قَرِيْنُ العَمَلْ
فمَا فَوْقَ فَخْرِكَ يا سَيِّدِي ... مَجَالٌ فأنْتَ الكَرِيمُ الأجَلْ
ووَعْدُكَ قَدْ كانَ لي سَابِقاً ... ووَعْدُ الأجَلِّ قَرِيْنُ[2] الأجَلْ
فأنْتَ الَّذِي قَدْ حَوَيْتَ العُلَا ... وصَارَ بجُوْدِكَ ضَرْبُ المَثَلْ

ويُنهِي بعدَ الدُّعاءِ لمَنْ جعلَهُ اللهُ بالخيرِ مَعرُوفاً، وعَلَى مَنافعِ العِبادِ مَوقُوفاً، وإلى تحصِيلِ الثَّوابِ بكُلِّيتهِ مَصرُوفاً، أنَّ الدَّاعيَ قدْ وقَفَ ببابِهِ ولاذَ بجَنابِه، الذِي ما خابَ مَن قصدَه، ولا ضاعَ مَنِ اعتمَدَه، كيفَ لا وهوَ كعبةُ الجُودِ الذِي يَحجُّ إلَيها الوجُود، وقِبلةُ الأمَاني التي يَؤمُّها القاصِي والدَّاني، وقدْ توجَّهَ العَبدُ في الموعِدِ إليه، وعوَّلَ في الأمرِ عَليه، فإنَّ همَّتهُ ما همَّتْ بأمرٍ إلا أدركَتْ غايتَه، واستَدْركَتْ فائتَه، ومِن دأبِهِ إغاثةُ الملهُوف، وإسداءُ المعْروف، واغتِنامُ المثُوبةِ والأجر، والمسَارعَةُ إلى أفعالِ البرّ، وإنجاحُ الوسائِلِ والآمَال، والمساعدةُ بالنَّفسِ والمال.

أو يقولُ: كانَ المولَى قدْ أنعَمَ لعبدِهِ بسابقِ وعدِه، جارِياً عَلى عادَةِ برِّهِ ورِفدِه، وقدْ طالَ بهِ الانتظَار، وأعياهُ الاصطِبار، مُتعلِّقَ الآمالِ مُتردِّدَ الفكْرِ مُنقسِمَ البال،

---

(١) في (ر): «اليوم».

(٢) في (ر): «قريب».

ومِثلُ المولَى مَن يُتْبِعُ قولَهُ بفعلِه، ويأنَفُ مِن تكديرِ عَطائهِ بمَطلِه، فما بالُهُ أعقَبَ وعدَهُ الكَريمَ بالمِطال، وصرَفَ فعْلَ حالِهِ إلى الاستِقبال، واستمَرَّ عَلى التسويفِ والتطْويل، ورضِيَ لممْلُوكهِ بالتردُّدِ والتَّخجِيل، وغيرُ خافٍ عَنْ لطيفِ عِلمِهِ وشَريفِ فهمِهِ أنَّ مَرارةَ المطْلِ تُذهِبُ حَلاوَةَ الإعْطاء، وتكدِيرَ الطلَبِ يشرَبُ ماءَ الحياء، والمأمُولُ مِنَ المولَى تحقِيقُ رجاءِ العَبدِ بالإنجاز، وتبلِيغُهُ ما أمَّلَهُ وأمرَ لهُ إنْ جاز، والأَولى بالمولى تتمِيمُ تفضِيلِه، وتسهِيلُ تناوُلِهِ وتعجِيلِه، والصَّفوُ[1] مِن كيدِ المَطلِ وتطويلِه.

شكْوى حالٍ: لَمْ يخْفَ عَلى المولَى ما أنا عَليهِ مِن ضِيقِ الحالِ وضَنكِ المعيشَةِ، وكثرَةِ الكلَفِ وقلَّةِ العيشَة، وقدْ مَنعَني ذلِكَ منَ التصرُّفِ في أكثرِ أوقاتي، وكدَّرَ صفوَ حَياتي، وقدْ لجَأتُ إلى ظلِّ إحسانِ المولَى وعوَّلتُ عَليه، وصرَفْتُ وجهَ قصدِي بالكُليَّةِ إلَيه، إذ كانَ أجدَرَ بتسهِيلِ الصِّعاب، وأحقَّ بتحصِيلِ الثوابِ، والمسؤولُ مِن معهُودِ تفضُّله، ومَعروفِ مَعروفِهِ وتطوُّله، كيتَ وكيتَ.

صورةُ شكْوى حَالِ العالِمِ:

يقُولُ بعدَ عرْضِ حالِهِ: مَولانا إنْ لمْ تكُنْ لي فمَنْ للعاجِزِ مِثلِي في زمانٍ تَسَامى الجاهِلُ فيه وتحَامَى، وتدَانَى العالمُ فيه وتَرامَى، وتَعَالى حظُّ الجاهِلِ فيه وتغَالى، وتكاسَدَ سُوقُ العلمِ فيه وتقَالى، وصارَ الجاهِلُ محمُولاً عَلَى الأحداق، والعالمُ مَطرُوحاً بينَ الزُّقاق، إنْ[2] تَظلَّمَ فلا يُؤخَذُ بيدِه، وإنْ استرفَدَ عومِلَ بضدِّه، إنْ لم يُغثْهُ مَن تهزُّهُ نخوَةُ الكِرام، وتحرِّكُهُ حميَّةُ الإسلام، وإنَّ إكرامَ العُلماءِ مِن لوازِمِ الدِّين، وشيَمِ الملُوكِ المرْضيين، والوُزراءِ العادِلين، والأُمراءِ المعظَّمِين.

---

(١) في (ر): «والعفو».

(٢) بعدها في (ع): «لم»، وهو خطأ ظاهر.

أو يقـولُ: وينهِـي قلَـمُ العبودِيةِ السـائلُ بقطَـراتِ مَدامعِـهِ[١] عـدمَ المؤاخَذة، والإغضَـاءَ عمَّـا طغَـى بـهِ القلَـمُ مِن هـذِهِ العَثـراتِ التـي حقُّهـا الطـرحُ والمنابذَة، غيـرَ أنـهُ للضَّرورةِ أحـكام، وللحاجَةِ إلـزام، خُصوصاً مـعَ دلالَةِ المحبَّـة، وصَداقةِ المـودَّة، وحسـنِ الظـنِّ والأمَـل، مـعَ الدُّعـاءِ بلسَـانٍ لـم يمَـلّ، فهَـلْ يمكِـنُ مِـنَ المراحِـمِ الكَريمَـةِ والعَواطـفِ الرَّحيمَـة كَـذا وكَذا؟

أو يقولُ: والمسؤولُ بلسَانِ الحَياءِ والاعتِذار، والخجَلِ الذِي أرْخَى عَلَى المخلِصِ الدَّاعِي الحجُبَ والأستار، إنَّ اللهَ تَعَالى لما جعَلَ بابَ مَولانا محَطَّ ركائبِ الآمال، ونجائبَ أهلِ السُّؤال، قصدَهُ الفَقيرُ في كَذا وكَذا.

أو يقولُ: إني لمْ أصُنْ وجهِي عَنْ سُؤالِكَ فصُنْ وجهَكَ عَن ردِّي، وضَعْني مِن مَعروفِكَ حيثُ وضعْتُكَ مِن رَجائي، وإني لآمُلُ منكُمْ أيضاً حصُولَ الغِنى بإعْطاءِ الجهات، وزوَالِ العَناءِ بشُمولِ نظركُمْ في سائرِ الجهَات، ولكُمْ مِنَ الفَقيرِ الدُّعاءُ في صالحِ[٢] الأوقات، يسَّرَ اللهُ عَلى يديكُمُ الأرزاقَ والأقْوات.

شـكْوى حـالِ غريـبٍ: ويُنهِـي أنَّ غَيـنَ الغُربَـةِ قـدْ أوقعَتـهُ فـي هـاءِ الهـوان، ورمتْـهُ كافُ الكُربـةِ فـي ألِفِ الأشـجَان، فأصبَحَ صـادُ صبـرِهِ مَفقُوداً، ونـونُ نَوالِهِ مَطـرُوداً، فعَسَـى لحظَـةٌ منكُمْ تخلِّصـهُ مِن صـادِ صُروفِ الدَّهـرِ، وتُنقـذُهُ مِن قافِ حُـروفِ القهْرِ.

* * *

(١) بعدها في (ر): «في»، وهو خطأ.

(٢) في (ر): «سائر».

البابُ الثالثَ عشَرَ

في أجوبةِ الكتُبِ والرَّسائلِ

يقولُ بعدَ السَّلامِ والأدعيةِ: ويُنهِي بعدَ دُعائهِ المستَمرّ، وولائهِ المستَقِرّ، أنهُ قدْ ورَدَ كتابكُمُ الأعلَى، ومثالكُمُ الأغْلَى، فملأَ القُلوبَ وِداداً، وأقرَّ بهِ ناظِراً وفُؤاداً، فقبَّلَهُ المملُوكُ قبلَ فضِّ خِتامِه، وقابلَهُ بإجلالِهِ وإعظامِه، وانتَهى إلى ما تضمَّنهُ منَ الإشاراتِ العَاليةِ، وهيَ كَيتَ وكَيتَ.

أو يقولُ: وينهِي بعدَ دُعائهِ الذِي تهُبُّ عليهِ نسمَاتُ القَبول، وولائهِ الذِي أوثَقَ الإخْلاصُ عُقودَهُ فلا سَبيلَ إلى حلِّها ولا وصُول، وورودَ[1] المثالِ العالي أعلاهُ اللهُ تَعالى فمَلأَ القلوبَ سُروراً، وغَدا بهِ القلْبُ مُستقرَّاً والطَّرفُ قَريراً، فقبلَهُ تقبيلَ مخلِصٍ في ولائه، مُواظبٍ علَى رفعِ دُعائه، وانتَهى إلى الإشارَةِ الكَريمةِ فيهِ مِن أمرِ كَذا وكَذا.

أو يقولُ: وينهِي بعدَ دُعاءٍ مَرفوع، وثناءٍ لا يضِيعُ بلْ يضُوع، ورودَ الأمرِ العَالي الذِي عَلا عَلَى الأقدارِ وشرَّفَها، وحَلَّى المسامِعَ وشَنَّفَها، وجمَعَ القُلوبَ وألَّفَها، وأنجَزَ الخَواطرَ فما مَطلَها ولا سوَّفَها، فقبَّلَهُ المملُوكُ تَقبيلاً يجِبُ عليه، وفهِمَ ما أشارَ مَولانا إليه، مِن أمرِ كَذا وكَذا[2].

أو يقولُ: فقبَّلَهُ قبلَ فضِّ خِتامِه، وتيمَّنَ بمواقِعِ مُصافحَةِ أقلامِه.

أو يقولُ: ورَدَ كتابكُمُ الشَّريفُ فأحيَا قلباً كانَ مَيتاً رَمِيماً، ورفَعَ برَوضِ نعِيمِهِ عنهُ عَذاباً ألِيماً، وطرَحَ عَن خاطرِهِ وَهماً عَظِيماً، فقبَّلَهُ المملُوكُ عندَ تناوُلِه، ولثَمَهُ إكراماً لمُرسلِه.

---

(١) في (ر): «وورد».

(٢) «وكذا» ليست في (ر).

أو يقولُ: ويُنهِي بعدَ تقدِيمِ تحيَّةٍ وافيةٍ مُنورَةٍ بنور الوفاءِ والوِداد، ورفْعِ أدعيةٍ صافيةٍ معطَّرةٍ بعطرِ الولاءِ والاتِّحاد، التي أزهَرَتْ بصدْقِ المحبَّةِ رياضُها، وامتَلأتْ مِن زُلالِ المودَّةِ حِياضُها، إنَّ صحِيفتكُمُ المفخَّمة، وما في صحُفكُمُ المكرَّمة، وردَتْ فصارَ وُرودُها سَبباً للمُباهاة، وباعِثاً لإحكامِ أحكَامِ الحبِّ والموالاة، وذرِيعةً إلى رسوخِ أركانِ الإخْلاصِ وصِدقِ النيَّةِ، ووسيلةً لتأكيدِ مَباني الاتحادِ وحُسنِ الطويَّة، والمأمُولُ مِن محاسِنِ شيَمِ المَولى أنْ يشرِّفَ هذا المخلِصَ بمشرَّفاتِهِ الشَّريفة، وأخبارِهِ السارَّةِ اللَّطيفة.

أو يقولُ: وينهِي بعدَ دُعاءٍ كإحسَانهِ لا ينقَطِعُ مدَدهُ الغَزير، وثناءٍ قدْ شِيْبَ حمدُهُ بنفحَاتِ العَبير، ورودَ المشرفةِ الكَريمة، والمنَّةِ الجَسيمَة، فتلقَّاها المملُوكُ قائماً عَلَى قدَميه، ووضَعَها عَلَى رأسِهِ وعَينيه، كيفَ لا وقدْ رفعَتِ المملُوكُ قَدراً، وشدَّتْ لهُ أزراً، وكستْهُ شَرفاً مدَى الدَّهرِ وفَخراً.

أو يقولُ: فقبَلَها المملُوكُ عِندَ تنَاوُلِها، ووضَعَها عَلَى رأسِهِ قبلَ تأمُّلِها.

أو يقولُ: فقَبَّلَها المملُوكُ لاثِماً، وقرأَها قائماً، واستودَعَ مَضمُونها، واستَوفى مَكنُونها، فجدَّدتْ للقلْبِ سُروراً، وللنَّاظرِ نُوراً.

أو يقُولُ: فوقَفَ لها المملُوكُ قبلَ الوقُوفِ عَلَيها، ولثَمَ لثْمَ مُشتاقٍ إلَيها، مَسرُوراً بوصُولها، مُبتَهِجاً بتأمُّلِ فُصولِها، مُتيمِّناً بوُرودِها، مُتمسِّكاً ببرُودِها، فأوصلَتْ بوصُولها البشائرَ والمسَارّ، وأسفَرتْ بسُطورِها عَنْ حدائقِ الأزهار، فسُرَّ المملُوكُ عِندَ رُؤيتِها، وابتهَجَ عندَ مُطالعَتِها، ولمْ يدَعْ باباً للأُنسِ إلا فتحَه، ولا طَريقاً للبِشرِ[1] إلا أوضَحه.

---

(١) في (ر): «للبشرى».

أو يقولُ: ورَدَ الكِتابُ الكريم، والإحسَانُ العمِيم، فوقَفَ لهُ المملُوكُ وتشَرَّفَ بوُرودِه، وافتخَرَ بوفُودِه، فأورَدَ بورُودِه للصبِّ[1] سُروراً، وكسَا القلْبَ مِن روضِهِ نُوراً، وكانَ مَطلِعُهُ مطلِعَ أهلَّةِ الأعياد، وموقِعُهُ نيلَ المراد، وعدَّ[2] المملُوكُ ذلِكَ نِعمةً سابغَة، وتصفَّحَ سُطُورَهُ فوجَدَها حكمَةً بالغَة، فابتهَجَ بِهِ حُبوراً، وامتَلأ بِهِ فرَحاً وسُروراً.

أو يقولُ: وصَلَ كتابكُمُ المشحُونُ بالدُّرَر، ووَرَدَ خطابكُمُ الأبهَى مِنَ الشَّمسِ والقَمَر، فانتصَبَ لهُ العبدُ قائمَاً عَلَى الحال، وقابلَهُ بما يجِبُ مِنَ التَّعظيمِ والإجْلال.

ويقولُ لبلِيغٍ: ويُنهِي ويصِفُ شوقَهُ إلى ذلِكَ المحيَّا الوسِيم، والفضْلِ الشَّاملِ للراحِلِ والمقِيم، والعلَمِ الذِي فاقَ بِهِ فحقَّقَ أنَّ فوقَ كلِّ ذي علْمٍ عَليم، وورودَ المشرَّفة وقرأَها وفهِمَ مَعنَاها، فلا عُدِمَ خاطرٌ أمْلاها، فوجَدَها آخذَةً مِنَ الملاحَةِ بأوفَرِ حظّ، رائقةً بحسْنِ الخطِّ وبدِيعِ اللَّفظ، محلَّاةَ الجِيدِ بدُررِ المعانِي، غالِيَةً بِهِ عَلَى الغَواني، شاهِدةً بكمَالِ فضلِ صاحِبِها، مُترجمَةً عَنْ بلاغَةِ كاتِبِها، ناطقَةً بلسَانِ بيانِه، ناثرةً دُررَ لسانِهِ وبَنانِه، فأوصَلَتِ الأنسَ إلى القُلوبِ والنُّورَ إلى الطَّرْف، وقيدَتِ الخاطِرَ بالودِّ وأطلقَتِ اللِّسانَ بالوصْف.

أو يقولُ: وصَلَ كتابكُمُ الكَريمُ، الذِي هوَ أبهَى مِنَ الدُّرِّ النَّظيم، وأزْهَى مِنَ الرَّوضِ الوسِيم، فاقتطَفَ العبدُ مِن روضِهِ زَهراً طريَّاً، واجتَنَى مِن ثمرِهِ رُطَباً جَنيَّاً، واجتَلَى مِن محاسِنِهِ عَرائسَ أبكارٍ لم يزَلْ حُسنُها بهِيَّاً.

أو يقولُ: ورَدَ الكِتابُ الكريمُ مُتحلِّياً بجواهِرِ الألفَاظِ الرَّائقة، والمعَاني الفائقَة، مُتجلِّياً منْ أنوارِ البلاغَةِ السَّاطعة، والبراعَةِ اللامعَة، مُتقلِّداً دُررَ المحاسِن، مُتوشِّحاً

---

(١) «للصب» ليست في (ر).

(٢) في (ع): «وعدد».

غُررَ الميامِن، وظهرَتْ مَعاني فضلِهِ[1] تتهادَى بينَ ظلامٍ وصباح، وبدَتْ عَرائسُ طُروسِهِ تتمَايسُ بينَ عَقدٍ ووِشاح، وتبلَّجَ صُبحُ مَضمُونهِ عَن أنوارِ الحِكَمِ الجزيلَة، وأسفرَتْ شَمسُ مَعانيهِ عَنِ الفرائدِ الجَليلَة، مُتضمِّناً ما هوَ كيتَ وكيتَ.

فإنْ كانَتْ حاجةً قالَ: وامتثَلَ المملُوكُ ما فيها منَ المراسِمِ الكَريمَة، وعدَّها نعمةً مِن اللهِ عمِيمة، ومَهما عنَّ للمَولى مِن عَرَض، وسنَحَ لهُ مِن مُهِمٍّ وغَرَض، فلْيُعْلِمِ المملوكَ بِهِ ليُسارعَ إليه، ويبادِرَ ويواظِبَ عَلَى إنجازِه ويُباشِرَ، وحسْبي بذلِكَ فَخراً أنْ قدرْتُ عَليه، وكفَى بي شَرفاً أنْ وصَلْتُ إليه.

وفي الشَّوقِ:

وينهِي بعدَ استِمرارِهِ عَلَى ما عهِدَهُ منَ الإخْلاص، وأشواقِهِ التي ليسَ لزائدِها منِ انتقَاص[2]، ورُودَ الكِتابِ الكَريمِ والفَضلِ العمِيم، ولمْ يذكُرِ المولَى فيهِ شَيئاً منَ الشَّوقِ والوحْشةِ إلا وعنْدَ المملُوكِ أضعَافُ ما ذكرَه، وفوْقَ ما شرَحَهُ وسطَّرَه.

وإنْ كانَ مَريضاً قالَ: ووجَدَ المملُوكُ البرءَ والعافِيةَ عندَ ورودِ المشرَّفةِ الكَريمةِ فكانَ الشِّفاءُ وارِداً بوُرودِها، والبُرءُ وافِداً بوُفودِها، وما علِمَ المملُوكُ قَبلَها أنَّ منَ الحُروفِ المكتُوبةِ عَقاقيرَ مَشروبة، ومِن رقومِ الأقْلامِ دِرئاً[3] يُشفَى بهِ مِن سِهامِ الآلام.

وإنْ كانَتْ شفاعَةً قالَ: ولما وقفْتُ عَلَى المراسِمِ الشَّريفةِ وقفْتُ عِندَها؛ لأنِّي لم أزَلْ بالاعترافِ عَبدَها، وبادَرَ المملُوكُ لوقتِهِ وساعتِهِ إلى قَبولِ شفَاعتِه، كيفَ لا والمولَى لمْ تزَلْ أوامرُهُ مُطاعة، في كلِّ وقتٍ وساعة، فما ظنُّكَ بقَبولِ الشَّفاعةِ؟

---

(١) في (ر): «فضلك».

(٢) «وأشواقِهِ التي ليسَ لزائدِها منِ انتقَاصٍ» من (ر).

(٣) في (ر): «درياقاً».

وإنْ كانَتْ هديَّةً قالَ: فأكرِمْ بها هديَّةً ما أشَرَفها وأسْمَاها، وأجَلَّها في العُيونِ وأعْلاها، وما أنفَسَها وأغْلاها، ومَرحباً بها مِن طُرفةٍ ما أحسَنَ مَوقِعَها في القُلوبِ وأحْلاها.

أو يقولُ: وينهِي ورُودَ هديَّتِهِ التي حكَتْ أخلاقَهُ الشَّريفةَ طِيباً، وحلَتْ مَذاقاً فأخذَتْ مِنَ القُلوبِ نَصِيباً، وحفِظَتِ الصحَّةَ كيفَ لا وقدْ غدَتَ مَأكُولاً ومَشرُوباً، فتلَقَّاها المَمْلُوكُ بلسَانٍ شاكر، وذكَّرتْهُ مِن سوالِفِ إحسانِهِ مَا[1] لَمْ يزَلْ واصِفاً لَهُ ذاكر.

شعرٌ:

شُكْرَاً لفَضْلِكَ شُكْرَاً لَسْتُ أَحْصُرُهُ	شُكْرَاً جَمِيلاً يَفُوْقُ العَدَّ أنْفَاسَا
وكَيْفَ لا ورَسُوْلُ اللهِ قَالَ لَنَا:	لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَا

فلا أعدَمَ اللهُ مِن أيادِيه هذِهِ العوائدَ الجمِيلةَ الأثر، والمحاسِن التي يرتَاحُ إلَيها الذَّوقُ والنَّظر.

وإنْ كانَ جَوابَ تَعزيةً قالَ: ورَدَ الكِتابُ الشَّريفُ فجَلَّى القُلوبَ والأذْهان، مِن بعدِ الهُمومِ والأحزان، مُتضمِّناً منَ المواعِظِ والزَّواجر، والفضَائلِ والمآثر، ما يرتاحُ بِهِ العاقِلُ اللَّبيب، ويتسَلَّى بِهِ الفاضِلُ الأرِيب، كيفَ لا وهوَ شِفاءُ العِلَّة، وتَبريدُ الغُلة، والباعِثُ عَلَى السكُونِ والهُدوّ، والتصَبُّرِ والسلُوّ، فلقَدْ سهُلَتْ بسُهولةِ لفظِهِ صِعابُ الأمُور، وانشَرحَتْ ببليغِ وعظِهِ الخواطِرُ والصُّدور.

---

(١) «ما» من (ر).

جوابُ صوفيٍّ:

ويُنهِي بعدَ دُعائِهِ وجَميلِ ثنائه، وخُلوصِ ودِّهِ وولائه، ويَعرِضُ بلسَانِ القلَم، نيابَةً عَنِ الوُصولِ بالقَدَم، وإنْ كانَ الامتِزاجُ ثابِتاً معكُمْ منَ القِدَم، أنَّ مكتُوبكُمُ الأعْلَى ومِثالَكُمُ الأغْلَى ورَدَ عَلينا، فكانَ أعظَمَ واردٍ وأكرمَ وافد، شمَمْنا أنفاسَ الحَقائقِ مِن كلِماته، وسمِعْنا خِطابَ الصَّمدانيَّةِ مِن جمِيعِ جِهاتِه.

وإنْ كانَ مُحبَّاً عَلى السمَاعِ قالَ: ويُنهِي أنَّ الأشبَاحَ تتقارَبُ بالودَاد، والأرْواحَ تتعارَفُ معَ القُربِ والبِعاد، وأنَّ الصفَاتِ العاطِرة والمناقِبَ الزَّاهرة إذا مرَّتْ نَسمَاتُها عَلَى الأسمَاع، هيَّجَتِ القُلوبَ طَرباً بالسَّماع، وحرَّكَتِ الأقْلامَ إلى رسْمِ الأرْقام، وإنِّي وإنْ لمْ أكُنْ شاهِداً طلعَتَهُ اللَّطيفَة، ولم أصِلْ إلى حضرَتِهِ الشَّريفة، لكِنَّ الصِّفاتِ العاطِرةَ والمناقِبَ الزَّاهِرَةَ دلَّتني عَلَى حُسنِ شِيمِه، ومَزيدِ إحسَانِهِ وكرمِه[١].

ومستفادٌ مِن حضرَتكُمُ الشَّريفةِ أنَّ الأُذنَ ربَّما عشِقَتْ قبلَ العَين، لا سيَّما إذا كانَتْ البَصيرةُ بلا رَينٍ ولا غَين، والتَّأليفُ الرُّوحانيُّ في مَلكُوتِ عَالمِ العِيان، كم شَقَّ أكمَاماً عَنْ ثمراتِ عِرفانٍ أيِّ[٢] عِرفان، ولي مِن قلبِكُمْ على دَعوَى حبِّكُمْ بالسَّماعِ دَليلٌ ظاهر، وبُرهانٌ عَلَى المحبَّةِ قاهر، وخاطِرُ المولى الكريمِ يشهَدُ بِصِدقِ الدَّعوَى، ويعلَمُ بذَوقِهِ السَّليمِ أنَّ ذِكراهُ لقَلبِنا مُنقلَبٌ ومَثوى، والأرواحُ جُنودٌ مجنَّدة، والقُلوبُ مُستنطَقَةٌ عمَّا يضمُرُ بعضُها لبعضٍ مُستشهَدة.

---

(١) من قوله: «وإنِّي وإنْ لمْ أكُنْ شاهِداً...» إلى هنا من (ر).

(٢) في (ر): (إلى).

شعرٌ:

إنَّ القُلُوبَ لأجْنَادٌ مُجنَّدَةٌ قَوْلُ الرَّسُوْلِ فمَنْ ذا فيْهِ يَخْتَلِفُ

فمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فهْوَ مُؤْتَلِفٌ ومَا تَنَاكَرَ مِنْها فهْوَ مُخْتَلِفُ

واللهُ علِيمٌ بمكْنُونِ الضَّمائر، ومُطَّلعٌ عَلى ما تخفِيهِ السَّرائر، وإني لأرجُو اللهَ سُبحانَهُ وأمُدُّ إليهِ باسِطةَ افتِقارِي، وأسألُهُ بذُلِّي وانكِسارِي، أنْ يجمَعَ لنا شمْلَ الأشبَاح، كما جمَعَ شمْلَ الأرْواح، وأنْ يمُنَّ عَلينا بالقُربِ والاجتِماع، ويجعَلَ الحدِيثَ منَ الشِّفاهِ إلى الأسمَاع، بدَلاً منَ الأقلامِ والرِّقاع[1].

***

(١) في (ر): «والأرقاع».

البابُ الرابعَ عشَرَ

في المواعِظِ والنَّصائحِ وتَوبيخِ غَيرِ المُستقِيم

صحَّ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنهُ قالَ: «الدِّينُ النَّصيحةُ، الدِّينُ النَّصيحةُ، الدِّينُ النَّصيحةُ» قالُوا: لمَنْ يا رسُولَ اللهِ؟ قالَ: «للهِ ولكِتابهِ ولرسُولِهِ ولأئمَّةِ المسلِمِينَ وعامَّتِهمْ»(١).

وفي «الفُنونِ» لابنِ عَقيلٍ: مِن أعظَمِ مَنافعِ الإسْلامِ، وآكَدِ قواعِدِ الأدْيانِ، الأمرُ بالمعْروفِ والنَّهيُ عنِ المنكَرِ والتَّناصحُ، فهذا أشقُّ ما تحمَّلهُ المكلَّفُ لأنهُ مَقامُ الرسُلِ، حَيثُ يثقُلُ صاحبُهُ عَلَى الطِّباعِ، وتنفِرُ مِنهُ نُفوسُ أهلِ اللذَّاتِ، وتمقُتهُ أهلُ الخَلاعةِ.

وقيلَ: مَن نَصحَ أخاهُ سِرّاً فقَدْ زانَهُ، ومَنْ نَصحَهُ عَلانيَةً فقَدْ شانَهُ.

في الزَّجرِ عَن الغِيبةِ:

السَّلامُ عَلى منِ اتَّبعَ الهُدى، وترَكَ طُرقَ الرَّدَى، ولمْ يذهَبْ عمُرهُ ضَياعاً وسُدَى، أعظَمُ الكَبائرِ بصَّركَ اللهُ بعُيوبِ نَفسِك، وهيَّأكَ للرُّشدِ في يَومِكَ وأَمْسِك، التعرُّضُ لثلْمِ الأعراضِ بالكذِبِ والزُّور، والتبتُّلُ لإيلامِ القُلوبِ وإيغارِ الصُّدور، والتصدِّي للأذيَّةِ بحصَائدِ الألسِنة، والانتصَابُ لإظهارِ المساوِئِ المستكمِنة(٢)، والاشتِمالُ عَلَى الأوصَافِ الذَّميمَة، والاشتِغالُ بالغِيبةِ والنَّميمَة، فالويلُ لمَنْ لا يستقِرُّ مِنَ الغِيبةِ لسانُه، ولا يفْترُ مِنَ الحسَدِ قَلبُهُ وجَنانُه، مُصرّاً عَلَى إفكِهِ وجَهلِه،

(١) رواه مسلم (٥٥)، والحميدي في «مسنده» (٨٣٧)، من حديث تميم الداري رضي الله عنه، ولم تكرر «الدين النصيحة» في رواية مسلم.

(٢) في (ر): «المستمكنة» وفي الهامش كتب: «لعله المستكمنة».

مُضرّاً لنفسِهِ بقَولِهِ وفِعلِه، وحقيقٌ لِمَنْ هذِهِ صِفتُهُ أَنْ يستوجِبَ سَخطَ الخالِق، ويتحقَّقَ بمقْتِ الخلائِقِ.

والباغِي لمَصرعِهِ أوانٌ، وكمَا يدِينُ المرءُ يُدان، ألا وإنَّ اللِّسانَ حيَّةُ الإنسَان، وقدْ قيلَ: العاقِلُ للسَانِهِ عاقِلٌ، والسَّلامُ عَلى مَن سلِمَ المسلِمُونَ مِن لسانِهِ ويدِه، وقدَّمَ في يومِهِ ما ينجُو بهِ في غدِه.

زجرُ مَن خالَطَ غيرَ أبناءِ جِنسِهِ:

شعرٌ:

عَـنِ المَرْءِ لا تَسَـلْ وسَـلْ عَـنْ قَرِيْنِهِ ... فــكُلُّ قَرِيْــنٍ بالمُقَــارَنِ يَقْتَــدِي

وصَاحِبْ خِيَارَ النَّاسِ واسْتَبْقِ وُدَّهُم ... ولا تَصْحَبِ الأَرْدَى فتَرْدَى مَعَ الرَّدي

ويُنهِي بعدَ الدُّعاءِ لفُلانٍ سدَّدَ اللهُ آراءَه، وأدامَ ودَّهُ وولاءَه، كيفَ رَضيَتْ همتُهُ العليَّةُ الشَّان، بمُعاشرَةِ الأسافِلِ والأدْوان، أمْ كيْفَ غَربَتْ نفسُهُ النَّفيسَةُ عَن مُصاحبَةِ الرُّؤساءِ والأعْيان، أمَا علِمَ أنَّ مُخالطَةَ غيرِ أبناءِ الجِنسِ تُزرِي بالإنسَان، وتكسِبُهُ الصَّغارَ والهوان، بينَ الأخِلاءِ والإخْوان، إذِ المرءُ بقرِينِهِ وجلِيسِهِ مُقتدِي، وبشَمائلِهِ مُشتملٌ وبردَائِهِ مُرتدِي، ليتَ شِعري أيُّ فائدَةٍ في مُعاشرةِ مَن أنتَ الآنَ ترضَاه، وأيُّ فَضيلةٍ يَتميَّزُ بها مَن تودُّهُ وتَتواخاه، أمْ كيفَ رَضِيَتْ همَّتُكَ بمخَالطَةِ غيرِ أبناءِ جنسِك، واجتِهادُكَ في اطِّراحِ نَفسِك، وجرِّكَ إلى نفسِكَ القِيلَ والقال، وسُوءَ الأحْوال.

وقدْ قيلَ:

شعرٌ:

لِـكُلِّ امْـرِئٍ شَـكْلٌ مِـنَ النَّـاسِ مِثْلُهُ ... فأكثَرُهُــمْ شَــكْلاً أَقَلُّهُــمُ عَقْــلاً

وكُلُّ أُنَاسٍ آلِفُونَ لشَكْلِهِمْ ... فأكْثَرُهُمْ عَقْلاً أَقَلُّهُمُ شَكْلاً

وقيلَ أيضاً:

وإذْ أرَدْتَ تَرَى فَضِيلَةَ صَاحِبٍ ... فانْظُرْ بعَيْنِ البَحْثِ مَن ندمَانُهُ

فالمَرْءُ مَطْوِيٌّ عَلَى عَلاتِهِ ... طَيَّ الكِتَابِ وصَحْبُهُ عُنْوانُهُ[١]

أو يقولُ: لم أزَلْ أعهَدُ مِن فلانٍ أصلَحَ اللهُ حالَه، ويسَّرَ عَلى الخيرِ إقبالَه، الأفعالَ السَّارَّة، والأعمَالَ البارَّة، ومُصاحبَةَ أهلِ الخيرِ والصَّلاح، ومُواظبةَ الطَّريقِ الحمِيدةِ في كلِّ غُدوٍّ ورَواح، مما يوجِبُ الثَّناءَ عَليهِ والتقرُّبَ إليه، حتَّى اتصَلَ بي الآنَ ما آلمَني ذكرُه، وعزَّ عَليَّ أمرُه، مِن تغيُّرِ أحوالِهِ وسُوءِ فِعالِه، وتعرِيضِ عِرضِهِ للتَّدنيس بارتكابِهِ الفِعلَ الخسِيس.

ويحَهُ؛ كيْفَ رضِيَ بالوضَاعَةِ لقَدْرِه، والشَّناعةِ لِذكرِه، واستَهدَفَ لسِهام الألسِنة، واتَّصفَ بالصِّفاتِ المستَهجنَة، فخالِفْ هَواك، وجانِبْ مَثواك، فإنَّ السعيدَ مَن غلَبَ هَواه، وراقَبَ مَولاهُ في سرِّهِ ونجواه، وامتثَلَ أوامِرَه، وأصلَحَ باطنَهُ وظاهِرَه.

زجرُ غيرِ المستقِيم:

بلغَني أرشدَكَ اللهُ إلى الهدَايةِ، وأنقَذكَ مِن مَهاوِي الضَّلالةِ والغِوايةِ[٢]، ما اشتَمَلَ عَليهِ حالُك، وأصبَحَ بِهِ اشتِغالُك، مِن انهمَاكِكَ عَلى المحرَّمات، وهتْكِ الحُرمات، ومُلازمتِكَ الأفعَالَ الذَّميمَة، ووُرودِكَ الموارِدَ الوخِيمَة، وسُلوكِكَ غيرَ الطَّريقِ المستقِيمَة، وتلْكَ قضيَّةٌ تُشمِتُ العدوَّ والحسُود، وتكمِدُ الصَّديق

(١) من قوله: «وقد قيل...» إلى هنا من (ر).

(٢) «والغواية» من (ر).

والـودُود، وتحلِـقُ[١] وجـهَ الحريـةِ والدِّيـن، وتُدنِّـسُ ثـوبَ عِرضِـكَ الـذِي هـوَ بالطهَـارَةِ قمِيـنٌ[٢]، إنَّـا للهِ وإنَّـا إليـهِ راجِعـون، مـا أسْـوءَ حـالَ مَن هـذِهِ حَالتُـه! وما أقبَـحَ مِن القَبائحِ سِيرتُه[٣]! وما أخسَـرَ صَفقـةَ مَن بضاعَتُهُ المعصِيـةُ والاقتراف! وما أضعَـفَ رأيَ مَـن وطَّـنَ نفسَـهُ عَلـى الخِلافِ!

لقَدْ خسِرَ آخرَتهُ ودُنياه، وأخطَأَ طَريقَ السَّلامةِ والنَّجاة، فعلَيكَ يا أخي بالإنابةِ إلى اللهِ والارتجَاع، والندَمِ والإقلاع، والمشْيِ عَلَى سَننِ العدالةِ التي هِيَ مِن أجلِّ ما اكتسَبَ الإنسَان، وأجمَلِ ما جرَى بوصْفِ محاسِنِها البَيان، إذْ هيَ أعلَى المناصِبِ قَدْراً، وأسْنَى المراتبِ شَرفاً وفَخْراً، وهيَ العُمدةُ التي يَعتمِدُ عَلَى صِحَّتِها الحُكَّام، والعُدَّةُ التي يُستنَدُ إلى صِحَّتِها بالأحكامِ[٤].

نصيحةٌ:

شعرٌ:

تَـأَنَّ وشَـاوِرْ فـي المُشْـكلات | فمِنْهَـا جَلِـيٌّ ومُسْـتَغْمِضُ
فرَأْيَـانِ أثْبَـتُ مِـنْ واحِـدٍ | ورَأْيُ الثَّلاثَـةِ لا يُنْقَـضُ

غَيرُهُ:

تَصَـوَّفَ كَـيْ يُقَـالَ لَـهُ أَمِيـنٌ | ومَـا مَعْنَـى تَصَوُّفِـهِ الأَمَانَـة
ولَـمْ يُـرِدِ الإلَـهَ بِـهِ ولَكِـنْ | أَرَادَ بـهِ الطَّرِيْـقَ إلـى الخِيَانَـة

---

(١) في (ر): «وتخلق».

(٢) في (ر): «ثمين».

(٣) في (ر): «سريرته».

(٤) في (ر): «صحبتها الأنام».

يا أخِي! عَليكَ بتقْوَى اللهِ في جميعِ أُمورِكَ، وتدَبَّرْها وتَدثَّرْها في عَظيمِ مَأمُورِك، واجعَلْها غايةَ مأمُولِكَ لمأمُولِك، وعلَيكَ بالخُشوعِ والانكِسار، والخُضوعِ والافتِقار، والمداراةِ مِن غيرِ مُماراة، واشغَلْ نفسَكَ عَنِ الأشغَالِ بالاشتِغال، وبالحَالِ[1] عنِ الخَال، وإيَّاكَ والـمَلاهِي، وعِشرَةَ الـمُلاهِي، وأنْقِ نُطقَكَ عَن محادَثةِ الأحدَاث، التي تجعَلُ الحيَّ كالسَّاكنِ في الأجدَاث، وإيَّاكَ والخَلاعة، والتَّمزيقَ والشَّناعة، ولا تصحَبْ إلا مَن يُنهضُكَ حالُه، أو يَدلُّكَ عَلَى اللهِ مَقالُه، والزَمِ الأدَبَ مَعَ أهلِه، واسألِ اللهَ مِن فضلِه، وتأمَّلْ هذِهِ العبارَة، والحُرُّ تكفِيهِ الإشَارَة.

فوائدُ لطِيفةٌ:

قالَ رجلٌ لابنِ الجوزِيِّ: أيُّما أفضَلُ؟ أنْ أُسبِّحَ أو أستَغفِرَ؟ فقَالَ: الثوبُ الوسِخُ أحوَجُ إلى الصَّابونِ منَ البُخورِ[2].

والتفَتَ يَوماً إلى الخَليفةِ وهوَ في الوعظِ فقالَ: يا أميرَ المؤمِنينَ! إنْ تكلَّمْتُ خِفْتُ مِنكَ، وإنْ سكَتُّ خفْتُ عَليكَ[3]، وإنَّ قولَ القائلِ: اتَّقِ اللهَ، خيرٌ لكُمْ مِن قولِهِ: إنكُمْ أهلُ بَيتٍ مَغفورٌ لكُمْ، كانَ عمَرُ يقولُ: إذا بلَغَني عَنْ عاملٍ أنهُ ظلَمَ ولم أُغيِّرهُ فأنا الظالمُ، فتصَدَّقَ الخَليفَةُ بمالٍ جزيلٍ، وأطلَقَ المسجُونينَ، وكسَا الفُقراءَ[4].

كتبَ الأصمَعِيُّ إلى بعْضِ أصحابِهِ وقدْ رأى مِنهُ إعْراضَاً: وكفَى بالإعراضِ حَاجِباً، وبالانقِباضِ طارِداً، ومَن مَطَلَكَ ولو ساعَةً فقَدْ حرمَك، ومَن كتَمَ سرَّهُ عنكَ

---

(١) في (ر): «وبالجال».

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٧١).

(٣) في (ر): «منك».

(٤) انظر: «المنتظم» (١٨/ ٢٥٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٧٢)، و«البداية والنهاية» (١٦/ ٧٠٩).

فقَدِ اتَّهمك، ومَن صافَى عَدوَّكَ فقَدْ عاداك، ومَن عادَى عدوَّكَ فقَدْ والاك، ومَن أقبَلَ بحدِيثِهِ عَلَى غَيرِكَ فقَدْ طردَك، ومَن شكا لكَ سُوءاً فقَدْ سألَك، ومَن سكَتَ عِندَ ذمِّ النَّاسِ لكَ فقَدْ ذمَّك، ومَن بلَّغَكَ شتْمَكَ فقَدْ شتَمَك، ومَن نقَلَ لكَ فقَدْ نقَلَ عنك، ومَن شهِدَ لكَ فقَدْ شهِدَ عَليك، ومَن تجرَّأ لكَ فقَدْ تجرَّأ عَليك.

وقالَ آخرُ: مَن مدحَكَ بما ليسَ فيكَ منَ الجَميلِ وهوَ راضٍ عنك، ذمَّكَ بما ليسَ فيكَ وهوَ ساخطٌ علَيك.

وقالَ بعضُهمْ: أمَّا بعدُ؛ فإنَّ قرابتَكَ مَن قرُبَ مِنكَ خيرُه، وابنَ عمِّكَ مَن عمَّكَ نفعُه، وعشِيرتَكَ مَن أحسَنَ عِشرتَك، قَرابةٌ بلا مَنفعَةٍ بليَّةٌ عَظيمة، القَرابةُ تحتاجُ إلى المودَّة، والمودَّةُ لا تحتاجُ إلى القَرابة.

قيلَ لبعضِهِمْ: أيُّ النَّاسِ أحبُّ إلَيكَ: أخُوكَ أمْ صدِيقُكَ؟ فقالَ: إنَّما أُحبُّ أخِي إذا كانَ صَدِيقي.

شعرٌ:

كَمْ مِن أخٍ لكَ لمْ يَلِدْهُ أبُوكَا ... وأخٍ أبُوهُ أبُوكَ قَدْ يجْفُوكَا

القريبُ مَن قرَّبتْهُ المحبَّةُ وإنْ بعُدَ نسَبُه، والبعِيدُ مَن أبعدتْهُ البَغضاءُ[1] وإنْ قَربَ نسَبُه.

الأشكالُ أقاربُ، وإنْ تباعَدتْ مِنهُمُ المناسِبُ.

قالَ البُستيُّ:

ومَا غُربَةُ الإنْسَانِ في شِقَّةِ النَّوَى ... ولَكِنَّها واللهِ في عَدَمِ الشَّكْلِ

(١) في (ر): «البغضة».

وإنِّـي غَرِيـبٌ بَيـنَ بُسْـتٍ وأهْلِهَـا وإنْ كانَ فيهـا أُسْـوَتي وبهَـا أهْلِـي

غيرُهُ:

خُـذُوْنِي رَخِيْصَـاً باضْطِـرَارِي إلَيْكُمْ ويَرْخُـصُ عِنْـدَ الاضْطِـرَارِ مَبِيـعُ
ومَـا أنَا إلا المِسْـكُ عِنْدَ ذَوِي الحِجَى أَضُـوْعُ وعِنْـدَ الجَاهِلِـينَ أَضِيْـعُ

وقدْ أفردْتُ الكَلِماتِ الحِكَمَ بمؤلَّفٍ لطيفٍ فراجِعهُ.

كتَبَ السُّلطانُ صلاحُ الدِّينِ يوسُفُ بنُ أيُّوبَ إلى أميرِ مكَّةَ: اعلَمْ أيُّها الأمِيرُ الشَّريفُ أنهُ ما أزالَ النِّعمَ عَن أماكِنِها، وأخرَجَها مِن مَكامِنِها[1]، وأبرَزَ الهمَمَ عَنْ مَكانَتِها، وأثارَ سهْمَ النوائبِ مِن كِنانَتِها، كالظُّلمِ الذِي لا يعفُو اللهُ عَنْ فاعِله، والجَورِ الذِي لا يفرِّقُ اللهُ في الإثمِ بيَن قائلِهِ وقابلِه، فإمَّا رهِبتَ ذكرَ[2] الحرَمِ الشَّريفِ، وأجلَلْتَ ذلِكَ المقامَ المُنيفَ، وإلا قوَّيتُ العَزائمَ، وأطلقْتُ الشَّكائم، وكانَ الجَوابُ ما تراهُ لا ما تقرَأُهُ.

وكتَبَ الملِكُ الظَّاهرُ بيبَرْسُ إلى صاحِبِ مكَّةَ المشرَّفةِ:

مِن بيبرْسَ سُلطانِ مِصرَ إلى الشَّريفِ الحسِيبِ النسِيبِ أبي نميٍّ محمدِ بنِ أبي سَعيدٍ؛ أمَّا بعدُ: فإنَّ الحسَنةَ في نفسِها حسنَةٌ، وهيَ مِن بَيتِ النبوَّةِ أحسَنُ، والسيِّئةَ في نفسِها سيِّئةٌ، وهيَ مِن بيتِ النبوَّةِ أسوَأُ وأشيَنُ، وقدْ بلَغَنا عنكَ أيُّها السيِّدُ أنكَ بدَّلتَ حرَمَ اللهِ تَعَالى بعدَ الأمنِ بالخِيفةِ، وفعلْتَ ما يحمَرُّ بهِ الوجهُ، وتسوَدُّ بهِ الصَّحيفَةُ، ومِنَ القَبيحِ كيفَ تَفعلُونَ القبِيحَ وجدُّكمُ الحَسن، وتقاتلُونَ حيثُ لا تكُونُ فتنةٌ

(١) في (ر): «مكانها».
(٢) في (ر): «ذلك».

وتُقايلُونَ حيثُ تكُونُ الفِتن؟! هذا وأنتَ مِن أهلِ الكرَم، وسكَّانِ الحرَم، فكَيفَ آويْتَ المجرِم، واستحلَلْتَ دمَ المحرِم، ومَن يُهِنِ اللهُ فما لهُ مِن مُكرم، فإمَّا أنْ تقِفَ عندَ حدِّك، وإلا أغمَدْنا فيكَ سيفَ جَدِّك.

فكتَبَ إليهِ الشَّريفُ أبو نميٍّ: من محمَّدِ بنِ [أبي][1] سعيدٍ إلى بيبرسَ سُلطانِ مِصرَ، أمَّا بعدُ: فإنَّ المملُوكَ مُعترِفٌ بذنبِه، تائبٌ إلى ربِّه، فإنْ تأخُذْ فأنتَ الأقوَى، وإنْ تعفُو فهوَ أقرَبُ للتَّقوَى، والسَّلامُ.

المعتصِمُ باللهِ ابنُ الرشِيدِ كتَبَ إليهِ مَلكُ النَّصارَى كتاباً فيهِ تهدِيدٌ لهُ، فقالَ لكتَبَتِهِ: اكتُبوا لهُ الجوابَ، فكتَبُوا فلَمْ يُعجبْهُ جوابُ واحدٍ منهُمْ، وكانَ أُميَّاً، فقالَ: خليفَةٌ أُميٌّ وكتَبَةٌ[2] أُميونَ، كيفَ يستَقِيمُ الأمرُ؟! ثمَّ قالَ: اكتُبوا لهُ: الجوابُ ما تراهُ لا ما تقرَؤهُ، وسيعلَمُ الكافِرُ لمَنْ عُقْبى الدارِ.

ثمَّ نادَى بالمسِيرِ للجِهادِ، ففتَكَ بالنَّصارَى، وقتَلَ وأسرَ، وخرَّبَ مِن ديارِهِمْ ما لا يحصَى، ثمَّ عادَ إلى بغدادَ مُؤَيَّداً مَنصُوراً، نصَرَ اللهُ المسلِمينَ إلى يومِ الدِّينِ، آمينَ[3].

---

(١) ما بين معكوفتين ليس في (ر) و(ع).

(٢) في (ر): «وكتبته».

(٣) بعدها في (ر): «والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ عَلى سيِّدِنا محمَّدٍ وعَلى آلِهِ وصحبِهِ أجمَعين، ورضِيَ اللهُ تَعَالى عنِ الصَّحابةِ والتَّابعين، وتابعِيهِمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين، وكانَ الفراغُ مِن هذِهِ النُّسخةِ اللَّطيفة، والدرَّةِ المُنيفَة، يومَ الجمُعةِ المباركِ تاسِعَ عشَرَ رجبٍ الفردِ سنَةَ سبعٍ وسبعِينَ وألفٍ عَلى يدِ العَبدِ الفَقير، المعترِفِ بالعجزِ والتَّقصير، إبراهيم بنِ سَليمٍ الحنفِيّ ـ عاملَهُ اللهُ بلطفِهِ الخفيّ ـ الرَّشيدِيّ، غفرَ اللهُ لهُ ولوالدَيهِ، وأحسَنَ إلَيهما وإلَيهِ آمِينَ.

=

= جَـزَا اللهُ خَيْـراً مَـنْ تَأَمَّـلَ صَنْعَتِـي وقابَـلَ مـا فِيْهَـا مِـنَ السَّـهْوِ بالعَفْـوِ
وأَصْلَـحَ مـا أَخْطَأْتُـهُ بفَضِيْلَـةٍ ورِفْـقٍ وإنِّي أستَغْفِرُ اللهَ مِنْ سَـهْوِي»

وعَلى الهامشِ كُتبَ:

«عِنـدِي حَدَائـقُ جُـوْدٍ مِـنْ نَوالِكُـمُ قَـدْ مَسَّـهَا عَطَـشٌ فليَسْـقِ مَنْ غَرَسَـا
تَدَارَكُوهَــا وفــي أغْصَانِهــا رَمَــقٌ فلَيْسَ يُرْجَى اخْضِرَارُ العُوْدِ إذ يَبِسَا».

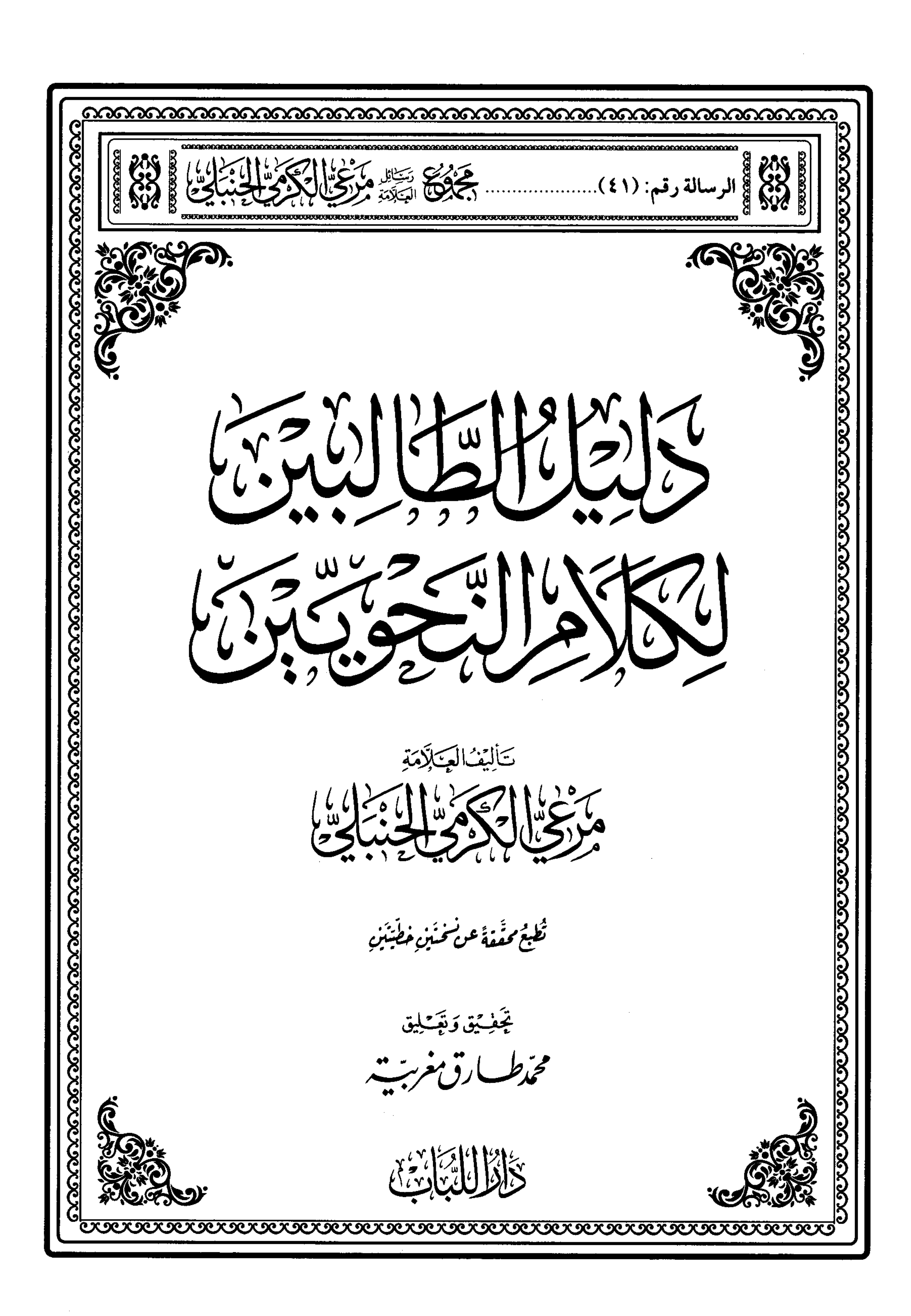
وفوق البيتين كتب: «غرس نعمتكم»، ولعله إشارة لكونها بدلاً من: «من نوالكم».

وفي (ع): «تمَّ بحمدِ اللهِ وعَونِهِ، نُقلَ مِن خطِّ مؤلِّفِهِ سامحَهُ اللهُ تَعالى، وافَقَ الفَراغُ منهُ يومَ الجُمعةِ المبارَكِ رابعَ شهرِ جمادَى الأخيرِ مِن شُهورِ سنةِ ١٠٣٩:

البَـدْرُ يَكْمُـلُ كُلَّ شَـهْرٍ مَـرَّةً وجَمَـالُ وَجْهِـكَ كُلَّ يَـوْمٍ كَامِـلُ
وحُلُوْلُـهُ فـي قَلْـبِ بُـرْجٍ وَاحِـدٍ ولَـكَ القُلُـوْبُ جَمِيْعُهُـنَّ مَنَـازِلُ

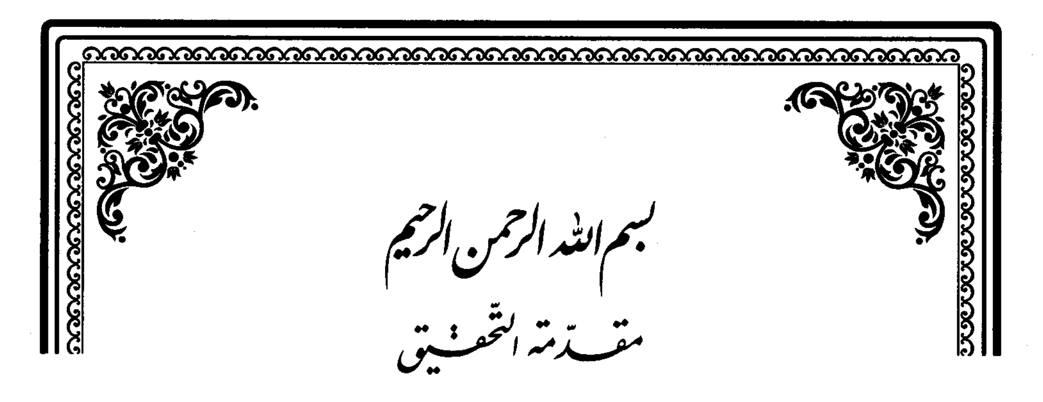
شعرٌ:

يَقُوْلُوْنَ تُبْ والكَأْسُ في كَفِّ أَغْيَدٍ وصَـوْتُ المثَانِـي والمَثَالِـثِ عَالـي
فقُلْـتُ لهُمْ لـو كُنْتُ أَضْمَـرْتُ تَوْبَةً وأبْصَـرْتُ هَـذا فـي المَنَـامِ بَدَالِـي
لا تَشْــرَبِ الخَمْــرَ صِرْفَــاً فالصِّــرْفُ يُــورِثُ ضَعْفَــاً
فاجْعَــلْ فــي الــرَّاحِ نِصْفَــاً واجْعَــلْ مِــنَ المــاءِ نِصْفَــاً
فــهِــــيَ مِــــزَاجٌ هَـنِـيَّــــاً أشْــــهَى إلـــى النَّفْسِ وأشْــفَا)


الرسالة رقم: (٤١)........................ مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي الحنبلي
دليل الطالبين لكلام النحويين
تأليف العلامة
مرعي الكرمي الحنبلي
تُطبع محققةً عن نسختين خطيتين
تحقيق وتعليق
محمد طارق مغربية
دار اللباب

مكتبة جامعة الملك سعود (ع)

مكتبة جامعة صلاح الدين (ص)



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمدُ للهِ الذِي شرَّفنا بالإسلامِ، وهدَانا بالقرآنِ، وسنَّةِ النبيِّ المصطفَى ﷺ أفصحِ مَن نطقَ بالضادِ، وجعَلَ علماءَ الدينِ ورثةَ الأنبياءِ، وحملةَ لواءِ الهدايةِ بما يبيِّنونَ منَ الشرعِ، فكانُوا فقهاءَ الدينِ، وحرَّاسَ حبلهِ المتينِ. وكانَ مِن تمامِ فقههِمْ وفهمهِمْ عنايتُهمْ بلغةِ القرآنِ بوابةِ الفهمِ، وأداةِ العلمِ. وكيفَ يهتدِي بمنارِ الشرعِ مَن لمْ يحكِمْ هذهِ اللغةَ الشريفةَ، ويضبِطْ أُصولها ويُحِطْ بأدَبِها؟!

وهـذا الإمـامُ مرعـيٌّ الكرمـيُّ الحنبلـيُّ رحمَـهُ اللهُ وأعلَـى مقامَهُ يخـوضُ هذا الغِمـارَ، وقـدْ عـرَفَ أنَّ حقيقَـةَ الفقـهِ لا تكونُ إلا بحِـذقِ العربيَّـةِ، وكأني بـهِ أرادَ أنْ يضـعَ لطلبـةِ الفقهِ والشـرعِ ـ وهوَ فيهِـمْ مَن هوَ حِذقـاً وتقدُّماً وإمامـةً ـ خلاصةً وافيةً تُغنيهـمْ مراجعَتُهـا وحفظُهـا عـنِ المطـولاتِ فـي علمِ النحـوِ، لبـابِ علـومِ العربيةِ وذِروةِ سـنامِها، فجـاءَتْ هـذهِ الرسـالةُ المحكمَةُ، والمتـنُ المتينُ.

في لغةٍ جميلةٍ وأسلوبٍ محكَمٍ رصينٍ يدلُّ عَلى اقتدارٍ وإحاطةٍ بدقائقِ هذا العلمِ وخفاياهُ، واطلاعٍ عَلى مصادرِهِ وأمهاتِهِ، ينهلُ منها ويعُلُّ، ويضعُ خُلاصتَها في هذا المتنِ رحِيقاً سلسَلاً، يسرُّ المبتدِي، ويذكِّرُ المنتَهي.

وقـدْ أكثرَ فيهِ منَ التقسـيماتِ والأبـوابِ والفصولِ، وذكرِ الأمثلةِ والشـواهدِ، باختصـارٍ شـديدٍ حتـى إنـهُ ربمـا ذكرَ كلمـاتٍ منَ البيـتِ أو صـدرَهُ أو عجُـزَهُ رَوماً

للاختصـارِ، وحصراً لذهـنِ الطالبِ، معتنياً بآيـاتِ الذكرِ الحكيـمِ، عارِضاً لمبادي علمِ النحـوِ ليكونَ أدعَى لتصورِهِ وسـهولةِ اسـتحضارِهِ.

وهوَ في متنهِ هذا آخذٌ منِ ابنِ هشامٍ في «قطرِهِ» و«شذورِهِ» متوكئ عليهما في صياغة كتابه، آخذٌ غالباً من «القطرِ» تعريفاتِهِ وأمثلتَهُ، وكذلكَ منِ ابنِ مالكٍ في «ألفيتِهِ» و«شرحها» لابن عقيلٍ، وغيرِها من كتبِ النحوِ.

لكنـهُ فـي صنيعِـه ليسَ مجـردَ ناقلٍ، بـلْ ربما رجَّحَ مـا ردهُ غيـرُهُ ورآه الأولى بالتقديـمِ؛ فقَـدْ رجَّـحَ مذهـبَ سـيبويهِ فـي ترجيـحِ انفصـالِ الضمائرِ فيمـا يتعدَّى إلـى مفعولَيـنِ، بينمـا رجَّحَ الجمهـورُ منَ النحـاةِ اسـتواءَ الاتصـالِ والانفصالِ في هـذهِ الحالةِ.

كما نجده في بابِ الاستثناءِ خرجَ عن نسقِ ابن هشامٍ في كتبِهِ، وأتى به في طريقَةٍ جديدَةٍ مخالفَةٍ لما فعلَهُ ابن هشامٍ في «القطرِ» و«الشذورِ». وهذا يدلُّ إنه كانَ موافقاً لهُ لا متابعاً، فلما خالفَ كلامُه ما يراهُ عدَلَ عنه وغيَّرَهُ.

وقدْ ختَمَ هذهِ الرسالةَ بذكرِ بعضِ قواعدِ الإملاءِ والرسمِ مترسِّماً نهجَ ابنِ هشامٍ رحمَهُ اللهُ تعالى في «القطرِ»، ونعمَ ما صنَعا؛ فيقبُحُ بطالبِ علمٍ وفقهٍ في الدينِ ألا يحسِنَ الكتابةَ، ويخطِئ في قواعدِها التي اصطلَحَ عليها العلماءُ.

كما اعتنى في مواضعَ كثيرةٍ ـ على وجازةِ الكتابِ واختصارهِ ـ بذكرِ مذهبِ الكوفيينَ والبصريينَ، واختلافِهِمْ في مسائلِ النحوِ.

ومِن حسناتِ الكتابِ اهتمامُهُ بالتعاريفِ اللغويةِ فهيَ أساسُ الاصطلاحِ، وبمعرفَتِها يتمهَّرُ الطالبُ، ثمَّ يدلفُ منها إلى اصطلاحاتِ النحاةُ وتعريفاتِهِمْ.

لكنَّ كلَّ هذهِ الحسناتِ وغيرَها مما ستقِفُ عَليها أيها القارئُ الكريمُ في ثنايا

الكتابِ لَمْ تمنَعْ وقوعَ بعضِ الأوهامِ في الكتابِ، فمِن ذلكَ وهمُهُ في نسبةِ الخلافِ في (ألِ التعريفِ)، هلْ هيَ (ال) كلُّها، أو اللام فقطْ؟ فجعَلَ الخلافَ بينَ سيبويهِ والأخفشِ، وجمهورُ النحاةِ عَلى كونهِ بينَ سيبويهِ والخليلِ.

كما قدْ يؤثِّرُ اختصارُهُ الشديدُ للعبارةِ، ورَومُهُ تركيزَها وإيجازَها عَلى الكتابِ وفهم مراميه فقد ذكر أشياء رامزاً؛ كمسألةِ الكُحلِ في اسمِ التفضيلِ؛ فقَدْ ذكرَ مِثالها عندَما تكلَّمَ عَنِ أمثلَةِ الفاعلِ، وكذلكَ في حالاتِ حذفِ المبتدأِ والخبرِ؛ أحدِهما أو كلَيْهما، فقدْ مثَّلَ للحالاتِ دونَ ذِكرِ أغلَبِها، فيحتاجُ المطالِعُ إلى مزيدِ إيضاحٍ وبيانٍ، خاصةً أنَّ المتونَ أصلاً تُوجَّهُ إلى شُداةِ الطلبةِ ومبتدئيهِمْ.

ولكَ أنْ تقولَ: هذا الأصلُ في المتونِ التي وضعَتْ للحفظِ، ومراجعةِ رؤوسِ مسائلِ العلمِ، فمَن أرادَ زيادةَ التوسعِ والفهمِ هرعَ إلى الشروحِ والمطولاتِ التي بسطَتْ المسائَل، وبينَتِ القولَ فيها.

وقد قمتُ بتحقيقِ هذه الرسالةِ بالاعتمادِ على نُسختَينِ خطِّيتين هما: نسخة جامعةِ الملكِ سعود ومزت لها بـ(ع)، وعلى نسخة جامعةِ صلاح الدين في أربيل بالعراق ورمزت لها بـ (ص).

عائداً إلى المصادرِ التي خمنْتُ نقلَ المؤلفِ عنها؛ وهيَ غالباً كتبُ العلامةِ ابنِ هشامٍ الأنصاريِّ رحمَهُ اللهُ كـ «شرحِ القطرِ» وهوَ عمدَتُهُ في الأساسِ، و«شرحِ الشذورِ»، و«أوضحِ المسالكِ»، و«مغني اللبيبِ»، وشرحِ العلامةِ بهاءِ الدينِ ابنِ عقيلٍ عَلى «الألفيةِ»، معَ فوائدَ مِن شروحِ «الآجروميةِ» و«المتمِّمةِ» تناسبُ المقامَ.

والمؤلفُ رحمَهُ اللهُ لم يذكُرْ شيئاً من مصادرِهِ، وهذِهِ طبيعةُ المتونِ المختصرةِ

تقومُ على وجازَةِ اللفظِ وتركيزِ المعنى، وإنْ ذكرَ ابنَ مالكٍ أكثرَ مِن مرةٍ مُنبِّهاً إلى اختِياراتِهِ أو ترجيحاتِهِ.

وقدْ حاولْتُ جَهدِي أنْ أختصِرَ في التعليقِ كيلا يفوتَ قصدُ المؤلفِ الذي أرادَ لكتابِهِ الاختصارَ ليُحفَظَ ويُضبَطَ.

لكنَّ المصنِّفَ كما بيَّنتُ ربما ألمحَ إلى القاعدةِ بمثال أو شاهدٍ دون تصريحٍ، فيحتاجُ المطالعُ لفهمِ ما أجملَهُ الشيخُ وأوجزَهُ. وفي غير ذلكَ لم أعلِّق ليبقَى المتن مُختصَراً خاصةً في الأبواب الأخيرةِ من بيانِ الأدواتِ والجمَلِ والرسمِ فقد أُفرِدت بالتصنيفِ، وفيما ذكرَهُ الشيخُ مقنَعٌ للشادي، وذكرى للمنتَهي والمتوسِّطِ.

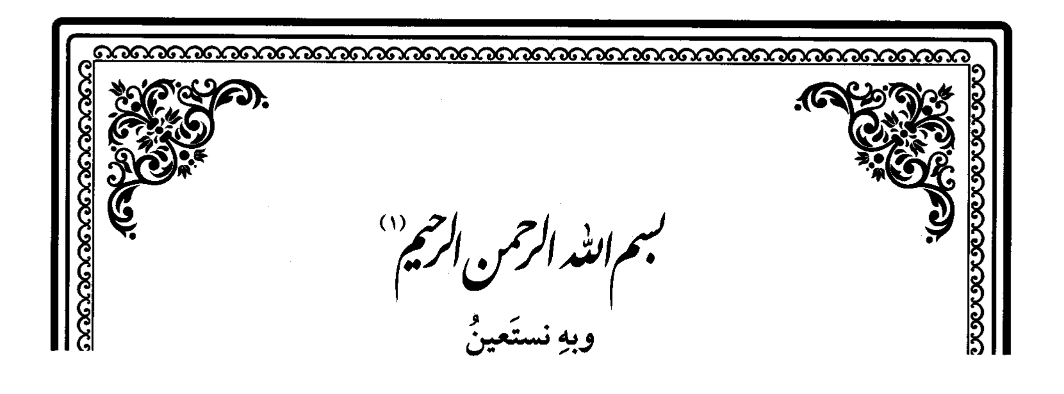
فما أجدرَ بطالبِ العلمِ أنْ يطالِعَ هذا المختصَرَ، متوفِّراً عليهِ، جامِعاً عزمَهُ عَلَى حفظِهِ، وضبطِ قيودِهِ، طالِباً لشرحِ غوامضِهِ، فيحصُلُ لهُ الحذقُ في علمِ النحوِ في أقربِ وقتٍ وأوجَزِ مدَّةٍ.

واللهَ تعالى أسألُ أنْ يتقبَّل مني عملِي، ويغفِرَ لي ولوالديَّ وولدِي، وأنْ يجزيَ عني شيوخِي ممنْ تلقَّيتُ عنهُمُ العلمَ خيرَ الجزاءِ. وأنْ يرحَمَ الإمامَ العلامةَ مرعي بنَ كرمي الحنبليَّ رحمةً واسعةً كِفاءَ ما كتَبَ، وأغنى المكتبةَ الإسلاميةَ في مختلفِ الفنونِ والعلومِ، فكانَ بحقٍّ علماً مِن أعلامِ المتأخِّرينَ وشمساً مِن شموسِهِمْ ممنْ قيلَ في أمثالهم: كَمْ تركَ الأولُ للآخرِ!!

والحمدُ للهِ أولاً وآخراً

المحقق

***



الحمْـدُ للهِ الـذِي رفَـعَ مَـن خفَـضَ جَناحَـهُ ونَصَـبَ نفسَـهُ للطَّالبيـنَ، والصلاةُ والسـلامُ عَلـى أفصَـحِ الناسِ لفظَـاً وقولاً وإعْرَابـاً، وكلمَـةً وكلاماً مُبيناً، وأحسَـنِهِمْ اسـماً وفِعـلاً وصِفـةً، ووصفاً ومعرفـةً وكنيةً، وعلَمـاً ولقَبـاً وتمييزاً وحَـالاً، وخاتمِ النبييـنَ والمرسـلِينَ، وعَلى آلـهِ وأصحابِـهِ الذِين رفعُـوا الفاعلَ، ونصبُـوا المفعُولَ، وخفَضُـوا المضـافَ فصاحةً منهُمْ وسـجيَّةً لهُمْ، كيـفَ لا؟ وقدْ فـازُوا بصحبةِ أفضَلِ الخلـقِ أجمعِيـنَ صلَـى اللهُ عليهِ وعليهِمْ مـا أعرَبُ مُعـربٌ قامَ زيدٌ وعمـرٌو، وانطلَقَ بكـرٌ وبشـرٌ، وامتُثِـلَ نهيٌ وأمـرٌ، وما دامـتِ السـماواتُ والأرَضِينَ(٢).

أما بعدُ:

فقدْ قالَ أهلُ العلمِ: النحوُ علمٌ مُستنبطٌ بالقِياسِ والاستِقراءِ مِن كتابِ اللهِ تَعالى، والكلامِ الفصِيحِ، ومعرفتُهُ فرضُ كفايةٍ.

---

(١) في (ص): «لبعضهم يمدح هذا الكتاب:

إذا مـا رمـت نحـواً مسـتبيناً　　　فلازم يـا أخـي هـذا الكتابـا
وطالـع فيـه تلـق النحـو سهلاً　　　فـنحوي حـواه لقـد أصـاب».

(٢) مـن براعة اسـتهلاله رحمـه الله، فقد ذكر غالـب أبواب النحو في هـذا المفتتح اللطيـف. وفي (ص): «منصوبـة مرفوعة عـن الأرضين».

ويقالُ[١]: أوَّلُ مَن وضعَهُ هو[٢] أبو الأسودِ بإشارةِ عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ، علَّمهُ الاسمَ والفعلَ والحرفَ، وشَيئاً منَ الإعرابِ وقالَ لهُ: انحُ هذا النحوَ يا أبا الأسودِ[٣].

ثمَّ النحوُ لغةً: يطلَقُ علَى: القصدِ، والمقدارِ، والجهَةِ، والمثلِ، والنَّوعِ، والبعْضِ[٤].

واصطلاحاً: علمٌ بأصولٍ يعرَفُ بها[٥] أحوالُ أواخرِ الكلِمِ إعراباً وبناءً[٦].

وموضُوعهُ: الكلماتُ العربيَّةُ.

---

(١) في (ص): «قيل إن».

(٢) «هو» ليست من (ص).

(٣) تعددت الروايات بصدد وضع النحو، ثم اتفقت غالب الروايات أن أول من وضعه أبو الأسود الدؤلي، مرة بإشارة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ومرة وضعه أبو الأسود من تلقاء نفسه لما رأى فشو اللحن وكثرة الخطأ في العربية، وتارة يروى إنه وضع النحو بأمر زياد بن أبيه لما أمره بنقط المصاحف، ويرى ابن فارس في كتابه «الصاحبي في فقه اللغة» أن العرب تكلمت بالنحو وقواعده ثم جاء أبو الأسود فوضح ذلك وأحياه، وقد أخذ عن أبي الأسود يحيى بن يعمر، وعنبسة الفيل، وميمون الأقرن، ونصر بن عاصم، وعطاء بن أبي الأسود، وأبو نوفل بن أبي عقرب، وعن هؤلاء أخذ علماء البصرة طبقة بعد طبقة، ثم نشأ بعد نحو مئة عام من تلاميذهم من ذهب إلى الكوفة فعلم بها، فكان منه ومن تلاميذه ما يسمى مدرسة الكوفة. ينظر: «العلة النحوية» للدكتور مازن المبارك (ص ٧) وما بعدها، و«أصول النحو» للأستاذ سعيد الأفغاني (ص ١٥٥) وما بعدها.

(٤) ينظر: «الكليات» للكفوي (ص ٧٦٩)، و«القاموس» (مادة: نحو).

(٥) في (ص): «منها».

(٦) «نور السجية بشرح الآجرومية» للخطيب الشربيني رحمه الله (ص ٥٣)، و«الفواكه الجنية على متممة الآجرومية» (ص ٣).

وفائدتُهُ: الاحترازُ عنِ الخطأِ في اللسانِ والاستعانة عَلى فهمِ مَعاني كلامِ اللهِ تعالى ورسولِهِ ﷺ، ومخاطبةِ العربِ بعضِهِمْ لبعضٍ.

والطريقُ المؤديةُ إلى تحصيلِ هذا العلمِ: معرفَةُ الأهمِّ منهُ كالكلمَةِ والكلامِ، والاسمِ والفعلِ والحرفِ، والإعرابِ والبناءِ، والنكرةِ والمعرفَةِ، والمرفوعِ، والمنصوبِ، والمجرورِ، والمجزومِ، والتابعِ والعامِلِ.

* * *

بابُ الكلمَةِ والكلامِ

الكَلِمَـةُ: بفتـحِ الـكافِ وكسـرِ الـلامِ أفصَـحُ مِـن فتـحِ الـكافِ وكسـرِها مـعَ إسـكانِ الـلامِ.

وهي لغةً: تُقالُ للجمَلِ المفيدةِ.

واصطِلاحاً: قولٌ مفردٌ[1].

والقولُ: هوَ اللفظُ الموضوعُ لمعنىً.

واللفـظُ: هـوَ الصـوتُ المشـتمِلُ علـى بعـضِ الحـروفِ الهجائيـةِ تحقِيقاً أو تقدِيراً.

والصوتُ: عرَضٌ يخرُجُ من داخلِ الرئةِ معَ النَّفسِ مستطِيلاً متَّصلاً بمقطَعٍ[2] مِن مقاطعِ الحلقِ واللِّسانِ والشفَتينِ.

والمفردُ: ما لا يدلُّ جزؤهُ عَلى جزءِ معناهُ كـزيدٍ.

ويقابلُهُ المركَّبُ وهو: ما دلَّ جُزؤهُ عَلى جزءِ معناهُ كغلامِ زيدٍ.

وللمُفـردِ أربعَـةُ إطلاقـاتٍ؛ فتـارةً يُـرادُ بـهِ ما قابـلَ المركَّـبَ كما هُنـا، وكما في بـابِ العلَـمِ، وتـارةً يـرادُ بِهِ مـا قابلَ المعـرَبَ بالحـروفِ وجمـعَ التكسِـيرِ وذلكَ في بـابِ الإعـرابِ، وتارةً يـرادُ بِهِ ما قابلَ المضافَ وشِـبهَهُ، وذلكَ في بـابِ لا والمنادَى، وتـارةً يُـرادُ بـهِ ما قابَـلَ الجملةَ وشِـبهها وذلكَ في بـابِ المبتـدأِ والخبرِ.

***

---

(١) هذا تعريف ابن هشام رحمه الله؛ ينظر: «شرح قطر الندى» (ص ٢١).

(٢) في (ع): «بانقطاع مقطع».

فصلٌ

والكلامُ لغةً: عبارةٌ عنِ القولِ وما كانَ مُكتفياً بنفسِهِ.

واصطِلاحاً: لفظٌ مفيدٌ[١].

وأجزاءُ الكلامِ التي يتركَّبُ مِنها ثلاثةٌ: اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ، فيتركَّبُ من اسمَينِ كزيدٌ قائمٌ، ومِن فعلٍ واسمٍ كقامَ زيدٌ، ومنَ الثلاثِ كلن[٢] يقومَ زيدٌ[٣].

وأمَّا الكلِمُ فهوَ: ما تركَّبَ مِن ثلاثِ كلماتٍ فأكثرَ، سواء[٤] أفادَ أم لم يفدْ، فهوَ أخصُّ منَ الكلامِ باشتراطِ التركيبِ منَ الثلاثِ، وأعمُّ منهُ بعدمِ اشتراطِ الفائدَةِ، والكلامُ عكسُهُ[٥].

***

---

(١) وإنما بدؤوا بتعريف الكلام، لأنه هو المقصود في الحقيقة، إذ به يقع التفاهم. «توضيح المقاصد بشرح الألفية» لابن أم قاسم (ص ٢٤).

(٢) في (ع) و(ص): «كلن».

(٣) وربما تركب من جملتين؛ كجملة الشرط وجوابه كقولنا، إن قام زيد قمت، والقسم وجوابه؛ نحو: أحلف بالله لزيد قائم، أو من فعل واسمين كقولنا: كان زيد قائماً، أو من فعل وثلاثة أسماء؛ كقولنا: علمت زيداً منطلقاً، ومن فعل أربعة أسماء؛ كقولنا: أعلمت زيداً عمراً منطلقاً. شرح قطر الندى (ص ٦٠).

(٤) «سواء» من (ص).

(٥) فمثال الكلام: زيد قائم، ومثال الكلم: إن قام زيد. «شرح ابن عقيل» (١/ ١٩).

بابُ الاسمِ والفعلِ والحرفِ

الاسمُ لغةً: ما دلَّ عَلى مسمًّى[١].

واصطِلاحاً: كلمةٌ دلَّتْ عَلى معنىً في نفسِها غيرَ مقترنةٍ بزمَنٍ وضعاً[٢].

وعلامتُهُ: إمَّا أنْ تكونَ مِن أولِهِ مثلَ: حُروفِ الجرِّ، وحروفِ النداءِ، وأداةِ التعريفِ.

وإمَّا مِن آخرِهِ مثلَ: تنوينِ التمكِينِ والتنكيرِ والعِوَضِ والمقابلَةِ، وياءِ النسَبِ والتثنيَةِ والجمعِ[٣].

وإمَّا مِن جملتِهِ مثلَ: التصغِيرِ والتنكيرِ والإضمارِ.

وإمَّا مِن معناهُ مثلَ: كونهِ خبَراً، أو مخبَراً عنهُ، أو فاعِلاً، أو مفعُولاً، أو منعُوتاً.

---

(١) واختلفوا في اشتقاقه؛ فقال الكوفيون إنه مشتق من الوسم وهو العلامة، وقال البصريون إنه مشتق من السمو وهو العلو. «الإنصاف» لابن الأنباري (١/ ٦).

(٢) «الفواكه الجنية على المتممة» (ص ٤).

(٣) تنوين التمكين اللاحق للأسماء المعربة كزيد ورجل، وتنوين التنكير اللاحق للأسماء المبنية فرقاً بين معرفتها ونكرتها؛ نحو مررت بسيبويه وسيبويهٍ آخر؛ فالمنون نكرة والمبني على الكسر يدل على العلم الملقب بهذا اللقب، وتنوين العوض ما كان عوضاً عن جملة كقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أي: حين إذا بلغت الروح الحلقوم، أو اسم كقولنا: كلٌّ قائمٌ؛ أي: كلُّ إنسانٍ قائمٌ، أو حرف كقولنا: غواشٍ بدلاً عن غواشي، وتنوين المقابلة ما لحق جمع المؤنث السالم؛ كقولنا: رأيت مسلماتٍ. «نور السجية على الآجرومية» للخطيب الشربيني (ص ٦٣).

أما ياء النسب فهي ما تلحق آخر الأسماء المنسوبة كقولنا: نحوي، وياء المثنى والجمع ما لحقت المثنى وجمع المذكر السالم؛ كقولنا، رأيت مسلمَين ومسلِمينَ. ينظر: «شرح ابن عقيل» (١/ ٢١)، و«توضيح المقاصد» (ص ٢٩).

وحكمُهُ: الإعرابُ ما لم يشبهِ الحرفَ فيُبنى.

وهوَ ثلاثةُ أقسامٍ: مُظهَرٌ، ومُضمرٌ، ومُبهمٌ.

فالمظهَرُ: ما دلَّ بظاهرِهِ وإعرابِهِ عَلى المعنى المرادِ بِهِ كزيدٍ.

والمضمَرُ: ما كني بِهِ عنِ الظاهرِ اختِصاراً؛ كأنا وأنتَ.

والمبهَمُ: كهذا وهذِهِ[1].

* * *

(فصلٌ)

والفعلُ لغةً: الحدثُ، **واصطِلاحاً**: كلمةٌ دلَّتْ عَلى معنىً في نفسها، واقترنَتْ بزمنٍ وضعاً[2]، وهوَ ثلاثةُ أقسامٍ أيضاً[3]: ماضٍ، ومضارعٌ، وأمرٌ.

فالماضِي: ما دلَّ وضْعاً عَلى حدثٍ وزمانٍ انقضَى.

وعلامتُهُ: أنْ يقبَلَ تاءَ التأنيثِ الساكنَةَ.

وحكمُهُ: البناءُ عَلى الفتحِ لفظاً كقامَ، أو تقديراً إنِ اتصَلَ بهِ ضميرُ رفعٍ متحرِّكٌ، أو واو جماعَةٍ كضربْتُ وضرَبوا[4].

والمضارعُ: ما دلَّ وضْعاً عَلى حدثٍ وزمانٍ غيرِ مُنقضٍ[5] حاضِراً كانَ أو مُستقبَلاً.

---

(١) والمضمرات والمبهمات مبنية لشبهه الحرف، وتأدية المعاني التي يؤديها الحرف وهي التكلم والخطاب والغيبة. «الفواكه الجنية» (ص ٨).

(٢) في (ص): «وضعها».

(٣) «أيضاً» من (ص).

(٤) فيقال في إعرابه: فعل ماض مبني على الفتح المقدر، منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة المناسبة. وهي السكون في: ضربْتُ، والضمة في: ضربوا.

(٥) في (ص): «منتقض».

وعلامتُهُ: أنْ يقبَلَ لم والسِّينَ وسوفَ.

وحكمُهُ: الإعرابُ ما لمْ تتصِلْ بهِ نونُ النسوةِ فيُبنى عَلى السكونِ، أو تباشرَهُ نونُ التوكيدِ الخفيفَةُ أو الثقيلَةُ فيُبنى عَلى الفتحِ.

والأمرُ: ما دلَّ عَلى حدثٍ في زمنٍ مُستقبلٍ فقَطْ.

وعلامتُهُ: أنْ يدُلَّ عَلى الطلبِ بالصيغةِ معَ قبولِ ياءِ المؤنثةِ المخاطبَةِ.

وحكمُهُ: البناءُ عَلى ما يجزَمُ بِهِ مضارعُهُ لو كانَ مُعرَباً.

***

فصلٌ

والحرفُ لغةً: طرفُ الشيءِ.

واصطِلاحاً: كلمةٌ دلَّتْ عَلى معنى في غيرِها لا في نفسِها.

وعلامتُهُ: ألا يقبَلَ شَيئاً من علاماتِ الأسماءِ، ولا شيئاً مِن علاماتِ الأفعالِ.

وحكمُهُ: البناءُ مُطلَقاً وهوَ ثلاثةُ أقسامٍ:

مختصٌ بالأسماءِ فيعمَلُ فيها الجرَّ كمَن وإلى.

ومختصٌ بالأفعالِ فيعمَلُ فيها الجزْمُ كلَمْ ولما.

ومشتركٌ فلا يعمَلُ كهل وبلْ.

وإنَّما عملَتْ ما وإن ولا النافياتُ لعارِضِ الحملِ عَلى ليسَ. ومنَ العرَبِ مَن يهمِلُهنَّ عَلى الأصلِ.

وإنَّما لم تعمَلْ هاءُ التنبِيهِ، وأل المعرفةُ معَ اختِصاصِهما بالأسماءِ، ولا قد

والسينِ وسوفَ معَ اختصَاصهِنَّ بالأفعالِ[١] لتنزيلهِنَّ منزلَةَ الجُزءِ مِن مدخلهِنَّ[٢]، **وجزءُ الشيءِ لا يعملُ فيهِ.**

وإنَّما لم تعمَلْ إنَّ وأخواتُها وأحرُفُ النداءِ الجرَّ؛ لأنَّها أشبهَتِ الفعلَ، وإنَّما عمِلتْ لنْ النصبَ دونَ الجزمِ حَملاً عَلى لا النافيةِ للجنسِ لأنَّها بمعناها، وبعضُهمْ يجزِمُ بها كقولِهِ[٣]:

فلَنْ يحلُ للعَينَينِ بعْدَكِ مَنْظَرُ[٤]

***

(١) في (ص): «لفعل».

(٢) في (ع) و(ص): «مدخولهن».

(٣) البيت لكُثيِّرِ عزة كما في «ديوانه» (ص ٣٢٨)، و«شرح شواهد المغني» (٢/ ٦٨٧)، وصدره:

أيادي سبا يا عَزُّ ما كنتُ بعدَكُمْ

وقوله: أيادي سبا: من أمثال العرب معناه: مشتت البال، والمعنى: كنت مشتتاً بعدك يا عزة، فلن يحلو لعيني بعدك منظرٌ، والشاهد فيه قوله: (لن يحلُ): فقد جزم الفعل بلن شذوذاً، وعلامة جزمه حذف حرف العلة.

(٤) في هامش (ع): (قوله أو منزل منزلته كالأسماء المحذوفة أعجازها نحو يد ودم).

بابُ الإعرابِ والبناءِ

الإعرابُ لغةً: البيانُ، والتغييرُ، والتحسِينُ[١].

واصطِلاحاً: عَلى القولِ بأنهُ لفظِيٌّ: أثرٌ ظاهرٌ أو مقدَّرٌ يجلِبهُ العامِلُ في آخرِ الكلمَةِ أو ما نُزِّلَ مَنزلتَهُ.

وعلى القولِ بأنهُ معنوِيٌّ: تغييرُ أواخرِ الكلامِ[٢] لاختلافِ العوامِلِ الداخِلةِ عليْها لفظَاً أو تقدِيراً.

وأنواعُهُ أربعةٌ: رفعٌ ونصبٌ في اسمٍ وفعلٍ، وخفضٌ في اسمٍ، وجزمٌ في فعلٍ.

***

(فصل)

والبناءُ لغةً: وضعُ شيءٍ عَلى شيءٍ عَلى صفةٍ يُرادُ بها الثبوتُ.

واصطِلاحاً عَلى القولِ بأنهُ لفظِيٌّ: ما جيءَ به لا لبيانِ مُقتضَى العاملِ مِن شبهِ الإعرابِ مِن حركةٍ، أو حرفٍ، أو سكونٍ، أو حذفٍ، وليسَ حكايةً، ولا نَقلاً، ولا إتبَاعاً، ولا تخلُّصاً مِن سكُونَينِ.

وعَلى القولِ بأنهُ معنويٌّ: لزومُ آخرِ الكلمَةِ حالةً واحدةً لغيرِ عاملٍ[٣].

وأنواعُهُ أربعةٌ: ضمٌ وكسرٌ في اسمٍ وحرفٍ، وفتحٌ وسكونٌ في الكلمِ الثلاثِ.

***

---

(١) وهو كذلك: إجراء الفرس، وأن لا تلحن في الكلام، وأن يولد لك ولد عربي اللون، والفحش، وقبح الكلام. «القاموس» (مادة: عرب) و«لسان العرب» (مادة: عرب).

(٢) في (ع) و(ص): «الكلم».

(٣) ينظر: «الكليات» لأبي البقاء (ص ٢٠٠).

بابُ المعرَبِ والمبْني

المعرَبُ منَ الأسماءِ: ما سلِمَ مِن شبَهِ[١] الحرفِ، فإنْ كانَ صحيحَ الآخرِ كزيدٍ، أو مُشبِهاً للصحيحِ كدلوٍ وظبيٍ ظهرَتْ فيهِ الحركاتُ الثلاثُ.

وإنْ كانَ مُعتلاً بالألفِ كالفَتى قدِّرتْ فيهِ الحركاتُ[٢] الثلاثُ للتعذُّرِ، وسمِّيَ: مَقصُوراً؛ وهوَ كلُّ اسمٍ معرَبٍ آخرُهُ ألفٌ لازمَةٌ.

وإنْ كانَ مُضافاً لياءِ المتكلِّمِ كغُلامي قُدرَتْ فيهِ الثلاثُ أيضاً لاشتغالِ المحلِّ بحركةِ المناسبَةِ، وهوَ كلُّ اسمٍ أُضيفَ لياءِ المتكلِّمِ، وليسَ مثنىً ولا مجمُوعاً جمعَ سلامةٍ لمذكرٍ، ولا منقُوصاً ولا مقصُوراً.

وإنْ كانَ مُعتلاً بالياءِ كالقاضِي قدِّرتْ فيهِ الضمَّةُ والكسرَةُ للثقَلِ، وظهرَتِ الفتحَةُ للخفَّةِ، وسمِّيَ مَنقُوصاً؛ وهوَ: كلُّ اسمٍ معربٍ آخرُهُ ياءٌ لازمَةٌ قبلَها كسرةٌ.

والمعرَبُ منَ الأفعالِ: الفعلُ المضارِعُ بشرطِهِ، فإنْ كانَ صحيحَ الآخرِ كيضرِبُ جزِمَ بالسكونِ، وظهرَتْ فيهِ الضمَّةُ والفتحَةُ، وإنْ كانَ مُعتلاً بالألفِ كيخْشَى[٣] قدِّرَتا فيهِ[٤] للتعذُّرِ، وإنْ كانَ مُعتَلاً بالواوِ والياءِ كيدعُو ويرمِي قدِّرتْ فيهِ[٥] الضمَّةُ فقطْ للثقَلِ، وظهرَتِ الفتحَةُ للخفَّةِ، والجازِمُ يحذفُ حرفَ العلةِ مُطلَقاً.

***

---

(١) في (ع) و(ص): «مشابهة».

(٢) «الحركات» من (ص).

(٣) في (ع): «كخشي».

(٤) «فيهِ» ليست في (ص).

(٥) «فيهِ» ليست في (ص).

(فصلٌ)

والمبنيُّ منَ الأسماءِ: ما أشبَهَ الحرفَ في الوضعِ، أو المعنَى، أو الاستعمالِ، أو الافتِقارِ، أو الإهمالِ، أو اللفظِ.

فالشبَهُ الوضعِيُّ: أنْ يكُونَ الاسمُ مَوضُوعاً في الأصلِ على حرفٍ [واحدٍ كتاءِ قمتُ أو على حرفَينِ وإنْ لم يكُنْ ثانيهما حرفَ لينٍ][1] كالضمائرِ، ولا يرِدُ: (نحنُ)؛ لأنهُ فردٌ نادرٌ فألحِقَ بالأعَمِّ الأغلَبِ.

والشبَهُ المعنويُّ: أنْ يتضمَّنَ الاسمُ معنىً مِن معاني الحروفِ كأسماءِ الشروطِ والاستفهامِ، وكذا أسماءُ الإشارةِ، وإنما أعرِبَتْ أيّ وذانِ وتانِ عَلى قولٍ لمعارضَةِ الشبهِ بالإضافةِ والتثنيةِ اللتَينِ مِن خواصِّ الأسماءِ.

والشبَهُ الاستِعماليُّ: أنْ يكُونَ الاسمُ نائباً عنِ الفِعلِ، ولا يتأثَّر بالعامِلِ كأسماءِ الأفعالِ، فأشبَهتِ الحرفَ في كونِها عاملةً غيرَ معمولةٍ.

والشبَهُ الافتقَاريُّ: أنْ يكُونَ الاسمُ لازمَ الافتقارِ إلى جملةٍ يتمُّ بها معناهُ كالأسماءِ الموصولةِ، وأعرِبَ اللذانِ واللتانِ على قولٍ لما[2] تقدَّمَ.

والشبَهُ الإهماليُّ: أنْ يكونَ الاسمُ مشبِهاً للحرفِ في كونِهِ غيرَ عاملٍ وغيرَ معمُولٍ كأوائلِ السورِ، وأسماءِ الهجاءِ، وكذا الأسماءُ قبلَ التركيبِ عَلى قولٍ.

والشبَهُ اللفظِيُّ: أنْ يكُونَ الاسمُ مُشبِهاً للحرفِ في لفظِهِ كـ: (علَى) الاسميةِ، و(كلا) بمعْنَى حقاً، و(الكافِ) بمعنى مثلِ[3].

***

(١) في (ص): «أو حرفين» بدلًا لما بين معكوفتين.

(٢) في (ع) و(ص): «كما».

(٣) ينظر: «شرح ابن عقيل» (١/ ٣٠)، و«شرح ابن الناظم» (ص ٢٩).

بابُ علاماتِ الإعرابِ

الأصلُ في المعرَبِ أنْ يعرَبَ بالحركاتِ، ثمَّ في المرفوعِ أنْ يرفَعَ بالضمَّةِ، وفي المنصوبِ أنْ ينصَبَ بالفتحةِ، وفي المجرورِ أنْ يجرَّ بالكسرةِ، وفي المجزومِ أنْ يجزَمَ بالسكونِ، وخرجَ عنِ الأصلِ سبعَةُ أبوابٍ:

الأولُ: ما لا ينصرِفُ[١] فيجرُّ بالفتحةِ؛ نحوُ: مساجدَ ومصابيحَ، وصحراءَ، وحُبلَى، وإبراهيمَ، وأحمدَ، وعمرَ، وعُثمانَ، وبعلبكَّ، وفاطمةَ وطلحةَ وزينبَ، وسكرانَ، وأبيضَ، وأُخرَ، فإنْ أُضيفَ أو دخلتْهُ أل جرَّ بالكسرةِ عَلى الأصلِ[٢].

الثَّاني: ما جمِعَ بألفٍ وتاءٍ مزيدتَينِ كـ: هِنداتٍ وسجَداتٍ؛ فينصَبُ بالكسرَةِ، وألحِقَ بِهِ: أولاتٌ، وكذا ما سمِّيَ بِهِ منهُ كـ: أذْرُعَاتٍ، وعرفاتٍ بالتنوينِ وتركِهِ، وإعرابُهِ إعرابُ ما لا ينصرِفُ.

الثالثُ: الأسماءُ الخمسةُ وهيَ: أخوكَ وأبوكَ وحموكَ وفوكَ وذو مالٍ؛ فتُرفَعُ بالواوِ، وتنصَبُ بالألفِ، وتجرُّ بالياءِ، بشرطِ أنْ تكونَ مفردةً مكبّرةً مضافةً لغيرِ ياءِ المتكلِّمِ[٣]، وأنْ يخلُوَ الفمُ منَ الميمِ، والأفصَحُ في الهن إعرابُهُ بالحركاتِ.

---

(١) وذلك لشبهه بالفعل، فهو غير متمكن في باب الاسمية، ينظر: «شرح ابن عقيل» (٣/ ٣٠٢).

(٢) أما مساجد ومصابيح فلأنها على صيغة منتهى الجموع وهي أن يكون بعد ألف الجمع حرفان أو ثلاثة، وصحراء وحبلى لأنها منتهية بألف التأنيث ممدودة ومقصورة، وهاتان العلتان قويتان يكتفى بواحدة منهما لمنع الكلمة من الصرف، أما باقي الأسماء فيشترط فيها علتان، فإبراهيم للعلمية والعجمة، وأحمد للعلمية ووزن الفعل، وعمر للعلمية والعدل عن وزن فاعل فأصله عامر، وعثمان للعلمية والانتهاء بألف ونون، وبعلبك للعلمية والتركيب المزجي، وزينب وفاطمة وطلحة للعملية والتأنيث، وسكران للوصف ووزن فعلان، وأبيض للوصف ووزن أفعل، وأخر للوصف والعدل عن آخر. «شرح ابن عقيل» (٣/ ٣٠٣).

(٣) فإن كانت مجموعة أو مثناة أعربت إعراب المثنى والجمع، وإن صغرت أعربت بالحركات =

الرابعُ: المثنَّى؛ فيُرفَعُ بالألفِ، ويُنصَبُ ويجرُّ بالياءِ، وألحِقَ بهِ (كِلا) و(كِلتا) معَ المضمَرِ، و(اثنـانِ) و(اثنتَـانِ) مُطلَقـاً[1]، وكـذا ما سـمِّيَ بهِ منـهُ كـ: (زيـدانِ) علَماً، ويجـوزُ فيـهِ أيضَاً إعـرابُ مـا لا ينصـرِفُ للعلَميةِ، وزيـادةِ الألـفِ والنونِ.

الخامسُ: جمعُ المذكَّرِ السالمُ؛ فيرفَعُ بالواوِ، وينصَبُ ويجرُّ بالياءِ، وألحِقَ بهِ: أولُو وعُشرون وأخواتُهُ، وعالمُونَ، وأهلُونَ وأرَضُونَ وسِنونَ وبنُونَ[2]، وكذا ما سمِّيَ بهِ منهُ كـ: عليُّونَ وزيدُونَ، ويجوزُ فيهِ أيضَاً أنْ تلزمَهُ الياءُ أو الواوُ، ويُعرَبَ بالحركاتِ عَلى النونِ منونةً، وأن تلزمَهُ الواوُ وتفتَحَ النونُ، وبعضُهمْ يجرِي بنينَ وسنينَ مجرَى: غِسلينَ[3] فيُعربُهُ بالحركاتِ مُنونَةً.

السادِسُ: الأمثلةُ الخمسةُ وفي نسخة الأفعال الخمسة[4] وهيَ: تفعلانِ، ويفعلانِ، وتفعلونَ، ويفعلونَ، وتفعلينَ؛ فترفَعُ بالنونِ، وتجزَمُ وتنصَبُ بحذفِها.

السابعُ: الفعلُ المضارعُ المعتَلُّ الآخرِ، فيجزَمُ بحذفِ آخرِهِ.

والحاصلُ أنَّ الضمةَ ينوبُ عنها ثلاثةٌ: الواوُ والألفُ والنونُ، والفتحَةَ ينوبُ عنها أربعةٌ[5]: الألفُ والكسرةُ والياءُ وحذفُ النونِ، والكسرةَ: تنوبُ عنها الياءُ والفتحةُ، والسكونَ: ينوبُ عنهُ الحذفُ.

* * *

= الظاهرة، وإن أضيفت لياء المتكلم أعربت بحركات مقدرة على ما قبل ياء المتكلم.

(١) وإنما ألحقا به لأن من شرط المثنى أن يكون له واحد من لفظه، فإن لم يكن سمي: ملحقاً بالمثنى.

(٢) لأنه ليس لها واحد من لفظها فألحقت بالجمع.

(٣) في (ع): «عليين».

(٤) «وفي نسخة الأفعال الخمسة» من (ص).

(٥) «أربعةٌ» ليست في (ص).

بابُ أحكامِ الفعلِ المضارِعِ

حكمُ الفعلِ المضارعِ إذا تجرَّدَ منْ ناصبٍ وجازمٍ: الرفعُ لفْظَاً أو تقدِيراً أو محلَّاً. ونواصبُهُ كذلكَ أربعةٌ:

الأولُ(١): (لنْ) مُطلقاً، ومعنَاها نفيُ المستقبَلِ(٢).

والثَّاني(٣): (كي) المصدريَّةُ؛ وهيَ ما تقدَّمها اللامُ لفْظاً أو تقدِيراً(٤).

الثالثُ(٥): (إذنْ) بشرطِ كونِها مصدَّرةً، والفعلُ بعدَها مستقبلٌ ولمْ يفصِلْ بينَها وبينَ الفعلِ فاصلٌ، ولا يضرُّ الفصلُ بالقسَمِ ولا النافيةُ(٦)، وإلغاؤها معَ اجتماعِ الشروطِ(٧) لغةٌ لبعضِ العربِ، وتلقَّاها البصريُّونَ بالقَبولِ(٨).

الرابعُ: (أنْ) المصدريَّةُ؛ فتعمَلُ ظاهرةً نحوُ: ﴿أَن يَغْفِرَ لِى﴾ [الشعراء: ٨٢] ما لمْ

---

(١) «الأولُ» ليست في (ص).

(٢) ولا تفيد تأبيداً ولا تأكيداً خلافاً للزمخشري. «شرح قطر الندى» (ص ٧٩).

(٣) «الثَّاني» ليست في (ص).

(٤) لفظاً كقوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ [الحديد ٢٣]. وتقديراً كقولك: جئتك كي تكرمني. «شرح قطر الندى» (ص ٨٠).

(٥) «الثالثُ» ليست في (ص).

(٦) ومثال ما استجمع الشرط قولك لمن قال لك: سأجتهدُ، إذن والله ينجحَ.

(٧) في (ع) و(ص): «الشرط».

(٨) قالَ سيبَوَيْه: «وَزعم عِيسَى بن عمر أنّ نَاساً من العَرَب يقُولونَ: «إذَنْ أفعلُ ذَلِك» في الجواب، فأخْبرت يونُس بذلك، فقالَ: لَا تُبْعِدنّ ذَا، وَلم يكن ليرويَ إلا ما سمع، جعلوها بمَنْزِلَة: (هَلْ) و(بَلْ). وبنَاء على ماحكاه سِيبَوَيْه، اخْتلف النحويون فِي إلْغَاء عَملها مَعَ اسْتِيفَاء الشرُوط: فذهب البصريون إلى إثْبَات إلْغاء عَملهَا رُجُوعا إلَى نقل عِيسَى، ووَافَقَهُمْ ثَعْلَب، وَخَالفهُم سَائِر الْكُوفِيّينَ فلم يجزْ أحدٌ الرفْعَ بعْدهَا. ينظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ١٦)، و«شرح المفصل» (٧/ ١٦).

تسبَقْ بلفظٍ دالٍّ على اليقينِ فتهمَلُ[(١)] نحوُ: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ [طه: ٨٩].

فإنْ سُبِقَتْ بظنٍّ فوجهانِ[(٢)] نحوُ: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [المائدة: ٧١].

وتعمَلُ مُضمَرةً؛ وإضمَارُها إمَّا جوازاً أو وجُوباً، فالجوازُ بعدَ: الواوِ والفاءِ وثمَّ وأو واللامِ الجارةِ نحوُ:

ولُبْسُ عَبَاءَةٍ وتَقَرَّ عَيْنِي[(٣)]

لولا تَوَقُّعُ مُعْتَرٍّ فأُرضِيَهُ[(٤)]

إنّي وقَتْلِي سُلَيْكاً ثمَّ أعْقِلَهُ[(٥)]

---

(١) لأنها ليست أن الناصبة، وإنما المخففة من الثقيلة. «النحو والصرف» عاصم البيطار (ص ٢٢٩)، و«شرح ابن عقيل» (٢/ ٣٣٦).

(٢) لكن إن لم يفصل بينها وبين الفعل فاصل رجح النصب كقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾. «النحو والصرف» (ص ٢٢٩).

(٣) صدر بيت عجزه:

أحبُّ إليَّ من لُبسِ الشُّفوفِ

قائلته ميسون بنت بحدل زوج معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، والشاهد فيه نصب الفعل تقرَّبـ(بأن) مضمرة جوازاً بعد الواو. «شرح ابن عقيل» (٢/ ٣٥٥).

(٤) صدر بيت عجزه:

ما كنت أوثر إترابــاً على تــرب

لا يعرف قائله، والشاهد فيه نصب المضارع بأن مضمرة جوازاً بعد الفاء. «شرح ابن عقيل» (٢/ ٣٥٧).

(٥) صدر بيت عجزه:

كالثور يضرب لما عافت البقر =

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥٢] ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢].

والوجوبُ: الأولُ: بعدَ (كي) التعليليَّةِ وهيَ التي تتقدَّمها اللامُ.

والثاني: بعدَ (لامِ الجحُودِ): وهيَ المسبوقةُ بكونٍ منفيٍّ نحوُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٣٧].

والثالث: بعدَ (حتَّى) إذا كانَ الفعلُ بعدَها مستَقبلاً نحوُ: ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ﴾ [طه: ٩١] ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤].

والرابعُ: بعدَ (أو) الصالحةِ في موضِعها (إلى) أو (إلا) نحوُ: لألزمنَّكَ أو تقضِيَني حقِّي، لأقتلنَّ الكافرَ أو يسلِمَ[(١)].

والخامسُ: بعدَ (فاءِ السببيَّةِ) أو (واو المعيَّةِ) في الأجوبةِ الثمانيةِ وهيَ: النفيُ، والأمرُ، والنهيُ، والدعاءُ، والاستفهامُ، والعرضُ، والتحضيضُ، والتمنِّي، وزادَ بعضُهم: الترجِّيَ[(٢)].

فمثال النفي[(٣)]: نحوُ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ [فاطر: ٣٦].

ومثال الأمر[(٤)]: ارحَمْ من في الأرضِ فيرحمكَ مَن في السماءِ.

= قائله أنس بن مدركة الخثعمي، والشاهد نصب الفعل المضارع بعد ثم بأن مضمرة جوازاً. «شرح ابن عقيل» (١/ ٣٥٦).

(١) فالمعنى في الأولى: لألزمنك إلى أن تقضيني حقي، والثانية: لأقاتلن الكافر إلا أن يسلم.

(٢) وجمعها ابن هشام بقوله: إذا كانت مسبوقة بنفي محض، أو طلب بالفعل. «شرح قطر الندى» (ص ٩٩). «شرح شذور الذهب» (ص ٣٠٢).

(٣) «فمثال النفي» من (ص).

(٤) «مثال الأمر» من (ص).

ومثال النهي[١]: لا تبخَلْ فيوسعَ عليكَ ربُّكَ[٢].

ومثال الدعاء[٣]: ربي أغْنِني فأشكرَكَ.

ومثال الاستفهام[٤]: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ومثال العرض[٥]: ألا تُعطِينا فندعُوَ لكَ.

ومثال التحضيض[٦]: هلَّا أكرمْتَنا فنشكرَكَ[٧].

ومثال التمني[٨]: ليتكَ تمنُّ علينا فيمنَّ اللهُ عليكَ.

ومثال الترجي: لعلك[٩] تنظُرُ إلينا فينظُرَ اللهُ إليكَ.

وقدْ سُمِعَ النصبُ بعدَ الفاءِ في جميعِ ما مرَّ، وسُمعَ بعدَ الواوِ في خمسةٍ وهي: النفيُ، والأمرُ، والنهيُ، والتمنِّي، والاستفهامُ، وقاسَهُ النحويُّونَ في الباقي، فإنْ سقطَتِ الفاءُ بعدَ الطلَبِ بجميعِ أنواعِهِ، ولو باسمِ الفعلِ وقصدِ الجزاءِ جزِمَ الفعلُ نحوُ: ارحَمْ تُرحَمْ، ولا تظلِمْ تغنَمْ، وقلْ ربي سلِّمني أسلمْ[١٠].

***

---

(١) «مثال النهي» من (ص).

(٢) «ربكَ» ليست في (ص).

(٣) «ومثال الدعاء» من (ص).

(٤) «ومثال الاستفهام» من (ص).

(٥) «ومثال العرض» من (ص).

(٦) «ومثال التحضيض» من (ص).

(٧) في (ص): «فنثني عليك».

(٨) «ومثال التمني» من (ص).

(٩) في (ع) و(ص): «ألعلك».

(١٠) في (ع) و(ص): «تسلم».

(فصلٌ)

وجوازِمُهُ نوعانِ: ما يجزِمُ فعلاً واحداً وهوَ أربعةٌ:

(**لمْ**) وهيَ حرفٌ لنفي حدثِ المضارعِ، وقلبِهِ ماضياً نحوُ: لم يقُمْ.

و(**لمّا**) نحوُ: ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾ [عبس: ٢٣].

و(**اللامُ**) في الأمرِ نحوُ: ﴿لِيُنفِقْ﴾ [الطلاق: ٧]، وفي الدُّعاءِ نحوُ: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

و(**لا**) في النهيِ نحوُ: ﴿لَا تُشْرِكْ﴾ [لقمان: ١٣]، وفي الدعاءِ نحوُ: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وما يجزِمُ فعلَينِ وهيَ: (إنْ) معَ ما حمِلَ عَليها منَ الأسماءِ كـ(مَهما) و(مَن) و(ما) و(أي).

ومنَ الظروفِ المكانيَّةِ كـ(أينَ)، و(أنّى)، و(حيثُما).

والزمانيَّةِ كـ(أيّان)، و(متَى) و(إذْما) في أحدِ القَولينِ، والأصحُّ حرفيَّتها.

ولا فرقَ في كونِ الفعلَينِ[1] مُضارعينِ أم ماضيينِ أم مختلِفَينِ نحوُ: ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾ [الأنفال: ١٩]، ومهْمَا قدمتُمْ من الخيرِ وجدْتمْ، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٠]، ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨]، أنّى تجلِسْ أجلِسْ، حيثُما تستقِمْ يقدِّرْ لكَ الله نجاحَاً، أيّانَ نُؤمنْكَ تأمَنْ غيرَنا، متى تسألِ الكريمَ يعطِكَ، وإذْما تقصِدْهُ يكفِكَ.

---

(١) في (ص): «كونهما» بدلًا من «كونِ الفعلَينِ».

والمشهورُ في (كيفَما) عدمُ الجزمِ لعدَمِ السماعِ خِلافاً للكوفيينَ[1]، وفي (إذا) أنها لا تجزِمُ إلا في الشعرِ خاصةً.

ويسمَّى الأولُ منَ الفِعلَينِ شَرطاً، والثاني جَواباً وجزاءً.

***

(١) ينظر: «الإنصاف» (٢/ ٦٤٣)، «مغني اللبيب» (٢/ ٢٢٢).

بابُ النكرَةِ والمعرفَةِ

النكـرةُ: مـا شـاعَ فـي جنسٍ مَوجُـودٍ فـي الخـارِجِ تعـددُهُ كرجـلٍ، أو مقـدَّرٍ وجـودُ تعـدُّدِهِ فيـهِ كشـمسٍ.

والمعرفةُ: ما وضِعَ ليُستعمَلَ في معينٍ.

وهيَ ستَّةٌ: الضمِيرُ، فالعلَمُ، فاسمُ الإشارَةِ، فالموصُولُ، فالمعرَّفُ بالأداةِ، والمضافُ إلى واحدٍ منها[١].

فالضميـرُ: مـا دلَّ وضْعـاً على مُتكلِّـمٍ، أو مخاطَـبٍ، أو غائبٍ، **وهوَ قسـمانِ: مُسـتترٌ وبارِزٌ.**

فالمسـتترُ: مـا ليسَ لـهُ صورةٌ في اللفظِ؛ **وهوَ قسـمانِ: مُسـتترٌ وجُوباً ومسـتترٌ جوازاً.**

فالمستترُ وجوباً: ما لا يخلفُهُ الظاهرُ[٢]، ولا يكُونُ المستترُ [٣]إلا مرفوعاً نحوُ: أقومُ ونقومُ، وأنتَ تقومُ، وقمْ، وقامُوا، ما خلا، أو ما عدا، أو حاشا، أو ليسَ، أو لا يكُونُ زيداً، ونعمَ رجلاً زيدٌ، وما أحسنَ المعروفَ، وأوّاهٍ منَ البخيلِ[٤]، ونزالِ نكرمْكَ، وهُمْ أحسَنُ، وضَرباً زيداً.

---

(١) ينظر في تعريف النكرة والمعرفة: «شرح قطر الندى» (ص ١٢٨)، و«شرح شذور الذهب» (ص ١٣٠)، والنكرة الأصل ولهذا يقدمها النحاة.

(٢) فلا يقال: افعل زيدٌ، وإذا ذكر الضمير البارز فيكون تأكيداً لا فاعلًا. «شرح ابن عقيل» (١/ ٨٠).

(٣) «المستترُ» ليست في (ص).

(٤) في (ص): «البخل».

والمستترُ جَوازاً: ما يخلفُهُ الظاهرُ[1] كقامَ ويقومُ، وهندٌ تقومُ، وزيدٌ قائمٌ، أو مضروبٌ، أو حسنٌ وهيهاتَ.

والبارزُ: ما له صورةٌ في اللفظِ وهوَ قسمانِ: متصِلٌ ومنفصِلٌ.

فالمتصِلُ: ما لا يُبتدَأُ[2] بهِ، ولا يقَع بعدَ (إلا) في الاختيارِ، وينقسِمُ إلى: مرفوعٍ فقطْ كقُمتُ، وقاما، وقامُوا، وقُمْنَ، وقومِي، وإلى: منصوبٍ ومجرورٍ كـ: زيدٌ مرّ بي وبكَ وبهِ، فأكرمَني وأكرمَكَ وأكرمَهُ[3]، وإلى: مشتركٍ بينَ الثلاثةِ وهوَ (نا) خاصةً نحوُ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣].

والمنفصِلُ: ما يبتدَأُ[4] بهِ، ويقَعُ بعدَ (إلا) وينقَسِمُ إلى: مرفوعٍ كـ: (أنا) و(أنت) و(هو) وفروعِها، وإلى منصوبٍ كـ(إيَّايَ)، و(إيَّاكَ)، و(إيَّاهُ) وفروعِها.

ولا يكُونُ المنفصِلُ مَجروراً.

والضميرُ هوَ: أن[5]، وإيَّا وفروعهما وما عداهُما حروفُ إفرادٍ، وتثنيةٍ، وجمعٍ، وتذكيرٍ وتأنيثٍ، وتكلُّمٍ وخِطابٍ وغيبةٍ.

ولا انفصـالَ مـعَ إمـكانِ الاتصـالِ إلا في نحـوِ (الهاءِ) مِـن: سـلنِيهِ، وملكْتُكَهُ بمرجوحيَّـةٍ[6]، وظَنَنْتُكَهُ وكنتُـهُ برُجحانٍ.

---

(١) «ما يخلفُهُ الظاهرُ» ليست في (ص).

(٢) في (ص): «يبدأ».

(٣) فإن اتصل باسم أو حرف كان في محل جر، وإن اتصل بفعل كان في محل نصب مفعول به.

(٤) في (ص): «يبدأ».

(٥) أن هنا، ما تلاها الألف في (أنا)، والتاء في (أنتَ) وأنتِ) وهكذا.

(٦) تبع في هذا سيبويه، وجمهور النحاة أن ما يتعدى إلى مفعولين يجوز فيه الانفصال والاتصال. «شرح ابن عقيل» (١/ ٨٥).

الثاني: العلَمُ؛ وهوَ: ما وضِعَ لمعيَّنٍ لا يتناوَلُ غيرَهُ[١] وهوَ قسمانِ: **جنسِيٌّ وشخصِيٌّ**.

فالجنسيُّ: ما وضعَ لشيءٍ معينٍ في الذهنِ كأسامةَ.

والشخصيُّ: ما وضعَ لشيءٍ معينٍ في الخارجِ لا يتناوَلُ غيرَهُ مِن حيثُ الوضعُ لهُ؛ كزيدٍ ومكةَ.

وينقسِمُ إلى:

مرتجَلٍ؛ وهوَ: ما استُعمِلَ مِن أولِ الأمرِ عَلماً كسعادٍ، وأددٍ.

وإلى مَنقولٍ؛ وهوَ: ما استُعمِلَ قبلَ العلميَّةِ في غيرِها؛ كزيدٍ، وأسدٍ، وحارثٍ، ومنصُورٍ، وشمَرٍ، ويشْكُرَ.

وإلى لقبٍ؛ وهوَ: ما أشعَرَ برفعَةِ المسمَّى أو بضعَتِهِ كزينِ العابدِينَ وبطَّةَ.

وإلى كُنيةٍ؛ وهوَ: ما صدِّرَ بأبٍ أو أمٍ؛ كأبي بكرٍ، وأم عمرٍو.

الثالثُ: اسمُ الإشارةِ وهوَ: ما وضِعَ لمسمًّى وإشارةٍ إليهِ.

فللمُفردِ المذكَّرِ: ذا[٢]، وللمفرَدِ المؤنَّثِ: ذي، وذِه، وذهِي، وذِه، وذاتِ، وتي، وتهِ، وتهِي، وتِه، وتا.

ولمُثنَّى[٣] **المذكَّرِ**: ذانِ، **ولمثنَّى المؤنَّثِ**: تانِ، **ولجمعِهما**: أولاءِ.

---

(١) وزاد ابن هشام: بغير قيد ليخرج نحو الرجل، فهو وإن عين مسماه لكنه عينه بالألف واللام. «شرح شذور الذهب» (ص ١٣٨).

(٢) «ذا» ليست في (ص).

(٣) في (ع) و(ص): «وللمثنى».

وقـدْ يكُـونُ معَ الإشـارةِ تنبيهٌ مثـلُ: هَذا، وخطابٌ مثـلُ: ذاكَ وتـاكَ، والأمرانِ جمِيعـاً مثلُ هـاذَاكِ وهاتاكِ.

الرابعُ: الموصولُ وهوَ: ما افتقَرَ إلى الوصْلِ بجملةٍ خبريةٍ، أو ظرفٍ أو مجرورٍ تامَّينِ[1]، أو وصفٍ صريحٍ، وإلى عائدٍ أو خلَفِهِ، وهوَ قسمانِ: **خاصٌ ومشتركٌ**.

فالخاصُّ: الذِي والتي، واللَّذانِ واللَّتانِ، والذينَ[2]، والأُلى، واللائي، واللاتي.

والمشتركُ: مَن، وما، وأي، وذو[3] في لغةِ طيءٍ، وذا بعدَ مَن أو ما الاستِفهاميَّتينِ، وأل في وصفٍ صريحٍ كالضاربِ والمضروبِ.

وجملةُ صلاتِها أربعَةٌ: مبتدأٌ وخبرٌ، وفعلٌ وفاعلٌ، وشرطٌ وجزاءٌ، وظرفٌ، واسمُ الفاعلِ والمفعُولِ معَ أل.

ولا يظهَرُ الفاعِلُ معَها في تثنيةٍ ولا جمعٍ، بلْ يكُونُ مُستتراً، والذِي يظهَرُ في اللفظِ حرفٌ لا اسمٌ[4]؛ كـ: هذانِ الضاربانِ زيداً، وهؤلاءِ المكرِمونَ عَمراً.

والخامسُ: المعرَّفُ بالأداةِ، وهيَ (أل) بجُملتِها عندَ الخليلِ وسِيبويهِ، واللامُ وحدَها عندَ الأخفشِ[5].

---

(١) وقد اجتمعت في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأنبياء: ١٩]. «شرح شذور الذهب» (ص١٤١).

(٢) «والذينَ» ليست في (ص).

(٣) في (ص): «وذا».

(٤) في (ص): «الاسم» بدلًا من «لا اسمٌ».

(٥) الذي في كتب النحو أن القول بأن المعرف هو (أل) قول الخليل، والقول بأن المعرف هو اللام هو قول سيبويه، والهمزة عند الخليل همزة قطع، وعند سيبويه همزة وصل، اجتلبت للنطق الساكن. «شرح ابن الناظم» (ص ٩٩)، و«شرح ابن عقيل» (١/ ١٤٢).

وهيَ إما عهديةٌ نحوُ: ﴿فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ﴾ [النور: ٣٥]، وجاءَ القاضِي، و﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

أو جنسيَّة نحوُ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وزيدٌ الرجلُ.

والمختارُ جوازُ نيابةِ ألْ عنِ الضميرِ نحوُ: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١].

وبدأتُ ببسمِ اللهِ في النّظمِ[1].

وعنِ الاسمِ الظاهرِ نحوُ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، وقدْ تكُونُ ألْ زائدةً وموصولَةً واستفهاميَّةً كاللاتي والحارثِ والضاربِ، وأل فعلتُ.

السادسُ: المضافُ إلى واحدٍ مما ذُكرَ كغلامي، وغلامُ زيدٍ وهوَ في التعريفِ بحسَبِ ما يضافُ إليهِ، إلا المضافُ إلى الضميرِ فكالعلَمِ.

* * *

(١) أي: هي مأواه في الآية الكريمة، وهي البداية في نظمي.

بابُ أحكامِ الأسماءِ

وهيَ: إما مرفوعَةٌ، أو منصوبَةٌ، أو مجرورَةٌ لفظَاً، أو تقديرَاً، أو محلَّاً.

فالمرفوعاتُ سبعةٌ: الفاعِلُ، ونائبُهُ، والمبتدَأُ، وخبرُهُ، واسمُ كانَ وأخواتِها، وخبرُ إنَّ وأخواتِها، والتابعُ.

***

بابُ الفاعِلِ[١]

فالفاعِلُ: عبارةٌ عن اسمٍ صريحٍ أو مؤولٍ بهِ أسنِدَ إليهِ فعلٌ، أو مؤولٍ بهِ مقدمٌ عليهِ واقعاً منهُ أو قائماً بهِ[٢]، نحوُ: قامَ زيدٌ، و﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١١] و﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ [النحل: ٦٩]، وعلِمَ زيدٌ.

ويرفعُهُ أي: يرفَعُ الفاعِلَ[٣]: الفعلُ واسمُ الفاعلِ كما مرَّ[٤]، واسمُ الفعلِ كـ: هيهاتَ العقيقُ[٥].

والمصدَرُ نحوُ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

واسمُ المصدَرِ نحوُ: مِن قبلَةِ الرجُلِ امرأتَهُ الوضوءُ، **وأمثلةُ المبالغةِ** نحوُ: اضرابٌ زيدٌ.

والصفَةُ المشبَّهةُ نحوُ: زيدٌ حسنٌ وجهُهُ.

واسمُ التفضِيل نحوُ: ما رأيتُ رجُلاً أحسَنَ في عينِهِ الكحلُ منهُ في عينِ زيدٍ[٦].

---

(١) في (ص): «فالفاعل» بدلًا من «بابُ الفاعِلِ».

(٢) «شرح قطر الندى» (ص ٢٤٠)، و«شرح شذور الذهب» (ص ١٥٨).

(٣) «أي: يرفَعُ الفاعِلَ» ليست في (ص).

(٤) «واسمُ الفاعلِ كما مرَّ» ليست في (ص).

(٥) تتمة البيت:

فهيهاتَ هيهاتَ العقيقُ ومَن بهِ ... وهيهاتَ خلٌّ بالعقيقِ نواصلُه

وهو لجرير بن عطية الخطفي، والعقيق واد قرب المدينة المنورة، والمعنى بعد هذا الوادي عنا، وبعد من كنا نواصله فيه. والشاهد فيه: رفع (العقيق) لأنه فاعل لاسم الفاعل: (هيهاتَ) وهو اسم فعل ماض بمعنى بعد. «أوضح المسالك» (٤/ ٨٥).

(٦) يشير بهذا إلى مسألة الكحل، وضابطها أن يكون في الكلام نفيٌ، وبعده اسم جنس موصوف بأفعل التفضيل، بعده اسم مفضل على نفسه باعتبارين، مثال ذلك ما ذكره المصنف، وكذلك لم كان مكان =

والظرفُ نحوُ: ما عِندَكَ شحٌ.

والمجرورُ نحوُ: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠].

***

فصل

والفاعلُ قسمانِ: ظاهرٌ كما مرَّ، ومضمَرٌ؛ إما متَّصلٌ كضربْتُ وضربْنا وضربُوا، أو مُنفصِلٌ نحو:

ما وافٍ بعهدِي أنتُما[1]

والأصلُ فيهِ أنْ يليَ عاملَهُ كـ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]، وقدْ يتأخَّرُ جَوازاً نحوُ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ٤١]، ووجُوباً نحوُ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾[2] [البقرة: ١٢٤]، وضربَني زيدٌ[3].

وقدْ يجِبُ تأخيرُ المفعُولِ كضرَبتُ زيداً[4]، وضربَ موسَى عيسَى[5]، وقدْ

= النفي استفهام كقولنا: هل رأيت رجلاً أحسنَ في عينه الكحلُ منعين زيدٍ؟ أو نهي نحو: لا يكن أحد أحب إليه الخير منه إليك. «شرح قطر الندى» (ص ٣٧٨).

(١) تتمة البيت:

خليليَّ ما وافٍ بعهدي أنتما إذا لم تكونا لي على من أقاطع

والشاهد فيه قوله: ما وافٍ بعهدي أنتما حيث جاءت (أنتما) فاعلاً سدَّت مسدَّ الخبر بعد المبتدأ الوصف (واف) المسبوق بالنفي. «شرح التصريح» (١/ ١٥٧)

(٢) لأنه اتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول به.

(٣) لأن المفعول ضمير متصل بالفعل، والفاعل اسم ظاهر

(٤) لكون الفعل ضميراً متصلاً، والمفعول به اسماً ظاهراً.

(٥) لعدم أمن اللبس بسبب عدم ظهور الحركة.

يتقـدَّم عَلـى العامـلِ جَـوازاً نحـوُ: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ ﴾، ووجوبـاً نحـوُ: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ [الإسراء: ١١٠].

ولا يلحَقُ العاملَ علامةُ تثنيَةٍ ولا جمعٍ، بلْ يقالُ: قامَ رجلانِ ورجالٌ ونساءٌ، وتلحقُهُ علامةُ التأنيثِ إنْ كانَ مؤنَّثاً كـ: قامَتْ هندٌ.

وقدْ يحذَفُ العاملُ جَوازاً نحوُ قولِكَ: زيدٌ، في جوابِ مَن قالَ: مَن قامَ؛ ووجُوباً نحوُ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ١]، و﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ ﴾[1] [النساء: ١٢٨].

***

(١) وذلك لدلالة المذكور عليه فحذف وجوباً.

بابُ نائبِ الفاعِلِ

وهـوَ كلُّ اسـمٍ حذِفَ فاعلُـهُ، وأقِيمَ هـوَ مقامَهُ، وغيِّـرَ عاملُهُ بضمِّ أولِـهِ مُطلَقاً وكسرِ مـا قبـلَ آخـرِهِ فـي الماضِـي، وفتحِـهِ فـي المضـارِعِ نحـوُ: سُـرِقَ المتـاعُ، ويُقطَعُ السـارقُ.

فإنْ لم يوجَدِ المفعولُ بِهِ قامَ مقامهُ المجرورُ أو[1] **الظرفُ المتمكِّنُ منَ الزمانِ أو المكانِ، والمصدَرُ المخصَّصُ** نحوُ: سيرَ بزيدٍ يومينِ فرسخَينِ، سَيراً شدِيداً، فيجوزُ أنْ تقيمَ كلاً مِنهما مُقامَ الفاعلِ.

***

(١) في (ع) و(ص): «و».

بابُ المبتدأ والخبرِ

المبتدأُ هوَ: الاسمُ الصريحُ أو المؤوَّلُ بهِ المجرَّدُ عنِ العوامِلِ اللفظيَّةِ غيرِ الزائدةِ نحوُ: زيدٌ قائمٌ، ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[١] [البقرة: ١٨٤]، وبحسبِكَ درهَمٌ.

[**والخبرُ** هوَ: الاسمُ المسندُ إلى المبتدأ، وهوَ قسمانِ: ظاهرٌ كما مرَّ، ومضمرٌ كأنا وأنتَ وهو][٢].

والخبرُ قسمانِ: مفردٌ وغيرُ مفرَدٍ.

فالمفردُ هُنا: ما [٣]ليسَ جملةً ولا شِبهَها ولو كانَ مُثنًى أو مجمُوعاً كـ: الزيدانِ قائمانِ، والزيدونَ قائمونَ.

وغيرُ المفرَدِ أربعةٌ: الفعلُ معَ فاعلِهِ كزيدٌ قامَ، **والمبتدَأُ معَ خبرِهِ** كزيدٌ أبوهُ قائمٌ، **والظرفُ** كزيدٌ عندَكَ، **والمجرورُ** كزيدٌ في الدارِ.

ويُخبرُ بظرفِ المكانِ وبالمجرورِ عنِ الذاتِ والمعنَى نحُو: زيدٌ عندَكَ، والخيرُ لديكَ، والمؤمِنُ في الجنةِ، والنعيمُ لهُ.

وبظرفِ الزمانِ عَن المعنَى فقطْ نحوُ: الصومُ غداً.

والأصلُ في الخبرِ التأخيرُ، وقدْ يتقدَّمُ **جوازاً** نحوُ: في الدارِ زيدٌ.

ووجُوباً نحوُ: في الدارِ رجلٌ، وعندِي درهمٌ، وأينَ زيدٌ[٤]؟ وما لنا إلا

---

(١) وهو المصدر المنسبك من أن وما بعدها والتقدير: صيامكم.

(٢) ما بين معكوفتين ليس في (ص).

(٣) «ما» ليست في (ص).

(٤) لأن المبتدأ نكرة، والعرب لا تبدأ بنكرة مالم تفد، وفي المثال الثالث لأن الخبر اسم استفهام وله الصدارة.

اتباعُ أحمدَ، وإنما قائمٌ زيدٌ[١]، وعَلى الثمرةِ مثلُها[٢] زبداً.

وقدْ يجبُ تقديمُ المبتدأِ نحوُ: زيدٌ قامَ[٣]، و﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[٤] [آل عمران: ١٤٤]، وما أحسنَ العلمَ[٥]، ومَن مثلُكَ في الحلْمِ[٦]؟.

وقدْ يحذَفُ كلٌّ مِن المبتدأِ والخبرِ جوازاً نحوُ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾[٧] [الذاريات: ٢٥].

وقدْ يحذَفُ المبتدأُ وجُوباً نحوُ: في ذمَّتي لأفعلنَّ[٨]، وكذا إذا أخبِرَ عنهُ بنعْتٍ مقطوعٍ كمررتُ بزيدٍ الكريمِ.

وقدْ يجبُ حذفُ الخبرِ نحوُ: لولا عفوُ اللهِ لهلكْنَا[٩]، ولعمرُكَ ما فعلْنا[١٠]، وضربِي زيداً قائمَاً[١١]، وكلُّ رجلٍ وصنيعَتهُ[١٢].

ويجوزُ تعددُ الخبرِ نحوُ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

---

(١) لقصر المبتدأ على الخبر بأداة الاستثناء إلا في المثال الأول، وبإنما في المثال الثاني.

(٢) لوجود ضمير في المبتدأ يعود على الخبر.

(٣) لأن المبتدأ اسم علم، والخبر جملة فعلية.

(٤) لاقتصار المبتدأ على الخبر.

(٥) لأن المبتدأ ما التعجبية ولها الصدارة.

(٦) لأن المبتدأ اسم استفهام.

(٧) فقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ﴾: مبتدأ خبره محذوف، و﴿قَوْمٌ﴾ خبر مبتدؤه محذوف.

(٨) أي في ذمتي يمين، فحذف المبتدأ وجوباً لأن الخبر صريح في القسم.

(٩) لكون الخبر كوناً عاماً والتقدير: لولا عفو الله كائنٌ.

(١٠) لوقوع الخبر جواباً قسم صريح، والتقدير: لعمرك قسمي.

(١١) لكون الحال سدت مسد الخبر.

(١٢) للعطف على المبتدأ بواو هي نص في المعية، والتقدير كل رجل وصنيعته مقترنان.

بابُ النواسخِ لحكمِ المبتدأِ والخبرِ

وهيَ ثلاثةٌ: كانَ وأخواتُها، وإنَّ وأخواتُها، وظننْتُ وأخْواتها.

الأولُ: كانَ وأخواتُها:

فأما كانَ وأخواتُها وما تصرَّفَ مِنها فإنها ترفَعُ الاسمَ وتنصبُ الخبرَ، وهيَ ثلاثةُ أقسامٍ:

مـا يعمَـلُ هذا العمَلَ مِن غيرِ شـرطٍ، وهوَ: كانَ، وأمسَـى، وأصبَـحَ، وأضحَى، وظلَّ، وباتَ، وصـارَ، وليسَ.

ومـا يعمَـلُ بشـرطِ تقـدُّمِ نفـيٍ أو نهـيٍ أو دعـاءٍ، وهـوَ مـا زالَ، وما فتِـئَ، وما انفَـكَّ، وما بـرِحَ.

وما يعمَلُ بشرطِ تقدُّمِ ما المصدريَّةِ الظرفيَّةِ، وهوَ: ما دام خاصَّةً؛ كـ: أعطِ ما دمْتَ مُصيباً درهَماً.

وكلُّهـا يجـوزُ فيهـا تقـدُّمُ الخبـرِ علـى الاسـمِ نحـوُ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]،

وليسَ[1] سواءً عالمٌ وجهولٌ[2].

---

(١) إشارة إلى بيت السموأل في «ديوانه» (ص ٩٢) و«خزانة الأدب» (١٠/ ٣٣١).

(٢) وتمامه:

سَلي إن جهلتِ النَّاسَ عنا وعنهم   فـليـس سـواءً عـالمٌ وجـهـولُ

والشاهد فيه قوله: (ليس سواء عالم وجهول) حيث قدم خبر (ليس) وهو (سواء) على اسمها، وهو (عالم). وهو جائز. «الأشموني» (١/ ٢٣٠).

وكذا عَلى الفعلِ نحوُ: قائماً كانَ زيدٌ، وشدِيداً أصبَحَ البردُ، إلا خبرَ ليسَ، وما دامَ فلا يتقدَّمُهما[١].

ومتَّى كانَ الخبرُ استِفهاماً وجَبَ تقدِيمهُ نحوُ: أينَ كانَ زيدٌ، ومتَى كانَ القيامُ؟

وإنْ قـدِّرَ فـي جميـعِ هـذِهِ الأفعـالِ ضميـرُ الشـأنِ كانَ الخبـرُ مَرفُوعـاً، وكانَ خبرُهـنَّ جملةً؛ نحـوُ: كانَ زيدٌ قائـمٌ[٢]، وأكثر ما يسـتعمَلُ هذا المعنى عنـدَ التفخيمِ والتعظيمِ.

***

فصلٌ

ومثلُ كانَ: كادَ، وكربَ، وأوشَكَ، وعسَى، وحرَى، واخلَولَقَ، وطفِقَ، وأخَذَ، وشرَعَ، وأنشَأَ، وجعَلَ، فيحكَمُ أبداً عَلى مواضعِ أخبارِ هذِهِ الأفعالِ بالنصبِ، وقدْ يظهَرُ في اللفظِ.

ومثلُ ليسَ: (ما النافيةُ) عندَ الحجازِيينَ إنْ تقدَّمَ الاسمُ ولم يسبَقْ بإنْ الزائدةِ، ولا بمعمُولِ الخبرِ إلا إذا كانَ ظَرفاً أو مجرُوراً ولمْ يسبَقِ الخبرُ بإلا نحوُ: ما زيدٌ قائماً، و﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]، وما عندَكَ عمرٌو مقِيماً، وما بي أنتَ رحيمَاً، بخلافِ: ما مسيءٌ مَن أعتَبَ، وما إنْ أنتُمْ ذهبٌ:

---

(١) أما امتناع تقدم خبر (ما دام) فباتفاق النحاة، وأما امتناع ذلك في خبر (ليس) فهو اختيار الكوفيين، والمبرد، وابن السراج، وهو الصحيح؛ لأنه لم يسمع نحو: (ذاهباً لست). «شرح قطر الندى» (ص ١٧٥).

(٢) أي: كان الشأن والحديث: زيد قائمٌ، كما قال الشاعر:

إذا متُّ كان الناس صنفان شامت ... وآخر مثن بالذي كنت أصنع

«أسرار العربية» لابن الأنباري (ص ١٣٧).

وما كلَّ مَن وافى منىً أنا عارفُ[١]

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

الثاني: إنّ وأخواتُها؛ فتنصِبُ الاسمَ وترفعُ الخبرَ وهيَ: إنَّ، وأنَّ، ولكنَّ، وكأنَّ، وليتَ ولعلَّ.

ولا يتقدَّمُ فيهِنَّ الخبرُ على الاسمِ إلا إنْ كانَ ظَرفاً أو مجرُوراً نحوُ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ [المزمل: ١٢] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً﴾ [النازعات: ٢٦]، وإن اقترَنَتْ بهِن ما الحرفيةُ بطَلَ عملُهنَّ نحوُ: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، إلا ليتَ؛ فيجوزُ الأمرانِ[٢].

الثالثُ: ظننْتُ [وأخواتها؛ فتنصبُ المبتدأ والخبرَ مفعُولينِ وهيَ: ظننتُ،

---

(١) هذا عجز بيت، وصدره:

وقالوا تعرفها المنازل من منى

وهو لمزاحم بن الحارث العقيلي، والشاهد فيه نصب (كل)، فإن ما هنا نافية، وقد وجب إهمالها لتقدم معمول خبرها على اسمها، فخبرها وهو قوله: (عارفُ)، ومعموله وهو قوله: (كل)، لأن عارفاً اسم فاعل يعمل عمل الفعل فيرفع فاعلاً وينصب مفعولاً، وهذا كله على رواية نصب (كل). أما إذا رفع فإن الإعمال جائز، بأن تُجعل (كل) اسم ما، وجملة: (أنا عارف) في محل نصب خبر ما، والرابط بين جملة الخبر والمبتدأ على هذا الوجه ضمير منصوب محذوف، والتقدير: وما كل من وافى منى أنا عارفه. «شرح شذور الذهب مع منتهى الأرب» للشيخ محي الدين عبد الحميد (ص ١٩٥، ١٩٦).

(٢) مثل له ابن مالك بقوله: ليت فيها أو هنا غير البذي، والبذي: الوقح، فيجوز هنا التقديم والتأخير، لكن يجب التقديم في نحو قولنا: (ليت في الدار صاحبها) لئلا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة. «شرح ابن عقيل» (١/ ٢٧٠).

وحسبْتُ][1] وخلتُ، وزعمتُ، ورأيتُ، وعلمتُ، ووجدتُ، نحوُ: ظننتُ زيداً فاضِلاً، وعلمتُ القاضِ عادلاً. هذا إنْ وقعَتْ قبلَ المفعولَينِ.

فإنْ وقعَتْ بينَهُما جازَ الإعمالُ والإلغاءُ، والإعمالُ أجوَدُ نحوُ: زيداً ظننْتُ قائماً، وإنْ وقعَتْ بعدَهُما جازَ الوجهانِ، والإلغاءُ أجوَدُ نحوُ: الجودُ محبوبٌ رأيتُ.

ويجوزُ تركُ المفعولَينِ لدليلِ نحوُ: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص ٦٢][2].

وإنْ وليهُنَّ: ما، ولا، وإن النافياتُ، أو لامُ الابتداءِ أو لامُ القسَمِ أو الاستِفهام **بطلَ عملهُنَّ في اللفظِ**، ويسمَّى ذلكَ: **تعلِيقاً** وهوَ: إبطالُ العملِ لفظاً، وإبقاؤهُ محلاً نحوُ: علمتُ ما زيدٌ قائمٌ، وعلمتُ واللهِ لا زيدٌ في الدارِ ولا عمرٌو، وعلمتُ واللهِ إنْ زيدٌ قائمٌ، وعلمتُ لزيدٌ قائمٌ، وعلمتُ أيهمْ أفضَلُ.

***

---

(١) ما بين معكوفتين ليس في (ص).

(٢) وذلك لدلالة ما قبلهما عليهما.

بابُ التابعِ

وهوَ المشارِكُ لما قبلَهُ في إعرابِهِ الحاصِلِ والمتجدِّدِ، وذلكَ خمسةٌ: النعتُ، وعطْفُ البيانِ، والتوكيدُ، والبدَلُ، وعطفُ النسَقِ، وإذا اجتمعَتْ فالأَولى تَرتِيبُها عَلى هذِهِ الصفَةِ.

فالنعتُ هوَ: التابعُ المشتقُّ أو المؤولُ بِهِ المباينُ للفظِ متبوعِهِ(١).

فالمشتَقُّ كاسمِ الفاعلِ، واسمِ المفعولِ والصفةِ المشبَّهةِ، والمؤوَّلُ كاسمِ الإشارَةِ، وذي بمعنى صاحبٍ، والمنسوبُ.

وفائدةُ النعتِ: التخصيصُ في النكراتِ؛ كـ: جاء رجلٌ فاضلٌ، **والتوضيحُ في المعارفِ**؛ كـ: جاءَ زيدٌ العالمُ، **أو لمجردِ مدحٍ** كـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] **أو ذمٍ** كـ: أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيمِ، **أو ترحُّمٍ** كـ: اللَّهمَّ ارحمْ عبدكَ المسكِينَ، **أو توكيدٍ** كـ: ضربْتُ ضربةً واحدةً، **أو تفصيلٍ** كـ: مررْتُ برجلَينِ عرَبيٍّ وعجَميٍّ، **أو إبهامٍ** كـ: تصدقتُ بصدقةٍ قليلةٍ أو كثيرةٍ، **أو تعميمٍ** نحوُ: إنَّ اللهَ يحشُرُ عبادَهُ الأولينَ والآخرينَ.

* * *

(فصلٌ)

وهوَ قسمانِ؛ حقيقيٌّ وسببيٌّ.

فالحقيقيُّ هوَ: الجارِي عَلى ما قبلَهُ معَ رفعِهِ لضميرِهِ كـ: جاءَ زيدٌ العاقلُ.

والسببيُّ هوَ: الجارِي عَلى ما بعدَهُ مُتلبِّساً بضميرِ ما قبلَهُ كـ: جاءَ زيدٌ العاقلُ أبوهُ.

---

(١) «شرح قطر الندى» (ص ٣٨٠).

فالحقيقيُّ يتبَعُ منعوتَهُ في أربعةٍ مِن عشرةٍ، والسببيُّ في اثنينِ مِن خمسةٍ، واحدٍ مِن أوجه الإعرابِ، وواحدٍ مِن أوجهِ[1] التعريفِ والتنكيرِ.

ويجوزُ قطعُ الصفَةِ المعلُومِ مَوصوفُها حقيقةً أو ادعاءً بتقديرِ هو أو أعني[2].

والأسماءُ في النعتِ أربعةُ أقسامٍ:

ما لا ينعتُ، ولا ينعَتُ بهِ[3]؛ كالمضمراتِ وأسماءِ الأفعالِ.

وما ينعَتُ ولا ينعَتُ بهِ؛ كالعلَمِ.

وما ينعَتُ وينعَتُ بهِ؛ كاسمِ الإشارةِ، ونعتِهِ مُصحوبَ ال.

وما ينعَتُ بهِ ولا ينعَتُ وهوَ: أيٍّ كمررتُ برجلٍ أيِّ رجلٍ.

وكلُّ المعارفِ توصَفُ بالمفرداتِ دونَ الجمَلِ، والنكراتُ توصَفُ بالمفرداتِ وبالجمَلِ.

الثاني: عطفُ البيانِ وهوَ: تابعٌ موضحٌ أو مخصِّصٌ جامدٌ غيرُ مؤوَّلٍ[4]، كـ:

أقسم بالله أبو حفص عمر[5]

---

(١) «أوجهِ» ليست في (ص).

(٢) كقولنا: (الحمد للهِ الحميدُ)، وكقوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ قرأ الجمهور بالرفع، وقرأ عاصم بالنصب على الذم. «شرح قطر الندى» (ص ٣٨٧).

(٣) «بهِ» ليست في (ص).

(٤) «شرح قطر الندى» (ص ٣٩٨).

(٥) وتمام البيت:

ما مسَّها من نَقَبٍ ولا دبر

وهذا شطر من الرجز ينسب لرؤبة كما في «شرح المعضل» (٣/ ٧١) وينسب لعبد الله بن كيسبة أو لبعض الأعراب كما في «خزانة الأدب» (٥/ ١٥٤) =

وهذا خاتمٌ حديدٌ.

ويتبعُ في أربعةٍ مِن عشرةٍ، ويعرَبُ بدلَ كلٍ مِن كلٍ، إلا في نحوِ:

أنـــا ابــــنُ التّـــارِكِ البكـــريِّ بشــــرٍ[١]

أيـــا أخوَيْنـــا عبـــدِ شـــمسٍ ونوفَـــلا[٢]

ويا زيدَ الحارثَ، ويا أخَانا زيداً.

الثالثُ: التوكيدُ وهوَ: تابعٌ يقصَدُ بِهِ كونُ المتبوعِ علَى ظاهرِهِ[٣]. وهوَ قسمانِ: لفظيٌّ ومعنويٌّ.

فاللفظيُّ: إعادةُ الأولِ بلفظِهِ كـ: جاء زيدٌ زيدٌ، وقامَ قامَ زيدٌ[٤]، ونعَمْ نعَمْ جاءَ زيدٌ[٥]، **أو بمرادِفِهِ** كجاءَ ليثٌ أسدٌ، وجلَسَ قعَدَ، ونعَمْ جيرِ.

والمعنويُّ هوَ: التابعُ المقرِّرُ أمرَ المتبوعِ في النسبةِ أو الشمُولِ.

= والشاهد فيه تقديم الكنية على الاسم: «شرح الأشموني» (١/ ١١١).

(١) هذا صدر البيت وعجزه:

عليـــه الطيـــرُ ترقبُـــهُ وقوعـــا

والبيتُ مِن كلام المرار بن سعيد الفقعسي، والشاهد فيه: مجيء (بشر) عطف بيان على (البكري) ولا يجوز أن يكون بدلاً، لأنه على نية تكرار العامل. «شرح قطر الندى» (ص ٤٠١)، و«شرح شذور الذهب» (ص ٢٣٠).

(٢) هو لطالب بن أبي طالب أخي سيدنا علي رضي الله عنه، وتمامه: أعيذكما بالله أن تحدثا حربا. والشاهد فيه: مجيء قوله: (عبد شمس) عطف بيان على قوله: (أخوينا). «شرح قطر الندى» (ص ٤٠٣).

(٣) «شرح شذور الذهب» (ص ٤٢٨).

(٤) «زيدٌ» ليس في (ص).

(٥) «جاءَ زيدٌ» ليس في (ص).

فالأولُ يكُونُ بالنفسِ والعينِ مُضافينِ لضميرِ مؤكِّده[١] مِن مفردٍ ومُثنى ومجموعٍ، إلا أنهُ إذا أكِّدَ بهما ضميرُ رفعٍ متصِلٌ أُكِّدَ وجوباً عَلى الأصحِّ بضميرٍ مُنفصلٍ نحوُ: قمتَ أنتَ نفسُكَ، وقومُوا أنتُمْ أنفسكُمْ، وزيدٌ خرَجَ هوَ نفسُهُ.

والثاني يكُونُ بكِلا وكِلتا للمثنَّى كجاءَ الزيدانِ كلاهُما، والمرأتانِ كلتاهُما، **وبكلٍّ وأجمَعَ وأجمعِينَ**[٢] **وجمعاً وجمعٍ لغيرِ المثنَّى** كجاءَ الجيشُ كلهُ أجمَعُ، والقومُ كلُّهمْ أجمعونَ، والقبيلَةُ كلها جمعاءُ[٣]، والنساءُ كلُّهنَّ جمعٌ.

وأكدوا بعدَ أجمعَ بأكتعَ فأبصعَ فأبتعَ، وبعدَ جمعاءَ بكتعاءَ فبصعاءَ فبتعاءَ، نحوُ: جاءَ القومُ كلُّهمْ أجمعُونَ أكتعُونَ أبصعُونَ أبتعُونَ، وكلُّها لا يجوزُ عطفُ بعضِها عَلى بعضٍ بخلافِ النعتِ.

الرابعُ: البدلُ وهوَ: التابعُ المقصودُ بالحكمِ بلا واسطةٍ[٤].

وهوَ أربعةُ أقسامٍ: بدلُ كلٍّ، وبعضٍ، واشتمالٍ، وغلطٍ.

فبدلُ الكلِّ ما كانَ مدلولُهُ مدلولَ الأولِ؛ كجاءَ زيدٌ أخوكَ، وسمَّاهُ ابنُ مالكٍ البدَلَ المطابقَ لوقوعِهِ في اسمِ اللهِ[٥]، نحوُ (الحميدُ[٦] اللهُ)؛ فلا يقالُ فيهِ: بدلُ

---

(١) في (ص): «ما أكداه».

(٢) في (ص): «وأجمعون».

(٣) في (ع): «جمعاً».

(٤) «شرح قطر الندى» (ص ٤١٣)، «شرح شذور الذهب» (ص ٤٣٩).

(٥) فقال رحمه الله:

مطابقاً أو بعضاً أو ما يشتمل... ينظر: «شرح ابن عقيل» (٣/ ٢٢٢).

(٦) في (ص): «الحمد».

كلٍّ من كل[١]؛ لأنهُ إنما يُقالُ فيما يتقسَّمُ[٢] ويتجزَّأُ، تَعالى اللهُ عَن ذلكَ.

وبدلُ البعضِ ما كانَ مَدلولهُ جُزءاً منَ الأولِ، ولا بدَّ منِ اتصالِهِ بضميرٍ يعودُ إلى المبدَلِ منهُ كـ: أكلْتُ الرغيفَ نصفَهُ أو ثلثَيهِ[٣].

وبدلُ الاشتمالِ ما كانَ بينهُ وبينَ الأولِ ملابسةٌ، لا بمعنَى الكليَّةِ أو الجزئيَّةِ، وأمرُهُ في الضميرِ كما مرَّ كـ: نفعَني زيدٌ علمُهُ، وأعجبَني عمروٌ كلامُهُ، والدارُ حسنُها، وسرِقَ زيدٌ ثوبُهُ، و﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وبدَلُ الغلطِ: ما ذكرَ فيهِ الأولُ مِن غيرِ قصدٍ بلْ سبَقَ إليهِ اللِّسانُ، كـ: ركبْتُ زيداً الفرسَ، وهذا لا يكُونُ في كلامِ اللهِ تعالى، ولا في فصيحِ الكلامِ.

***

فصلٌ

وتبدَلُ المعرفَةُ منَ المعرفَةِ، والنكرَةُ منَ النكرَةِ، والمعرفَةُ منَ النكرَةِ وعكسُهُ؛ كـ: جاءَ زيدٌ أخوكَ، وجاءَ رجلٌ غلامٌ لزيدٍ، وجاءَ رجلٌ غلامُ زيدٍ، ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ﴾ [العلق ١٥ ـ ١٦] والظاهرُ منَ المضمَرِ وعكسُهُ والمضمَرُ منَ المضمَرِ كـ: أعجبتني[٤] وجهُكَ، وضربتُ زيداً إياهُ، وأكرمتُكَ إيَّاكَ.

ويجوزُ قطعُ البدلِ، ويحسُنُ معَ الفصلِ نحوُ: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾[٥] [الحج: ٧٢].

---

(١) «من كل» من (ص).

(٢) في (ص): «ينقسم».

(٣) في (ص): «ثلثه أو نصفه» بدل من «نصفَهُ أو ثلثَيهِ».

(٤) في (ص): «أعجبني».

(٥) «النّار» ليست في (ص).

ويجبُ إنْ تبعَ متعدداً ولمْ يفِ بهِ نحوُ: «اتقوا الموبقاتِ: الشركَ، والتبنِّي، والسحرَ»[١].

الخامسُ: عطفُ النسقِ، وهوَ التابعُ المتوسِّطُ بينَهُ وبينَ متبوعِهِ أحدُ حروفِ العطفِ[٢]، وحروفُ العطفِ تسعةٌ على الأصحِّ وهي قسمانِ:

ما يقتَضِي التشريكَ في اللفظِ والمعنى؛ وهوَ ستةٌ: الواوُ، والفاءُ، وثمَّ، وحتَّى، وأو، وأم.

وما يقتَضِي التشريكَ في اللفظِ فقَطْ؛ وهوَ ثلاثةٌ: بلْ، ولكِنْ، ولا.

فجميعُ حروفِ العطفِ تشترِكُ[٣] **في اللفظِ** نحوُ: جاءَ زيدٌ وعمرُو، ورأيتُ زيداً وعمراً، ومررتُ بزيدٍ وعمرٍو، ويقومُ ويقعُدُ زيدٌ، ولنْ يقُومَ ويقعُدَ، ولمْ يقُمْ ولم[٤] يقعُدْ.

وكلها تشترِكُ في عطفِ الظاهرِ على الظاهرِ، والمضمَرِ عَلى المضمَرِ وعكسِها؛ كـ: جاءَ زيدٌ وعمرٌو، وأنا وأنتَ قُمنَا، وفَّقني اللهُ وإياكَ، وأكرمتُكَ وزيدَاً، وجاءَ زيدٌ وأنتَ، وقمتُ وزيدٌ، ومررْتُ بكَ وزيدٍ، إلا أنَّ العطفَ على الضميرِ المرفوعِ المتصِلِ مِن غيرِ فاصلٍ ضعيفٌ.

---

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات». رواه البخاري (٦٤٦٥)، ومسلم (٨٩). وليس فيه التبني كما ذكر الشيخ.

(٢) «شرح قطر الندى» (ص ٤٠٢)، و«شرح شذور الذهب» (ص ٤٣٥).

(٣) في (ص): «تشرك».

(٤) «لم» من (ص).

ولا تجِبُ إعادَةُ الخافضِ إذا أُريدَ العطفُ عَلَى الضَّميرِ المجرورِ، قالَهُ ابنُ مالكٍ وجماعةٌ، خلافاً للجمهُورِ[1].

* * *

(١) وأشار إليه بقوله:

وعـود خافض لدى عطف على ضـــمير خفـض لازماً قد جعلا

وليـس عندي لازمـاً إذ قـد أتى في النثـر والنظم الصحيـح مثبتا

ينظر: «شرح ابن عقيل» (٣/ ٢١٤).

بابُ المنصوباتِ

وهيَ ثلاثةَ عشَرَ: المفعولُ بهِ، والمفعُولُ المطلَقُ، والمفعُولُ لهُ، والمفعُولُ فيهِ، والمفعُولُ معَهُ، والحالُ، والتمييزُ، والمستَثنى، واسمُ لا، والمنادَى، وخبرُ كانَ وأخواتِها، واسمُ إنَّ وأخواتِها، والتابعُ.

***

بابُ المفعولِ بهِ[١]

فالمفعولُ بهِ: هو ما وقَعَ عليهِ فعلُ الفاعِلِ[٢].

والناصِبُ لهُ: إما فعْلٌ كـ: ضربتُ زيدَاً، وأعطيتُ زيدَاً درهَماً، وأعلمْتُ زيدَاً عمرَاً فاضلاً.

أو وصفٌ كـ: جاءَ الضارِبُ زيداً.

أو مصدرٌ كـ: عجبْتُ مِن ضربِكَ عمرَاً.

أو اسمُ فعلٍ نحوُ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] وهوَ قسمانِ: ظاهرٌ كما مرَّ، ومضمَرٌ.

وهو إمَّا متصلٌ: كزيدٌ أكرمَني، وأكرمَكَ، وأكرمَهُ.

وإما[٣] **منفصِلٌ**: كإيايَ، وإياكَ، وإياهُ أكرَمَ.

---

(١) «بابُ المفعولِ بهِ» ليس في (ص).

(٢) «شرح شذور الذهب» (ص ٢١٣)، و«شرح قطر الندى» (ص ٢٧١)، وقال فيه: هذا الحد لابن الحاجب رحمه الله.

(٣) في (ع) و(ص): «أو».

وقدْ يحذَفُ عاملُهُ جوازاً؛ نحوُ: ﴿قَالُواْ خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠].

ووجُوباً، وذلكَ فيما نصِبَ عَلى الاشتغالِ كزيداً ضربتُهُ[١]، أو عَلى الاختصاصِ كنحْنُ العربَ أقرَى الناسِ للضيفِ[٢]، أو عَلى الإغراءِ نحوُ: الصلاةَ الصلاةَ[٣]، أو عَلى التحذيرِ نحوُ: الأسدَ الأسدَ[٤]، أو على النداءِ[٥] كـ: يا عبدَ اللهِ[٦]!.

***

(١) أي: ضربت زيداً ضربته، وحذف العامل لدلالة ما بعده عليه.

(٢) أي: أعني العربَ.

(٣) أي: الزم الصلاةَ، وحذف العامل وجوباً لتكرر المفعول.

(٤) أي: احذر الأسد، وحذف العامل وجوباً لتكرر المفعول.

(٥) والعامل فيه فعل محذوف وجوباً تقديره: أنادي، ولم يسمع عن العرب التكلم به.

(٦) في (ص): «عبداً لله» بدل من «عبدَ اللهِ».

بابُ المفعولِ المطلَقِ[(١)]

وهوَ المصدَرُ الفضلَةُ المسلَّطُ عليهِ عامِلٌ مِن لفظِهِ[(٢)] كـ: ضربْتُ ضرباً، **أو مِن معناهُ** كـ: قعدْتُ جلوسَاً.

وهوَ ثلاثةُ أقسامٍ:

مؤكِّدٌ لعاملِهِ كـ: عجبْتُ مِن ضربِكَ ضَرباً، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ [الصافات: ١]، وأنتَ مطلُوبٌ طلباً.

ومبيِّنٌ لنوعِ عاملِهِ كـ: ضربْتُ ضربَ الأميرِ، أو ضرباً أليمَاً، أو ضربْتُ الضربَ[(٣)].

ومبينٌ لعددِ عاملِهِ كـ: ضربْتُ ضربتَينِ، وضرباتٍ.

وقدْ ينوبُ عنِ المصدَرِ غيرُهُ؛ كـ: ضربتُهُ سَوطاً وعصَاً ومقرعَةً، ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ﴾ [النساء: ١٢٩]، وضربتُهُ عشرَ ضرباتٍ، ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾ [النور: ٤][(٤)].

وقدْ يحذَفُ عاملُ غيرِ المؤكدِ جَوازاً لقرينَةٍ حاليَّةٍ أو مقاليَّةٍ؛ [كـ: قولِكَ للقادمِ، أو مَن قالَ: سأقدُمُ عليكَ: خيرَ مقدَمٍ[(٥)].

---

(١) وسمي مطلقاً لأنه يقع عليه اسم المفعول بلا قيد. «شرح شذور الذهب» (ص ٢٢٦).

(٢) «شرح قطر الندى» (ص ٣٠١).

(٣) في (ع) و(ص): «الضربة».

(٤) فقد ناب عنه آلته وعدده، وكل المضافة إلى المصدر. ينظر: «شرح قطر الندى» (ص ٣٠٣).

(٥) أي: قدمتَ خيرَ مقدمٍ.

ووجوباً سماعَاً][١] نحوُ: سقياً لكَ، ورعياً، وحمداً، وشُكراً.

وقياسَاً في نحوِ: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾[٢] [محمد: ٤]، وأنت سيراً سيراً[٣]، وهذا ابني حقَّاً[٤]، ولهُ عليَّ ألفٌ عرفاً[٥].

***

---

(١) ما بين معكوفتين ليس من (ص).

(٢) لأنه وقع تفصيلًا لعاقبة ما تقدمه.

(٣) وذلك لتكرر المصدر.

(٤) لأنه مصدر مؤكد لغيره، والتقدير: أحقه حقاً.

(٥) لأنه مصدر مؤكد لنفسه، والتقدير: اعترافاً.

بابُ المفعولِ لأجلِه

وهوَ المصدَرُ الفضلَةُ المعللُ لحدثٍ شاركَهُ وقتاً وفاعلاً[١].

وعلامتُهُ: صحَّةُ وقوعِهِ في جوابِ: لمَ فعلْتَ؟ كـ: قمتُ إجلالاً لكَ.

وهوَ ثلاثةُ أقسامٍ:

مجردٌ منْ (ال) والإضافةِ كـ: جئتُكَ رغبةً فيكَ، وكلمتُكَ طمَعاً في برِّكَ.

ومقرونٌ بـ: (ال)؛ كـ: ضربتُ ابني التأديبَ[٢].

ومضافاً؛ كـ: قصدتُكَ ابتغاءَ معروفِكَ.

فالأرجحُ في المجرَّدِ النصبُ، وفي المقرونِ الجرُّ، وفي المضافِ استواءُ الأمرينِ نحوُ: ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ﴾ [البقرة: ٧٤].

* * *

(١) ينظر: «شرح قطر الندى» (ص ٣٠٥)، و«شرح شذور الذهب» (٢٢٧)، والتعريف منه.

(٢) المقرون بالألف والام يجوز أن ينصب فيقال: ضربت ابني التأديبَ، لكن الأكثر أن يجر باللام فيقال: ضربت ابني للتأديبِ. ينظر: «شرح ابن عقيل» (١/ ٤٥٠). وسيذكرها المصنف قريباً.

باب المفعول فيه

وهو ما سلِّطَ عليهِ عاملٌ على معْنَى (في)(١) مِن اسمِ زمانٍ مُطلَقاً كـ: صمتُ اليومَ، أو يومَ الخميسِ، أو أُسبوعاً، أو جلستُ حِيناً، أو وقتاً، أو ساعةً، أو كلَّ أو بعضَ أو نصفَ يومٍ أو سبعةَ أيامٍ، أو اسمِ مكانٍ مبهَمٍ كأمامَ، ويمينَ، وفوقَ. وعكسهنَّ؛ وكـ: ميلٍ وفرسخٍ وبريدٍ، وسرتُ كلَّ الفرسَخِ أو بعضَهُ أو نصفَهُ، أو عشرينَ فرسَخاً، وكـ: قعدْتُ مقعدَ زيدٍ، ورميتُ مرمَى(٢) عمرٍو، وأنا قائمٌ مقامَكَ، وسرَّني جلُوسِي مجلِسكَ.

وقدْ يحذَفُ ناصبُ المفعولِ فيهِ جوازاً؛ كقولِكَ: فرسخَينِ، أو يومَ الجمعَةِ جواباً لمن قالَ لك(٣): كَمْ سِرتَ؛ أو متَى صمتَ؟.

ووجوباً كما إذا وقَعَ **صفةً** كـ: مررتُ بطائرٍ فوقَ غصنٍ، أو **صلةً** كـ: رأيتُ الذِي عندَكَ، أو **حالاً** كـ: رأيتُ الهلالَ بينَ السحابِ، أو **خبراً** كـ: زيدٌ عندَكَ، أو **مشتغَلاً عنهُ** كـ: يومَ الخميسِ صمتُ فيهِ.

***

(١) «شرح قطر الندى» (ص ٣٠٨)، و«شرح شذور الذهب» (ص ٢٣٠).

(٢) في (ص): «رمي».

(٣) «لك» من (ص).

بابُ المفعولِ معَهُ

وهوَ الاسمُ الفضلَةُ التالي واواً أُريدَ بها التنصِيصُ عَلى المعيَّةِ مسبوقَةً بفعلٍ، أو ما فيهِ حروفُهُ ومعناهُ[1] كـ: سِرتُ والنيلَ، وأنا سائرٌ والنيلَ، والناقةُ متروكَةٌ وفصيلَها.

وللاسمِ الواقعِ بعدَ الواوِ خمسُ حالاتٍ:

وجوبُ العطفِ نحوُ: كلُّ رجلٍ وضيعتُهُ، واشترَكَ زيدٌ وعمرٌو.

ورجحانُ العطفِ كـ: جاءَ زيدٌ وعمرٌو.

ووجوبُ النصبِ عَلى المعيةِ نحوُ: ماتَ زيدٌ وطلوعَ الشمسِ، واستوَى الماءُ والخشبَةَ.

ورجحانُ النصبِ نحوُ: قمتُ وزيداً، ومررْتُ بكَ وزيداً عندَ غيرِ [2]الجُمهورِ، وكُنْ أنتَ وزيداً كالأخِ عندَ الجميعِ.

وامتناعُ العطفِ والمعيَّةِ نحوُ:

علفْتُها تبناً وماءً بارداً[3]

وزجَّجْنَ الحواجِبَ والعُيونا[4]

---

(١) «شرح قطر الندى» (ص ٣١٢)، وهذا تعريفه، و«شرح شذور الذهب» (ص ٢٣٧).

(٢) «غير» ليست في (ص).

(٣) وعجز البيت:

حتَّى غدت همَّالةً عيناها

ولا يعرف قائله، والشاهدُ فيه: (ماء) فإنه لا يمكن عطفه على ما قبله، لكون العامل في المعطوف عليه لا يصح تسليطه على المعطوف مع بقاء معنى هذا العامل على حاله. وما رجحه المؤلف هنا من امتناع العطف والمعية هو ما ذهب إليه ابن هشام رحمه الله، والوجه الثاني: جواز كونه مفعولاً معه وذكر ذلك ابن عقيل، وله وجه ثالث أنه معطوف على ما قبله عطف مفرد على مفرد، فكأن الشاعر قال: أنلتها تبناً وماء. انظر: «شرح شذور الذهب» (ص ٢٤١)، و«شرح ابن عقيل» (٢/ ٤٦٧).

(٤) هذا عجز بيت، وصدره قوله: =

بابُ الحالِ

وهوَ الوصفُ الفضلَةُ المسوقُ لبيانِ هيئةِ صاحبِهِ أو تأكيدِهِ، أو تأكيدِ عاملِهِ، أو مضمونِ جملةٍ قبلَهُ[1]؛ كـ: جاءَ زيدٌ راكباً، وجاءَ الناسُ قاطبةً، ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩]، وزيدٌ أبوكَ عطوفاً.

وشرطُ الحالِ التنكيرُ، وشرطُ صاحبِها التعريفُ كما مرَّ، أو التخصيصُ، أو التعميمُ، أو التأخيرُ نحوُ: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً﴾ [فصلت: ١٠]، وما جاءَني رجلٌ ضاحكاً، و:

لميَّةَ موحشاً طلَلُ[2]

ونَدرَ: وصلَّى وراءَهُ رجالٌ قياماً.

ويأتي الحالُ مِنَ الفاعلِ وتقدَّمَ، **ومِنَ المفعولِ** كـ: ضربتُ اللصَّ مكتُوفاً، **ومِنهُما** كـ: لقيتُهُ راكبَينِ، **ومِنَ المجرورِ** كـ: مررتُ بهندٍ جالسةً، **ومِنَ المضافِ**

= إذا ما الغانيات برزن يوماً

وهو للراعي النميري، والغانية من استغنت عن التبرج لجمالها، والشاهد فيه قوله: (زججن الحواجب والعيونا)، فإن الفعل (زججن) لا يصح أن يتعدى إلى قوله: (العيونا) إلا بتأويله بـ(جملن) أو نحوه، وفي هذه الحالة تكون الواو قد عطفت مفرداً على مفرد، ويجوز أن يكون قوله: (العيونا) منصوب بفعل محذوف تقديره: (كحلن) أو نحوه، وفي هذه الحالة تكون الواو قد عطفت جملة على جملة.

(١) «شرح شذور الذهب» (ص ٢٥٤)، و«شرح قطر الندى» (ص ٣٤٦).

(٢) صدر بيت لكثيِّر عزة كما في «ديوانه» (ص ٥٠٦)، والشاهد فيه قوله: (لمية موحشا طلل) حيث نصبُ (موحشاً) على الحالِ، وكان أصلُه صفةً لـ: (طلل) فتقدمت على الموصوف، فصارت حالاً. ينظر: «أوضح المسالك» (٢/ ٣١٠).

إليـهِ[1] نحـوُ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾ [الحجر: ٤٧] ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣] ومِـنَ الضميـرِ نحـوُ: أتيـتُ طامِعـاً فيكَ.

والغالـبُ كـونُ الحـالِ مشـتقةً، وقـدْ تقَـعُ جامـدةً مؤولةً بالمشـتَقِّ، نحـوُ: كرَّ زيـدٌ أسـداً، وبـدَتِ الجاريةُ قمَـراً، وتثنَّتْ غُصنـاً، وبعتُهُ يـداً بيدٍ، وادخلُـوا[2] رجُلاً رجُلاً.

والغالِـبُ كونُهـا منتَقلـةً لا لازمةً[3]، ومِن غيـرِ الغالِبِ: خلـقَ اللهُ الزَّرافةَ يدَيها أطولَ مِـن رجلَيها، ودعوتُ اللهَ سـميعاً.

***

فصلٌ

والحالُ قسمانِ:

مؤكِّدةٌ وهيَ: ما استفِيدَ معنَاها بدونِ ذكرِها نحوُ: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [النمل: ١٠].

ومؤسِّسةٌ وهيَ: ما لم يستفَدْ معناهَا بدونِ ذِكرِها وهيَ أربعةُ أقسامٍ:

مقارنـةٌ وهـيَ: المبيِّنـةُ لهيئـةِ صاحبِها وقتَ وجـودِ عامِلِها كـ: جاءَ زيـدٌ راكباً، ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢].

ومقـدرةٌ وهـيَ: التي يكـونُ حصـولُ مضمُونها متأخِّـراً عَن حصـولِ مضمونِ

---

(١) «إليهِ» ليست في (ص).

(٢) في (ص): «وادخلا».

(٣) والمعني بالانتقال أن الحال غالباً لا يكون وصفاً ثابتاً لازماً، وذلك كقولك: (جاء زيد ضاحكاً) فالضحك وصف يزايل زيداً وليس ثابتاً له. ينظر: «شرح شذور الذهب» (ص ٢٤٩). و«شرح ابن عقيل» (١/ ٤٩٤).

عاملِها نحوُ: مررتُ برجلٍ معهُ صقرٌ صائداً به غداً، و﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[١] [الزمر: ٧٣] و﴿يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الحجر: ٨٢].

وموطئةٌ وهيَ: الجامدةُ، الموصوفةُ بمشتقٍ نحوُ: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الأحقاف: ١٢].

ومتعددةٌ: إما لمتعددٍ نحوُ: لقيتُهُ مصعِداً منحدِراً[٢]، وراكِباً ماشياً، أو لواحدٍ كـ: جاءَ زيدٌ راكباً ضاحكاً. إنْ جعلْتَ (ضاحكاً) حالاً مِن زيدٍ[٣].

***

فصلٌ

والأصلُ في الحالِ التأخيرُ.

وقدْ تتوسَّطُ وتتقدَّمُ عَلى عاملِها جوازاً إذا كانَ العامِلُ فِعلاً متصرِّفاً ولا حصرَ؛ نحوُ: جاءَ ضاحكاً زيدٌ، وضاحكاً جاءَ زيدٌ.

ومتى كانَ غيرُهُ لم يجُزْ كـ: هذا زيدٌ ضاحكاً، وما أحسنَهُ مقبِلاً.

وقدْ يجِبُ تقدِيمُها نحوُ: كيفَ جاءَ زيدٌ.

والعامِلُ في الحالِ هوَ العاملُ في صاحبِها.

وقدْ يحذَفُ عامِلُها جوازاً؛ نحوُ قولِكَ لقاصدِ السفَرِ: راشداً مهدِيًّاً، وللقادِمِ منهُ: سالماً غانماً.

---

(١) في (ص): «وادخلوها».

(٢) في (ص): «متحدراً».

(٣) «زيدٍ» ليست في (ص).

ووجوباً نحوُ: ضربي زيداً قائماً[١]، وزيدٌ أبوكَ عطُوفاً[٢]، وتصدَّقْ بدينارٍ فصاعِداً[٣]، وأتميمِيّاً مرةً وقيسيّاً أُخرى؟! وهنيئاً لكَ.

وإذا كانَ العامِلُ يتعدَّى إلى ثلاثةِ مفاعيلَ وعدَّيتهُ إلى ما تقدَّمَ منَ المنصُوباتِ معَ العطفِ صارَ متعدِّياً إلى تسعةٍ نحوُ: أعلَمْتُ زيداً عمراً قائماً إعلاماً يومَ الجمعةِ عندَ فلانٍ ضاحِكاً تفهيماً لهُ وجعفَراً.

وإنْ أدخلْتَ الاستثناءَ صارَ متعدِياً إلى عشرةٍ.

***

(١) لأنها حال نائبة مناب الخبر.

(٢) لأنها حال مؤكدة لمضمون الجملة.

(٣) والتقدير: فذهب الثمن صاعداً.

بابُ التمييزِ

وهوَ اسمٌ نكرةٌ فضلةٌ بمعنَى: مِن مبيِّنٌ لإبهامِ اسمٍ[1]؛ كـ: عشرينَ رجلاً، ورطلٍ زيتاً، وخاتمٍ حديداً، أو إجمالِ نسبةٍ كـ ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم: ٤] ﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا﴾ و﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا﴾ [الكهف: ٣٤] وامتلأ الإناءُ ماءً، ولله درُّهُ فارساً.

والناصبُ لمبيّنِ الاسمِ هوَ ذلكَ الاسمُ المبهَمُ؛ كـ: نعْمَ رجلاً زيدٌ.

والناصِبُ لمبيِّنِ النسبةِ الفعلُ أو شبهُهُ؛ كـ: طابَ نفسَاً محمدٌ، وهوَ طيبٌ أبوّةً، وأعجبنِي طيب زيدٍ عِلماً، وقرُبَ القاضِي داراً، وهوَ أكرَمُ الناسِ رجُلاً.

***

فصلٌ

والاسمُ المبهَمُ أربعةُ أنواعٍ:

الأولُ[2]: العددُ وهوَ: مِن أحدَ عشَرَ إلى تسعَةٍ وتسعِينَ كـ ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا﴾ [يوسف: ٤]، و﴿تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ﴾ [ص: ٢٣].

الثاني: المقدارُ وهوَ: إما مساحَةٌ كـ: جريبٍ[3] نخلاً، وشبرٍ أرْضاً، أو كيلٌ كـ: قفيزٍ[4] بُرّاً، وصاعٍ تمراً، أو وزنٌ كـ: رِطلٍ سَمناً، ومنوَينِ[5] عسَلاً.

---

(١) «شرح قطر الندى» (ص٣٢٢)، و«شرح شذور الذهب» (ص ٢٥٤).

(٢) «الأولُ» ليست في (ص).

(٣) الجريب هنا بمعنى المزرعة أو الوادي، «القاموس» (مادة: جرب).

(٤) القفيز مكيال ثمانية مكاكيك، «القاموس» (مادة: قفز).

(٥) تثنية (منا) أو (مناة) وهو كيل أو ميزان، «القاموس» (مادة: منو)

الثالثُ: ما يشبِهُ المقدارَ نحوُ: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾ [الزلزلة: ٧]، ونِحيٌ[١] سمناً و﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

الرابعُ: ما كانَ فَرعاً للتمييزِ؛ نحوُ: خاتمٌ حديداً، وبابٌ ساجاً، وثوبٌ خزّاً.

ويجوزُ غالباً جرُّ التمييزِ بالإضافةِ، وبـ: (مِن)؛ كـ: شبرِ أرضٍ ومِن أرضٍ، وثوبِ خزٍّ ومِن خزٍّ، ونعمَ مِن رجلٍ رجل[٢] زيدٌ، وللهِ درُّهُ مِن فارسٍ.

***

فصلٌ

ومِن تمييزِ العددِ: تمييزُ كمْ الاستفهاميَّةِ نحوُ: كمْ عبداً ملكْتَ.

فأما تمييزُ كمْ الخبريةِ فمجرورٌ مفردٌ كـ: تمييزِ المئةِ فما فوقَها، **أو مجموعٌ** كـ: تمييزِ العشرةِ فما دونَها.

ولكَ في تمييزِ كمْ الاستفهاميَّةِ المجرورةِ بالحرفِ جرٌّ بمِن مضمرةٍ، ونصبٌ على التمييزِ نحوُ: بكَمْ درهمٍ أو درهماً اشتريتَ.

ولا يتقدَّمُ التمييزُ عَلى عاملِهِ مُطلقاً، ونَدرَ كقولِهِ[٣]:

أنفسَاً تَطِيْبُ بنَيْلِ المُنَى ... ودَاعِي المنُونِ يُنادِي جَهَاراً[٤]

***

---

(١) النِّحي بالكسر الزق، أو ما كان للسمن خاصة، «القاموس» (مادة: نحي).

(٢) «رجل» من (ص).

(٣) في (ص): «نحو قول الشاعر حيث قال».

(٤) البيت لرجل من طيئ، والشاهد فيه قوله: (أنفسًا تطيب) حيث قدم التمييزَ على عامله، وهذا نادر عند سيبويه، وقياسي عند الكسائي والمبرد. ينظر: «التصريح على التوضيح» (١/ ٤٠٠).

بابُ المستَثنى

وهوَ: المذكورُ بعدَ إلَّا، أو إحدَى أخواتِها مخالِفاً لما قَبلَها نفياً، أو إثباتاً[١].

وأدواتُ الاستثناءِ ثمانٌ[٢] وهيَ أربعةُ أقسامٍ:

ما هوَ حرفٌ وهوَ: إلا.

وما هوَ اسمٌ وهوَ: غيرُ وسوَى.

وما هوَ [٣]فعلٌ وهو: ليسَ ولا يكونُ.

وما هوَ مشترَكٌ بينَ الفعلِ والحرفِ وهوَ: خَلا وعَدا وحَاشا.

فالمستَثنى بإلا ينصَبُ وجوباً إذا كانَ الكلامُ تامّاً موجِباً نحوُ: ﴿فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقامَ القومُ إلّا حماراً، **فإنْ فقِدَ الإيجابُ ترجَّحَ البدلُ.**

في المتصِلِ وهوَ: ما يكونُ المستَثنى بعضَ المستَثنى منهُ نحوُ: ما مررتُ بالقومِ إلَّا زيدٌ، وهلْ قامَ أحدٌ إلَّا عمرٌو، ولا يقُمْ أحدٌ إلّا بشرٌ، ووجَبَ النصبُ عندَ الحجازِيينَ، وترجَّحَ عندَ التميمِيينِ.

في المنقطِعِ وهوَ: ما لا يكُونُ المستَثنى بعضَ المستَثنى منهُ نحوُ: ما قامَ القومُ إلا حِماراً، **ما لَمْ يتقدَّمِ المستَثنى عَلى المستَثنى منهُ، فيجِبُ النصبُ مُطلقاً** نحوُ: ما قامَ إلا زيداً أحدٌ، وما قامَ إلّا حماراً القومُ.

فإنْ فقِدَ التمامُ كانَ ما بعدَ (إلّا) عَلى حسبِ العوامِلِ نحوُ: ما قامَ إلَّا زيدٌ، وما رأيتُ إلّا زيداً، وما مررْتُ إلّا بزيدٍ.

---

(١) «شرح قطر الندى» (ص ٣٣٠)، و«شرح شذور الذهب» (ص ٢٥٩).

(٢) في (ص): «ثمانية».

(٣) «هوَ» ليست في (ص).

والمستَثْنى بـ: (غيرِ) و(سوَى) مخفوضٌ دائماً، ويعربانِ إعرابَ الاسمِ الواقعِ بعدَ إلا.

والمستَثْنى بـ: (ليسَ) و(لا يكُونُ) و(ما خلا)[1] و(ما عدا) منصُوبٌ دائماً.

والمستثنَى بـ: (خلا) و(عدَا) و(حاشَا) منصوبٌ أو مجرورٌ.

***

(١) «وما خلا» من (ص).

بابُ اسمِ لا وشرطُ إعمالِها

أنْ تكونَ نافيةً للجنسِ عَلَى سبيلِ الاستغراقِ.

وأنْ لا يدخُل علَيها الجارُّ.

وأن لا يفصِلَ بينَها وبينَ الاسمِ فاصلٌ.

وأنْ يكونَ هوَ والخبرُ نكِرَتينِ.

فإذا توفَّرتِ الشروطُ، وكانَ اسمُها مضافاً أو شِبهَهُ كانَ منصوباً نحوُ: لا صاحِبَ علمٍ ممقوتٌ، ولا حسناً وجهُهُ بخيلٌ، ولا مخالفاً نفسَهُ ذليلٌ، ولا خيراً مِنَ المعروفِ عِندَنا.

وإنْ كانَ اسمُها غيرَ مضافٍ ولا[1] شبهَهُ بني مَعها[2] عَلى ما ينصَبُ بِهِ لو كانَ مُعرباً نحوُ: لا رجلَ، ولا رجلينِ، ولا رجالَ، ولا مسلِمِينَ عندَنا، ولا مسلماتِ، لكنَّ بناءَ الأخيرِ عَلى الفتحِ أرجَحُ، والتزمَهُ ابنُ عصفُورٍ[3].

***

---

(١) في (ع): «أو»، وفي (ص): «و».

(٢) «مَعها» ليست في (ص).

(٣) أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد النحوي الحضرمي الإشبيلي (ت: ٦٦٩هـ)، حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس، أخذ عن أبي الحسن الدباج وأبي علي الشلوبين واختص به كثيراً، روى عنه الحسن ابن عذرة، كان ماهراً في علم العربية، من أبرع من تخرج على الشلوبين وأحسنهم تصنيفاً. من آثاره: كتاب «المقرب في النحو»، و«الممتع في التصريف». ينظر: «البلغة في تراجم اللغويين» للفيروزأبادي (ص ١٦٠)، و«بغية الوعاة» (٢/ ٢١٠).

فصلٌ

ولكَ في نحوِ: لا حولَ ولا قوَّةَ إلّا باللهِ فتحُ الأولِ، فيجوزُ في الثاني الفتحُ والنصبُ والرفعُ[١] كالصفةِ في نحوِ: لا رجلَ ظريف.

ولكَ رفعُ الأولِ فيمتنِعُ في الثاني النصبُ فقَطْ[٢].

فإنْ لم تتكرَّرْ[٣] (لا) نحوُ: لا حولَ وقوةَ وجبَ فتحُ الأولِ، وجازَ في الثاني الرفعُ والنصبُ، وامتنَعَ الفتحُ كالصفَةِ إذا فصلَتْ؛ نحوُ: لا رجلٌ فيها مقيماً ومقيمٌ.

وإذا علِمَ خبرُ (لا) جازَ حذفُهُ كثيراً عندَ الحجازِيينَ، ووجَبَ عندَ التميميينَ نحوُ: ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ﴾[٤] [الشعراء: ٥٠] و(لا إله إلّا الله).

***

(١) في (ص): «فتح الثاني ونصبه ورفعه» بدل من «في الثاني الفتحُ والنصبُ والرفعُ».

(٢) ينظر: «شرح ابن عقيل» (١/ ٣٠٩).

(٣) في (ع): «تكرر».

(٤) «قالوا» ليست في (ص).

بابُ المنادَى

وهوَ المطلوبُ إقبالُهُ بحرفٍ نائبٍ منابَ: (أدعُو) لفظاً أو تقديراً[١].

وحروفُ النداءِ ثمانيةٌ: يا، وأيا، وهيا، ووا، والهمزَةُ، وأي مقصُورتينِ وممدُودتَينِ.

وإنما ينصَبُ المنادَى إذا كانَ مُضافاً أو شبهَهُ كـ: يا أرحَمَ الراحِمِينَ، ويا حسَناً وجهُهُ، ويا باذِلاً فضلَهُ، ويا مجِيباً للسائِلِينَ، ويا خيراً مِن كلِّ أحدٍ.

أو كانَ نكرةً غيرَ مقصودَةٍ كـ:

يـا غافـلاً والمـوت يطلُبـهُ

وإنْ كانَ غيرَ مضافٍ وشبهَهُ بنيَ عَلى ما يرفَعُ بِهِ كـ: يا زيدُ، ويا رجلُ لمعيَّنٍ، ويا زيدانِ ويا رجلان ويا[٢] زيدُونُ، ويا مسلمونَ، ويا هنداتُ[٣]، ويا معدِي كربُ.

وإن كانَ مُعتلاً قدرَتْ فيهِ الضمةُ[٤] نحوُ: يا قاضِي، ويا فتى.

وكذا المبنيُّ قبلَ النداءِ كـ: سيبويهِ وحذامِ؛ فتقدَّرُ فيهِ الضمةُ، ويظهَرُ أثرُ ذلكَ في التابعِ نحوُ: يا سيبويهِ العالمُ برفعِ العالمِ ونصبِهِ، كما تفعلُ في نحوِ: يا زيدُ الفاضلُ.

وإذا اضطرَّ إلى تنوينِ المنادَى جازَ نحو:

---

(١) ينظر: «شرح شذور الذهب» (ص ٢١٥)، و«شرح قطر الندى» (ص ٢٧٢).

(٢) «رجلان ويا» من (ص).

(٣) في (ص): «هندا».

(٤) «الضمةُ» ليست في (ص).

سـلامُ اللهِ يـا مطـرٌ علَيهـا[1]

ونحو[2]:

يـا عديًّـا لقـدْ وقتـكَ الأواقـي[3]

وأما خبرُ (كانَ) وأخواتها، واسمُ (إنَّ) وأخواتِها، والتابعُ[4] فقدْ تقدَّمَ.

***

---

(١) هذا صدر البيت، وعجزه:

وليـس عليـك يـا مطـر السـلام

وهو للأحوص في «ديوانه» (ص ١٨٩)؛ و«الأغاني» (١٥/ ٣٣٤)، والشاهد فيه قوله: (يا مطرٌ)، والقياس: يا مطرُ بالبناء على الضم، لأنه منادى مفرد علم، ولكن الشاعر نونه اضطراراً لإقامة الوزن. ينظر: «أوضح المسالك» (٤/ ٢٨).

(٢) في (ع) و(ص): «و».

(٣) هذا عجز البيت، وصدره:

ضربـت صدرهـا إلـي وقالـت

والبيت للمهلهل بن ربيعة في «ديوانه» (ص ٥٩)؛ و«خزانة الأدب» (٢/ ١٦٥)، والشاهد فيه قوله: (يا عدياً) حيث نصبه للضرورة الشعرية، وحقهُ البناء على الضم لأنه علم.

(٤) «والتابعُ» ليست في (ص).

بابُ المجروراتِ

وهيَ قسمانِ عَلى الأصحِّ: مجرورٌ بالحرفِ، ومجرورٌ بالإضافةِ، وإليهِما يرجِعُ المجرورُ بالتبعيَّةِ؛ إذ العاملُ في التابعِ هوَ العاملُ في المتبوعِ.

ثمَّ الحرفُ الجارُّ قسمانِ:

ما يجرُّ الظاهرَ والمضمرَ وهوَ سبعةٌ: مِن، وإلى، وعَن، وعَلى، وفي، واللامُ، والباءُ للقسَمِ وغيرِهِ.

وما يجرُّ الظاهرَ فقطْ وهوَ سبعةٌ أيضاً: الكافُ، وحتَّى، وكذا.

و (ربَّ)؛ ولا تجرُّ منَ الظاهرِ إلا النكرَةَ، وقدْ تحذَفُ فيجِبُ بقاءُ عمَلِها، وذلكَ بعدَ الواوِ كثيرٌ وبعدَ الفاءِ قليلٌ، وبعدَ بلْ أقلُّ نحوُ:

وليـــلٍ كمــوجِ البحــرِ[1]

فمثلِـكِ حُبلَـى قـدْ طرقـتُ[2]

---

(١) هو من معلقة امرئ القيس أشعر شعراء الجاهلية، في «الديوان» (ص ١٨)، وتمامه:

وليـلٍ كمـوجِ البحـرِ أرخَـى سُدولَهُ عـلـيَّ بـأنـواعِ الهُمـومِ ليبتَلـي

والشاهد فيه قوله: (وليل)، حيث حذفت منه (رب)، وبقي عملها بعد الواو. ينظر: «أوضح المسالك» (٣/ ٧٥).

(٢) من معلقة امرئ القيس، وهو في «الديوان» (ص ١٢)، وتمامه:

فمثلِـكِ حُبلـى قـد طرقْـتُ ومُرضعٍ فـألـهـيتُها عـن ذي تمائـمَ مُحـوِلِ

والشاهد فيه قوله: (فمثلِك) حيث حذف حرف الجر (رب) وبقي عمله، وهذا على رواية الجر، وعلى رواية نصبِ (فمثلَك) لا شاهد فيه. وحذف (رب) بعد الفاء قليل بل نادر، ومنه هذا البيت الشاهد. ينظر: «أوضح المسالك» (٣/ ٧٣).

بـــلْ بلـــدٍ مـــلء[١] الفجـــاجُ فتَمُـــهُ[٢]

و(مذْ) و(منذُ) ولا يجرُّ بهما إلا الزمانُ المعينُ غيرُ المستقبَلِ.

و(الواوُ) للقسَمِ، ولا يختصُّ بظاهرٍ معيَّنٍ.

و(التاءُ) ولا يجرُّ بها إلا لفظُ اللهِ[٣].

و(ربَّ) مضافاً إلى الكعبةِ أو لياءِ المتكلِّمِ نحوُ: ﴿تَاللَّهِ﴾ و(تربِّ الكعبةِ)، و(تربِّي)، وقولُهم: (تالرحمَنِ)، و(تحَيَاتِكَ) نادرٌ.

ومِن حروفِ الجرِّ: خَلا وعدا وحاشا على ما مرَّ.

***

(فصلٌ)

والمجرورُ بالمضافِ أربعَةُ أقسامٍ:

مجرورُ ملكٍ و[٤]ملابسةٍ كـ: غلامِ زيدٍ، وسرجِ الدابةِ، ويقدَّرُ باللامِ.

ومجرورُ نوعٍ وجنسٍ، ويقدَّرُ بمِن كـ: ثوبِ خزٍّ، وبابِ ساجٍ، وخاتمِ حديدٍ.

ويجوزُ في هذا أيضاً: نصبُ الثَّاني عَلى التمييزِ أو عَلى الحالِ[٥]، وإتباعُهُ لما قبلَهُ بدلاً، أو عطفَ بيانٍ، أو نعتاً بتأويلِهِ بالمشتَقِّ.

---

(١) في (ع): «مثل».

(٢) رجز لرؤبة كما في «ديوانه» (ص ١٥٠). وتمامه: لا يُشترَى كتَّانُه وجهرَمُه. في (ص): «قتمه».
والشاهد فيه قوله: (بل بلد) حيث جر قوله: (بلد) بـ: (رب) المحذوفة بعد (بل). ينظر: «شرح ابن عقيل» (١/ ٥٨٠).

(٣) في (ص): «الجلالة».

(٤) في (ع) و(ص): «أو».

(٥) في (ص): «أو لحال». بدل من «عَلى الحالِ».

وإضافةُ هذينِ القسمَينِ تسمَّى محضةً؛ لأنَّها خالصةٌ من تقديرِ الانفصالِ، **وتسمَّى معنويةً**؛ لأنها أفادَتْ أمراً معنويّاً وهوَ التعريفُ أو التخصيصُ.

ومجرورُ لفظٍ وتخفيفٍ كـ: هذا ضاربُ زيدٍ اليومَ، وآكلُ خبزٍ غداً.

ويجوزُ أيضاً في هذا ونحوِهِ منْ أسماءِ الفاعلِينَ والمفعُولينَ التي بمعنَى الحالِ والاستقبالِ تنوينُ الأوَّلِ ونصبُ الثاني.

ومجرورُ تشبيهٍ كـ: حسَنُ وجهٍ، وكريمُ أبٍ، وطاهرُ ذيلٍ، وعفيفُ يدٍ، ونحوه منَ الصفاتِ المشبَّهةِ.

ويجوزُ في هذا أيضاً رفْعُ الثَّاني على الفاعليَّةِ، ونصبُهُ على التمييزِ، أو التشبيهِ بالمفعولِ نحوُ: هذا رجلٌ عفيفَةٌ يدُهُ، وعفيفٌ يداً.

وإضافَةُ هذينِ القسمَينِ تسمَّى: لفظيةً؛ لأنها لمجردِ التخفيفِ في اللفظِ؛ والظرفيةُ، والبناءُ[1] لأنَّ الاسمَ قدْ يكتسِبُ[2] بالإضافة أموراً منها: التعريفُ، والتخصيصُ، والتخفيفُ، والظرفيةُ، والبناءُ، وتأنيثُ المذكَّرِ كقولهِمْ: قطعْتُ بعضَ أصابعهِ، وتذكيرُ المؤنثِ كقولِهِ:

إِنَارَةُ العَقْلِ مَكْسُوفٌ بطَوْعِ هَوىً ... وعَقْلُ عَاصِي الهَوَى يَزْدَادُ تَنْوِيْرَا[3]

* * *

(١) «والظرفيةُ، والبناءُ»: زيادة من (ص).

(٢) في (ع): «يكتب».

(٣) البيت لبعض المولدين في «المقاصد النحوية» (٣/ ٣٩٦)، وجه الاستشهاد: إعادة الضمير في (مكسوف) مذكراً على (إنارة)؛ وهو مؤنث؛ والذي سوَّغ ذلك كونُ المرجعِ (إنارة) مُضافا إلى مذكَّرٍ؛ وهو العقلُ؛ فاكتسَب التذكيرَ منه. ينظر: «التصريح على التوضيح» (٢/ ٣٢).

بابُ العاملِ

وهوَ ما عمِلَ في غيرِهِ مِن رفعٍ، أو نصبٍ، أو خفضٍ، أو جزمٍ.

وجملَةُ العواملِ أربعةٌ: معنويٌّ[1]، وفعلٌ، واسمٌ، وحرفٌ.

فالمعنويُّ شيئانِ: الأولُ: عاملُ الرفعِ في المبتدأِ نحوُ: زيدٌ قائمٌ.

فزيدٌ مرفوعٌ لابدَّ لهُ من رافعٍ، وليسَ في اللفظِ ما يرفعُهُ؛ فوجَبَ أنْ يكُونَ العامِلُ معنويّاً، وذلكَ المعنَى هوَ الابتداءُ، والابتداءُ هوَ اهتمامُكَ بالشيءِ قبلَ ذكرِهِ، وجعلُكَ لهُ أوّلاً لثانٍ بحيثُ يكُونُ ذلكَ الثَّاني حَدِيثاً عنهُ، وهذا المعنى أيضاً هوَ الرافعُ للخبرِ بنفسِهِ عندَ قومٍ، والصحيحُ أنهُ مرفوعٌ بالمبتدأِ.

والثاني: عاملُ الرفعِ في الفعلِ المضارعِ نحوُ: مررتُ برجلٍ يضحَكُ.

فيضحَكُ فعلٌ مضارعٌ مرفوعٌ، وليسَ في اللفظِ ما يرفعُهُ؛ فوجَبَ أنْ يكُونَ العامِلُ معنويّاً، وذلكَ المعنى هوَ وقوعُهُ موقعَ الاسمِ، وفيهِ أيضاً أقوالٌ هذا أصحُّها.

* * *

فصلٌ

والفعلُ ثلاثةُ أقسامٍ: متعدٍّ، ولازمٌ، وواسطٌ لا يوصَفُ بتعدٍّ ولا لزومٍ، وهو: كانَ وأخواتُها.

ثمَّ المتعدِّي ثلاثةُ أقسامٍ:

منها: ما ينصبُ المبتدأَ والخبرَ جميعاً، وهوَ ظنَّ[2] وأخواتُها، وتقدَّمَ حكمُها إذا توسَّطَتْ أو تقدَّمَتْ.

---

(١) في (ص): «معنى».

(٢) في (ص): «ظننت».

ومنها: ما يتعدَّى إلى مفعولَينِ[١] **فينصبُهما.**

ويجوزُ الاقتصارُ عَلى أحدِهما وهوَ ما كانَ المفعُولُ الثاني فيهِ غيرَ الأوَّلِ كـ: أعطيْتُ زيداً درهماً، وكسوْتُ خالداً جبةً، وآتيتُ عمرَاً مالاً، وأوليتُهُ خيرَاً.

ويُلحَقُ بهذا ما يتعدَّى إلى الثاني تارةً بنفسِهِ، وتارةً بحرفِ الجرِّ نحوُ: أستغفِرُ اللهَ ذنباً، واخترتُ الرجالَ عمرَاً، وأمرتُكَ الخيرَ، وكنَّيتُ ولدِي أبا عبدِ اللهِ، وسميتُهُ محمَّداً، ودعوتُهُ بشراً، وزوَّجتهُ هِنداً، وصدقتُهُ الوعدَ، وكلتُهُ الطعامَ، ووزَنتُهُ المالَ.

ولا تلغَى هذِهِ الأفعالُ عنِ العملِ، تقدَّمتْ أو تأخرت[٢] **معمُولاتها أو لا.**

ومنها: ما يتعدَّى إلى ثلاثةِ مفاعيلَ فينصبها[٣] **وهوَ سبعَةٌ**[٤]**: أعلَمَ، وأرَى، وأنبأَ، ونبَّأَ، وأخبرَ، وخبَّرَ، وحدَّثَ،** نحوُ: أعلمْتُ الناسَ القاضيَ عادِلاً.

وهيَ عاملةٌ أبداً تقدَّمتْ مَعمُولاتها أو لا، ويقَعُ موقِعَ المفعولِ الثالثِ كلُّ ما جازَ أنْ يقَعَ موقِعَ المفعولِ الثَّاني مِن مفعُولي ظننْتُ، مثلَ[٥]: أعلمْتُ زيداً عمرَاً قائماً، وأعلمْتُ زيداً عمرَاً قامَ أبوهُ، وأعلمْتُ زيداً عمرَاً أبوهُ قائمٌ، وأعلمْتُ زيداً عمرَاً في الدارِ وعندَكَ.

ومنها: ما يتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ فينصبُهُ وهوَ أفعالُ الحواسِ وما جرَى مجراها مما يتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ، مثل: أبصَرتُ زيداً، وشممْتُ الريحانَ، وذقتُ الطعامَ، ولمسْتُ المرأةَ، وسمعْتُ القرآنَ.

---

(١) في (ع) و(ص): «اثنين».

(٢) «أو تأخرت» من (ص).

(٣) في (ص): «فينصبهما». بدل من «مفاعيلَ فينصُبها»

(٤) «سبعَةٌ» ليست في (ص).

(٥) في (ص): «نحو».

ومنها: ما يتعدَّى بواسطةِ حرفِ جرٍّ أو غيرِهِ مثل: مررْتُ بزيدٍ، ونزلْتُ عَلى عمرٍو، وغضبْتُ مِن بشرٍ. فهذا مجرورٌ في اللفظِ منصُوبٌ في التقديرِ.

ويـدلُّ[1] عَلـى ذلكَ جـوازُ العطفِ عليهِ بالمنصـوبِ عندَ بعضِهـمْ كـ: مررْتُ بزيـدٍ وعمـرٍو، ويلحَـقُ بهذا ما يتعـدَّى تارةً بنفسِـهِ، وتارةً بحرفِ الجرِّ كـ: شـكرْتُ ونصحْتُ وأقصدْتُ[2].

ومنها: (نعمَ) و(بئسَ) و(حبذا) و(فعلُ التعجُّبِ).

فــ: (نعـمَ) و(بئـسَ) إذا وقـعَ بعدَهُما معرِفتـانِ كانَـتِ المعرفتـانِ مرفُوعتَينِ، وكانَـتِ المعرفَـةُ الأُولـى بـألْ الجنسـيَّةِ أو بالمضافِ إليهـا؛ نحوُ: نعمَ الرجـلُ زيدٌ، ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحـل: ٣٠]، وبئـسَ الغـلامُ غـلامُ فلانٍ.

وإنْ كانَ أحدُهُما نكرةً والآخَرُ معرفةً نصبْتَ[3] النكرَةَ عَلى التمييزِ، ورفعْتَ المعرفةَ نحوُ: نعمُ رجلاً زيدٌ، ونعمَ رجلَينِ الزيدانِ، وبئسَ[4] رجالاً الزيدُون.

وإذا كانَ فاعِلُهما مُؤنثاً جازَ تذكيرُ الفعلِ وتأنيثُهُ خِلافاً للأفعالِ؛ نحوُ: نعْمَ المرأةُ هندٌ، ونعمَتِ الجاريَةُ جاريتُكَ.

و(حبَّذا) ترتفِعُ بعدَها المعرفةُ، وتنتَصِبُ النكرَةُ عَلى التمييزِ إنْ كانَتْ جِنساً، و[5]عَلى الحالِ إنْ كانَتْ مشتقَّةً مثلُ: حبَّذا رجلاً زيدٌ، وحبَّذا قائماً عمرٌو، وحبَّذا امرأةً هندٌ، وحبَّذا قائمةً هندٌ.

---

(١) في (ص): «ويد».

(٢) في (ع): «وقصد». وفي (ص): «وقصدت».

(٣) في (ع): «نصب».

(٤) في (ص): «ونعم».

(٥) في (ص): «أو».

وفعلُ التعجُّبِ ينصبُ المتعجَّبَ منهُ أبداً إذا كانَ عَلى صيغةِ (ما أفعلَ) ما أحسن[١]، نحوُ: ما أحسَنَ زيداً[٢].

وإذا كانَ عَلى صيغةِ (ما[٣] أفعِلْ بِهِ) كانَ مجروراً نحوُ: أحسِنْ بزيدٍ[٤].

وأفعالُ الألوانِ والخلقِ الثابتَةُ والزائدَةُ عَلى الثلاثةِ لا يُتعجَّبُ منها إلا بـ: (أشدَّ)، أو (أشدِدْ)، أو (أبينَ) أو (أظهرَ)؛ نحوُ: ما أشدَّ بياضَ[٥] الثوبِ، وما أشدَّ بياضَ الورَقِ، وأشدِدْ ببياضِهِ[٦]، ولا يقالُ: ما أبيضَ[٧] الثوبَ، ونحوَهُ.

* * *

(فصلٌ)

والأسماءُ العاملَةُ عمَلَ الفعلِ عشرةٌ:

أحدُها: اسمُ الفعلِ وهوَ ثلاثةُ أنواعٍ:

---

(١) «ما أحسن» من (ص).

(٢) أما إعراب هذه الصيغة فـ: (ما) مبتدأ بمعنى شيء، و(أحسن) فعل ماض فاعله ضمير (ما)، و(زيداً) مفعول به، والجملة خبر (ما). ينظر: «شرح قطر الندى» (ص ٤٢٨).

(٣) «ما» من (ص).

(٤) واختلف في إعرابها؛ واختار جمهرة من النحاة أن (أحسن) فعل ماض جاء على صيغة الأمر، والباء حرف جر زائد، و(زيد) اسم مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل، ينظر: «أوضح المسالك» (٣/ ٢٥٥).

(٥) في (ع) و(ص): «سواد».

(٦) في (ص): «بياضه».

(٧) في (ع) و(ص): «أسود».

ما هوَ بمعْنى الماضِي كـ: (هيهاتَ) وشتان[١] بمعْنَى: بعُدَ، وافترَقَ (شتَّانَ)[٢].

وما هوَ بمعنى الأمرِ نحوُ: (صهٍ)، و(مهٍ)، و(إيهِ)، و(آمينَ)، و(دونكَهُ)، و(عليكَهُ) بمعنَى: اسكُتْ، وانكَفِفْ، وزِدني، واستَجِبْ، وخُذهُ، والزَمهُ.

وما هوَ بمعنى المضارعِ نحوُ: (وا) و(وي) و(واهاً) بمعنَى: أعجَبُ.

و(أوَّه)، و(أوَّاهِ) بمعنَى: أتوجَّعُ.

و(أفٍّ) بمعنَى: أتضجَّرُ.

وهذِهِ الأنواعُ كلُّها سماعيَّةٌ.

والقياسيُّ ما صيغَ مِن فعلٍ ثلاثيٍّ تامٍّ عَلى وزنِ فَعالِ كـ: نَزَالِ، ودرَاكِ، وتراكِ، وذَهَابِ، وكَتَابِ بمعنى: انزِلْ وأدرِكْ[٣]، واترُكْ، واذهَبْ، واكتُبْ.

وقدْ يؤخَذُ منَ الأمثلَةِ أنَّ اسمَ الفعلِ ضربانِ مرتجَلٌ ومنقُولٌ.

فالمرتجَلُ: ما وضِعَ مِن أولِ الأمرِ اسماً للفعلِ كـ: (شتَّانَ) و(صهٍ) و(وَي).

والمنقُولُ: ما وضِعَ لغيرِهِ ثمَّ نقِلَ إليهِ[٤].

ونقلُهُ[٥] **إما مِن ظرفٍ نحوُ**: (مكانَكَ) بمَعْنى: اُثبُتْ، و(أمامَكَ) بمعْنَى: تقدَّمْ، و(وراءَكَ) بمعنَى: تأخَّرْ، و(عندَكَ) و(لدَيكَ) و(دونَكَ) بمعْنَى: خُذْ.

---

(١) «وشتان» من (ص).

(٢) في (ع): «وشتان بمعنى بعد وافترق». وفي (ص): «افترق».

(٣) في (ص): «إنزال وإدراك» بدلًا من «انزِلْ وأدرِكْ».

(٤) «إليهِ» ليست في (ص).

(٥) في (ع): «ونعلمه».

أو[١] جارٌّ ومجرورٍ نحوُ: (إليكَ) بمَعْنى: تنحَّ، و(عليكَ) بمعْنَى: الزَمْ.

وحكـمُ اسـمِ الفعـلِ: أنْ يعمَلَ عمَـلَ مسـمَّاهُ فيرفَعُ الفاعِـلَ ظاهِراً ومسـتَتراً، ويتعـدَّى إلـى المفعـولِ بواسـطةٍ وغيرِهـا، لكِـنْ يخالفُـهُ فـي لـزومِ البنـاءِ مُطلقـاً، والتجـرُّدِ مِـن العوامـلِ، ولا يحـذَفُ ولا يبـرزُ ضميـرُهُ، ولا يتأخَّـرُ عَـن معمولِـهِ، ويكـونُ مفـرداً فـي التثنيـةِ والجمعِ، ولا ينصـبُ المضارِعَ فـي جوابِ الطلبـيِّ منهُ، وهـذا كلـهُ يجـوزُ في الفعـلِ[٢].

الثاني: المصدرُ كـ: (ضربٍ) و(إكرام).

فيضافُ للفاعِلِ معَ ذكرِ المفعولِ نحوُ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وللفاعِلِ معَ تركِ المفعولِ نحوُ: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

ويضافُ للمفعولِ معَ ذكرِ الفاعِلِ نحوُ: ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٣] [البقرة: ١٥٨]، وللمفعولِ معَ تركِ الفاعِلِ نحوُ: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩]، وينوَّنُ نحوُ: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا﴾ [البلد ١٤ ـ ١٥].

* * *

(فصلٌ)

وحكمُ المصدَرِ: أنْ يعمَلَ عمَلَ فعلِهِ، فيرفَعَ الفاعِلَ، ويتعدَّى للمفعولِ بواسطةٍ. وغيرِها كـ: عجبْتُ مِن ضربِكَ عمراً، ومِن قيامِكَ لزيدٍ.

---

(١) في (ع): «و».

(٢) ينظر: «شرح شذور الذهب» (ص ٣٩٩)، و«شرح قطر الندى» (ص ٣٤٩).

(٣) «و» من (ص).

وقَـدْ يتعـدَّى لمفعولَيـنِ[١] **فأكثرَ**؛ كـ: عجبْتُ مِـن إعطائكَ زيـدَاً درهماً، ومِن إعلامِـكَ زيداً بَكـراً مُنطلِقاً.

لكِنْ يخالِفُ الفعلَ في أنَّ معمُولَهُ لا يتقدَّمُ عليهِ، ولا يفصَلُ بينَهُ وبينَ معمُولِهِ بأجنبيٍّ، ولا يعمَلُ محذُوفاً.

ويجوزُ في تابعِ الفاعِلِ المجرورِ بالمصدرِ الجرُّ حملاً علَى اللفظِ، والرفعُ حملاً على المحلِّ كـ: عجبْتُ مِن ضربِ زيدٍ الظريفُ[٢]، **وفي تابعِ المفعولِ الجرُّ والنصبُ** كـ: أعجبَني أكلُ اللحْمِ والخبزَ.

الثالـثُ: اسـمُ المصـدَرِ؛ وهـوَ: مـا سـاوَى المصـدَرَ فـي الدلالـةِ، وخالفَـهُ بخلـوِّهِ[٣] **عَـن بعـضِ مـا فـي فعلِـهِ** كـ: الـكلامِ، والثـوابِ، والعطـاءِ، والوضـوءِ، والغسـلِ.

وعملُهُ كالمصدَرِ عندَ الكوفيينَ نحوُ:

قالـوا كلامُـكَ هنـداً وهـيَ مُصغيـةٌ[٤]

وقولُهُ:

---

(١) في (ع) و(ص): «إلى مفعولين».

(٢) في (ص): «الطريف».

(٣) في (ص): «بخلو».

(٤) صدر بيت لا يعرف قائله، وعجزه:

يشـفيكَ قلـتُ صحيـحٌ ذاكَ لـو كانـا

والشاهد فيه قوله: (كلامك هنداً) فإن (كلام) هنا، اسم مصدر عمِلَ عمَلَ المصدر، فرفع فاعلاً، وهو الكاف في (كلامك)، ونصب مفعولاً به هو قوله: (هنداً). على قول الكوفيين من النحاةِ. ينظر: «شرح شذور الذهب» (ص ٤١٤).

لأنَّ ثـوابَ اللهِ كلَّ موحِّـدٍ جِنـانٌ[١]

وقولُهُ:

وبعـدَ عطائـكَ المئـةَ الرِّتَاعَـا[٢]

ومنعَ البصريُّونَ ذلكَ، وأضمَرُوا لهذِهِ المنصوباتِ أفعالاً تعمَلُ فيها[٣].

الرابعُ: اسمُ الفاعلِ كـ: ضاربٍ ومكرمٍ.

فإنْ كانَ بـ (أل) عمِلَ مُطلَقاً كـ: جاءَ الضارِبُ زيداً أمسِ، أو الآنَ أو غداً.

وإنْ كانَ مجرداً منها عمِلَ بشرطَينِ: كونُهُ حالاً أو استِقبالاً، واعتمادُهُ عَلى نفيٍ أو استفهامٍ، أو مخبرٍ عنهُ أو موصوفٍ، أو ذي حالٍ نحوُ: ما ضاربٌ زيدٌ عمراً الآنَ أو غداً، وأزيدٌ ضاربٌ بكْراً، وزيدٌ ضاربٌ خالداً، ومررْتُ برجلٍ ضاربٍ عمرَاً، وجاءَ زيدٌ راكباً فرسَاً.

---

(١) تتمة البيت:

مـنَ الفِـردَوس فيهـا يخلُـدُ

وهو لحسان بن ثابت رضي الله عنه كما في «ديوانه» (ص ٣٣٩). والشاهد فيه قوله: (ثوابَ الله كلَّ موحدٍ) حيث أعمل اسم المصدر، وهو قوله: (ثواب) عمل الفعل، فنصب المفعول بِهِ، وهو (كل)، ينظر: «شرح شذور الذهب» (ص ٤١٣).

(٢) هذا عجز البيت، وصدره:

أكفـراً بعـد رد المـوت عنـي

وهو للقطامي؛ كما في «ديوانه» (ص ٣٧). والشاهد فيه قوله: (عطائك المائة) فقد عمِل اسمُ المصدر الذي هو (عطاء) عمل الفعل، فنصب المفعول الذي هو قولُه (المئة) بعد إضافته لفاعله، وهو ضمير المخاطب. ينظر: «أوضح المسالك» (٣/ ٢١١).

(٣) «شرح شذور الذهب» (ص ٤١٤).

ويجوزُ معَ وجودِ الشرطَينِ جرُّ المفعولِ بالإضافةِ نحوُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق ٣].

ولكَ في تابعِ المفعولِ المجرورِ باسمِ الفاعلِ الجرُّ عَلى اللفظِ، والنصبُ عَلى المحلِّ كـ: هذا طالبُ فقهٍ ونحوٍ وجاهٍ ومالاً.

الخامسُ: المثالُ وهوَ: ما حوِّلَ للمبالغَةِ مِن فاعلٍ إلى فعّالٍ ومِفعالٍ وفعولٍ بكثرةٍ، وإلى فعيلٍ وفعلٍ بقلَّةٍ نحوُ: أمّا العسَلُ فأنا شرَّابٌ، وإنه لمنحارٌ بوائكَها[١]، وإن اللهُ غفورٌ ذنْبَ العاصِينَ، وإنّ الله سميعُ دعاءِ مَنْ دعاهُ، وأتاني أنهُمْ مَزِقُونَ عِرضِي[٢].

السادسُ: اسمُ المفعولِ: كـ: مضْروب ومكرم.

ويعمَلُ عمَلَ فعلِهِ المبنيِّ للمفعولِ نحوُ: زيدٌ مضروبٌ عبدُهُ، ومكرَمٌ غلامُهُ؛ كما تقولُ: زيدٌ ضُرِبَ عبدُهُ، وأكرِمَ غُلامُهُ.

ويشترَطُ لاسمِ المفعولِ والمثالِ ما اشتُرِطَ لاسمِ الفاعلِ.

السابعُ: الصفَةُ المشبَّهةُ[٣]؛ كـ: حسَنٌ، وظريفٌ، وطاهرٌ، وضارٌّ نحوُ: زيدٌ حسنٌ وجهُهُ، وطاهرٌ ثوبُهُ.

---

(١) حكاه سيبويه عن بعض العرب، والبوائك جمع بائكة وهي السمينة الحسناء من الإبل، ونصبت لأنها مفعول به لـ (منحار)، ينظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ١١٢).

(٢) هذا صدر بيت وعجزه:

جحاش الكرملين لها فديد

وهو من شواهد النحو، وهو لزيد الخيل رضي الله عنه، كما في «ديوانه» (ص ١٧٦). والشاهد فيه قوله: (مزقون عرضي) حيث أعمل جمع صيغة المبالغة، فنصب به المفعول به، وهو قوله: (عرضي). ينظر: «أوضح المسالك» (٣/ ٢٢٤).

(٣) وهي الصفة المصوغة لغير تفضيل، لإفادة نسبة الحدث إلى موصوفها، دون إفادة الحدوث، وسميت صفة مشبهة لأنها تشبه اسم الفاعل، ينظر: «شرح شذور الذهب» (ص ٣٩٦)، و«شرح قطر الندى» (ص ٣٧٠).

ولمعمُولها ثلاثُ حالاتٍ:

الرفعُ على الفاعليَّةِ أو البدليَّةِ منَ الضميرِ المشترَكِ[١] كـ: زيدٌ حسنٌ وجهُهُ. **والنصبُ عَلى التمييزِ أو التشبيهِ بالمفعولِ** كـ: زيدٌ حسنٌ وجهاً، **والتشبيهُ بالمفعولِ فقَطْ** كـ: زيدٌ حسنُ الوجهَ. **والخفضُ بالإضافةِ**: زيدٌ حسَنُ الوجهِ.

الثامنُ والتاسعُ: الظرفُ والمجرورُ إذا وقعا: صفةً، أو صِلةً، أو خَبراً، أو حالاً، أو اعتمَدا[٢] **عَلى نفيٍ أو استفهامٍ** نحوُ: مررتُ برجلٍ في الدارِ، أو عندَكَ أخوهُ، وجاءَ الذِي عندَكَ أبوهُ، وزيدٌ في الدارِ غلامُهُ، وما في اللهِ شكٌّ، وأعندَكَ زيدٌ[٣].

فيجوزُ لكَ أنْ تجعَلَ الظرفَ والمجرورَ خبراً مقدَّماً، وما بعدَهُما مبتدأً مؤخراً، وكونُهُ فاعلاً أولى عندَ الحُذَّاقِ منَ النحويينَ لسلامَتِهِ مِن مجازِ التقدِيمِ والتأخِيرِ.

العاشرُ: اسمُ التفضيلِ كـ: أكرَمُ، وأعلَمُ.

ويستعمَلُ بـ: (مِن)، أو مضافاً لنكِرةٍ غيرِ[٤] مطابقَةٍ للمفضَّلِ؛ فيفرَدُ ويذكَّرُ كـ: زيدٌ أفضَلُ مِن عمرٍو، والزيدونَ أفضلُ مِن عمرٍو، وزيدٌ أفضلُ رجلٍ، والزيدانِ أفضَلُ رجلَينِ.

ويستعمَلُ بأل فيطابِقُ؛ كـ: زيدٌ الأفضَلُ، والزيدانِ الأفضَلانِ.

ويستعمَلُ مُضافاً لمعرفةٍ فيجوزُ الوجهانِ: المطابقةُ نحوُ: ﴿أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٣]، وعدَمُها نحوُ: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾[٥] [البقرة: ٩٦].

---

(١) في (ص): «المستتر».

(٢) في (ص): «اعتمد».

(٣) «زيدٌ» ليست في (ص).

(٤) «غيرِ» ليست في (ص).

(٥) «على حياةٍ» ليست في (ص).

ولا ينصبُ المفعولَ مُطلَقاً، بلْ يصِلُ إليهِ باللامِ أو الباءِ؛ كـ: زيدٌ أبذَلُ للمعروفِ، وعمرٌو أعرفُ الناسِ[1] بالنحوِ.

ولا يرفَعُ في الغالِبِ[2] اسماً ظاهراً إلا في (مسألَةِ الكُحلِ).

وقدْ يرفَعُ الظاهرَ مُطلقاً في لغةٍ حكاها سيبويهِ نحوُ: مررتُ برجلٍ أفضَلُ منهُ أبوهُ.

***

(فصلٌ)

والحروفُ قسمانِ: منها ما يعمَلُ ومِنها ما لا يعمَلُ.

فالعاملةُ: مِنها ما ينصبُ الاسمَ ويرفعُ الخبرَ وعكسُهُ، ومِنها ما ينصبُ الفعلَ المضارعَ، ومنها ما يجزِمُهُ، ومِنها ما يجرُّ الاسمَ، وقدْ مرَّ الكلامَ عَليها مفصلاً.

وأما الحروفُ التي ليسَتْ بعاملةٍ فكثيرةٌ: مِنها خمسةَ عشرَ حرفَ ابتداءٍ وهيَ: (أنما)، و(إنّما)، و(كأنما)، و(لكنَّما)، و(ليتَما)، و(لعلَّما)، و(أمّا) بمعنَى التفصيلِ، و(أما) الخفيفَةُ بمعنَى الاستفتاحِ، و(لولا) بمعنى الامتناعِ، و(حتّى) في أحدِ أقسامِها، و(ألا) بمعنَى التنبيهِ، و(لامُ الابتداءِ)، و(واو الحالِ)، و(إنْ) الخفيفَةُ في أحدِ أقسامِها، و(لكِنْ) الخفيفَةُ.

وإنما سميَتْ حروفَ ابتداءٍ؛ لكثرَةِ وقوعِ المبتدأ بعدَها.

ومنها: تسعةٌ للعطفِ وتقدَّمتْ.

---

(١) «الناسِ» ليست في (ص).

(٢) في (ع): «اللغات».

ومِنها: ستةٌ للجوابِ وهيَ: (نعَمْ)، و(بَلى)، و(إي)، و(جَير)، و(أجلْ)[١]، و(إن) في أحَدِ أقسامِها.

ومِنها: أربعةٌ للتحضِيضِ وهيَ: (لولا)، و(لوما)، و(هلّا)، و(ألا).

فإذا وليهنَّ المستقبلُ كنَّ تحضِيضاً، وإذا وليهُنَّ الماضِي كنَّ تَوبِيخاً.

ومِنها: أربعةٌ للمضارَعةِ وهيَ: (الهمزَةُ)، و(النونُ)، و(الياءُ)، و(التاء).

ومِنها: أربعةٌ تختصُّ بالفعلِ مِن أولهِ وهيَ: (قدْ)، و(السينُ)، و(سوفَ) و(لو).

ومِنها: ثلاثةٌ للاستفهامِ وهيَ: (الهمزةُ)، و(هلْ)، و(أمْ).

وما عداها مما يستفهَمُ بهِ فاسمٌ، وليسَ بحرفٍ وهوَ تسعةٌ: (مَن)، و(ما)، و(كَم)، و(كَيف)، و(أيُّ)، و(أينَ)، و(أنَّى)، و(متَى)، و(أيَّانَ).

ومِنها: ثلاثةٌ للتأنيثِ وهيَ: (التاءُ)، و(الألفُ المقصُورةُ)، و(الألفُ الممدُودةُ).

ومِنها: حرفانِ للتنفيسِ وهما: (السينُ)، و(سوفَ).

ومِنها: حرفانِ لتأكيدِ الفعلِ وهُما: (النونانِ)[٢] الثقيلَةُ والخفيفَةُ.

ومِنها: حرفُ النسَبِ[٣] وهوَ: (الياءُ المشدَّدةُ)، و(أحرفُ التعريفِ) وهوَ: الألفُ واللامُ.

***

---

(١) «وأجلْ» ليست في (ص).

(٢) في (ص): «النون».

(٣) في (ص): «للنسب وهي» بدلًا من «النسَبِ وهوَ».

بابٌ في ألفاظٍ متفقةٍ بمعانٍ مختلفةٍ

فمِنها: (إذا) فتستَعملُ ظرفيةً شرطيةً، وتارةً فجائيةً، وقد اجتَمعا في قولِهِ تَعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] فالأُولى ظرفيةٌ شرطيةٌ، والثانيةُ فجائيةٌ.

ومِنها: (إذ) فتستَعمَلُ ظَرفاً لما مضَى منَ الزمانِ كقولِهِ تَعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦] وقولِهِ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ [الأعراف: ٨٦].

وتستعمَلُ حرفاً للمفاجأةِ[1] كقولِهِ:

فبينَمَــا العسْــرُ إذ دارَتْ مياسِــيرُ[2]

وحَرفاً للتعليلِ كقولِهِ تَعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ [الزخرف: ٣٩].

ومنها: (لما) فتكُونُ حرفَ وجودٍ لوجودٍ نحو: لمّا جاءَ زيدٌ جاءَ عمرٌو.

وحرفَ نفيٍ وجزمٍ وقلبٍ نحوُ: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ﴾ [ص: ٨]، وحرفَ استثناءٍ بمنزلَةِ (إلا) نحوُ: أنشِدُكَ اللهَ لما فعلْتَ كذا أي: ما أسأَلُكَ[3] إلا فعلَ[4] كذا.

ومنها: (نعَمْ) فتكُونُ حرفَ تصديقٍ بعدَ الخبرِ، وحرفَ إعلامٍ بعدَ الاستفهامِ، وحرفَ وعدٍ بعدَ الطلَبِ.

---

(١) في (ع): «للمفاجئات».

(٢) عجز بيت وصدره:

اســترزق الله خيــراً وارضيــنَّ بــه

ونسب لرجل من الأعراب في قصة مع معاوية رضي الله عنه، ينظر: «مجموع رسائل ابن أبي الدنيا» (٢/ ١١٤)، وينظر: «النحو الوافي» (٢/ ٢٧٧).

(٣) في (ع): «أشاء لك».

(٤) في (ص): «فعلك».

ومِنهـا: (إي) وهـوَ بمنزلـةِ (نعَمْ) إلا أنها تختَـصُّ دونَها بالقسَـمِ كقولِهِ تعالى: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾[1] [يونس: ٥٣].

ومِنها: (حتّى) فتكُونُ حرفَ غايةٍ وجرٍ نحوُ: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥]، وحرفَ عطفٍ نحوُ: ماتَ النَّاسُ حتّى الأنبياءُ، وحرفَ ابتداءٍ نحوُ:

حتّـــى مـــاءُ دجلـــةَ أشـــكَلُ[2]

ويجمَعُ الثلاثةَ قولك[3]: أكلْتُ السمكَةَ حتّى رأسِها.

ومِنهـا: (كلا) فتكُـونُ: حرفَ ردعٍ وزجـرٍ نحوُ قولِـهِ تَعَالى: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآ﴾[4] [المؤمنون: ٩٩]، وحـرفَ تصدِيـقٍ نحـوُ: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ [المدثر: ٣٢]، والمعنَـى: إي والقمـرِ، وحرفاً بمعْنَى حقـاً، أو ألا نحوُ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ [العلق: ١٩] ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [العلق: ٦].

ومِنها: (لا) فتكونُ ناهيةً نحوُ: لا تعصِ اللهَ، ونافيةً نحوُ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وزائدةً نحوُ ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾.

ومِنها: (لولا) فتكُونُ حرفَ امتناعٍ لوجودٍ نحوُ: لولا زيدٌ لزرتكَ[5]، وحرفَ تحضيضٍ نحوُ: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ [النمل: ٤٦] ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾

---

(١) «إنه لحق» ليس في (ص).

(٢) جزء من بيت لجرير الشاعر الأموي الشهير، وتمامه:

فمـا زالـت القتلـى تمـج دماءها ... بدجلـة حتـى ماء دجلة أشـكل

«ديوان جرير» (ص ٣٦٥).

(٣) «قولك» من (ص).

(٤) في (ص): «ارجعوني».

(٥) في (ع) و(ص): «لأكرمكتك».

[النور: ١٣]، وحرفَ عرضٍ نحوُ: لولا تنزِلُ عندَنا فتصيبَ خيراً، وحرفَ توبيخٍ نحوُ: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾ [الأحقاف: ٤٦].

ومنها: (إنْ) فتكُونُ حرفَ شرطٍ نحوُ: ﴿وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ﴾ [الأنفال: ١٩]، وحرفَ نفيٍ نحوُ: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [التوبة: ١٠٧]، ومخفَّفةً منَ الثقيلةِ نحوُ: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]، وزائدةً والغالبُ وقوعُها بعدَ (ما النافيةِ) نحوُ:

ما إنْ أنتمْ ذهبٌ[١]

وحيثُ اجتمعَتْ ما وإن، فإنْ تقدمَتْ ما فهِيَ نافيةٌ وإنْ زائدةٌ كالمثالِ، وإنْ تقدمَتْ إن فهِيَ شرطيةٌ وما زائدةٌ نحوُ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ [الأنفال: ٥٨].

ومِنها: (أنْ) فتكُونُ حَرفاً مصدريّاً[٢] وهيَ الناصبةُ للفعلِ لا غيرُ نحوُ: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ [الزمر: ٥٦] وحرفَ تفسيرٍ بمنزلةِ (أي) التفسيريَّةِ نحوُ: ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [النحل: ١٢٣] أي: اتبعْ ومخفَّفةً مِن الثقيلةِ نحوُ: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾[٣] [المزمل: ٢٠]، وزائدةً نحوُ: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ [يوسف: ٩٦] وأقسِمُ أنْ لو التقَينا[٤].

---

(١) جزء من بيت وتمامه:

بني غدانةَ ما إن أنتمُ ذهبٌ ... ولا صريفٌ ولكن أنتمُ خزَفُ

لا يعرف قائله، وهو من شواهد النحو، وجه الاستشهاد: إهمال (ما) لوقوع (إن) الزائدة بعدها على رواية الرفع في (ذهب)، ينظر: «شرح قطر الندى» (ص ١٨٩).

(٢) في (ع): «حرف مصدر»، وفي (ص): «حرف مصدري».

(٣) «منكم مرضى» ليست في (ص).

(٤) جزء من بيت شعر للمسيب بن علس وتمامه:

أقسم أن لو التقينا وأنتم ... لكان لكم يوم من الشر مظلم

والشاهد فيه قوله: (أقسم أن لو التقينا) فجاءت (أن) زائدة لوقوعها بين (لو) والقسم. ينظر: =

ومِنها: (مَن) فتكُونُ شرطيةً نحوُ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، **واستفهاميةً** نحوُ: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، **ونكرةً موصوفةً** نحوُ: مررتُ بمَن معجبٍ لك، **وموصولةً** نحو: جاءَ مَن نحبُّهُ[١].

ومِنها: (أيّ) فتكُونُ شرطيةً نحوُ: أيَّ الدوابِ تركَبْ أركَبْ، **واستِفهاميةً** نحوُ: أيَّ الدوابِ تركَبُ؟؛ **وموصولةً** نحوُ: ﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾[٢] [مريم: ٦٩]، **ودالةً على معنَى الكمالِ** نحوُ: هذا رجلٌ أيُّ رجلٍ، **ووصلَةً يتوصَّلُ بها لنداءِ**[٣] **ما فيهِ ال** نحوُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الانفطار: ٦].

ومِنها: (لو) فتكُونُ: حرفَ امتناعٍ لامتناعٍ نحوُ: لو جاءَ زيدٌ أكرمتُهُ، **وحرفَ شرطٍ غيرَ جازمٍ** نحوُ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟﴾ [النساء: ٩] أي: إنْ تركُوا، **وحرفاً مصدريّاً**[٤] نحوُ: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[٥] [القلم: ٩] ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ﴾ [البقرة: ٩٦]، **وحرفَ تمنٍّ** نحوُ: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [الشعراء: ١٠٢] **وأداةَ عرضٍ** نحوُ: لو[٦] تنزِلُ عندَنا، **قيلَ: وتكونُ للتقليلِ** نحوُ: «تصدَّقوا ولو بظلفٍ محرّقٍ»[٧].

= «أوضح المسالك» (٤/ ١٦٠).

(١) في (ص): «تحبه».

(٢) «أشدّ» ليست في (ص).

(٣) في (ص): «النداء».

(٤) في (ع): «وحرف مصدر».

(٥) «فيدهنون» ليست في (ص).

(٦) في (ص): «﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ لولا».

(٧) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٨) عن ابن بجيد الأنصاري عن جدته، والإمام أحمد في «المسند» (٢٧٤٥١) من حديث حواء جدة عمرو بن معاذ الأنصاري بلفظ: «لا تردوا السائل ولو بظلف محرق».

ومِنها: (قدْ) فتكُونُ اسماً بمعْنَى: حسبُ، واسمَ فعلٍ بمعْنَى: يكفِي، وحرفَ تحقيقٍ نحوُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]، وحرفَ تقريبٍ نحوُ: قدْ قامتِ الصلاةُ، وحرفَ توقُّعٍ نحوُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة: ١]، وحرفَ تقليلٍ نحوُ: قدْ يصدُقُ الكذوبُ، وقدْ يجودُ البخيلُ، وحرفَ تكثيرٍ نحوُ:

قــدْ أتــرُكُ القــرنَ مصفــرّاً أناملُــهُ[1]

ومِنها: (الواوُ) فتكُونُ للعطفِ نحوُ: جاءَ زيدٌ وعمرٌو، وللمعيَّةِ نحوُ: جاءَ الأميرُ والجيشُ، وللحالِ نحوُ: جاءَ زيدٌ والشمسُ طالعَةٌ، وللاستئنافِ نحوُ: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [الحج: ٥]، وللقسَمِ نحوُ: واللهِ، وزائدةً نحوُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] ومقدرةً بعدَها ربَّ نحوُ: وقصيدةٍ.

ومِنْهـا: (مـا) تكـونُ[2] اسـتفهاميَّةً نحـوُ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طـه: ١٧]، وشـرطيةً نحوُ: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقـرة: ١٩٧]، وموصولةً نحـوُ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحـل: ٩٦] ونكـرةً موصُوفـةً نحـوُ: مررْتُ بمـا معجـبٍ لـكَ، وتعجُّبيةً نحوُ: ما أحسَـنَ زيـداً، ونافيـةً تعمَلُ عمَلَ (ليـسَ) نحوُ: ﴿مَا هَـٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]، ونافيـةً لا تعمَـلُ نحـوُ: مـا قـام زيـدٌ، ومصدرِيـةً ظرفيةً نحـوُ: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريـم: ٣١]، ومصدريَّـةً غيرَ ظرفيةٍ نحـوُ ﴿بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

---

(١) صدر بيت وعجزه:

كأن أثوابــه مجــت بفرصـــاد

وهو لعبيد بن الأبرص كما في «ديوانه» (ص ٤٩).

(٢) في (ص): «فتكون».

وكافةً: إما عَنْ عملِ الرفعِ في الفاعلِ، وذلكَ في (قلّما) و(طالما) و(كثرَما)، وإما عَن عمَلِ الرفعِ والنصبِ وذلكَ معَ (إنَّ) وأخواتها نحوُ: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، وإمَّا عَنْ عملِ الجرِّ نحوُ:

كمـا سـيفُ عمـرٍو لـمْ تخُنْـهُ مَضاربُـهُ[١]

ومُسلطةً ما[٢] لا يعمَلُ عَلى العملِ فيعملُ وهيَ: اللاحقةُ (حيثُ)، و(إذ) نحوُ: حيثُما تكُنْ أكُنْ، وإذ ما تأتِني أكرِمْكَ، وزائدةً بعدَ الجارِّ نحوُ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، وموجبةً وهيَ: التي تدخُلُ عَلى النفي فينعَكِسُ إيجاباً نحوُ: (مازالَ)، و(ما انفكَّ)، و(ما فتئَ)، وما برحَ زيدٌ قائماً؛ لأنَّ هذِهِ الأربعةَ مجردَةٌ للنفيِ؛ فإذا دخلَتْ علَيها (ما) انعكَسَ الحكمُ.

* * *

(١) عجز بيت صدره:

أخ ماجـد لـم يخزنـي يـوم مشـهد

وهي لنهشل بن حري الدارمي يرثي أخاه القتيل في صفين مع علي رضي الله عنه، ينظر: «شرح أبيات المغني» (٤/ ١٢٧).

(٢) في (ص): «لما».

بابٌ في الجمَلِ

وهيَ قسمانِ: جملٌ لها محلٌّ منَ الإعرابِ، وجملٌ لا محلَّ لها. فالجمَلُ التي لها محلٌّ من الإعراب[١] سبعٌ:

إحدَاها: الواقعةُ خَبراً فمحلُّها الرفعُ في: بابِ المبتدأِ، وبابِ (إنَّ) نحوُ: زيدٌ قائمٌ، وإنّ زيداً أبوهُ قائمٌ.

ومحلُّهـا النصبُ فـي بـابِ (كانَ) و(كادَ) نحوُ: كان زيـدٌ أبوهُ قائـمٌ، وكادَ زيدٌ يهلِكُ.

الثانيةُ: الواقعةُ حالاً ومحلُّها النصبُ نحوُ: جاءَ زيدٌ يضحَكُ، وكذا كلُّ جملةٍ وقعَتْ بعدَ معرفةٍ محضَةٍ.

الثالثةُ: الواقعةُ مفعُولاً بهِ ومحلُّها النصبُ أيضاً نحوُ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ﴾[٢] [مريم: ٣٠] وظننْتُ زيداً يقرَأُ، وأعلمْتُ زيداً عمراً أبوهُ قائمٌ.

الرابعةُ: المضافُ إليها ومحلُّها الجرُّ نحوُ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، وكذا كلُّ جملةٍ وقعَتْ بعدَ (إذ) أو (إذا) أو (حيثُ).

الخامسةُ: الواقعةُ جواباً لشرطٍ جازمٍ، ومحلُّها الجزمُ إذا كانَتْ مقرونةً بالفاءِ أو (إذا) الفجائيةِ نحوُ: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦].

وأما نحوُ: إنْ قامَ زيدٌ قمتُ، فمحلُّ الجزمِ محكُومٌ بهِ للفعلِ وحدَهُ، لا الجملَةَ بأسرِها.

---

(١) «من الإعراب» من (ص).

(٢) «آتاني» من (ص).

السادسَـةُ: الواقعَـةُ نعتـاً لمفـردٍ نكرةٍ محضـةٍ، ومحلُّها بحسـبِ ذلـكَ المفردِ، فـإنْ كانَ مَرفُوعـاً فهـيَ في محلِّ رفـعٍ، أو منصُوباً فهيَ في محلِّ نصـبٍ، أو مجروراً فهـيَ فـي محلِّ جرٍ نحـوُ: جاءني رجـلٌ يضحَكُ، ورأيـتُ رجلاً يضحَـكُ، ومررتُ برجـلٍ يضحَكُ.

السابعةُ: التابعةُ لجملةٍ لها محلٌّ، نحوُ: زيدٌ قامَ أبوهُ وقعَدُ أخوهُ.

***

فصلٌ

والجملُ التي لا محلَّ لها سبْعٌ:

أحدُها: الابتدائيةُ، وتسمَّى المستأنفَةَ نحوُ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ﴾ [القدر: ١] ونحوُ:

حتّـى مـاءُ دجلَـةَ أشـكَلُ[(١)]

الثانيةُ: الواقعَةُ صلةً لموصولٍ[(٢)] اسميٍّ أو حرفيٍّ نحوُ: جاءَ الذِي قامَ، وعجِبتُ مما قامَ.

والثالثـةُ: المعترضَـةُ بيـنَ شَـيئينِ نحـوُ: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ﴾[(٣)] [البقـرة: ٢٤]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعـة: ٧٦] ونحـوُ: علـيٌّ وإنْ لـمْ يحمِـلِ السـلاحَ شُـجاعٌ.

والرابعـةُ: المفسـرَةُ لغيـرِ ضميرِ الشـأنِ نحـوُ: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمـران: ٥٩].

---

(١) لجرير، وقد تقدم.

(٢) في (ص): «الموصول».

(٣) «فاتّقوا» ليست في (ص).

والخامسَةُ: الواقعَةُ جواباً للقسَمِ نحوُ: أقسمْتُ باللهِ إنَّ الصلحَ خيرٌ.

والسادسَةُ: الواقعةُ جواباً لشرطٍ غيرِ جازمٍ كجوابِ (إذا) و(لو) و(لولا)، **أو لشرطٍ جازمٍ، ولمْ تقترِنْ بالفاءِ** نحوُ: إنْ قامَ زيدٌ قمتُ.

والسابعةُ: التابعةُ لما لا محلَّ لهُ نحوُ: قامَ زيدٌ، وقعدَ عمرٌو هذا إذا لم تقدَّرِ الواوُ للحالِ.

تنبيهٌ: إنما قيَّدنا فيما مرَّ المعرفةَ بكونها محضةً، والنكرةَ كذلِكَ احترازاً مِن غيرِ المحضِ منهما[1] كقولِهِ تَعَالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، ﴿بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ [الدخان: ١٠] فجملَةُ (يحمِلُ)، و(يغشى) تحتمِلُ الحاليةَ والوصفيةَ؛ لأنَّ الحمارَ وقعَ بلفظِ المعرفةِ، لكنَّهُ كالنكرةِ في المعنى مِن حيثُ الشيوعُ؛ إذِ المرادُ بهِ الجنسُ لا حمارٌ بعينِهِ، والدخانُ وقعَ بلفظِ النكرةِ ولكنهُ تخصيصٌ بالصفةِ.

وقدْ تقعُ الجملةُ بعدَ النكرةِ والمعرفةِ، ولا تكونُ حالاً ولا صفةً؛ لفسادِ المعنى نحوُ قولِهِ تَعَالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ [الصافات: ٧ ـ ٨].

***

---

(١) في (ص): «منها».

بابٌ في الخطِّ

اعلَمْ أنَّ الممدودَ كحنَّاءٍ وكساءٍ ورداءٍ، وزكرياءَ وحمراءَ [(١)] **يكتَبُ بألفٍ واحدةٍ في حالِ الجرِّ والرفعِ، وبألفَينِ في حالِ النصبِ إن كان مُنصرِفاً** [(٢)] **فإنْ ثنِّيَ الممدودُ كتِبَ مُطلَقاً بألفَينِ.**

والمقصورُ إنْ كانَتْ ألفُهُ رابعةً فما زادَ كـ: مَولى ومجتَبى ومُستدعى **كتِبَ أبداً بالياءِ، ما لمْ يكُنْ قبلَ** [(٣)] **آخرِهِ ياءٌ فيكتَبُ بالألفِ** كـ: الدُّنيا، والعُليا والعطايا إلا يحيَى وربى [(٤)] علمَينِ فيكتبانِ بالياءِ.

وإنْ كانَتْ ألفُهُ ثالثةً وكانَ أصلُها واواً كتِبتْ [(٥)] **بالألفِ** كـ: العصَا، والعلا والرِّضا.

وإنْ كانَ أصلُها ياءً كتِبَتْ بالياءِ كـ: الفَتى والغِنى ضدُّ الفقرِ.

وإنِ اتصلَ بالمقصورِ مضمرٌ كتبَ بالألفِ مطلقاً كـ: فتاهُ ورحاهُ.

ويعرَفُ ما أصلَهُ الواوُ مما أصلُهُ الياءُ بالتثنيةِ كـ: الفتيانِ والعصوانِ، **وبوزنِ** [(٦)] **فَعْلَةٍ منَ المصادرِ** كـ: غَزْوَةٌ ورَمْيَةٍ، **وبردِّ الفعلِ إلى النفسِ** كـ: غزوْتُ ورميتُ. **وبالمضارعِ** كـ: يغزُو ويرمِي، **وبالإمالَةِ** كـ: (متى) و(بلى)، **وحروفِ الجرِّ** مثلُ: (إلى) و(علَى) تكتبُ بالياءِ؛ لأنها ترجعُ إلى الياءِ معَ المضمرِ نحوُ: (إليكَ)، و(عليكَ).

---

(١) في (ع): «أو كزكرياء وحمر».

(٢) في (ع): «منصوباً».

(٣) «قبلَ» ليست في (ص).

(٤) في (ع): «ودمي».

(٥) في (ص): «كتب».

(٦) في (ع): «ووزن».

و(كلا)، و(كلتا) يُكتبانِ بالياءِ عندَ الكوفيينَ؛ لأنهُما قدْ أمِيلا، وإذا جهِلَ أمرُ الألفِ كتبَ بالألفِ لأنهُ الأصلُ مثلَ: ألفِ (ما) و(لا) و(ذا) و(تا).

***

فصل[1]

والزكاةُ والصلاةُ والحياةُ يكتَبُ بالواوِ[2] ما دامَ مفرداً، فإنْ[3] كانَ مُضافاً أو مثَنى كتبَ بالألفِ على القياسِ.

و(الذي) و(التي) وجمعُهما يكتَبُ بلامٍ واحدةٍ، ومثناهما بلامَينِ فرقاً بينَ التثنيةِ والجمعِ نحوُ: رأيتُ اللذَين قاما، واللتينِ خرجَتا.

ويكتَبُ نحو (داودَ) و(طاوسٍ) بواوٍ واحدةٍ.

وتزادُ الواوُ في عمرٍو في حالِ الرفعِ والجرِّ فرقاً بينَهُ وبينَ عمرَ[4]، وفي النصبِ لا لبسَ.

وتزادُ الواوُ في أولئكَ فرقاً بينَهُ وبينَ إليكَ.

وتكتَبُ مائةٌ بالألفِ فرقاً بينها وبينَ منهُ[5].

وتزادُ الألفُ؛ بعد واو الجمعِ إذا لمْ تكنْ متصلَةً بمضمرٍ نحوُ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ [البقرة: ٦٠] ودعَوا[6] فرقاً بينَها وبينَ (يدعُو) و(يغزُو) التي من نفْسِ الكلمةِ.

---

(١) «فصل» من (ص).

(٢) في (ص): «بالياء».

(٣) في (ص): «مفرد فإذا» بدلًا من «مفرداً، فإنْ».

(٤) في (ص): «عمرو».

(٥) وهذا في حال خوف اللبس، فإن أمن اللبس حذفت الألف.

(٦) في (ع): «وادعوا» وهي ليست في (ص).

وتحـذفُ همـزةُ لامِ التعريـفِ إذا دخَـلَ عليهـا (لامُ الابتـداءِ)، أو (لامُ الجرِّ) نحـوُ: لَلّرجـلُ خيـرٌ مـنَ المـرأةِ، ولِلرَّجـلِ عندي حـقٌّ، ولله أرحَـمُ بعبـادِهِ، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ [الروم: ٤].

وتحذَفُ ألفُ الوصلِ مِن (ابنٍ) إذا وقَعَ مُفرداً صفةً بينَ علَمينِ أو كُنيتَينِ أو لقَبينِ سواءٌ اتفقَ ذلكَ، أو اختلفَ نحوُ: هذا زيدُ بنُ عمرٍو، وهذا أبو القاسِمِ بنُ أبي محمدٍ، وهذا القائدُ بنُ القائدِ، وهذا زيدٌ بنُ الأميرِ، وزيدُ بن أبي القاسمِ.

فلو قلتَ: هذا زيدٌ ابنُ أخينا، وإنَّ محمَّداً ابنُ عمرٍو، وهذا أخونا ابنُ زيدٍ، وجعلْتَ ابنا نعتاً لأثبتَّ الألفَ، وكذلِكَ: إنَّ زيداً ابنُ أخينا، ولو قلتَ: هذا زيدٌ وعمرُو ابنا خالدٍ لأثبتَّ الألفِ في هذا كلِّهِ، وإنما تحذَفُ معَ ما شرطناهُ، وزادَ بعضُهمْ، ولم يقَعْ ابنُ أولَ السطرِ[١].

***

(فصلٌ)

و(كلَّما) إذا كانَتْ ظرفاً كَتبْتَ (ما) مَعها متصلةً نحوُ: كلَّما قمتَ قمتُ، وإنْ كانَتْ اسماً كُتبتْ منفصلةً نحوُ: كلُّ ما عندِي لكَ، وكلُّ ما في الدُّنيا فانٍ.

و(هاءُ التنبيهِ) تكتبُ معَ (ذا)[٢] متصلةً نحوُ: هذا، وهذِهِ، وهذانِ، وهؤلاءِ، فإنْ دخلَتْ كافُ الخطابِ كتبَتْ منفصلةً نحوُ: هاذاكَ، وهاذانكَ، وهاتانكَ، وهؤلائكَ.

و(ما) إذا كانَتْ موصولةً واتصلَتْ بنحوِ (إنَّ) و(ليتَ) كتبَتْ منفصلةً نحوُ: إنّ ما عند الله هو خيرٌ.

---

(١) ينظر: «شرح ابن عقيل» (١/ ٢٢٩).

(٢) في (ع): «بذا».

وإنْ كانَتْ حرفاً كُتِبتْ متَّصلةً نحو: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١].

وإذا كانت استفهاميَّةً ودخل عليها حرفُ الجرِّ حُذفَ ألفُها نحو ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١] ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٤٣] ﴿فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[1] [النمل: ٣٥].

وفي هذا القدرِ كفايةٌ لمنْ وفَّقهُ اللهُ تَعَالى، وما توفيقِي إلا باللهِ وإليهِ المرجِعُ والمآبُ، وصلى اللهُ عَلى سيدِنا محمَّدٍ النبيِّ الهاشميِّ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.

تمَّ وكمُلَ بحمدِ اللهِ وعونِهِ وحُسنِ توفيقِهِ، والحمدُ للهِ وحدَهُ، وصلواتُهُ عَلى عبادِهِ الذينَ اصطَفَى[2].

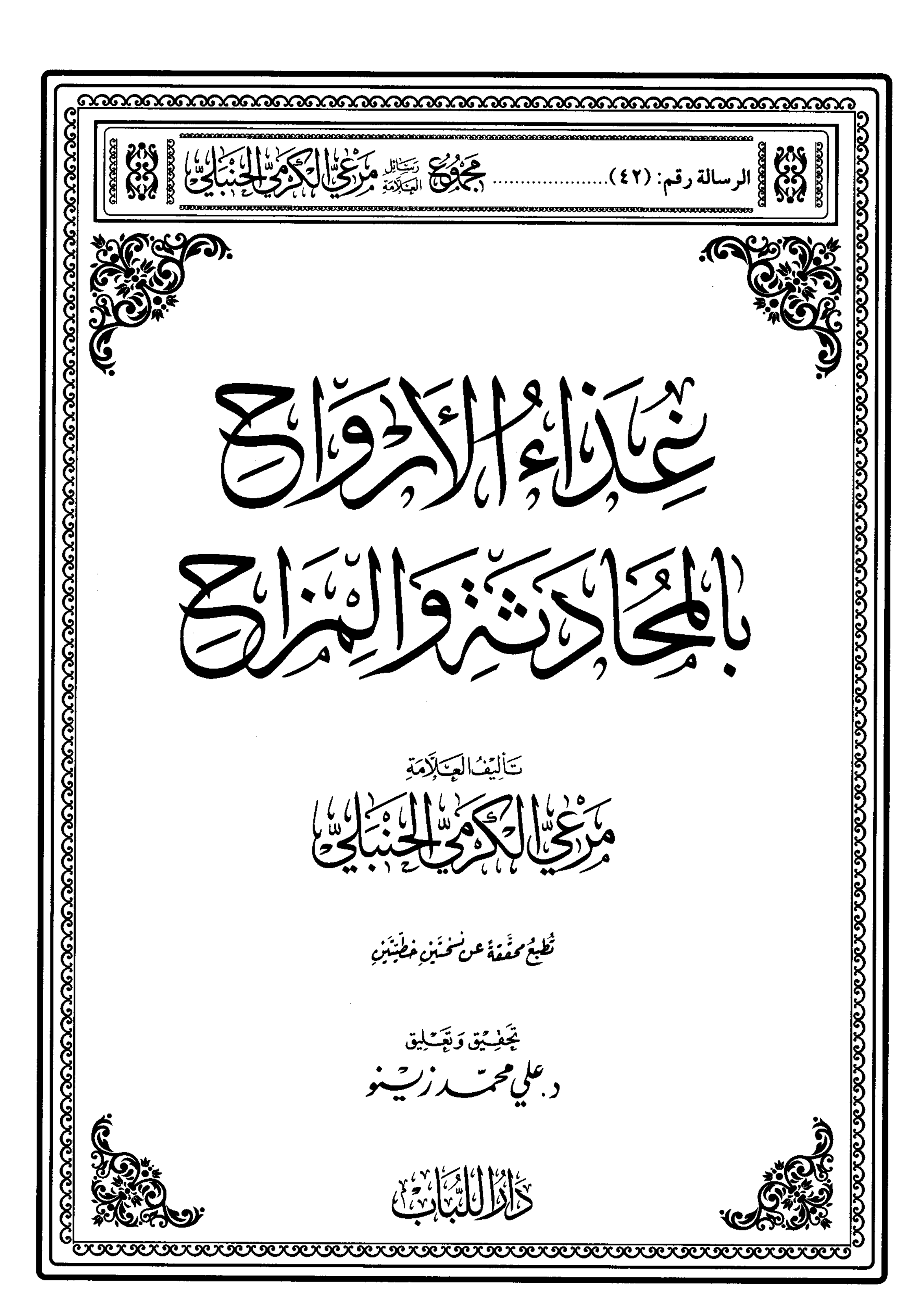
* * *

---

(١) «فناظرةٌ» ليست في (ص).

(٢) جاء في خاتمة النسخة (ص): «وكتبه بيده الفانية العبد الفقير الحقير المسرف على نفسه المعترف بذنبه المغترف من بحر عطائه محمود بن عبد الرحيم بن محمود بن محمد الإدلبي مولداً الشافعي مذهباً القادري طريقة كتبه لنفسه ولمن شاء الله من بعده وذلك في سلخ يوم الخميس رابع عشر من يوم خلت من شهر ذي الحجة سنة ١٠٤٧».

وجاء في خاتمة النسخة (ع): «غرَّةَ شعبانَ ١٢٨٠هـ».


مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي الحنبلي
الرسالة رقم: (٤٢)
غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح
تأليف العلامة
مرعي الكرمي الحنبلي
طبعة محققة عن نسختين خطيتين
تحقيق وتعليق
د. علي محمد زينو
دار اللباب

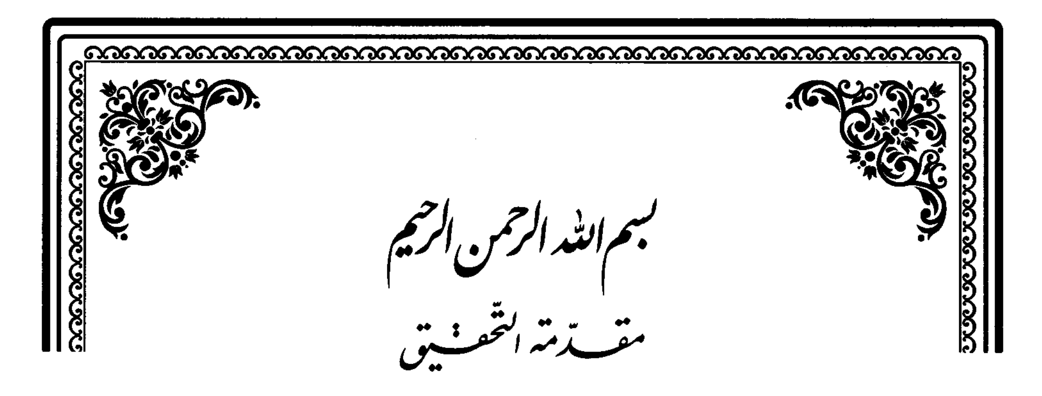
بسم الله الرحمن الرحيم قال العبد الفقير الى
الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي
الحمد لله خالق الاشباح ومدبر الارواح ومقدر الغدو والرواح
والصلاة والسلام على من كان يمزح ولا يقول الا حقا في المزاح
وعلى اله واصحابه اولي المروة والفتوة والفلاح اما
بعد فقد احببت ان اضع بعض لطايف في ذكر المزاح وبيان
المحمود منه والمذموم وبعض حكايات تزيل الهموم عن
قلب المغموم وتحسن بها المعاشرة وتلذ بها المسامرة راجيا
دعوة اخ صالح من الاخوان سايلا من الله العفو والغفران
وسميته غذا الارواح بالمحادثة والمزاح فاقول والله
المسوول ان يغفر لي الذنب والزلل ويعرفني في القول
والعمل واعلم ايدك الله ان النفس تمل كما ان البدن يكل
وكما ان البدن اذا كل طلب الراحة كذلك النفس اذا ملت
طلبت الراحة قال بعض السلف حادثوا هذه النفوس
فانها سريعة الدثور كانه اراد اصقلوها واجلوا الصدى
عنها واعدوها قابلة لودايع الخير فانها اذا دثرت اي
تغطت وصديت لم ينتفع بها وقيل لخالد بن صفوان
ايمل الحديث قال انما يمل العتيق والحديث معشوق الحس
بمعونة العقل ولهذا يولع به حتى النسا والصبيان وقال
الامام عمر بن عبد العزيز ان في المحادثة تلقيحا للعقول
وترويحا للقلب وتسريحا للهم وتنقيحا للادب وقال

ابو سعيد السيرافي سمعت ابن السراج يقول دخلت على ابن
الرومي في مرضه الذي قضى فيه فانشدنا
ولقد سيمت مارب فكان اطيبها خبيثه
الا الحديث فانه مثل اسمه ابدا حديثه سيما اذا كان
المحادثة والممازحة بين الاخوان اهل الصفا والمحبة والوفا
فان ذلك روح الروح وغذا النفس قال عبد الملك بن
مروان رحمه الله لبعض جلسايه قد قضيت الوطر من كل شي
الا من محادثة الاخوان في الليالي الزهر على التلال العفر
وقال سليمان بن عبد الملك قد ركبنا الفاره وتبطنا الحسنا
ولبسنا اللين واكلنا الطيب وما انا اليوم احوج مني الى
جليس يضع عني مونة التحفظ ويحدثني بما لا يمجه السمع
ويطرب اليه القلب ... فاعلم ايدك الله
انه لا باس بالمزح الخالي عن سفساف الامور وعن مخالطة
السفلة ومزاحمتهم بل بين الاخوان اهل الصفا بما لا اذى
فيه ولا ضرر ولا غيبة ولا شين في عرض او دين بل ربما
لو قيل بندبه لم يبعد اذا كان قاصدا به حسن العشرة والتو
للاخوان والانبساط معهم ورفع الحشمة بينهم من غير اسفاف
او اخلال بمروة او استنقاص باحد منهم ونحو ذلك فان
المزح في مقام يقتضيه لا ملام فيه بل قيل لسفيان المزاح
هجنة فقال بل سنة لقوله عليه الصلاة والسلام اني لامزح
ولا اقول الا الحق فالعاقل يتوخى بمزحه احدى حالتين

مكتبة باريس الوطنية (ب)

فانشدنا ولقد سيمت مارب فكان اطيبها خبيثه الا الحديث فانه
مثل اسمه ابدا حديثه لاسيما اذا كان المحادثة والممازحة بين
الاخوان اهل الصفا والمحبة والوفا فان ذلك روح الروح وغذا النفس
قال عبد الملك بن مروان رحمه الله لبعض جلسايه قد قضيت
الوطر من كل شي الا من محادثة الاخوان في الليالي الزهر
على التلال العفر وقال سليمان ابن عبد الملك قد ركبنا الفارة
وتبطنا الحسنا ولبسنا اللين واكلنا الطيب وما انا اليوم احوج
مني الى جليس يضع عني مونة التحفظ ويحدثني بما لا
يمجه السمع ويطرب اليه القلب ... فاعلم ايدك الله انه
لا باس بالمزح الخالي عن سفساف الامور وعن مخالطة
السفلة ومزاحمتهم بل بين الاخوان اهل الصفا بما لا اذى
فيه ولا ضرر ولا غيبة ولا شين في عرض او دين بل ربما
لو قيل بندبه لم يبعد اذا كان قاصدا به حسن العشرة والتو
للاخوان والانبساط معهم ورفع الحشمة بينهم من غير اسفاف
او اخلال بمروة او استنقاص باحد منهم فان المزح
في مقام يقتضيه لا ملام فيه قيل لسفيان المزاح هجنة
فقال بل سنة لقوله عليه الصلاة والسلام اني لامزح ولا اقول
الا الحق وفي الاذكار للامام النووي رحمه الله انه صلى الله عليه
وسلم كان يفعل المزح في نادر الاحوال لمصلحة وتطييب نفس
المخاطب ومواسنة وهذا لا منع منه قطعا بل هو سنة
مستحبة اذا كان بهذه الصفة انتهى فالعاقل يتوخى بمزحه

مكتبة جامعة الرياض (ر)



الحمدُ لله الملكِ العزيزِ القدُّوس، والصلاةُ والسلامُ على مَن جاء بتنقيةِ القلوب وتزكية النُّفوس، سيدنا محمدٍ البشيرِ الذي اتّصف بالبِشْر ولم يكُن من هديه العُبوس، وبعد:

فهذا مؤلَّفٌ ظريف، ومصنَّفٌ لطيف، جمعه العلّامةُ الكبير، والفاضلُ النِّحرير، مَرْعي بنُ يوسفَ الكَرْميّ المَقدِسيّ الحَنْبَليّ، رحِمه اللهُ تبارك وتعالى، وأنزل على ضَريحِه رحَماتٍ تتَوالى، ضمَّنه بعضَ لطائفَ في ذكرِ المزاحِ، وبيانِ المحمودِ منه والمذمومِ، وبعضَ حكاياتٍ تُزيلُ الهمومَ عن قلبِ المغمومِ؛ وتحسُنُ بها المُعاشَرة، وتلَذُّ بها المُسامَرة.

وقد سبق لهـذا الكتاب وأن حُقِّق قبل نحو عِشرين عاماً عن إحدى النسـختَين الخطيّتَيـن اللّتَيـن أتى تحقيقُ هذه النَّشـرةِ عنهمـا، مع كونِ الأسـتاذ المحقِّق الفاضل لـم يعلَـم عـن أيّ أصـلٍ صُـوِّرَت المُصـوَّرةُ التـي حقَّـق الكتـابَ عنهـا، وأيـن هـو محفـوظٌ أصلُها.

وقد حفلَت النُّسخةُ الخطيّة الثانية التي وَقَفنا عليها ـ ولله الحمد ـ بزيادات كثيرة في متن الكتابِ بلغَت عشرين حِكايةً ونقلاً، هذا برغم وُسقوطِ ورَقةٍ من أولها، وفسادِ صورةٍ واحدة من مُصوَّرَتها؛ فكان في الاعتماد في التحقيق على هاتين النسختين معاً تقديمُ صورةٍ جديدة من هذا الكتاب الماتع، والسفر النافع.

أمـا النُّسـختانِ الخطِّيتـانِ المعتمدتـانِ فـي التَّحقيـقِ فهمـا: النُّسـخةُ الخطيـة المحفوظـةُ فـي مكتبةِ بارس الوطنيـة والرمزُ لها بـ(ب)، والثَّانية: النسـخةُ الخطيةُ المحفوظـةُ فـي مكتبة جامعـة الريـاض والرمزُ لهـا بـ(ر).

وقد حرَصتُ على تصحيح متنِ الكتاب، وتفقيرِه وترقيمه، واعتنَيتُ بتخريج أحاديثِه وآثاره، وعزوِ حكاياته ومنقولاته إلى أقدَم مصادرها المعتبَرة؛ دونَ إكثارٍ في ذلك ولا مبالغة، مُقدِّماً في ذلك كُتبَ أهل العِلم على كُتب الأدَب عند الاشتراك، مع تعريف وجيزٍ بمَن لمستُ حاجةً إلى التعريف بهم من الأعلام المذكورين، وإضافة بعض عناوينَ يسيرةٍ كالفصول تقرِّب مضمونَ ما يتلوها من مادّة الكتاب.

***

بعد ذلك كلِّه....

هـذا الذي بين يديكَ ـ أيها القارئ الكريمُ ـ هو كتـابُ «غذاءِ الأرواحِ بالمحادثة والمـزاحِ» للعلّامـة مَرْعي بن يوسـف الكَرْمـيّ المَقدِسـيّ الحَنْبَلـيّ (١٠٣٣هـ) عليه رَحَماتُ الله.

أضعُهُـا تحـتَ نظرِ الراغِب، وبين يـدَي الطالِب، ومن أجـلِ تقديمِها مخدومةً الخدمـةَ اللائقة، شـمّرتُ عن سـاعد الجِـدّ، وبذلتُ وافـرَ الجهد، فأسـهرتُ لذلك الليالـي، وأضنيـتُ فِكـري وبالـي؛ فإن أصَبـتُ وأحسَـنتُ؛ فالفضـلُ لله ـ سُـبْحانَه وتعالـى ـ مُبتَـدَأً ومُختَتَمـاً، ومنه التوفيـق، وبيدِه التمـام والتحقيق.

وإن كان غير ذلك؛ فمِن قُصوري ونَقصي، ومما جنتْهُ يداي، وأسأل اللهَ على ذلك أن يجودَ بالغَفْر، ويحبوَني بالصَّفح، وأرجو ممن يطّلِعُ على زلّةٍ أو خَطأة أن يتفضَّل بالعُذْر، ويتكرَّم بالنُّصح.

وأمّا عمَلي في كتابي هذا، فيصحُّ فيه وفي غيره ما كتبه القاضي عبد الرحيم البيسانيّ، إلى العماد الأصبهانيّ، مُعتذراً عن كلامٍ استدرَكَهُ عليه: «إني رأيتُ أنّه لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّرَ هذا لَكان أحسَن، ولو زِيْدَ هذا لَكان يُستحسَن، ولو قُدِّمَ هذا لَكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لَكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، ودليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر»[1].

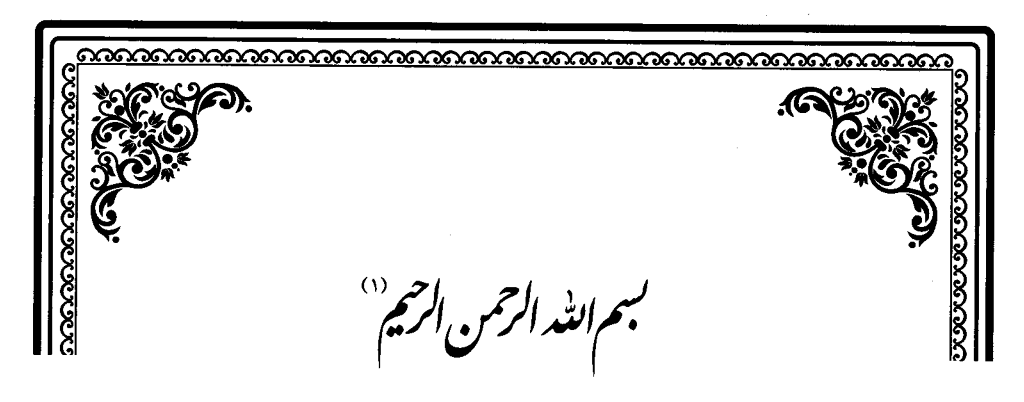
والله أعلَم، وصلّى اللهُ على سيدنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ وسلَّم.

المحقق

***

(١) يُنظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ١٨)، و «أبجد العلوم» لصدّيق حسن خان القنوجي (١/ ٧١).





بسم الله الرحمن الرحيم(1)

قالَ العبدُ الفقيرُ إلى اللهِ تعالى مرعيُّ بنُ يوسفَ الحنبليُّ المقدسيُّ:

الحمدُ للهِ خالقِ الأشباحِ، ومُدبِّرِ الأرواحِ، ومُقدِّرِ الغمِّ والأفراحِ؛ والصلاةُ والسلامُ على من كانَ يمزَحُ ولا يقولُ إلا حقّاً في المزاحِ، وعلى آلِه وأصحابِه أولي المروءةِ والفتوّةِ والفلاحِ.

أما بعدُ؛ فقد أحبَبتُ أن أضعَ بعضَ لطائفَ في ذكرِ المزاحِ، وبيانِ المحمودِ منه والمذموم، وبعض حكاياتٍ تُزيلُ الهمومَ عن قلبِ المغمومِ؛ وتحسُنُ بها المُعاشَرة، وتلَذُّ بها المُسامَرة؛ راجياً دعوةَ أخٍ صالحٍ من الإخوانِ، سائلاً من اللهِ العفوَ والغُفران؛ وسمَّيتُه: «غذاءَ الأرواحِ بالمحادثةِ والمزاحِ»

فأقولُ ـ واللهُ المسؤولُ أن يَغفِرَ لي الذَّنْبَ والزلَلَ، ويُوفِّقَني في القولِ والعملِ ـ:

---

(1) تحت عنوان الكتاب في (ب): «لمؤلفه ـ سامحه اللهُ وعفَا عنه ـ [من الطويل]:

شُغِفتُ بِذِي حُسْنٍ مَليح شَمائلٍ	على حُبِّه قلبي أراهُ قَدِ اقتصَرْ
لَطيفاً ولكِنْ عندَهُ كُلُّ جَفْوةٍ	ظَريفاً يُرى لكِنَّ في عَيْنِهِ حَوَرْ
يُعَرِّضُ بالهِجْرانِ في كُلِّ ساعةٍ	ويُؤلِمُ قَلبي بالتَّجَنّي إذا خطَرْ
يُعَلِّقُ آمالي غُروراً ويَنْثني	قَريباً بَعيداً يُشبِهُ النَّجمَ والقمَرْ
تَحيَّرتُ في أفعالِهِ وَهْوَ نافِرٌ	وقَد خِلْتُ أنّي منهُ لا أبلُغُ الوَطَرْ
على أنَّهُ مَبْدا غَرامي ولَوْعَتي	ومُبْتَدأٌ يَدري ولم يَدْرِ ما الخَبَرْ
شَكَوتُ لهُ تَكْديرَ حاليْ فَقال ليْ	وهَل تَمَّ في الدُّنيا صَفاءٌ بِلا كَدَرْ

[مشروعية المزاح]

واعلَم ـ أيّدَكَ اللهُ ـ أن النفسَ تـمَلُّ، كما أن البدنَ يكِلُّ؛ وكما أن البدنَ إذا كلَّ طلبَ الراحةَ، كذلكَ النفسُ إذا ملَّت طلبَتِ الراحةَ.

قالَ بعضُ السَّلَفِ: حادِثوا هذهِ النُّفوسَ؛ فإنّها سَريعةُ الدُّثورِ[١].

كأنهُ أرادَ: اصقُلوها وَاجْلُوا الصَّدى عنها، وأعِدُّوها قابلةً لوَدائعِ الخيرِ؛ فإنها إذا دثَرَت ـ أي: تغَطَّت ـ وصَدِئَت لم يُنتَفَع بها[٢].

وقيلَ لخالدِ بن صفوانَ: أتملُّ الحديثَ؟ قال: إنما نمَلُّ العتيقَ، والحديثُ معشوقُ الحُسنِ بمَعونةِ العقلِ، ولهذا يولَعُ به حتى النساءُ والصبيانُ[٣].

وقالَ الإمامُ عمرُ بن عبدِ العزيزِ: إن في المحادثةِ تلقيحاً للعقولِ، وترويحاً للقلبِ، وتسريحاً للهمِّ، وتنقيحاً للأدبِ[٤].

وقـالَ أبـو سـعيدٍ السـيرافيُّ: سـمعتُ ابـنَ السَّرّاجِ يقـولُ: دخَلنـا علـى ابـنِ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٤٤) من كلام الحسن البصري.

(٢) قال ابن الجوزي في «غريب الحديث» (١/ ٣٢٣):
في المراد بـ«الدُّثور» قولان: أحدُهما: أنه الدُّرُوس، يُقال: «دثَر المنزل» و«درَس».
والثاني: الصدى، يقول: «دثَر السيف»: إذا صدى، قال الأزهري: وهذا هو الصواب، يدل عليه قولُه: «حادثوا هذه القلوب» أي: اجلُوها، واغسِلوا عنها الدَّين [كذا]. ا. هـ. والصواب «الرَّين»؛ يُنظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٤/ ٦٢).
وفـي «القامـوس المحيـط» (ص٣٩٠): و«الدُّثُـور»: للنفـس: سُـرعة نسـيانها، وللقلـب: امِّحـاءُ الذِّكـر منـه.

(٣) يُنظر: «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي (١/ ٢٣).

(٤) يُنظر: «الإمتاع والمؤانسة» للتوحيدي (١/ ٢٦).

الرُّوميِّ في مرَضِه الذي قضَى فيه، فأنشَدَنا[١] [من مجزوء الكامل]:

ولقَدْ سَئمتُ مَآرِبي فكانَ أطيَبَها خَبيثُ

إلا الحديثَ؛ فإنّهُ مثلُ اسمِهِ أبداً حَديثُ[٢]

لا سيَّما إذا كانَتِ المحادثةُ والممازحةُ بين الإخوانِ أهلِ الصفا، والمحبةِ والوفا[٣]؛ فإن ذلكَ رَوحُ الرُّوحِ، وغذاءُ النفسِ.

قالَ عبدُ الملك بنُ مَروانَ ـ رحمهُ اللهُ ـ لبعضِ جُلَسائهِ: قد قضيتُ الوطَرَ من كلِّ شيءٍ إلا من محادَثةِ الإخوانِ في الليالي الزُّهْرِ على التلالِ العُفْرِ[٤].

وقالَ سُليمان بنُ عبدِ الملكِ: قد رَكِبنا الفارِهَ، وتبطَّنّا الحَسناء، ولَبِسنا اللّيّنَ، وأكَلنا الطَّيِّبَ؛ وما أنا اليومَ أحوَجُ مني إلى جَليسٍ يضَعُ عني مُؤْنَةَ التحفُّظِ، ويُحدِّثني بما لا يمَجُّهُ السَّمعُ، ويطرَبُ إليه القلبُ[٥].

إذا تقرَّرَ هذا؛ فاعلَم ـ أيدَكَ اللهُ ـ أنه لا بأسَ بالمزحِ الخالي عن سَفْسافِ[٦] الأمورِ، وعن مُخالَطةِ السَّفَلةِ ومُزاحمَتِهم، بل بينَ الإخوانِ أهلِ الصفا بما لا أذى فيهِ ولا ضررَ، ولا غِيبةَ ولا شينَ، في عِرضٍ أو دينٍ، بل ربما لو قيلَ: يُندَب، لم يَبعُد؛ إذا كانَ قاصِداً بهِ حُسنَ العِشرةِ، والتواضُعَ للإخوانِ، والانبِساطَ

---

(١) بقوله: «فأنشدنا» يبتدئ الموجودُ من النسخة (ر).

(٢) البيتان في «ديوان ابن الرومي» (١/ ٢٧٨). وروى الخبرَ أبو حيان التوحيدي في «الإمتاع والمؤانسة» (١/ ٢٧) عن شيخه أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي، (ت٣٦٨هـ).

(٣) في (ر): «أهل المحبة والوفا».

(٤) في (ر): «الزهراء» و«العفراء». وقوله في «الإمتاع والمؤانسة» للتوحيدي (١/ ٢٧).

(٥) يُنظر: «الإمتاع والمؤانسة» للتوحيدي (١/ ٢٧).

(٦) في (ر): «سفساس».

معهُـم، ورفْعَ الحِشـمةِ بينَهـم؛ من غيرِ اسـتهزاءٍ، أو إخـلالٍ بمروءةٍ، أو اسـتنقاصٍ بأحـدٍ منهم.

وبالجملةِ؛ فإن المزحَ في مَقامٍ يقتضيهِ، لا مَلامَ فيهِ؛ بل قيلَ لسُفيانَ: المُزاحُ هُجْنةٌ؟ فقالَ: بل سُنّةٌ؛ لقوله عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «إني لأمزحُ ولا أقولُ إلا الحقَّ»[١].

وفي «الأذكارِ» للإمامِ النَّوويّ ـ رحمَهُ اللهُ ـ: أنه ﷺ كان يقولُ المزحَ في نادرِ الأحوالِ لمصلحةٍ وتطييبِ نفسِ المخاطَبِ ومُؤانسَتِه، وهذا لا منعَ منه قطعاً، بل هو سنةٌ مستَحبّةٌ، إذا كان بهذه الصفةِ. انتهى[٢].

فالعاقلُ يتوخَّى بمَزحِه إحدَى حالتَين:

إما إيناسَ المصاحَبين والتّودُّدَ إلى المخاطَبينَ؛ قالَ[٣] سعيدُ بن العاصِ لابنِه:

---

(١) كذا في «التذكرة الحمدونية» (٩/ ٣٦٢)، وفي «ربيع الأبرار» للزمخشري (٥/ ١١٧) إلا أنه عيّن القائلَ سفيان الثوري، وذكرَهُ لسفيانَ بن عيينةَ الثعالبيُّ في «الظرائف واللطائف» (ص٢٢٢)، والبغويُّ في «شرح السنة» (١٣/ ١٨٤) دونَ الاستشهاد بالحديث، وله تتمةٌ هي قولُه: ولكن الشأن فيمن يُحسنه ويضَعُه مواضعَه.

وأما الحديثُ فلم أجِده بهذا اللفظِ إلا فيما ذكر الغزيُّ في «المراح في المزاح» (ص١٢) أنه رواهُ بكر بن عبد الله المُزَنيّ مرفوعاً، وسيأتي باللفظِ المعروف بعد قليل. وأما «الهُجنة» فهي: ما لا يُستحسَنُ.

(٢) هـذا النقـلُ عـن الإمـام النـووي ليـس فـي (ب)، غيـر أنّـه تصحـف فـي (ر): «لـلإم الثـوري» و «لحلحلـة». كـذا.

ووردت في هامش النسخة بخطٍّ حديثٍ عبارةُ الإمام النووي في «الأذكار» (ص٢٧٩): «فإنه ﷺ إنما كان يفعله في نادر من الأحوال لمصلحة وتطييب».

(٣) كرّر «قال» في (ر).

اقتصِدْ في مزحِكَ؛ فإنَّ الإفراطَ فيه يُذهِبُ البَهاءَ، ويُجرِّئ السُّفَهاءَ؛ وإن التقصيرَ فيه يُغُضُّ عنكَ المؤانِسين، ويُوحِشُ[1] منك المُصاحِبينَ.

وإما أن يُزيلَ بالمزاحِ ما طرأ عليه من سأمٍ، أو حدَثَ به من همٍّ أو غمٍّ[2].

وقيلَ[3] للخَليلِ بنِ أحمد: إنك تُمازِحُ الناسَ! فقال: الناسُ في سجنٍ ما لم يتمازَحوا[4].

وكانَ ابن عبّاسٍ - رضي الله عنهما - إذا أكثَروا عليهِ في مسائلِ القرآنِ والحديثِ يقولُ: خُذوا[5] في الشِّعرِ وأخبارِ العربِ.

وعن عطاءِ بن السائبِ قالَ: كانَ سعيدُ بنُ جُبيرٍ يقُصُّ علَينا حتى يُبكِيَنا، وربما لم يقُم حتى يُضحِكَنا[6].

عاتبَ المُتَوكِّلُ يوماً محمدَ بنَ جعفرٍ وَزيرَ المعتصِمِ على اشتِغالِه

---

(١) في (ب): «ويونس».

(٢) يُنظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص٥٠١).

وسعيد بن العاص الأموي القرشي، له رؤيةٌ، توفي النبي ﷺ وله تسعُ سنوات، وكان في كنف عمر وعثمان، وولاه الكوفة شاباً، فتح طبرستان، وكان كريماً شهماً فصيحاً، (ت٥٩هـ).

(٣) في (ر): «قيل».

(٤) يُنظر: «بهجة المجالس» لابن عبد البر (١/ ٥٦٨).

(٥) في (ر): «والحديث أخذوا».

ويُنظر: «التذكرة الحمدونية» (٩/ ٣٦٥)، ولم أجده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مسنداً.

(٦) ذكره المزي في «تهذيب الكمال» (١٠/ ٣٦٢) عن جرير بن عبد الحميد، عَن عطاء بن السائب بنحوِه.

بالمُـزاحِ والمَلاهـي؛ فقـالَ: يا أميرَ المؤمنيـنَ، إن مُقاسـاةَ همومِ الدُّنيـا لا تتأتّى إلا باستِجلابِ شـيءٍ مـن السـرورِ[1].

وأنشدَ أبو النُّوَاسِ[2] [من الرجز]:

أروِّحُ القَلـبَ ببَعـضِ الهـزْلِ ... تجاهُـلاً منـي بغَيـرِ جَهـلِ

أمـزَحُ فيـهِ مـزْحَ أهـلِ الفَضـلِ ... والمـزْحُ أحيانـاً جَـلاةُ العَقـلِ

وأنشدَ أبو الفتحِ البُسْتيُّ [من الطويل]:

أَفِـد طَبعَـكَ المَكـدُودَ بالجَـدِّ راحةً ... يَجِـمُّ وعَلِّلْـهُ بشـيءٍ مـن المَـزْحِ

ولكِنْ إذا أعطَيتَهُ الـمـزْحَ فـلـيَكُـنْ ... بـمِقدارِ ما تُعطي الطَّعامَ من المِلحِ[3]

وفي الحديثِ: «روِّحُوا[4] القلوبَ ساعةً بعدَ ساعةٍ».

---

(١) قول المتوكل كلُّه ليس في (ب)، ولم أجِد أن في وزراء المعتصم من اسمُه محمد بن جعفر، والله تعالى أعلم.

وقد أوردَه الثعالبيُّ في «الإعجاز والإيجاز» (ص١٠٢ ـ ١٠٣) بين المتوكل ووزيره محمد بن الفضل الجرجرائي، المتوفى (٢٥٠هـ).

(٢) في (ب): «أنشد». وكذا هو اسمُ الشاعر في النسختين وفي «المراح في المزاح» (ص١١) أيضاً، وأراهُ مصحَّفاً عن «أبي فراس»، فالبيتان في «ديوان أبي فراس الحمداني» (ص٢٧٤)، ونسبهما له الثعالبيُّ في «يتيمة الدهر» (١/ ١١٢)، وهما ليسا في «ديوان أبي نواس»، والله تعالى أعلم.

(٣) «ديوان أبي الفتح البستي» (ص٥٩)، و«يتيمة الدهر» (٤/ ٣٧٨).

(٤) زيـد فـي (ر): «هذه»، وليسـت فـي الحديث، وقد عـزاه المزيُّ فـي «تحفة الأشـراف» (١٩٣٥٣) إلـى «مراسـيل أبـي داود» ـ وليـس فـي مطبوعِـه ـ عـن الزهـريّ، ووصلـه القضاعـيُّ فـي «مسـند الشـهاب» (٦٧٢) بأنـسٍ رضـي الله عنه.

ويشهَد له ما في «صحيح مسلم» (٢٧٥٠) عن حنظلة الأُسَيديّ ـ رضي الله عنه ـ قال له النبي ﷺ: =

وقالَ أنسُ بن مالكٍ: كانَ رسولُ الله ﷺ مِن أفكَهِ الناسِ[1].

وقد مَدحَ الشُّعراءُ اللعِبَ في موضِعِه كما مدَحوا الجِدَّ في موضعِه، وقالَ[2] أبو تمامٍ [من الكامل]:

الجِدُّ شيمَتُه[3] وَفيهِ فُكاهةٌ طَوْراً، ولا جِدٌّ لِمَن لم يلعَبِ

***

= «يا حنظلة، ساعةً وساعةً» ثلاثَ مرات.

(١) رواه ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ٣٧).
ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٢/ ٤٤) بزيادة «مع نسائه»، وقال العراقي في «تخريجه»: رواه الحسن بن سفيان في «مسنده» من حديث أنس دون قوله: «مع نسائه»، ورواه البزار والطبراني في «الصغير» و«الأوسط» فقالا: «مع صبي»، وفي إسناده ابن لهيعة. ا. هـ.
قلتُ: هو في «مسند البزار» (البحر الزخار) (٦٤٤١)، و«معجم الطبراني الصغير» (٢/ ١١٢) و«الأوسط» (٦٣٦١).
ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٣٧٢) عن حُبَيش بن جنادة قال: كان رسولُ الله ﷺ أفكَه الناس خُلقاً.
والصواب في اسم الصحابيّ أنه «حُبْشي» ـ بضم أوله وسكون الموحدة بعدها معجمة ثم تحتانية ـ «بن جنادة السَّلولي» ـ بفتح المهملة وتخفيف اللام المضمومة ـ صحابيٌّ شهد حجة الوداع، ثم نزل الكوفة، أخرج حديثَه النّسائي والترمذي. يُنظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» (٢/ ١٢).

(٢) في (ر): «قال».

(٣) في (ب): «شيمة»، وفي (ر): «شبهته»، وصُوّبت بخط متأخّر، وفي الهامش بخطٍّ حديث وحبرٍ مختلف: «قاله في عمرو بن طوق التغلبي».
والبيت بهذه الرواية في «التذكرة الحمدونية» (٩/ ٣٧٤)، وهو في «ديوان أبي تمام» (ص ١٣) بلفظ:

المجدُ شيمتُه وفيه فكاهةٌ سَمْحٌ ولا جدٌّ لمن لم يلعبِ

[من مزاح النبيِّ ﷺ]

وعلى هاتَينِ الحالَتينِ[1]؛ كانَ مزحُ رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابه وتابعيه والعلماءِ والأئمةِ، فعَنِ النبيِّ ﷺ أنه قالَ: «إني لأمزَحُ ولا أقولُ إلا الحقَّ»[2]، وفي روايةٍ: «إلا حقّاً»[3].

وعن أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قالَ: قالوا: يا رسولَ اللهِ، إنك تُداعِبُنا! قال: «إني لا أقولُ إلا حقّاً»[4].

ومن أخلاقِ النبيِّ ﷺ ـ كما ذكرَ الأئمةُ ـ أنه كانَ يمازِحُ أصحابَهُ ويخالِطُهم ويحادِثُهم، ويداعِبُ صِبيانهم ويُجلِسُهم في حِجرِه، ولا يقولُ في مَزحِه إلا الحقَّ.

جاءَته امرأةٌ فقالَت: يا رسولَ الله، إن زَوجي مريضٌ، وهو يدعوكَ؛ فقال: «لعلَّ زوجَكِ الذي في عينَيهِ بياضٌ»، فرجَعَتِ المرأةُ وفتَحَت عينَ زوجِها، فقالَ:

---

(١) يُريد ما تقدم: «فالعاقلُ يتوخَّى بمَزحِه إحدَى حالتَين».

(٢) تقدَّم.

(٣) حديثُ «إني لأمزح، ولا أقول إلا حقّاً» رواه الطبرانيُّ في «المعجم الصغير» (٢/ ٥٩)، وفي «الأوسط» (٩٩٥) (٧٣٢٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وحسّن إسنادَ رواية «الصغير» الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» (٨/ ٨٩).

ورواه الطبرانيُّ أيضاً في «المعجم الكبير» (١٣٤٤٣) و«الأوسط» (٦٧٦٤) عن عُبيد بن عُمير قال: سمعتُ رجلاً يقول لابن عمر: ألم تسمَع رسولَ الله ﷺ يقول: «إني لأمزَح ولا أقولُ إلا حقّاً»؟. قال: نعم. قال الهيثمي: فيه من لم أعرفه.

وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٦٠٠) بهذا اللفظ عن أنس بن مالك مرفوعاً.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٨٤٨١) و (٨٧٢٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٥)، والترمذي في «السنن» (١٩٩٠) وحسّنه.

مـا لـكِ؟! فقالَت: أخبَرَنـي رسـولُ اللهِ ﷺ أنَّ في عينَيكَ بَياضـاً! فقالَ: وهَـلْ أحَدٌ إلا وفي عينَيهِ بيـاضٌ؟![1].

وقالت له أُخرى: يا رسولَ اللهِ، اُدعُ الله أن يُدخِلَني الجنةَ فقالَ: «يا أمَّ فلانٍ، الجنةُ لا يدخُلُها عجوزٌ»، فولَّتِ المرأةُ وهي تبكي، فقالَ ﷺ: «أخبِرُوها: أنها لا تدخُلُ الجنةَ وهي عجوزٌ، إن اللهَ تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧]»[2].

وجاءَتـه امـرأةٌ أُخـرى، فقالَـت[3]: يـا رسـولَ اللهِ، احمِلْنـي علـى بعيـرٍ! فقالَ رسـولُ اللهِ ﷺ: «احمِلُوهـا علـى ابـنِ البَعيـرِ»، فقالَـت: ما أصنَـعُ بهِ؟ مـا يحمِلُني! فقـالَ رسـولُ اللهِ ﷺ: «هـل مـن بَعيـرٍ إلا ابنُ بَعيـرٍ؟»، فـكانَ يمـزَحُ معها[4].

وعن أنسٍ: أن رجُلاً استَحمَلَ رسولَ اللهِ ﷺ، فقالَ: «إني حامِلُكِ على ولَدِ ناقةٍ»، فقالَ: ما أصنَعُ بولَدِ الناقةِ؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «وهل تلِدُ الإبلَ إلا النوقُ؟!»[5].

---

(١) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٢٩) عن زيد بن أسلم: إن امرأة يقال لها: أم أيمن.
وقال الحافظ العراقي في «تخريجه»: أخرجه الزبير بن بكار في كتاب «الفكاهة والمزاح»، ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفِهْريّ مع اختلاف.
وذكـر ابـنُ الأثيـر فـي «جامـع الأصـول» (٨٥٢٣) أنـه رواه رَزيـنٌ مـن حديـث أنـسٍ بـن مالـك رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (٢٣٠) عن الحسن مُرسلًا بنحوه.
وذكـر ابـنُ الأثيـر فـي «جامـع الأصـول» (٨٥٢٣) أيضاً أنـه رواه رَزينٌ مـن حديث أنـسٍ بن مالك رضـي الله عنـه.

(٣) في (ر): «قالت».

(٤) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٢٩)، وذكر العراقي في تخريجه الروايةَ التالية.

(٥) رواه أبو داود في «السنن» (٤٩٩٨)، والترمذي في «السنن» (١٩٩١)، وقال: هذا حديث صحيح غريب.

[من مزاح أصحاب النبيِّ ﷺ]

وقد كانَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ يمزَحون حتى بحَضرَته، وكذلك مَن بعدَهم من التابعينَ والعلماءِ والأئمةِ؛ كما ستسمَعُ فيما سيأتي.

وكانَ نُعَيمانُ بن عَمرٍو الأنصاريُّ[1] رجُلاً ضاحِكاً مَزّاحاً مَليحاً، وكانَ مخرَمةُ بن نَوفَلٍ الزُّهريُّ بالمدينةِ، وهو شيخٌ كبيرٌ أعمى، وكان قد بلغَ مئةً وخمسَ عشْرةَ سنةً، فقامَ يوماً في المسجدِ يُريدُ أن يبولَ، فصاحَ به الناسُ، فأتاه نُعيمانُ، فتنَحّى به ناحيةً من المسجدِ، ثم قالَ له: اجلِسْ هاهنا، فأجلَسَهُ يبولُ، ثم ترَكَهُ، فصاحَ به الناسُ، فلما فرَغَ، قالَ: من جاءَ بي إلى هذا الموضِعِ؟ قالوا: نُعيمانُ، قالَ: فعلَ[2] اللهُ بِهِ وفعَلَ! أما إن للهِ عليَّ إن ظفَرتُ بِهِ لأضرِبَنَّه[3] بعَصايَ هذهِ ضَربةً تبلُغُ منه ما بلغَتْ!

فمكَثَ ما شاءَ اللهُ حتى نَسِيَ ذلكَ مَخرَمةُ، ثم أتاهُ نُعيمانُ يوماً وعُثمانُ بنُ عفانَ ـ رضيَ الله عنه ـ قائمٌ يُصلّي في ناحيةٍ من المسجدِ، وكان عُثمانُ إذا صلَّى لا يلتَفِت، فقال له: هل لكَ في نُعيمانَ؟ فقالَ: نعَم أين هوَ؟ دُلَّني عليهِ! فأتى بِهِ حتى أوقَفَه على عُثمانَ، فقالَ لهُ: دونَكَ، هذا هوَ؛ فجمَعَ مَخرَمةُ يدَيهِ بعصاهُ، فضرَبَ عُثمانَ، فشجَّهُ، فقيلَ له: إنما ضرَبتَ أميرَ المؤمنينَ عُثمانَ! فاجتمعَ بنو زُهرةَ في ذلكَ، فقالَ عُثمانُ: دعوا نُعَيمانَ، لعنَ اللهُ نعَيمانَ[4].

---

(١) في (ب): «كان نعيمان الأنصاري».

(٢) سقط في (ب) قوله: «فعل».

(٣) في (ب): «أضربه».

(٤) في هامش (ر) بخطٍّ حديث: «ورُوي أن مخرمة قال: مَن قادني؟ قيل: نعيمان قال: لا جَرَمَ لا عرَضتُ له بشرٍّ أبداً. وقد شهد نُعيمان بن عمر [كذا] بدراً». =

وعن رَبيعةَ بن عُثمانَ قالَ: دخلَ أعرابيٌّ على رسولِ اللهِ ﷺ وأناخَ ناقتَهُ بفِنائه، فقالَ بعضُ أصحابِ النبيِّ ﷺ لنُعيمانَ الأنصاريِّ: لو عقرتَها فأكلناها؛ فإنّا قد قَرِمنا[1] إلى اللحمِ، ويغرمُ[2] رسولُ اللهِ ﷺ قالَ: فعقرَها نعيمانُ، فخرجَ الأعرابيُّ، فرأى راحلَتَهُ، فصاحَ: واعَقْراهُ يا محمدُ! فخرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ، فقالَ: «من فعَلَ هذا؟»، فقيلَ له: نُعيمانُ، فاتبعَهُ يسألُ عنه حتى وجدَهُ في دارِ ضُبَاعةَ بنتِ الزبيرِ بن عبد المطَّلِبِ وقد حُفرَت بها خنادقُ، وعليها جَريدٌ؛ فدخَلَ نُعيمانُ في بعضِها، فمرَّ رسولُ اللهِ ﷺ يسألُ عنه، فأشارَ إليه رجلٌ[3] ورفعَ صوتَهُ: ما رأيتُه يا رسولَ اللهِ! وأشارَ بأصبعِه حيثُ هو، قالَ: فأخرجَهُ رسولُ اللهِ ﷺ وقد سقطَ على وجهه السَّعَفُ، وتغيَّرَ وجهُهُ، فقالَ: «ما حملَكَ على ما صنَعتَ؟»، قالَ: الذينَ دَلُّوكَ عليَّ ـ يا رسولَ اللهِ ـ هم الذين أمرُوني؛ قالَ: فجعلَ رسولُ اللهِ ﷺ يمسَحُ وجهَهُ ويضحَكُ؛ قالَ: ثم غرِمَها رسولُ اللهِ ﷺ للأعرابيِّ[4].

وكانَ نُعيمانُ إذا رأى شيئاً نفيساً يشتريه، ثم يجيءُ بهِ إلى رسولِ الله ﷺ فيقولُ: يا رسولَ اللهِ، هذا أهديتُه لكَ؛ فإذا جاءَ صاحبُه يطلُبُ نعيمانَ بثمنِه جاءَ بهِ إلى النبيِّ ﷺ فيقولُ: يا رسولَ اللهِ، أعطِ هذا ثمنَ متاعِه؛ فيقولُ رسولُ اللهِ ﷺ: «ألم تُهدِ لي؟»،

= وقد ذكر هذه الحكاية ابنُ عبد البر في «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٤/ ١٥٢٨ ـ ١٥٢٩) عن الزبير بن بكار ـ وأحسبها في «الفكاهة والمزاح» له ـ عن عمه مصعب الزبيري، عن عبد الله بن مصعب، وهو ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام (١٨٤هـ) به، فهو معضَل.

(١) «القَرَمُ»: شدّة شَهوةِ اللَّحمِ.

(٢) في (ب): «وغرم».

(٣) في (ر): «رجلًا».

(٤) «الاستيعاب» (٤/ ١٥٢٧ ـ ١٥٢٨) عن الزبير بن بكار بإسنادِه إلى ربيعة بن عثمان (١٥٤هـ)، فهو معضَل.

فيقولُ: يا رسولَ اللهِ، واللهِ لم يكُن عندي ثمنُه، ولقد أحببْتُ أن تأكُلَه؛ فيضحَكُ رسولُ اللهِ ﷺ ويأمرُ لصاحبِهِ بثمنِهِ[١].

وعن أمِّ سلمةَ زوجِ النبيِّ ﷺ قالَت: خرجَ أبو بكرٍ الصدّيقُ قبلَ وفاةِ رسولِ الله ﷺ بعامٍ في تجارةٍ إلى بُصرى، ومعه نُعيمانُ بن عمرو الأنصاريُّ وسُلَيطُ بن حَرمَلَةَ، وهما ممن شهِدَ بدراً[٢] مع رسولِ اللهِ ﷺ، وكانَ سُليطُ بن حرمَلَةَ على الزادِ، وكان نُعيمانُ بن عمرٍو مزّاحاً، فقالَ لسُلَيطٍ: أطعِمني! فقالَ: لا أطعِمُك حتى يأتي أبو بكرٍ؛ فقالَ نُعيمانُ لسُلَيطٍ: لأُغيظَنَّكَ؛ فمَرُّوا بقومٍ، فقالَ لهم نُعيمانُ: تشتَرون مني عبداً لي؟ قالوا: نعم! قالَ: فإنهُ عبدٌ لهُ كلامٌ كثيرٌ، وهوَ قائلٌ لكم: لستُ بعَبدِه، أنا ابنُ عمِّه! فإن كانَ إذا قالَ لكُم هذا تركتُموه، فلا تشتَرُوه، ولا تُفسِدُوا عليَّ عبدي! قالوا: لا بل نشتَري، ولا ننظُرُ في قولِه.

فاشتَروه منهُ بعَشرِ قلائصَ، ثم جاؤوه ليأخُذُوه، فامتنَعَ منهم، فوضَعُوا في عُنقِه عِمامةً، فقالَ لهم: إنه يتهزَّأُ ولستُ بعبدِه! فقالوا: قد أُخبِرنا خبرَكَ؛ ولم يسمَعُوا كلامَهُ، فجاءَ أبو بكرٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ فأخبَرُوه، فاتَّبعَ القومَ، فأخبَرَهم أنه مَزحٌ، ورَدَّ عليهم القَلائصَ، وأخذَ سُلَيطاً منهم، فلما قَدِموا على النبيِّ ﷺ[٣] أخبَرُوه الخبَرَ، فضحِكَ من ذلك رسولُ الله ﷺ وأصحابُه حولاً كاملاً[٤].

---

(١) «الاستيعاب» (٤/ ١٥٢٧٩) عن الزبير بن بكار بإسناده إلى محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه بنحوه. والصواب أنه عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه؛ كما روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ١٤٥) فهو مرسل، ويُنظر: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١٢/ ٧٧)، وذكر أنه أخرج أبو يعلى نحوه من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم.

(٢) في (ر): «بدر».

(٣) يبدأ هنا فسادُ صُورة واحدة من مُصوَّرَة النسخ (ر).

(٤) في «الاستيعاب» (٤/ ١٥٢٧) أنه رواه الزّبير بن بكّار في «كتاب الفكاهة»، وقال ابنُ عبد البر: =

وشكا عُيَينةُ بنُ حِصنٍ[١] إلى نُعيمانَ صعوبةَ الصيامِ عليهِ، فقالَ: صُمِ الليلَ؛ فرُويَ أنهُ دخلَ عُيَينةُ على عُثمانَ وهو يُفطِرُ في شهرِ رمضانَ، فقالَ: العَشاءَ، فقالَ: أنا صائمٌ، قالَ عثمانُ: أتصومُ بالليلِ؟! فقالَ: هو أخَفُّ عليَّ؛ فضحِكَ عُثمانُ وقالَ: هذِه فَعَلاتُ نُعيمانَ[٢].

وروى البخاريُّ: كانَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ يتبادَحون بالبطيخِ، فإذا كانت الحقائقُ كانوا همُ الرجالَ[٣].

وعن عُثمانَ بن نائلٍ[٤] مولى عُثمانَ بن عفّان، عن أبيهِ قالَ: خرجتُ معَ مولايَ عُثمانَ في سفرةٍ سافَرناها مع عُمَرَ في حجٍّ أو عمرةٍ، فكنتُ وابنَ عباسٍ وابنَ الزبيرِ في شُبّانٍ معَنا، فكنّا نترامَى بالحَنظَلِ، وكان عمرُ يقولُ لنا: لا تنفِروا عَلينا رِكابنا.

= سُلَيط بن حرملة، خطأ، إنما هو سُوَيبط بن حرملة، من بني عبد الدار، بدريّ، وعلى الصواب تسميتُه فيما رواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (٢٦٦٨٧)، ورواه ابن ماجه في «السنن» (٣٧١٩) فقلَبَه، فجعل المازحَ سُوَيبط، والمبتاعَ نُعَيمان.

(١) في (ب): «حصين»، وصوبت.

(٢) ذكره الآبي في «نثر الدر» (٢/ ١٠٣)، وابن حمدون في «التذكرة» (٩/ ٣٦٦).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٦) عن بكر بن عبد الله المزني.
و«يتبادَحون بالبطيخ»، أي: يترامَون به. يقال: «بَدَح يَبدَح»: إذا رمى.

(٤) كذا اسمه في الخبر في «غريب الحديث» لابنُ قتيبة (٢/ ٣٧)، وفي «النهاية» لابن الأثير (٤/ ٢٦١)، و«المراح» (ص٢٢)، والصواب في اسمه: «نابل» بالباء؛ كما نصّ على ضبطِه الدارقطنيُّ في «المؤتلف والمختلف» (٤/ ٢٢٦٢)، ويُنظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٨/ ١٣١)، و«الثقات» لابن حبان (٥/ ٤٨٣)، ولم أجد الخبرَ مُسنَداً، والله أعلم.

وسُئِلَ النَّخَعيُّ: هل كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ يضحَكُونَ؟ قال: نعم! والإيمانُ في قلوبِهم مثلُ الجبالِ الرَّواسي[1].

وعن عبدِ اللهِ بن سَرجِسٍ[2] قال: أتى الضَّحّاكُ بنُ سفيانَ الكلابيُّ رسولَ اللهِ ﷺ فبايَعهُ؛ ثم قالَ: عندي امرأتانِ أحسَنُ من هذهِ الحُمَيراءِ، أفلا أَنزِلُ لك عن إحداهُما فتتزوَّجَها؟ وعائشةُ جالسةٌ تسمَعُ قبلَ أن يُضرَبَ الحجابُ، فقالت: أهيَ أحسَنُ أم أنتَ؟ قالَ: بل أنا أحسَنُ منها وأكرَمُ ـ وكان امرَأً دَميماً قبيحاً ـ قال: فضحِكَ النبيُّ ﷺ من مسألةِ عائشةَ إيّاهُ.

وعن عائشةَ ـ رضيَ اللهُ عنها ـ قالَت: لما قدِمَ النبيُّ ﷺ عرَّسَ بصفيةَ، فأخبرَني قالَت: فتنكَّرتُ وتنقَّبتُ، فذهبتُ أنظُرُ، فنظَرَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى عيني، فعرَفَني فأقبلَ إليَّ، فانقلبتُ راجعةً، فأسرَعَ المشيَ، فأدركَني، فاحتضَنَني، فقالَ: «كيفَ رأيتِ؟»، قلتُ: يهوديةٌ بينَ يهودياتٍ[3].

---

(١) ذُكر في «التذكرة الحمدونية» (٩/ ٣٦٥)، و«ربيع الأبرار» (٥/ ١١٢)، ولم أجده مسنداً، والله أعلم.
ورواه عبدُ الرزاق في «جامع معمر بن راشد» (٢٠٦٧١)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣١١)، عن قتادة: سُئل ابنُ عمر رضي الله عنه... بنحوه.

(٢) كذا في «المراح» (ص٣٣)، وأحسبه مصحّفاً؛ حيث ذكر القصة الغزالي في «الإحياء» (٣/ ١٣٠)، وقال الحافظ العراقي في «تخريجه»: أخرجه الزبير بن بكار في «الفكاهة» من رواية عبد الله بنِ حسن مرسَلاً أو معضَلاً، وللدارقطني نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة.
وفي «إكمال تهذيب الكمال» لمغلطاي (٧/ ١٦) أن الراوي هو عبد الله بن حسن بن حسن، وهو ابن علي بن أبي طالب، (ت١٥٤هـ).
ورواية الدارقطني في «سننه» (٣٥١٣).

(٣) رواه ابن ماجه (١٩٨٠) بنحوه.

وعن عائشةَ رضي اللهُ عنها، أنه ذُكرَ عندَها ما يقطَعُ الصلاةَ الكلبُ والحمارُ والمرأةُ؛ فقالت عائشةُ: قد شبَّهتمونا بالحميرِ والكلابِ؟! واللهِ لقد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يُصلّي، وإنّي على السريرِ بينَهُ وبينَ القِبلةِ مُضطَجعةٌ[1].

وذكرَ المرزُبانيُّ عن عُثمانَ بن أبي عطاءٍ، عن أبيهِ قالَ: بينَما رسولُ اللهِ ﷺ نائمٌ معَ عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ على سريرٍ، فقامَ وعائشةُ ـ رضي الله عنها ـ نائمةٌ، فجاءَ إلى قَرنٍ من قُرونِها، فربَطه بجانبِ السَّريرِ، ثم ناداها من ناحيةٍ، فاستيقَظَت فزِعةً، فضحِكَ رسولُ اللهِ ﷺ[2]، و«القَرْنُ»: الخَصلةُ من الشعرِ.

وعن إسحاقَ بن الحائكِ قالَ: خرجَت امرأةٌ من بني لَحيانَ ـ يقالُ لها: حَبيبةُ ـ تريدُ السوقَ ذي المجامعِ، معها نِحْيان من سَمنٍ؛ فلقِيَها خَوّاتُ بنُ جُبيرٍ، أحدُ بني عمرِو بن عوفٍ؛ فبايعَها، فوضعَت له سَمنَها، فأخذَ أحدَهما، ففتحَ فاهُ، فلعقَ منهُ، ثم ناوَلها إياهُ مفتوحاً، فأخذَتهُ بيدِها، وأخذَ الآخَر، ففعلَ بهِ مثلَ ذلكَ، ثم أعطاهُ لها مفتوحاً، فأخَذَتهُ بيدِها الأُخرى، ثم أخذَ برِجلَيها حتى قضَى حاجَتَهُ منها، فهي التي يُقالُ لها: أشغَلُ من ذاتِ النِّحيَين؛ ويقالُ: أظلَمُ من خَوّاتٍ[3].

---

(١) رواه البخاري (٥١٤)، ومسلم (٥١٢) بنحوه.

(٢) لم أجد الخبر، وللعلامة المرزباني كتبٌ كثيرة جلُّها مفقود، وأما عُثمان بن عطاء فهو ابن أبي مسلمٍ ميسرةَ الخراساني، (ت١٥١هـ)، ضعيفٌ، وقيل: متروك، يروي عن أبيه، وهو تابعيٌّ صغيرٌ ثقةٌ من رجال مسلم، وكل ما رواه عن الصحابة مرسَل، (ت١٣٥هـ).

(٣) كذا، ولعله «أغلَم من خوّات» ـ من «الغُلمة» وهي شهوة النكاح ـ كما ذكر أبو هلال العسكريُّ في «جمهرة الأمثال» (٢/ ٣٢٢) تحت قولهم: «أنكَح من خوات»، وذكرَ أن المرأة هذلية، وبنو لحيان من هذيل، وفي «الكامل» للمبرد (٢/ ٦٢٧) أن اسمها «خولة»، وفي «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص٢٣٠) أنها من تيم الله بن ثعلبة.

وأورد صاحب «الأغاني» (١٣/ ١٩١) القصة باقتضاب عن الزبير، هو ابن بكّار.

قالَ ابنُ الحائكِ: فبلَغَني أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ لخَوّاتٍ: «ما فعلَ الجمَلُ من شِرادِه؟»، قال: والذي بعَثَكَ بالحقِّ ما رابَني منذُ أسلَمتُ، وفي روايةٍ: ما شرَدَ منذُ أسلَمتُ[(١)].

وعن أنسٍ رضيَ الله عنه، أنّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ في بيتِ عائشةَ، فبعثَ إليه بعضُ نسائهِ بقصعةٍ، فدفعَتها عائشةُ، فألقَتها وكسَرَتها، فجعَلَ النبيُّ ﷺ يَضُمُّ الطعامَ ويقولُ: «غارَت أمُّكُم»، فلما جاءَت قصعةُ عائشةَ بعثَ بها إلى صاحبةِ القصعةِ التي كسرَتها، وأعطَى عائشةَ القصعةَ المكسورةَ[(٢)].

وعن عائشةَ ـ رضيَ الله عنها ـ قالت: كانَ عندي رسولُ اللهِ ﷺ وسودةُ، فصنعتُ خَزِيراً، فجئتُ بهِ، فقلتُ لسودةَ: كُلي! فقالَت: لا أُحبُّه! فقلتُ: واللهِ لتأكُلِنَّ أو لأُلَطِّخَنّ[(٣)] وجهَكِ، فقالَت: ما أنا بباغيةٍ؛ فأَخذتُ من الصَّحفةِ شيئاً، فلطَّختُ

(١) أسند ابن الجوزي في «المنتظم» (٥/ ١٧٠) قصة خواتٍ ـ رضي الله عنه ـ مع ذات النِّحيين ـ وسماها سلمى بنت يعار الخثعمية ـ في خبر إسلامِه، وما تلاهُ من خبرِ جلوسِه مع النسوة المشهورِ، ثم استنكر ما ذكره أبو عبيد الهروي في «الغريبين» (٣/ ٩٨٥) من أنه ﷺ عرّض لخواتٍ ـ رضي الله عنه ـ في سؤاله عن جمله بقصته مع ذات النحيين، قال ابنُ الجوزي: وليس هذا بشيء؛ فإنه ما كان ليعيّره بشيء كان في الجاهلية، وإنما لامَه على مجالسته النسوانَ بعد الإسلام.
ونقل الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٢٩٢) عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب: خوّات بن جبير هو صاحب ذات النّحيين، وروى خبرَ الجلوس مع النساء والتعريضَ النبويَّ: الطبرانيُّ في «المعجم الكبير» (٤١٤٦) عن زيد بن أسلم، عن خواتٍ رضي الله عنه، وليس في أسانيد شيءٍ من ذلك كله إسحاق بنُ الحائك، ولم أعرفه.

(٢) رواه بنحوه البخاري في «صحيحه» (٥٢٢٥).

(٣) في (ب): «لتأكلِينَ أو لألطخ»، وفي «المراح» (ص١٦): «لتأكلِينَ أو لألطخن»، والحديثُ في «سنن النسائي الكبرى» (٨٨٦٨)، وفيه: «لَتَأكُلي، أو لَأُلَطِّخَنَّ»، والصوابُ ما أثبتُّ؛ لأنه يجب أن يُوكَّد بإحدى نونَي التوكيدِ الفعلُ الواقع في جواب القسم إذا كان: مثبَتاً، مستقبَلاً، غيرَ مفصول من اللام؛ يُنظر: «شرح الأشموني على ألفية ابن مالك» مع (حاشية الصبان) (٣/ ٣١٥ ـ ٣١٩).
و«الخريز» و«الخزيرة»: لحم يُقطع صغاراً ويُصَبُّ عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُرّ عليه الدّقيق. يُنظر: =

به وجهَها ورسولُ اللهِ ﷺ ما بيني وبينَها، فخفَضَ لها رسولُ اللهِ ﷺ رُكبَتيهِ لتَستقيدَ منّي، فتناوَلَتْ من الصَّحفةِ شيئاً، فمسَحَت به وجهي، وجعلَ رسولُ اللهِ ﷺ يضحَكُ.

ودخلَ النبيُّ ﷺ يوماً على صُهَيبٍ وهو يشتكي عينَيهِ ويأكُلُ تمراً، فقال: «أيا صهيبُ، تأكلُ التَّمرَ على علّةِ عينيكَ؟!»، فقالَ: إنما آكُلُ من الشِّقِّ الصّحيحِ؛ فضحِكَ رسولُ اللهِ ﷺ حتى بدَتْ نَواجِذُه[1].

وإنما قالَ ذلكَ؛ لأنه فَهِمَ من رسولِ اللهِ ﷺ إرادةَ المزاحِ][2].

وعن الأعمَشِ، عن أبي وائلٍ قالَ: مَضيتُ معَ صاحبٍ لي نَزورُ سلمانَ، فقدَّمَ إلينا خُبزَ شعيرٍ ومِلحاً جَرِيشاً، فقالَ صاحبي: لو كان في هذا الملحِ صَعترٌ كانَ أطيبَ؛ يعني: فأحضَرَه لنا، فلما أكَلنا، قالَ صاحبي: الحمدُ للهِ الذي قنَّعَنا بما رزَقنا، فقالَ سلمانُ: لو قنَعتَ بما رُزِقتَ لم تكُن مِطهرَتي مَرهونةً[3].

ورويَ: أن رجُلاً أتى برجلٍ إلى عليِّ بن أبي طالبٍ، فقالَ: إن هذا زعمَ أنه احتلَمَ على أُمي، فقالَ: أقِمْه في الشمسِ، واضرِب ظلَّهُ الحدَّ[4].

وأهدَى المجوسُ لعليِّ بن أبي طالبٍ ـ رضيَ الله عنه ـ فالوذجاً، فقالَ عليٌّ: ما هذا؟ فقيلَ له: اليومُ المَهْرجانُ! فقالَ: مَهرِجُونا كلَّ يومٍ هكَذا![5].

= «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٢٨).

(١) رواه ابن ماجه (٣٤٤٣) بنحوه.

(٢) ينتهي هنا فسادُ الصُورة في مُصوَّرَة النسخ (ر).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (٧١٤٦) ـ وصحَّحه ووافقه الذهبيُّ ـ عن الأعمش، عن أبي وائلٍ شقيقِ بن سَلمة.

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١١٤٢٦)، والإمام الشافعي في «الأم» (٧/ ١٩٢)، وفي إسناده من لم يُسمَّ.

(٥) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٤٨)، وفيه أن مُهديَ الفالوذج هو جدُّ الإمام أبي حنيفة النعمان.

[من مزاح أكابر السَّلف الصَّالح]

وأقرَّ رجلٌ عند القاضي شُريحٍ بشيءٍ، ثم ذهَب ليُنكِرَ، فقال شُريحٌ: قد شهِدَ عليكَ ابنُ أُختِ خالتِكَ[١].

ومرَّ شُريحٌ بمَجلِسٍ بهَمدانَ، فسلَّمَ، فردُّوا عليهِ وقاموا ورحَّبوا بهِ، فقالَ: يا معشَرَ[٢] همدانَ، إني لأعرفُ أهلَ بيتٍ منكُم لا يحِلُّ لهم الكذبُ، فقالوا: مَن هم يا أبا أميّةَ، فقال: ما أنا بالذي يُخبِرُكم؛ فجعلُوا يسألُونَهُ وتبِعُوه مِيلاً ـ أو قريباً منهُ ـ يقولُونَ لهُ: من هم؟ وهو يقولُ: لا أُخبِرُكم؛ فانصَرَفوا عنه يتلهَّفون[٣] ويقولُون: ليتَهُ أخبرَنا بهم[٤].

وعن عبدِ اللهِ بن كثيرِ بن جعفرٍ قالَ: اقتتَلَ غِلمانُ عبدِ اللهِ بن عباسٍ وغِلمانُ عائشةَ، فأُخبِرَت عائشةُ بذلكَ، فخَرجَت في هَودَجٍ لها على بَغلة، فلَقِيها ابنُ أبي عَتيق، فقالَ لها: يا أُمّي، جَعلَني اللهُ فداكِ! أينَ تريدين؟ قالت: بلَغَني أن غِلماني وغِلمانَ ابنِ عباسٍ اقتتَلُوا، فرَكبتُ لأصلِحَ بينهُم، فقال: يعتقُ ما أملِكُ إن لم ترجِعي؛ فقالَت: ما حملَكَ على هذا؟ فقالَ: ما انقضَى عنا يومُ الجمَلِ حتى تُريدينَ أن تأتِينا بيومِ البغلة؟[٥].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٥٣٠٢)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ١٣٥).

(٢) سبقَ قلمُ ناسخ (ر) فزاد هنا: «قريش».

(٣) في (ر): «يلتهفون».

(٤) ذكره صاحب «نثر الدر» (٢/ ١١٠).

(٥) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٢٤٠) عن الزبير بن بكّار، عن عبد الله بن كثير بن جعفر، وهو ابن أبي كثير الأنصاري الزرقي مولاهم، مجمَعٌ على ضعفه، وابنُ أبي عَتيق هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وأم المؤمنين عائشةُ عمّةُ أبيه.

وعن يحيى بن سعيدٍ[١]، عن محمدِ بن يحيى بن حَبّانَ قالَ: قلتُ لامرَأتي: أنا وأنتِ على قَضاءِ عمرَ بن الخطّابِ، قالَت: وما قَضاءُ عمرَ؟ قلتُ: قضَى إذا أصابَ الرجلُ امرأتَهُ عندَ كلِّ طُهرٍ مرةً فقد أدّى حقَّها، فقالَت: أنا أوَّلُ مَن ردَّ[٢] قضاءَ عُمرَ هذا.

وسألَ رجلٌ الشعبيَّ عن المسحِ على اللِّحيةِ، فقالَ: خلِّلها بأصابعِكَ، فقال: أخافُ أن لا تَبُلَّها، فقالَ الشعبيُّ: إن خفتَ فانقَعْها من أولِ الليلِ[٣].

وسألَهُ آخرُ: هل يجوزُ للمُحرمِ أن يحُكَّ بدنَهُ؟ قال: نعم؛ قالَ: مقدارَ كم؟ قال: حتى يبدو العَظمُ.

وسُئلَ عن أكلِ لحمِ الشيطانِ، فقالَ: نحن نرضَى منهُ بالكَفافِ[٤].

وقالَ له رجلٌ: ما اسمُ امرأةِ إبليسَ؟ فقال: ذاكَ نِكاحٌ ما شهدناهُ[٥].

وسئلَ: هل يجوزُ أن يُصلّيَ في الكنيسةِ؟ قال: نعم، ويجوزُ أن يخرىٰ فيها[٦].

وقالَ: من فاتتهُ ركعةُ الفجرِ فليلعَنِ الثُّقلاءَ[٧].

---

(١) تصحف في (ر): «سعد».

(٢) في (ر): «يرد». والحكاية في «المراح» (ص٣٧) بروايتين.

(٣) رواه ابن المرزبان في «ذم الثقلاء» (ص٩١).

(٤) كلاهما في «نثر الدر» (٢/ ١٠٥).

(٥) رواه ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ٤١٥ ـ ٤١٦) بأكثر من وجه.

(٦) لم أجده.

(٧) رواه ابن المرزبان في «ذم الثقلاء» (ص٦٣)، ويُنسب للأعمش كما في «غرر الخصائص الواضحة» للوطواط (ص٤٥٤). والمقصود: الزُّوّار الذين يسهَرون مع المرء بعد العشاء، فيتسبّبون بأن لا يستيقظَ لركعتي الفجر.

وكانَ حمادُ بن سلمةَ إذا رأى من يستثقِلُه يقولُ: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢][(١)].

وقالَ ابنُ شهابٍ: إذا ثقُلَ عليكَ الجليسُ فاصبِرْ؛ فإنّها رَبطةٌ في سبيلِ اللهِ، فإذا أبرمَكَ وملَّكَ بحديثِه، فجاهِد بقيامِه عنكَ أو قيامِكَ عنه[(٢)].

وكانَ يزيدُ بن[(٣)] هارونَ يقولُ للإنسانِ إذا استثقلَهُ: اللهمَّ، لا تجعَلنا ثقلاءَ[(٤)].

وحجَّ الأعمشُ، فلما أحرَمَ لاحاه الجمّالُ في شيءٍ، فرفَعَ عُكّازَه، فشَجَّهُ بِهِ، فقيلَ له[(٥)]: يا أبا محمدٍ، وأنتَ محرِمٌ؟ فقالَ: إن من تمامِ الحجِّ شَجُّ الجَمّالِ[(٦)].

وقالَ ابنُ عياشٍ: رأيت على الأعمشِ فروةً مقلوبةً، صوفُها إلى خارجٍ، فأصابَنا مطرٌ، فمرَرنا على كلبٍ، فتنحَّى الأعمَشُ، وقالَ: لا يحسبُنا شاةً[(٧)].

وسئلَ الأعمشُ عن الصلاةِ خلفَ الحائكِ، فقال: لا بأسَ على غيرِ وضوءٍ، [قيلَ له][(٨)]: فما تقولُ في شهادَتِه؟ فقال: تُقبَلُ معَ شاهدَي عدلٍ[(٩)].

---

(١) «العقد الفريد» (٢/ ١٥٣)، وبهجة «المجالس» (١/ ٧٣٩)، ونُسب أيضاً للأعمش في «غرر الخصائص» (ص٤٥٤).

(٢) أخرجه الخلال في «أخبار الثقلاء» (٢٢).

(٣) أسقطها ناسخ (ر) وكرر: «يزيد».

(٤) أخرجه الخلال في «أخبار الثقلاء» (١٥).

(٥) «له» ليس في (ر).

(٦) «نثر الدر» (٢/ ١٠٤).

(٧) «التذكرة الحمدونية» (٩/ ٣٧٠).

(٨) ما بين معكوفتين زيادة من (ر).

(٩) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٣٤).

وقيلَ للأعمشِ: ما عوَّضكَ اللهُ من ذهابِ بصرِكَ؟ قالَ: ألّا أرَى به ثقيلاً[١].

وكانَ إذا رأى ثقيلاً شرِبَ الماءَ وقالَ: النظرُ إلى وجهِ الثقيلِ حمَّى نافضٍ، والحمَّى من فيحِ جهنَّمَ، فأبرِدُوها بالماءِ[٢].

ويُحكَى أن رجلاً ثقيلاً كانَ يجلِسُ إليهِ، فقالَ: واللهِ، إني لأبغِضُ شِقّي الذي يليهِ إذا جلَسَ إليَّ[٣].

ووقعَ بينَ الأعمَشِ وبينَ امرأتِهِ وحشةٌ، فسألَ بعضَ أصحابِه ـ ويقالُ: إنه[٤] أبو حنيفةَ ـ أن يُصلِحَ بينَهُما، فقالَ لها: هذا سيِّدُنا وشيخُنا أبو محمدٍ، فلا يُزهِّدَنَّكِ فيه عَمَشُ عينيهِ، وحُموشةُ ساقَيهِ، وضَعفُ ركبَتيهِ، وقَزَلُ رجلَيهِ؛ وجعلَ يَصِفُ، فقالَ الأعمشُ: قُم عنّا قبَّحكَ اللهُ، فقد ذكَرتَ لها من عُيوبي ما لم تكُن تَعرِفُه[٥].

وقالَ الربيعُ: دخلتُ على الشافعيِّ ـ رحمَهُ اللهُ ـ وهو مريضٌ، فقلتُ له: قوَّى اللهُ ضعفَكَ فقالَ: لو قوّى ضَعفي قتَلَني، فقلتُ: واللهِ، ما أردتُ إلا الخيرَ، فقالَ: أعلَمُ أنكَ لو تشتُمُني لم تُرِدْ إلا الخيرَ[٦].

---

(١) أخرجه الخلال في «أخبار الثقلاء» (٢١).

(٢) ذكره السيوطي في «إتحاف النبلاء» (٤٣) من رواية الحافظ المنذري في «تاريخه». والحمى النافض: التي ينتفض المحموم منها.

(٣) «العقد الفريد» (٢/ ١٥٣).

(٤) قوله: «إنه» ليس في (ب).

(٥) «محاضرات الأدباء» للراغب الأصبهاني (٣/ ٢٨٢). حُموشة الساقين: دقّتهما: والقَزَلُ: أسوأُ العَرَجِ وأشَدُّه، أو دِقّةُ السّاقِ لذَهابِ لَحمِها.

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه» (ص٢٧٤).

قالَ بعضُهم: وقد جاءَ في الحديثِ عن النبيِّ ﷺ: «وقوِّ في رضاكَ ضَعفي»[١]، وإنما أرادَ الشافعيُّ مُباسطةَ الربيع، وإن كانَ دعاؤه صحيحاً.

وكانَ القاضي[٢] أبو يوسفَ ـ رحمهُ اللهُ ـ يجلِسُ بجانبِه رجلٌ فيطيلُ الصمتَ، فقالَ له: ألا تتكلَّمُ! فقالَ: متى يفطِرُ الصائمُ؟ فقال أبو يوسفَ: إذا غابتِ الشمسُ، قالَ: فإن لم تغِبْ إلى نصفِ الليلِ؟ فضحِكَ أبو يوسفَ، وقالَ: أصبتَ في صمتِكَ، وأخطأتُ أنا في استدعاءِ نُطقِكَ[٣].

***

فصلٌ

وقد ينفَعُ المزحُ[٤] في مقامِ الشدائدِ

حكيَ[٥] عن بعضِ القُرّاءِ قالَ: قرأَ الحَجّاجُ في[٦] سورةِ هودٍ، فلَم يَدْرِ أيقولُ: ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ أم «عمِلَ» [هود: ٤٦]، فقالَ: ائتوني بقارئٍ، فأتَوا بي وقد قامَ مجلِسُه، فحُبِستُ، ونسِيَني حتى عُرِضَ السِّجنُ بعدَ ستةِ أشهرٍ، فلما انتهى

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٥٣)، ومن طريقه الحاكم في «المستدرك» (١٩٣١)، وصحّحه!

ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٨٥) في حديث بريدة رضي الله عنه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٢): وفيه أبو داود الأعمى، وهو ضعيف جداً.

(٢) قوله: «القاضي» ليس في (ر).

(٣) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٣٦٦).

(٤) في (ر): «المزاح».

(٥) في (ر): «وحكي».

(٦) ليس في (ر) قوله: «في».

إلـيَّ، قـالَ: فيمَ حُبسـتَ؟ قلتُ: فـي ابنِ نـوحٍ! فضَحِـكَ وأطلَقني[١].

وحُكيَ أن بعضَهم أهدَى للحجاجِ تيناً قبلَ أوانِه؛ ليأخُذَ منه الجائزةَ، فلما قرُبَ من دارِ الحجّاجِ، وإذا بالشرطيِّ قد أقبلَ ومعهُ طائفةٌ من اللصوصِ، وقد هرَبَ منهم واحدٌ، فأخذَ الشُّرطيُّ صاحبَ التينِ عِوضَه، وقرَنَهُ معهم، فلما عرَضَهم على الحجّاجِ أمرَ بضَربِ أعناقِهم، فلما قُدِّمَ صاحبُ التينِ صاحَ: أيها الأميرُ، لستُ منهم؛ فقالَ له: ما شأنُكَ؟ فقصَّ عليه القصةَ، فقالَ: إنا للهِ وإنا إليه راجعونَ، كادَ الملعونُ يهلِكُ ظُلماً، ثم قالَ: ما تريدُ من الجائزةِ؟ فقالَ: أيها الأميرُ، أريدُ فأساً، قال: وما تَصنَعُ بها؟ قال: أقطَعُ بها جَذرَ شجرةِ التينِ التي عرَّفَت بيني وبينكَ؛ فضحِكَ الحجّاجُ وأجازَه جائزةً سَنيّة[٢].

وحُكيَ أن البُهلولَ دخلَ على الرشيدِ وعندَه عليانُ المجنونُ، فكلَّمَهما الرشيدُ، فأغلَظا عليهِ في القول، فأمرَ بالنّطعِ والسيفِ، فقالَ عليانُ: كنا مجنُونَينِ، فصِرنا ثلاثةً، فضحِكَ الرشيدُ وعفا عنهُما[٣].

جيءَ برجلٍ للمَهديِّ فدعا بالنطعِ والسيفِ، فلما أُقعِدَ في النطعِ وقامَ السَّيّافُ

---

(١) «العقد الفريد» (٥/ ٢٩٥).

وقراءة «عَمِلَ غير صالح» مروية عن النبي ﷺ في «سنن الترمذي»، (٢٩٣١) (٢٩٣٢)، و«مسند الإمام أحمد» (٢٦٥١٨) عن أمّ المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، وهي قراءة الكسائي ووافقَهُ يعقوبُ البصريُّ من العشرة؛ يُنظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٨٩).

(٢) لم أجده.

(٣) ذكره الجاحظ في «البيان والتبيين» (٢/ ٢٣١) عن بعض السلاطين، وذكر القيرواني في «جمع الجواهر في الملح والنوادر» (ص٨٢) أنه: دعا بعض الملوك بأبي علقمة الممرور ومجنون آخر... إلخ، والحكاية كما هي هنا في «غرر الخصائص الواضحة» (ص١٢٥).

على رأسِهِ وهزَّ سيفَهُ رفَعَ إليه رأسَه، فقالَ: انظُر لا تُصيبُ مَحاجِمي بالدمِ؛ فإنِّي قد احتَجَمتُ، فضَحِكَ المهديُّ وأجازَه[١].

وحُكِيَ أن أعرابياً راوَدَ امرأةً عن نفسِها، فأنعَمَت له بالوِصالِ، فلما قعَدَ بينَ شُعَبِها قامَ عنها، فقالَت له: يا هذا، ما الذي اعترَاكَ وقد بلَغتَ مُناكَ؟ فقال: إن رجُلاً يَبيعُ جنةً عَرضُها كعَرضِ السماءِ والأرضِ بأصبعَينِ بين فخِذَيك لقليلُ البصرِ والمعرفةِ[٢].

وقيلَ لبعض المجانين: هل لكَ في الشرابِ؟ فقالَ: إن العاقِلَ يشرَبُ الخمرَ حتى يتشبَّهَ بي، فإذا أنا شرِبتُه فبمَن ذا أتشبَّهُ؟[٣].

وقالَ المنصورُ لعاملٍ بلغَه عنهُ خيانةٌ: يا عدوَّ اللهِ، وعدوَّ أميرِ المؤمنينَ، وعدوَّ المسلمينَ، أكلتَ مالَ اللهِ، وخُنتَ خليفةَ اللهِ، فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ، إذا لم يسمَح خليفةُ اللهِ لعيالِ اللهِ بالأكلِ من مالِ اللهِ فمن أيِّ مالٍ يأكلون؟ فضحِكَ منهُ، وأطلقَهُ، وأمرَ أن لا يوَلَّى[٤] بعدَها عملاً.

وحُكيَ أن الرشيدَ كان جالساً وخادِمهُ مسرورٌ واقف أمامَهُ فضحِكَ، فقالَ له: مما تضحَكُ؟ فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ، رأيتُ بالأمسِ رجلاً واقفاً يُضحِكُ الناسَ، يقالُ له: ابنُ المغازِليِّ، فتفكَّرتُ الآنَ في شيءٍ من كلامِه، فضحِكتُ، فقالَ: عليَّ بهِ، فخرَجَ مسرورٌ مسرِعاً وقالَ لهُ: أجِب أميرَ المؤمنينَ، بشرطِ أنك إذا دخلتَ عليهِ

---

(١) هذه الحكاية ليست في (ب)، وقد ذكرها صاحب «نثر الدر» (٥/ ٢٠٧) في نوادر جُحا.

(٢) «نثر الدر» (٦/ ٤٠) بشيء من اختلاف.

(٣) «غرر الخصائص الواضحة» (ص٩٠).

(٤) في (ر): «يؤتى». والحكاية في «غرر الخصائص الواضحة» (ص٥٧ ـ ٥٨).

وأنعَمَ عليكَ بشيءٍ يكونُ لكَ منهُ الربعُ والبقيةُ لي، فلم يَرضَ، فقالَ: أجعل لك النِّصفَ، فأبى مسرورٌ، فقالَ: الثلُثُ والثُلثانِ، فأجابَه إلى ذلكَ.

فلما وقف بين يدَي الرشيدِ قالَ له: إن أنتَ أضحَكتَني أعطيتُكَ خمس مئةَ دينارٍ، وإن لم تُضحِكني ضربتُكَ بهذا الجِرابِ ثلاثَ ضرباتٍ، فقالَ ابنُ المغازليِّ في نفسِهِ: الأمرُ سهلٌ، يظنُّ الجِرابَ فارغاً، فوقفَ وتكلَّمَ وفعلَ فعالاً تُضحِكُ، ولم يَضحَك، فلَم يَضحَكِ الرشيدُ ولم يتبسَّم، وقالَ له: الآن استَحقَّيتَ الضربَ!

ثم إنه أخذَ الجِرابَ ولفَّهُ وكانَ فيهِ أربَعُ زَلَطاتٍ[1] كلُّ واحدةٍ زِنةُ رِطلَين، وضرَبهُ، فصرخَ صرخةً عظيمةً، وافتكَرَ الشرطَ الذي شرَطَهُ على مسرورٍ، فقالَ: العفوَ يا أميرَ المؤمنين! إن مسرورَ الطوّاش اشترَطَ علي شرطاً، واتّفَقتُ أنا وهوَ على مصلحةٍ، وهو أنه مهما حصَلَ لي من صدَقاتِ أميرِ المؤمنينَ يكونُ لهُ فيه الثلثانِ وليَ الثلُثُ، ولم يحصُل لي من أميرِ المؤمنينَ غيرُ الضربِ، وقد شرَطتَّ عليَّ ثلاثَ ضرباتٍ أقضَيتَني واحدةً وهي نصيبي، والباقي نصيبُه، وها هو واقفٌ، فادفَع له، قالَ: فعندَ ذلكَ ضحِكَ أميرُ المؤمنين، ودعا بمَسرورٍ فضرَبهُ ضَربةً فصاحَ، وقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ، قد وهبتُ له ما بقي، فضحِكَ، وأمرَ لهما بألفِ دينارٍ لكُلِّ واحدٍ خمسُ مئة[2].

* * *

(١) أي: حجارة، و«الزَّلَطُ»: الحصى الصغار.

(٢) هذه الحكاية ليست في (ب)، وقد ذكرها الأبشيهي في «المستطرف في كل فن مستطرف» (٢/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨).

فصلٌ

في ذمِّ المزحِ

اعلَم ـ وفقكَ اللهُ تعالى ـ أن المزَحَ إذا خرَجَ إلى حدِّ الخلاعةِ، أو كان مع السفهاءِ، أو من لا يُشاكِلُك؛ فهو هُجنةٌ ومذمّة، وكذا إذا كان فيهِ غِيبةٌ أو انهماكٌ يُسقطُ الحِشمةَ، ويُقلِّلُ الهَيبةَ؛ أو فحشٌ يُورِثُ الضَّغينةَ، ويُحرِّكُ الحُقودَ الكَمينةَ؛ وعلى مثلِ ذلكَ يُحمَلُ ما وردَ في ذمِّ المزحِ.

وربما كانَ في مثلِ هذه الأحوالِ سبَباً للعداوةِ والبغضاءِ، ومفتاحاً لبابِ الشرِّ، وسَدًّا لبابِ الرِّضاء، وبابُ الشَّرِّ إذا فُتحَ لا يَستَدُّ، وسهمُ الأذى إذا أُرسِلَ لا يَرتَدُّ، وقد يُعرِّضُ العِرضَ للهَتْكِ، والدِّماءَ للسفكِ، فحقُّ العاقلِ يتَّقيهِ، وينزِّهُ نفسَه[1] عن وصمةِ مساويه.

روي في الحديثِ: «المزاحُ استدراجٌ من الشيطانِ، واختداعٌ من الهوى»[2].

وفي الحديثِ: «لا تُمارِ أخاكَ ولا تمازِحْه، ولا تعِدهُ موعِداً فتُخلِفَه»[3].

وقالَ عمرُ بن عبدِ العزيزِ: اتَّقوا المزاحَ؛ فإنّها حمقةٌ تورِثُ ضغينةً[4].

وقالَ: إنما المزاحُ سبابٌ، إلا أن صاحبَهُ يضحَكُ[5].

---

(١) تكرر في (ر): «وينزِّهُ نفسَه».

(٢) ذكره ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٩٩) من قول الحسن بن حيي رحمه الله بلاغاً، وذكر الماوردي في «أدب الدنيا والدين» (ص٥٠١) أنه روي عن النبي ﷺ.

(٣) رواه الترمذي في «سننه» (١٩٩٥) عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً، واستغربه.

(٤) ذكره في «أدب الدنيا والدين» (ص٥٠١).

(٥) هو في «أدب الدنيا والدين» (ص٥٠١) لبعض الحكماء، وذكره الثعالبي في «التمثيل والمحاضرة» =

وقالَ بعضُهم: إنما سُمّيَ المزاحُ «مُزاحاً»؛ لأنهُ مُزيحٌ عن الحقِّ[١].

وقيلَ: كتبَ عمرُ ـ رضي الله عنهُ ـ إلى عمّالِه[٢]: امنعُوا الناسَ من المزاحِ؛ فإنّه يُذهِبُ المروءةَ[٣]، ويوغِرُ بالصدورِ.

وقـالَ أيضـاً: أتدرُونَ لم سُـمّيَ[٤] المـزاحُ «مزاحاً»؟، قالوا: لا، قـالَ: لأنهُ زاحَ عن الحقِّ[٥].

وقالَ إبراهيمُ النخَعيُّ: المزاحُ من[٦] سُخفٍ أو بطَرٍ.

وقيلَ في «منثورِ الحكَمِ»: المزاحُ يأكلُ الهيبةَ كما تأكلُ النارُ الحطبَ[٧].

وقالَ بعضُ الحكماءِ: من كثُر مِزاحُه زالَت هيبَتُه، ومن كثُرَ خِلافُه طابَت غَيبَتُه.

وقالَ بعضُ البلغاء: مَن قلَّ عقلُه كثُرَ هزلُه[٨].

= (ص٤٤٩) دون نسبة، وروى ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٩٨) عن خالد بن صفوان رحمه الله: المزاح سباب النَّوكى.

(١) لم أهتد إلى قائله، وقريب منه قول عمر ـ رضي الله عنه ـ الآتي.

(٢) في (ر): «عامله».

(٣) في (ر): «بالمروءة»، وفيها قبلها: «من المزح». والقول لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في «ربيع الأبرار» (٥/ ١١١)، ولعمر بن عبد العزيز في «نثر الدر» (٢/ ٨٧).

(٤) في (ر): «يسمى».

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٩٦)، وسنده منقطع.

(٦) ليس في (ر) قوله: «من»، وقول النخعي في «أدب الدنيا والدين» (ص٥٠١)، ونسبه الراغب بنحوه في «محاضرات الأدباء» (١/ ٢٨١) لعمر بن عبد العزيز.

(٧) «منثور الحكم» لعبد الله ابن المعتز الخليفة العباسي الشاعر (ت٢٩٦هـ) مفقودٌ، وقد روى هذا القولَ عنه الخطيبُ في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٩٥٦).

(٨) قوله: «هزله» ليست من (ر).

وذكرَ خالدُ بن صفوانَ المزاحَ، فقالَ: يصكُّ أحدُكم صاحِبهُ بأشدَّ من الجندَلِ، وينَشِّقُه أمرَّ من الخردَلِ، ويُفرِغُ عليه أحرَّ من المِرجَلِ؛ ثم يقولُ: إنما كنتُ أُمازِحك(١).

وقيلَ: المزحُ أوَّلهُ حلاوةٌ، وآخرُهُ عداوةٌ؛ يحقِدُ منه الشريفُ، ويجترِئ به السخيفُ(٢).

وقال الإمام النووي: قالَ العلماءُ: المزاحُ المنهيُّ عنه هو الذي فيهِ إفراطٌ بدوامٍ عليهِ؛ فإنّه يُورِثُ الضحِكَ وقسوةَ القلبِ، ويشغَلُ عن ذكرِ اللهِ تعالى والفكرِ في مهمّاتِ الدينِ، ويؤُول في كثيرٍ من الأوقاتِ إلى الإيذاءِ، ويُورثُ الأحقادَ، ويُسقِطُ المهابةَ والوقارَ(٣).

وقالَ بعضُ الحكماءِ: إياكَ والمزاحَ؛ فإنّ فيه سبعَ خِصالٍ مذمومة: ذهابُ الورعِ، وذهابُ الهيبة، وقَساوةُ القلبِ، وخيانةُ الجليسِ، ويهدِمُ الصداقةَ، ويجلِبُ العداوةَ ومذمّةَ(٤) العقلاءِ، ويستَهزئُ به السفهاءُ، وعليهِ وِزرُه ومن اقتدَى بهِ(٥).

---

(١) هذا القول والاثنان قبله في «أدب الدنيا والدين» (ص٥٠٢).

(٢) نثر ما في «أدب الدنيا والدين» (ص٥٠٢) من القصيدة الجامعة للآداب للسابوري ـ ولم أعرفه ـ:

إن المزاحَ بدؤُه حلاوَهْ ... لكنما آخِرُه عداوَهْ

يحتدُّ منه الرجلُ الشريفُ ... ويجتَري بسُخفه السخيفُ

(٣) هذا النقلُ عن الإمام النووي ليس في (ب)، وهو في «الأذكار» (ص٢٧٩).

(٤) في (ر): «ويذمه».

(٥) لم أجده.

وفي حديثٍ: «من حُسنِ إسلامِ المرءِ تَركُه ما لا يَعنيه»[١].

وقالَ رجلٌ[٢] لابن عباسٍ: ما رأسُ العقلِ؟ قال: أن يعفوَ الرجلُ عمَّن ظلمَهُ، وأن يتواضَعَ لمن هو دونَهُ، وأن يتدبَّرَ ثم يتكلَّمَ، قالَ: فما رأسُ الجهلِ؟ قال: عُجبُ المرءِ بنفسِهِ، وكثرةُ الكلامِ فيما لا يَعنيه، وأن يعتِبَ في الشيء الذي يأتي بمِثلِه[٣].

***

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧) من حديث أبي هريرة، واستغربه، وأخرجه ابن ماجه (٣٩٧٦).
وأخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٠٣) برقم (٣)، ومن طريقه الترمذي (٢٣١٨)، من حديث علي بن حسين مرسلاً، وقال الترمذي: وهذا عندنا أصحُّ من حديث أبي سلمةَ عن أبي هريرة، وعليُّ بن حسين لم يدرك عليَّ بن أبي طالب.

(٢) في (ر): «رجلًا».

(٣) لم أجده.

[حَكايا بينَ مَزحٍ وجدٍّ]

قلتُ: ولا بأسَ هنا بذكرِ حَكايا ما بينَ مزحٍ وجدٍّ، أو تَغفيلٍ:

ففي كتابِ «الأغاني» لأبي الفرَجِ الأصبهانيِّ: قالَ الأصمَعيُّ: مرَّ الفرزدَقُ يوماً في الأزدِ، فوثبَ عليهِ ابن أبي علقمةَ لينَكحَه، وأعانَه على ذلكَ سُفَهاءُ من سُفَهائهم، فجاءَت مشايخُ الأزدِ وأُولو النُّهى منهم، فصاحوا بابنِ أبي علقمةَ وبأولئك السفهاءِ، فقال لهم ابنُ أبي علقمةَ: ويلَكم! أطيعُوني اليومَ واعْصُوني الدهرَ، شاعرُ مُضرَ ولِسانُها، وقد شتَمَ أعراضَكُم، وهَجا ساداتكُم، واللهِ، لا تنالونَ من مُضرَ مثلَها أبداً؛ فحالُوا بينَهُ وبينَهُ، فكانَ الفرزدقُ بعد ذلكَ يقولُ: قاتلَهُ اللهُ! إنه ـ واللهِ ـ لقد كانَ أشارَ[1] عليهِم بالرأيِ!

وقالَ محمدُ بن موسَى: حدَّثنا القحذَميُّ، قال: كانَ الفرزدَقُ أرادَ[2] امرأةً شريفةً على نفسِها، فامتنَعت عليهِ، فتهدَّدَها بالهجاءِ والفَضيحة، فاستغاثَت بالنُّوارِ امرأتِه، وقصَّت عليها القصةَ، فقالت لها: واعِديهِ ليلةً، ثم أعلِميني! ففعلَت، وجاءَتِ النُّوارُ، فدخلَت الحَجَلةَ مع المرأةِ، فلما دخَلَ الفرزدَقُ البيتَ، أمرَتِ الجاريةَ، فأطفَأتِ السِّراجَ، وبادرَت إلى الحَجَلةِ واتَّبَعها الفرزدقُ، فصارَ إلى الحَجَلة، وقدِ انسلَّتِ المرأةُ خلفَ الحَجَلةِ، وبقيَتِ النُّوارُ فيها، فوقعَ بالنُّوارِ، وهو لا يشكُّ أنها صاحبَتُه، فلما فرَغَ، قالَت له: يا عدوَّ اللهِ، يا فاسقُ! فعرَفَ نَغمتَها، وأنه خُدِعَ؛ فقالَ: وأنتِ هي؟! يا سبحانَ اللهِ! ما أطيبَكِ حَراماً، وأردأكِ حلالاً[3].

---

(١) سقط في (ر) قوله: «أشار». والخبر في «الأغاني» (٢١/ ٢٥٩).

(٢) في (ر): «راود».

(٣) «الأغاني» (٢١/ ٢٥٣).

ودخلَ جريرٌ على عُمرَ بن عبدِ العزيزِ لـمّا أفضَت إليهِ الخلافةُ، فقالَ له: أسألُكَ ما عوَّدَنيهِ الخلفاءُ: أربعةَ آلافِ درهمٍ، وما يتبَعُها من كِسوةٍ وحُمْلانٍ، فقالَ له عُمرُ: كلُّ امرئٍ يلقى فِعلَه، فأما أنا فما أرى لكَ في مالِ اللهِ من حقٍّ، ولكنِ انتَظِر حتى يخرُج عطائي، فأنظُرَ ما يكفيني وعِيالي سنةً، فأدَّخِرَه لهم، ثم إنْ فضَلَ فضلٌ صرَفناهُ إليكَ، فقالَ له جريرٌ: بل يوفِّرُ أميرُ المؤمنينَ ونحمَدُ وأخرُجُ راضياً؛ فلما خرجَ جريرٌ على أصحابِه ـ وفيهم الفرزدَقُ ـ قالوا له: ما صنَعَ بك أميرُ المؤمنين؟ قال: خرَجتُ من عندِ رجلٍ يُقرِّبُ الفقراءَ، ويُباعِدُ الشعراءَ؛ وأنا مع ذلكَ عنه راضٍ[1].

وقالَ الفرزدَقُ للحسنِ البصريِّ: إني قد هجَوتُ إبليسَ، فقالَ: كيفَ تهجُوه وعن لِسانِه تنطِقُ؟! [2].

وسألَ حمزةُ بن بيض[3] الفرزدقَ، فقالَ له: يا أبا فراسٍ، أسألُكَ عن مسألةٍ؟ قالَ: سَلْ عما أحبَبت! فقالَ: أيُّما أحبُّ إليكَ، أن تسبِقَ الخيرَ أم يسبِقَك؟ قال: إن سبَقَني فاتَني، وإن سبَقتُه فتُّهُ، ولكِنْ نكونُ معاً، لا يسبِقُني ولا أسبِقُه، ولكِن أسألُكَ عن مسألةٍ؛ فقالَ حمزةُ: سَل، قالَ: أيُّما أحبُّ إليكَ، أن تنصَرِفَ إلى منزِلكَ فتجِدَ امرأتَكَ قابضةً على أيرِ رجلٍ، أو تُصيبَهُ قابضاً على هَنِها؟ قال: فتحيَّرَ، وكانَ قد نُهِيَ عنهُ[4]، فلم يقبَلْ.

---

(١) «الأغاني» (٨/ ٣٥ ـ ٣٦) مطوَّلًا.

(٢) «الأغاني» (٢١/ ٢٥٠).

(٣) في (ب): «برض»، وفي (ر): «يرض»، والتصويب من «الأغاني» (٢١/ ٢٥٠).

وحمزة بن بيض الحنفي، شاعر من شعراء الدولة الأموية لم يدرك الدولة العباسية، كوفيّ خليع ماجن، من فحول طبقته، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده، ثم إلى بلال بن أبي بردة، (ت١٢٠هـ)، أخباره في «الأغاني» (١١/ ١٣٣ ـ ١٤٩)، و«فوات الوفيات» (١/ ٣٩٥).

(٤) سقط في (ر) قوله: «عنه».

وعن [محمَّد بن] عليِّ بن سعيدٍ التِّرمِذيِّ، قالَ: قال الجهمُ بن سُويدِ بن المُنذرِ الجِرْميُّ[١] للفرزدَقِ: ما[٢] وجدَت أمُّك اسماً لك إلا الفرزدَقَ الذي تكسِرهُ النساءُ في سَويقِها؟ قالَ: والعربُ تُسمّي خُبزَ الفَتُوتِ «الفَرزدَق» ـ و«الفرزدَقُ»: لقبٌ غلبَ عليهِ، وتفسيرُه: الرغيفُ الضخمُ الذي يُجفِّفهُ النساءُ للفَتُوتِ، وقيلَ: بل هو القطعةُ من العجينِ الذي يُبسَطُ فيُخبَزُ منه الرغيفُ، شُبّه وجهُهُ بذلكَ لأنه كانَ غَليظاً، وإلا فاسمُه همّامُ بن غالبِ بنِ صعصعةَ ـ قالَ: فأقبلَ الفرزدَقُ على قومٍ معَ الجهمِ في المجلسِ، فقال لهم: ما اسمُه؟ فلم يُخبِرُوه باسمِه، فقالَ لهم[٣]: واللهِ، لئن لم تُخبِروني لأهجُونَّكُم كلَّكُم! فقالوا: الجهمُ بنُ المنذرِ بن سُويدٍ، فقالَ الفرزدَقُ: أحقُّ[٤] الناسِ ألا تتكلَّمَ في هذا أنتَ؛ لأن اسمَكَ اسمُ مَتاعِ المرأةِ، واسمَ أبيكَ اسمُ الحمارِ، واسمَ جدِّكَ اسمُ الكلبِ[٥].

وعن أبي زيدٍ الأنصاريِّ قالَ: ركِبَ الفرزدَقُ بغلتَهُ، فمرَّ بنسوةٍ، فلما حاذاهُنَّ ضرطَت بغلَتُه، فضحِكن منهُ، فالتفَتَ إليهنَّ[٦]، فقال: لا تضحَكنَ، فما حملَتني أُنثى إلا ضرطَتْ، فقالت له إحداهُنَّ: ما حملَكَ أكثرُ من أمِّكَ، فأراها قد قاسَت منكَ ضُراطاً كثيراً؛ فحرَّكَ بغلتَهُ وهرَبَ[٧].

---

(١) في (ر): «المجرمي».

(٢) في (ر): «وما».

(٣) ليس في (ب) قوله: «لهم».

(٤) تكرر في (ر): «أحق».

(٥) «الأغاني» (٢١/ ٢٥٢) دون القطعة التفسيرية للقب الفرزدق المعترضة، والاستدراك منه.

(٦) قوله: «إليهن» ليس في (ر).

(٧) «الأغاني» (٢١/ ٢٥٠).

وعن الأصمعيِّ قالَ: قالَ الفرزدَقُ: ما أعياني جوابُ أحدٍ قط كما أعياني جوابُ دهقان مرةً، فقالَ لي: أنتَ الفرزدَقُ الشاعرُ؟ قالَ: قلتُ: نعم، قالَ: إن هجَوتَني تخرِبُ ضيعَتي؟ قالَ: قلتُ: لا، قالَ: فتمُوتُ عيشُونةُ ابنتي؟ قالَ: قلتُ: لا، قالَ: فرِجْلي إلى عُنقي في حِرِ أُمِّكَ، فقلتُ: ويلَكَ! لِما ترَكتَ رأسَكَ؟ قالَ: حتى أنظُرَ إلى أي شيءٍ تصنَعُ[1].

وعن الأصمَعيِّ أيضاً، قالَ: اجتمَعَ الفرزدَقُ وجَريرٌ عند بشرِ بن مروانَ، فرجا أن يُصلِحَ[2] بينهُما حتى يتكافَا، فقالَ لهما: ويحَكما! قد بلغتُما من السِّنِّ ما قد بلغتُما، وقرُبَت آجالكُما، فلو اصطَلحتُما ووهَبَ كلُّ واحدٍ منكما لصاحبِه ذَنْبَه، فقالَ جريرٌ: أصلَحَ اللهُ الأميرَ، إني وجَدتُ آبائي يظلِمُونَ آباءَهُ، فسلَكتُ طريقَهم[3] في ظلمهِ، فقالَ بشرٌ: عليكُما لعنةُ اللهِ! لا تصطَلِحان ـ واللهِ ـ أبداً[4].

وقالَ مَعمَرُ بن المثنَّى: كانَ الشُّعراءُ في الجاهليةِ في قيسٍ، وليسَ في الإسلامِ مثل حظِّ تميمٍ في الشعرِ، وأشعَرُ تميمٍ جَريرٌ والفرزدَقُ، و[مِن بَني تَغلبَ] الأخطَلُ[5].

---

(١) هذه الحكاية ليست في (ب)، وهي في «الأغاني» (٢١/ ٢٥١).

(٢) في (ر): «يصلحا».

(٣) في (ر): «طريقتهم».

(٤) «الأغاني» (٢١/ ٢٥١).

(٥) أسنده في «الأغاني» (٢١/ ١٩٩)، والاستدراك منه.

وعبارة أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي في «الديباج» (ص١٠): واتفقت العرب على أن أشعر شعراء الإسلام ثلاثة: الأخطل وجرير والفرزدق، ثم اختلفوا فيهم، واتفقوا على أن الشعراء في الإسلام في تميم وتغلب.

وسمعَ الفرزدَقُ رجلاً[١] يقرأُ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ﴾ «غفور رحيم»، فقالَ الفرزدَقُ: لا ينبَغي أن يكونَ هذا هكذا[٢]! فقيلَ لهُ: إنما هوَ: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، فقال: هكذا ينبَغي[٣]. وكان أُمّـيّاً.

ومن الجدِّ[٤] المشبَّهِ للمزحِ ما ذكرَهُ صاحِبُ «خلاصةِ عقدِ الدُّررِ»[٥] قالَ: أسَرَ عتّابُ بن وَرقاءَ جماعةً من الخوارجِ، فوجدَ فيهم امرأةً، فقالَ: وأنتِ يا عدوةَ اللهِ، ممن مرَقَ من الدينِ، وخرجَ على المسلمين؟! أما سمعتِ قولَ اللهِ تعالى [من الخفيف]:

كُتِبَ القتلُ والقِتالُ علينا ... وعلى الغانياتِ جَرُّ الذُّيولِ؟!

فقالَت: حُسنُ معرِفَتك بكتابِ اللهِ دعانا إلى الخروجِ عليكَ يا عدوَّ اللهِ![٦].

---

(١) سقط من (ر) قوله: «رجلًا».

(٢) في (ر): «كهذا».

(٣) «الأغاني» (٢١/ ٢٥٤).

(٤) بيض لهاتين الكلمتين في (ر).

(٥) لم أهتد إلى معرفة هذا الكتاب، وربما كان محرَّفاً عن «خالصة عقد الدرر من خلاصة عقد الغرر» لعلي بن محمد بن علي الغزالي الحسَني، المعروف بابن أبي قصيبة المتوفى بعد سنة (٨٧٨هـ). يُنظر: «إيضاح المكنون» (٣/ ٤٢٦).

(٦) رواه النهرواني في «الجليس الصالح الكافي» (ص٦٠٢).

والبيت ثالثُ ثلاثةٍ لعمر بن أبي ربيعة في قتلِ مصعب بن الزبير ابنةَ النعمان بن بشير الأنصارية، زوجةَ المختار ابن أبي عبيد، وهو في خبر في «الكامل» للمبرد (٣/ ١١٧١)، وفي «ديوانه» (ص٤٨٢).

وعتّاب بن ورقاء الرِّياحيّ من أمراء مصعب بن الزبير، انحاز إلى عبد الملك بن مروان، فأمّره على قتال الخوارج تحت يد الحجاج.

وقالَ الحجاجُ لامرأةٍ من الخوارجِ: اقرَئي شيئاً من القرآنِ، فقالَت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ﴾ يخرجونَ، فقالَ: ويلَكِ! ﴿يَدۡخُلُونَ﴾ [النصر: ١ - ٢]، قالَت: دخلُوا وأنتَ تُخرِجُهم(١).

وذُكرَ أيضاً أن عاملَ منصورِ بن النعمانَ كتبَ إليه من البَصرةِ: إني أصَبتُ سارِقاً سرقَ نصاباً من حِرزٍ، فما أصنَعُ فيه؟ فكتبَ منصورٌ إليهِ: أن اقطَع رجلَه، ودَعهُ يكدُّ بيدِه على عيالِه، فأجابَهُ العاملُ: إن الناسَ يُنكِرونَ هذا؛ لقَولِ اللهِ تعالى في القرآنِ(٢): ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، فكتبَ إليه: القرآنُ نزلَ من السماءِ، ونحن في الأرضِ، والشاهِدُ يَرى ما لا يرى الغائبُ! (٣).

ويُحكى أنّ الرشيدَ كان لهُ عاملٌ على الرقةِ، فوُجِدَ في عملِه رجلٌ قد أتى شاةً، فهرَبَ الرجلُ، فأخذَ الشاةَ وأقامَ عليها الحدَّ، فقالوا: إنها بهيمةٌ! فقالَ: الحدودُ لا تعطَّلُ وإن عطَّلتُها، فبئس الوالي أنا، فانتَهى خبرُه إلى الرشيدِ - ولم يكُن رآهُ - فدعا بهِ وقالَ لهُ: كيفَ بصرُكَ بالحُكمِ؟ فقالَ: الناسُ والبهائمُ عندي في الحقِّ سواءٌ، لو وجَبَ الحقُّ على بهيمةٍ - وكانَت أُمّي أو أُختي - جلَدتُها ولم تأخُذني في اللهِ لومةُ لائمٍ(٤).

---

(١) هذه الحكاية ليست في (ب)، وهي هكذا في «نثر الدر» (٥/ ١٤٧).

والحوارُ مطوَّلٌ بين الحجاج وأعرابيٍّ في «عقلاء المجانين» لابن حبيب (ص١٥٣).

(٢) ليس في (ر) قوله: «في القرآن».

(٣) «غرر الخصائص الواضحة» للوطواط (ص٢٢٤ - ٢٢٥)، وباختصار في «أخبار الحمقى والمغفلين» لابن الجوزي (ص١٠١)، ولم أعرف منصور بن النعمان.

(٤) هذه الحكاية ليست في (ب)، وقد ذكرها ابن الجوزي في «أخبار الحمقى والمغفلين» (ص١٠٤) قال: وقد بلغنا عن نصر بن مقبل... إلخ.

وتدافعت امرأةٌ معَ رجلٍ لقاضٍ فقالَت: أعزَّ اللهُ القاضي هذا قبَّلَني، فقالَ القاضي: قومي إليهِ فقبِّليه كما قبَّلكِ، فقالَت: قد عفوتُ عنهُ إن كانَ الحُكمُ هكذا[1].

وتقدَّمَ رجلٌ إلى بعضِ القضاةِ بخَصمٍ؛ فقالَ: إن هذا باعَني[2] ثوباً وجَدتُ فيهِ عيباً، وسألتُه أن يُقيلَني فأبى، فالتفتَ القاضي إلى الخصمِ، وقالَ: أقِله عافاكَ اللهُ؛ فإنّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «قيلُوا؛ فإنّ الشياطينَ لا تَقيلُ»[3].

وسئلَ البهلولُ عن مسألةٍ في الفرائضِ، وهي: رجلٌ ماتَ وخلَّفَ ابناً وبنتاً وزوجةً، ولم يترُكْ شيئاً من المالِ فقالَ: للابنِ اليُتمُ، وللبنتِ الثُّكلُ، وللزوجةِ خَرابُ البيتِ، وما بقيَ من الهمِّ فلِلعَصَبةِ[4].

وركِبَ يُوشَعُ الطبيبُ مع المأمونِ، فتعلَّقَ به مجنونٌ وقالَ: أيها الطبيبُ، جُسَّ يَدي! فجسَّهُ، وقالَ: ما تشتكي؟ فقالَ: الشَّبَقَ! فقالَ لهُ: خُذ مِسواكَ أراكٍ، وأدخِلهُ مِن وراكَ؛ فإنه صالحٌ لذاكَ؛ فرفعَ المجنونُ فَخِذَه وضرَطَ، وقال: خُذ هذا بذاكَ، حتَّى نُجرِّبَ دَواكَ؛ فإن كانَ صالِحاً لذاكَ؛ شكَرناكَ وزِدناكَ؛ ولا يكونُ لنا طبيبٌ سِواكَ؛ فضحِكَ المأمونُ، وخَجِلَ الطبيبُ[5].

---

(١) هذه الحكاية ليست في (ب)، وهي في «نثر الدر» (٤/ ٢١٧) مع قاضي حمص، وذكرها باختلاف ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢/ ٥٥) بين جارية وأبي ضمضم، وهو قاضٍ.

(٢) قوله: «باعني» ليست من (ر).

(٣) «غرر الخصائص الواضحة» للوطواط (ص٢٢٥).

وأما الحديث فقد رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٨) من حديث أنس بن مالك، وقال في «مجمع الزوائد» (٨/ ١١٢): فيه كَثيرُ بن مروان، وهو كذاب.

وقد رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٦٧٦) من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) ذكره ابن الجوزي في «أخبار الظراف والمتماجنين» (١٨٩)، وصاحب «نثر الدر» (٣/ ١٨٧).

(٥) ذكره الراغب في «محاضرات الأدباء» (٢/ ٤٣٧).

وحُكيَ أن الرشيدَ انفرَد يوماً عن عسكَرِه ومعهُ الفضلُ بن يحيى، فإذا بشيخٍ من الأعرابِ على حمارٍ وهو أرمَدُ، فقالَ لهُ الفضلُ: هل أدلُّكَ على دواءٍ لعينَيك؟ فقالَ[1]: نعم؛ ما أحوجَني إلى ذلكَ! قالَ: خُذ عِيْدان الهوَاء، وغُبارَ الماءِ، فصيِّرهُ في قشرِ بيضِ الذَّرِّ، واكتحِل بهِ ينفَعْكَ، فانحَنى الشيخُ وضرَطَ ضَرطةً قويةً قالَ: هذِه للأبعَدِ في لحيتِهِ أُجرةَ وصيَّتِهِ، ولو زادَ زدناهُ، فضحِكَ الرشيدُ حتى استَلقَى على قفاه[2].

وكتبَ بعضُهم إلى محبوبَتِه: وإن رأيتِ أن تَزورينا ـ عصَمَنا اللهُ وإياكِ ـ فافعَلي، فكتبَت إليهِ: يا أحمقُ، متى عَصمَنا لا نجتَمِعُ أبداً[3].

وسألَ أعرابيٌّ عبدَ الملك بنَ مروانَ؛ فقالَ له: سلِ اللهَ، فقالَ: قد سألتُه فأحالَني عليكَ؛ فضحِكَ منهُ وأعطاهُ[4].

وذكرَ كثيرٌ من المؤرخينَ أن المنصورَ كانَ يدخُلُ البصرةَ في أيامِ بني أمية مُستَتِراً، فيجلِسُ في حلقةِ أزهرِ السَّمّانِ المحدِّثِ، فلما أفضَتْ الخلافةُ إليهِ قدِمَ عليهِ أزهرُ الكوفةَ، فرحَّبَ به، وقرَّبَ منزِلَه، وقالَ لهُ: ما الذي أقدمَكَ علينا؟ قالَ: جئتُكَ طالباً؛ فأعطاهُ عشرةَ آلافِ درهمٍ، فأخذَها وانصرَفَ، ثم عادَ إليهِ في قابلٍ، فلما رآهُ قالَ له: ما جاءَ بك؟ قال: جئتُ مسلِّماً عليكَ، فأمرَ له بعَشرةِ آلافِ درهَمٍ، فأخذَها وانصرَفَ، ثم عادَ إليه في قابلٍ، فقالَ له: ما الذي أقدمَكَ؟ قالَ: جئتُ عائداً؛ فأمرَ له بعشرةِ آلافِ درهمٍ؛ وقالَ له: لا تأتِنا طالِباً ولا مُسلِّماً ولا عائداً؛ فأخذَها وانصرفَ،

---

(١) في (ر): «قال».

(٢) هذه الحكاية ليست في (ب)، وهي في «أخبار الظراف والمتماجنين» لابن الجوزي (١٣٠).

(٣) «غرر الخصائص الواضحة» (ص٢٢٩).

(٤) «درر الحكم» للثعالبي (ص٢٢)، و«محاضرات الأدباء» للراغب (٢/ ٥٤٧).

ثم عادَ في العامِ القابلِ، فلما رآهُ قالَ له: ما الذي أتى بكَ؟ فقالَ له: دعاءٌ كنتُ سمِعتُه من أميرِ المؤمنين، جئتُ لأكتُبَه، فضحِكَ المنصورُ، وقال: إنه غيرُ مستجابٍ، لأني دعوتُ اللهَ أن لا يُرِيَني وجهَكَ فلم يستجِبْ لي، وقد أمَرنا لك بعشرةِ آلافِ درهمٍ، وتعالَ متى شئتَ، فقد أعيَتنا فيكَ الحيلةُ[1].

وحكَى ابن حمدونَ في «تذكِرَته»: أن المنصورَ حجَّ في بعضِ السنين، فحَدا به سالمٌ الحادي في طريقِهِ يوماً بقولِ الشاعرِ [من الرجز]:

أُبيلِجٌ بحاجِبَيهِ نُورُهُ إذا تَغدّى رُفِعَت سُتورُهُ
يَزينُهُ حَياؤهُ وخَيرُهُ ومِسكُهُ يَشوبُهُ كافُورُهُ

فطرِبَ المنصورُ حتى ضرَبَ برجلِه المَحمَل، ثم قال: يا ربيعُ، أعطِهِ نصفَ درهمٍ، فقالَ سالمٌ: لا يا أميرَ المؤمنينَ! واللهِ لقد حدَوتُ بهشامِ بن عبدِ الملكِ فأمرَ لي بثلاثين ألفَ درهمٍ، فقالَ المنصورُ: ما كانَ له أن يُعطِيَكَ من بيتِ المالِ! يا ربيعُ، وكِّل بهِ مَن يستَخرِجُ منه هذا المالَ، قالَ الربيعُ: فما زِلتُ بينَهما حتى شرَطَ عليهِ أن يحدُوَ به في خروجِهِ وقفُولِه بغيرِ مَؤونةٍ[2].

وكانَ الجاحظُ ذَميمَ[3] الصورةِ، قَبيحَ الوجهِ، ناتئ العينَينِ؛ يُحكَى أنهُ قُرعَ

---

(١) «العقد الفريد» (١/ ٢١٦)، وحكى الطبريُّ الخبر في «تاريخه» (٨/ ٧٧)، وفيه أن أزهر السمان هذا ليس بالمحدّث، والمحدث هو أزهر بن سعد السمان، أبو بكر، الباهلي، مولاهم، البصري، (٢٠٣هـ)، روى له الجماعة، سوى ابن ماجه. يُنظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٢/ ٣٢٣).

(٢) «التذكرة الحمدونية» (٢/ ٣٢٣).

(٣) كذا في النسختين بالذال المعجمة، ولو كانت بالدال المهملة.

عليهِ ذاتَ يومٍ البابُ، فخرَجَ غلامُه، فسئلَ عنهُ، فقالَ: هو في البيتِ يكذِبُ على ربِّهِ، فقيلَ له: وكيفَ ذلكَ؟ قال: نظَرَ في المرآةِ وَجهَهُ، فقالَ: الحمدُ للهِ الذي خلقَني فأحسَنَ صُورتي! وكان الجاحِظُ هذا إذا كتَبَ حلَّى القراطيسَ بأقلامِهِ، وإذا تكلَّمَ لفظَ الدُّرَّ من كَلامِه[1].

وقالَ ابنُ دريدٍ: حدَّثنا أبو حاتمٍ قالَ: حدَّثنا الأصمَعيُّ قالَ: حدَّثني عيسى بنُ عمرَ قالَ: ولي أعرابيٌّ البحرين، فجمَعَ يَهُودَها، فقالَ: ما تقولونَ في عيسَى ابن مريمَ؟ قالوا: نحن قتَلناهُ وصلَبناهُ، فقالَ الأعرابيُّ: لا جرَمَ، واللهِ لا تخرجُونَ من عندي حتى تُؤدُّوا إليَّ دِيَتَهُ، قالَ: فما خرجُوا حتى أخَذَها منهُم[2].

وعن الصُّوليِّ قالَ: بينما الحسَنُ اللُّؤلؤيُّ يحدِّثُ المأمونَ إذ نعسَ المأمونُ[3]، فقالَ له اللؤلؤيُّ: اسمَعْ يا أميرَ المؤمنينَ، ففتَحَ عينَهُ، فقالَ: يا غلامُ، خُذ بيدِه، فليسَ من سُمّارِ الملوكِ، إنما يصلُحُ هذا أن يُفتيَ في مُحرِمٍ صادَ ظبياً، ونحنُ ظلَمناه إذ كلَّفناهُ ما ليسَ لهُ بخُلقٍ، ثم أنشَدَ المأمونَ [من الطويل]:

ظلَمْتَ امرأً كلَّفتهُ غيرَ خُلْقِهِ ... وهَل كانَتِ الأخلاقُ إلا غَرائزا[4]

وقالَ هارونُ الرشيدُ للجَمّازِ: كيفَ مائدةُ محمدِ بن يحيى؟ قالَ: شبرٌ في

---

(١) لم أجده.

(٢) ذكره ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (١/ ٧٦) بنحوه دون الإسناد.

(٣) قوله: «إذ نعس المأمون» ليست من (ر).

(٤) ذكره بهذا التمام سبطُ ابن الجوزي في «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٤/ ٢١٨) من غير طريق الصولي، وأحسب أنه أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي الأديب (ت ٣٣٥هـ)، ولم أجده في شيء من مطبوع كتبه.
والبيت ثالثُ ثلاثة قالها رجلٌ من إياد ليزيد بن المهلب كما في «أدب الدنيا والدين» (ص٢٨٩).

شبرٌ، وصَحفَتُه من قشرِ الخَشْخاشِ، وبينَ الرغيفِ والرغيفِ مَضربُ كرةٍ، وبينَ اللونِ واللونِ فَترةُ نبيٍّ، قالَ: فمن يحضُرها؟ قال: الكِرامُ الكاتِبونَ، فضحِكَ الرشيدُ وقالَ: لَحاكَ اللهُ مِن رجُلٍ[1].

وقيلَ لأشعَبَ: قد لقيتَ رِجالاً من الصحابةِ، فلو حفِظتَ أحاديثَ تتَحدَّثُ بها فقالَ: أنا أعلَمُ الناسِ بالحديثِ! قالوا[2]: فحدِّثنا، قالَ: حدثني عِكرمةُ، عن ابن عبّاسٍ قالَ: «خَلَّتانِ لا تجتَمِعان في مُؤمنٍ إلا دخلَ الجنةَ»، ثم سكَتَ، قيلَ له: هاتِ، ما الخَلَّتانِ؟ قال: نَسيَ عِكرمةُ أحدَهما، ونَسيتُ أنا الأُخرى[3].

وكانَ أبو عَقيلٍ القاصُّ يقول: الرَّعدُ ملَكٌ أصغرُ من نحلةٍ، وأعظَمُ من زنبورٍ، فقيلَ له: لعلكَ تريدُ أصغرُ من زُنبورٍ، وأعظَمُ من نحلةٍ؟ فقالَ: لو كان كَذا لم يكُن عجَبٌ[4].

وحُكِيَ أن بعضَ الأعرابِ قالَ: اللهُمَّ أمِتْني كما ماتَ أبي، قالوا: وكيفَ ماتَ أبوكَ؟ قالَ: أكلَ جَمَلاً، وشَرِبَ زِقّاً، ونامَ في الشمس، فماتَ، فهو قد ماتَ شَبعانَ رَيّانَ دفئانَ[5].

---

(١) «الإمتاع والمؤانسة» (٢/ ٥٨).

(٢) في (ر): «قال».

(٣) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٥٠٤).

(٤) «نثر الدر» (٤/ ٢٠١). وأبو عقيل قاصٌّ كان بالرقة، ذكره المبرد في «الكامل في اللغة والأدب» (٢/ ٧٤٧).

(٥) هذه الحكاية والثلاثة خلفَها ليست في (ب)، وورد في (ر) بتنوين الصفات الثلاث، وحقُّها المنع من الصرف.
وذكر الحكايةَ ابن الجوزي في «أخبار الحمقى والمغفلين» (ص١٢٦) من رواية أبي عمر الزاهد، وذكرها صاحبُ «العقد الفريد» (٤/ ٦٨) باختلاف.

وقيلَ لبعض الأعرابِ: إن شهرَ رمضانَ قد جاءَ، فقالَ: واللهِ لأبدِّدنَّ شملَهُ بالأسفارِ(١).

وحُكيَ أن لِصّاً أرادَ فتحَ بابِ نَحْويٍّ، فأحسَّت بِهِ الجاريةُ، فأخبرَت سيِّدَها، فاطَّلَعَ وناداه: أيها الطارقُ المُولَعُ، ما الذي أولَعَكَ بنا؟ إن أردتَ المالَ فعليكَ بابنِ الجصّاصِ وفلانٍ وفلانٍ، أقوامٍ ذوي مالٍ، وإن أردتَ الجاه فعَليكَ بالقُضاة، وإن أردتَ الكتابةَ فعليكَ بفلانٍ وفلانٍ أقواماً يكتُبونَ، وإن أردتَ النحوَ واللغةَ فعليكَ بي، وإن كنتَ تَبغي القِرى فَلِجِ الدارَ وادخُلِ المَخدَعَ وأصِبْ من الزادِ ما يُمسِكُ حُشاشةَ رَمَقِكَ، فرفَعَ اللِّصُّ رأسَهُ إليه، وقالَ: لو كانَتِ الجنةُ دارَكَ ما دَخلتُها(٢).

وحُكيَ أن أبا عَلقمةَ الواسطيَّ عرَضَ له مرضٌ شديدٌ، فأتاهُ أعيَنُ الطبيبُ، فسألَهُ عن سبَبِ علَّتهِ، فقالَ: أكلتُ من لحومِ هذه الجَوازِل، فطَسِئتُ طَسأةً، فأصابَني وجعٌ بينَ الوابلةِ إلى دأيةِ العنقِ، فما زالَ يَنمي وينتَمي حتى خالطَ الخِلْبَ، وتألَّمت الشَّراسيفَ، فقالَ له أعيَنُ الطبيبُ: خُذ شَرفنقاً وشَبرقاً، فزَهزِقْه ودَهدِقْه، فقالَ أبو عَلقمةَ: أعِدْه لي؛ فإنّي ما فهمتُ، فقالَ الطبيبُ: قبَّحَ اللهُ أقلَّنا إفهاماً لصاحِبه(٣).

---

(١) «التذكرة الحمدونية» (٩/ ٣٧٩).

(٢) ذكر الحكايةَ ابن السبكي في «معيد النعم ومبيد النقم» (ص٩٤).

وابن الجصاص هو أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن الحسين، التاجر الجوهري، المقتول (٢٩٦هـ). يُنظر: «وفيات الأعيان» (٣/ ٧٧).

(٣) «معيد النعم ومبيد النقم» لابن السبكي (ص٩٢ ـ ٩٣)، ثم فسّر الغريب فكان مما قال: الجوازل: فِراخ الحمام، الواحد: جَوْزل، والطَّسأة: الهَيْضة، والوابلة: طرفُ الكتِف، وهو رأس العضُد، ودَأية العنق: فِقارها، ويتنمَّى: يتزايد، والخِلْب بالكسر: حِجاب القلب، ويُقال: مُضغة فوق الكبد، والشراسيف: غضاريفُ متصلةٌ بالأضلاع.

وقالَ نَضلةُ: دخلتُ سِقايةً في الكرخِ، فتوضَّأتُ، فلما خرجتُ تعلَّق السَّقّاء بي، وقالَ: هاتِ قِطعةً ـ يعني: ثمَنَ الماء ـ فضرَطتُ ضَرطةً، وقلتُ: خلِّ الآنَ سبيلي، فقد نقَضْت وضُوئي! فضحِكَ وخَلّاني[١].

اشترَى بعضُهم رُطَباً، فأخرجَ صاحبُ الرُّطَبِ كيلَجةً صغيرةً لِيَكيلَ بها، فقالَ المشتري: والله، لو كِلتَ بها حسناتٍ ما قبلتُها.

وسئلَ أبو عمارةَ قاضي الكوفةِ: أيُّ بَنيكَ أثقَلُ؟ قال: ما فيهم بعدَ الكَبيرِ أثقَلُ من الصغيرِ إلا الأوسطُ[٢].

وسُئلَ بعض من أشغَلَ نفسَهُ بمعرفةِ الألفاظِ دونَ معانيها: هل يقالُ لعارفِ اللغةِ: «لُغَويٌّ» بضمِّ اللامِ أو فتحِها؟ فقالَ: بفَتحِها؛ بقولِه تعالى لموسَى: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ﴾ [القصص: ١٨][٣].

وكان محمدُ بن الحسَنِ الجُرجانيُّ يتقعَّرُ في كلامِه، فدخلَ الحمامَ يوماً، فقالَ للقيِّمِ: أينَ الجُلَيدةُ التي تُسلَخُ بها الطوطةُ من الإحقيق[٤]؟ قالَ: فصفَعَ القيِّمُ قفاهُ بجِلدةِ النُّورةِ، وخرجَ هارباً، فلما خرجَ ابنُ الحسَنِ من الحمامِ وجَّه إلى صاحبِ الشُّرطةِ بالقَبضِ على القيِّمِ، فأخَذَ القيِّمَ وحبسَهُ؛ فلما كانَ عِشاءُ

---

(١) يُنظر: «الإمتاع والمؤانسة» (٢/ ٥٨).

(٢) يُنظران في «الإمتاع والمؤانسة» (٢/ ٥٦).

(٣) هذه الحكاية ليست في (ب)، وذكرها بنحوها أبو حيان في «البصائر والذخائر» (٢/ ٢٣١)، وسمّى صاحبها أبا الفرج البغدادي الصوفي.

(٤) في «أخبار الظراف والمتماجنين» لابن الجوزي (٢٦٦): أين الحديدة التي يُمتَلَخُ بها الطوطوة من الأخفيق؟.

ولم أجد من غريب تقعُّره في الروايتين إلا أن «الطُّوْط» هو القطن، والله أعلم.

ذلكَ اليومِ كتب إليه القيِّمُ رقعةً يقولُ فيها: قد أبرمَتْني المحبوسُونَ بالمسألةِ عن السببِ الذي حُبِست لهُ، فإما خَلِّني[1]، وإما عرِّفتَهم، فوجَّهَ مَن أطلقَهُ؛ ووصَلَ الخبرُ الفتحَ بنَ خاقانَ، فحدّثَ المتوكِّلَ، فقالَ: ينبَغي أن يُغنى هذا القيِّمُ عن الخدمةِ في الحمامِ، وأمرَ له بمئتي دينارٍ.

وقالَ رجلٌ لأبي أُسيدٍ القاضي: إن أمّي تُريدُ أن تُوصيَ، فتحضُرُ وتكتُبُ؟ فقالَ: وهل بلغَت مبلَغَ النساءِ؟.

واجتازَ به بائعُ دُرَّاجٍ، فقال: بكَم تبيعُ الدُّرّاجةَ؟ فقالَ: بدِرهَمٍ، فقالَ: لا، قالَ: كذا بِعتُ، قالَ: نأخذُ منك اثنين بثلاثةٍ، قالَ: هو لكَ، قالَ: يا غُلامُ، خُذ منه؛ فإنّه ليسهِّلُ[2] البيعَ.

ودخلَ حَجّاجُ بنُ هارونَ على نَجاحِ الكاتبِ، فذهَبَ ليُقبِّلَ رأسَهُ، فقال لهُ: لا تفعَل، فإن رأسي مملوءٌ بالدهنِ فقالَ: واللهِ، لو أن عليهِ ألفَ رِطلِ خِراءٍ لقبَّلتُه[3].

وقالَ ابن سيفٍ الكاتبُ: رأيتُ جَحظةَ قد دعا بنّاءً لِيَبنيَ له حائطاً، فحضَرَ وبنى، فلما أمسَى اقتضَى البنّاءُ الأُجرةَ، فطلبَ الرَّجلُ[4] البنّاءُ عشرين درهماً، فقالَ جحظةُ: يا هذا، إنما عمِلتَ نصفَ يومٍ وتطلُبُ عشرين درهماً[5]، قالَ: أنتَ لا تدري أنّي قد بنَيتُ لكَ حائطاً يبقَى مئةَ سنةٍ! فبينَما هما كذلك إذ سقَطَ الحائطُ، فقالَ جَحظةُ: هذا

---

(١) في (ر): «يسهل».

(٢) في النسختين: «خليني»، وصوّبت.

(٣) تُنظر الحكايات الثلاث في «الإمتاع والمؤانسة» (٢/ ٦٥ ـ ٦٦).

(٤) قوله: «الرجل» زيادة من (ر).

(٥) من قوله: «فقال جحظة» إلى هنا ليس من (ر).

عملُكَ الحسَنُ! قال: فأردتَ أن يبقى ألفَ سنةٍ؟! قال: لا، ولكِن كانَ يَبقَى إلى أن تَستَوفي أُجرَتك[1].

وقالَ محمدُ بن البراءِ: قالَ أعرابيٌّ اسمُه حَنظلةُ لابنٍ له ـ يُقالُ له مُرّةُ ـ: إنكَ لخبيثٌ كاسمِكَ، قالَ: أخبَثُ مني مَن سمّاني، قالَ: إنكَ لَمُرٌّ يا مرةُ، قالَ: أعجَبَتني حلاوتُكَ يا حَنظلةُ، قالَ: إنك لمشؤومٌ[2] حينَ ماتَ إخوتُكَ وبَقيتَ، قالَ: ما أكثرَ عمُومَتي يا مُبارَكُ، فقالَ له[3]: لعنَ اللهُ أُمّاً ولدَتكَ، قالَ: نعم، حيثُ نتَجَت منكَ، قالَ: ما أعرَفني بخُبثِها، قالَ: ما كانَت بأشرَّ من أمٍّ زوجِها، فقالَ: قد همَمتُ أن أدعُوَ اللهَ عليكَ، قالَ: تدعو عالِماً بكَ، قالَ: ما يعلَمُ مني إلا خيراً، قالَ: مادِحُ نفسِهِ يقرَأُ عليكَ السلامَ، فقالَ: والله، لقد همَمتُ أن أُوجِعكَ ضرباً، قالَ: فتُراكَ أشدَّ بطشاً مني؟! قال: وتُراكَ فاعِلاً؟! قالَ: وأنتَ[4] من ذلكَ في شكٍّ؟[5].

وقفَ أعرابيٌّ على قومٍ يسألهُم، فقالَ لأحدِهم: ما اسمُكَ؟ قالَ: مَنيعٌ، وقالَ

---

(١) يُنظر: «الإمتاع والمؤانسة» (١/ ٢٨).

وجحظةُ هو أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي، أبو الحسن، أديب شاعر، كاتب راوية، مغنٍّ، نادم ابن المعتز العباسي، (ت٣٢٤هـ)، ولم أعرف ابن سيف الكاتب.

(٢) في (ر): «المشؤوم».

(٣) قوله: «له» ليس في (ب).

(٤) في (ب): «أنت».

(٥) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧) بإسناده إلى الأصمعي قال: كان رجل من بني تميم يقال له حنظلة... مطوّلاً.

قلتُ: العياذ بالله من العقوق.

للآخرِ: ما اسمُكَ؟ قالَ: مُحرِزٌ، وقالَ للآخرِ: ما اسمُكَ؟ قالَ: حافظٌ، فقالَ: قبَّحكُم اللهُ! ما أظُنُّ الأقفالَ إلا من أسمائكُم[1].

وقالَ الأصمعيُّ: قلتُ لأعرابيٍّ: هل تعرِفون العشقَ بالباديةِ؟ قالَ: نعم، أيكُون أحدٌ لا يعرِفه؟، قلتُ: فما هو عندَكم؟ قالَ: القُبلةُ والضمّةُ والشمّةُ، قلتُ: ليسَ هو هكذا عندنا، قال: وكيفَ هو؟ قلتُ: أن يتفخَّذَ الرجلُ المرأةَ فيُباضِعُها فقالَ: قد خرَجَ إلى طلبِ الولدِ[2].

وقالَ مربِدٌ: كان الرجلُ فيما مضَى إذا عشِقَ الجاريةَ راسَلَها سَنةً[3]، ثم يرضَى أن يمضَغَ العِلكَ الذي تمضَغُه، ثم إذا تَلاقَيا تَحادَثا وتَناشَدا الأشعارَ؛ فَصارَ الرجلُ اليومَ إذا عشِقَ الجاريةَ لم يكُن له همٌّ إلا أن يَرفَعَ برِجلَيها، كأنهُ أشهَدَ على نِكاحِها أبا هُريرةَ وابنَ سِيرين.

وقيلَ: دخَلَ أعرابيٌّ يصلي في المسجدِ ـ وكان اسمُه موسى ـ فقرأَ الإمامُ:

---

(١) في (ر): «أسمائهم»، وقبلها في النسختين: «الأفعال»، والصواب ما أثبتُّ، والحكاية في «الإمتاع والمؤانسة» (٢/ ٥٧).

(٢) «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي (٢/ ٥٥).
وسؤال الأصمعيّ فيما أسنده أبو عليٍّ القاليُّ في «الأمالي» (ص٥١٨) ليس عن العشق، بل عن الزنى، والعياذ بالله..

(٣) في (ر): «جنة»، وفي (ب): «حنة»، والصواب ما أثبتُّ، والحكاية في «الإمتاع والمؤانسة» (٢/ ٥٦) بذكر إشهاد أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وحده، وذكَرَ أبو حيانَ بعده قولاً لابن سيرين، فكأنّ في مصدر المؤلِّف خللاً، أو أنه التبس عليه، والله أعلم.
والخبر بنحوه في «محاضرات الأدباء» للراغب (٣/ ٢٢٩) عن أبي زيد، وفي «ربيع الأبرار» للزمخشري (٣/ ٤٣٥).

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠]، فتركَ الصلاةَ وفرَّ هارباً[1].

وقالَ الأصمَعيُّ: مررتُ بأعرابيٍّ يُصلّي بالناسِ، فصلَّيتُ خلفَهُ، فإذا هو يقرأُ: «والشمسِ وضُحاها، والقمرِ إذا تلاها، كلمةٌ بلغَت منتهاها، لن يدخُلَ النارَ ولن يراها، رجلٌ نهى النفسَ عن هواها»، فقلتُ لهُ: ليسَ هذا من القرآنِ، قالَ: فعلِّمني، فعلَّمتُهُ «سورةَ الحمد»، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم رأيتُه بعدَ ذلكَ، فإذا هوَ يقرأ «الحمدَ» وحدَها، فقلتُ لهُ: أين الأُخرى؟ قالَ: وهَبتُها، والكريمُ لا يَرجِعُ في هِبتِهِ[2].

وقيلَ: صلَّى أعرابيٌّ معَ قومٍ فقرأ الإمامُ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ﴾ [الملك: ٢٨]، فقالَ الأعرابيُّ: أهلكَ اللهُ الأبعدَ وحدَهُ، إيش كانَ [ذَنْب] الذين[3] معَكَ؟ فقطَعَ القومُ صَلاتَهم من شِدّةِ الضحِكِ.

وحضَرَ أعرابيٌّ عند الحجّاجِ، فقُدِّمَ الطعامُ، فأكلَ الناسُ، ثم قدِّمتِ الحلوةُ، فترَكَ الحجّاجُ الأعرابيَّ حتى أكَلَ لُقمةً منها، ثم قالَ: مَن أكلَ منها شيئاً ضرَبتُ عُنقَهُ، فامتنَعَ الناسُ كلُّهم، وبقيَ الأعرابيُّ ينظُرُ إلى الحجّاجِ مرة، وإلى الحلوى مرةً، ثم قالَ: أيها الأميرُ، أُوصيكَ بأولادي خيراً، ثم اندفَعَ يأكُلُ، فضحِكَ الحجاجُ حتى استلقَى على قفاهُ، وأمرَ له بصِلةٍ[4].

---

(١) لم أجد هذه الحكاية، وهي والثلاثة خلفها ليست في (ب).

(٢) ذكرها ابن الجوزي في «أخبار الحمقى والمغفلين» (ص١٢١) عن الأصمعي.

(٣) في النسختين: «الذي»، والتصويب والاستدراك من «المستطرف في كل فن مستطرف» (ص٤٧٢)، والحكاية بنحوها في «نثر الدر» (٦/ ٣٠٧).

(٤) «التذكرة الحمدونية» (٩/ ٣٨٢).

وقالَ أبو الحسَنِ الصوفيُّ: سمعتُ يعقوبَ بن جعفَرٍ يقولُ: مما يُعرَفُ ويُؤثَرُ من ذكاءِ الخليفةِ أبي جعفَرٍ المنصورِ أنه دخَلَ المدينةَ، فقالَ للربيعِ: اطلُب لي رجُلاً يُعرِّفُني دُورَ الناس؛ فإنّي أُحبُّ أن أعرفَ ذاكَ، وركِبَ، فجاءَهُ برجُلٍ يُعرِّفُه الدُّورَ، إلا أنه لا يَبتَدِئه حتى يسألَهُ المنصورُ، فلما فارَقَه أمرَ لهُ بألفِ درهمٍ، فطالبَ الرجلُ بِهِ الربيعَ، فقالَ: ما قالَ لي، وأنا أهَبُ لكَ ألفاً من عندي، وسيَركَبُ في غدٍ، فذكِّرهُ، فرَكِبَ معهُ، وجعَلَ يُعرِّفهُ الدُّورَ على الرسمِ، ولا يَرى مَوضعاً للكلامِ، فلما أرادَ المنصورُ أن يُفارِقَه قالَ له الرجلُ مبتدئاً: وهذه ـ يا أميرَ المؤمنينَ ـ دارُ عاتِكةَ التي يقولُ فيها الأحوَصُ [من الكامل]:

يــا بَيــتَ عاتكــةَ الــذي أتَغــزَّلُ ... حــذَرَ العِــدىٰ وبــهِ الفُــؤادُ مُــوكَّلُ

فأنكرَ المنصورُ ابتِداءَه بهذا، فأمرَّ القَصيدةَ على قلبِه فإذا فيها:

وأراكَ تَفعَــلُ مــا تَقــولُ وبَعضُهــم ... مَــذِقُ اللســانِ يَقــولُ مــا لا يَفعَــلُ

فعلِمَ أنـه أرادَ الاقتضـاءَ، فضحِـكَ وقـالَ: يا ربيـعُ، أعطِـهِ ألفَ درهَـمٍ وعَدتُهُ بـهِ، وألفـاً آخرَ[1].

وقالَ الصوليُّ: إن عمْرَو بنَ سعيدِ بنِ سالمٍ قالَ: كانَت عليَّ ليلةٌ أنوبها من ليالٍ في حرَسِ المأمونِ، فكنتُ في نوبتي ليلةً، فخرَجَ المأمونُ مُتخفِّياً، فعرفتُه

---

(١) «زهر الآداب وثمر الألباب» للحصري (١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦).

والخبر في «ربيع الأبرار» (٣/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) بين المنصور والهُذَلي بسبَب مختلف.

والبيتـان فـي «شـعر الأحـوص الأنصـاري» (ص٢٠٧) و (ص٢١٤)، وللقصيـدة حكايـةٌ بيـن الأحـوَص وعمـرَ بن عبـد العزيز وأخيه أبـي بكرٍ أيـامَ كان عمرُ أميـراً على المدينة حكاهـا أبو الفرج فـي «الأغانـي» (٢١/ ٧٣ ـ ٧٦).

ولم يعرِفني، فقال: من أنتَ؟ قلتُ: عمرُو[1] عمَّركَ اللهُ، ابنُ سعيدٍ أسعدَكَ اللهُ، ابنُ سالمٍ سلَّمكَ اللهُ، فقالَ: أنتَ تكلَؤنا هذه الليلة؟ قلتُ: اللهُ يكلَؤكَ قبلي، [وهو] خيرٌ حِفظاً[2] وهو أرحَمُ الراحمينَ، فقالَ المأمونُ [من الرجز]:

إنَّ أخا هَيْجاكَ مَن يَمشي مَعَكْ ... ومَن يَضُرُّ نفسَهُ لينفَعَكْ

ومَن إذا صَرفُ زَمانٍ صَدعَكْ[3] ... بدَّدَ شمْلَ نفسِهِ ليَجمَعَكْ

ادفعُوا إليهِ أربعةَ آلافِ دينارٍ، قالَ: فودِدتُ أن الأبياتَ طالَتْ؛ لأنه أعطاني آلافاً بعدَدِها.

نظرَ بعضُ الظُّرِّفِ[4] إلى امرأةٍ ظريفةٍ وكرَّرَ نظرَهُ، فاعترَضتهُ على ذلكَ، فقالَ: ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٤]، فقالَت: ﴿وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٥]، فقالَ: لعنَكِ اللهُ، فقالَت: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

انحدَرَ بعضُ أصحابِ الحديثِ في سَفينةٍ، ومعَهُ فيها نَصرانيٌّ، فتَغدَّيا جميعاً، ثم أخرَجَ النَّصرانيُّ زُكرةً[5] فيها شرابٌ فشرِبَ، وعرَضَ على المُحدِّثِ،

---

(١) في النسختين: «عمر»، وتصويب اسمِه من «الجليس الصالح الكافي» للنهرواني (ص٨٧) وأسند الخبر إلى عمرو بن سعيد بن سلم الباهلي. وهو في «زهر الآداب» للحصري (٢/ ٥٦٤).
والخبر في «الصداقة والصديق» للتوحيدي (ص٥٠) عن أحمد بن أبي فنن: حدثنا عمرو بن سعيد بن سلام.

(٢) في (ر): «حفظها». وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ وحفصٌ في سورة يوسف [الآية ٦٤]: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا﴾ وقرأ الباقون «حِفظاً». يُنظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٩٥ـ٢٩٦).

(٣) في (ر): «صدحك».

(٤) في (ر): «الظرف»، وصوّبت، وهذه الحكاية ليست في (ب)، ولم أجدها.

(٥) «الزُّكْرة»: وعاءٌ من أَدَم. وقيل: الزِّقُّ الصغير.

فتَناوَلها من غيرِ امتِناعٍ، فقالَ النَّصرانيُّ: جُعِلتُ فداكَ، إنما عرَضتُ عليكَ كما يعرِضُ الناسُ، وإنما هي خمرٌ، فقالَ: ومن أينَ علِمتَ أنها خمرٌ؟ قالَ: غُلامي اشتراها من إنسانٍ يهوديٍّ، وذكَرَ أنها خمرٌ، فشرِبَه بالعجلةِ، وقالَ: لو لم يكُن إلا لضعفِ الإسنادِ لَشَرِبتُها، ثم قالَ للنَّصرانيِّ: يا أحمَقُ، نحنُ - أصحابَ الحديثِ - نُضعِّفُ حديثَ سُفيانَ بنِ عُيينةَ، ويزيدَ بنِ هارونَ، نُصدِّقُ نَصرانياً عن غُلامِه عن يَهوديٍّ؟! هذا مُحالٌ.

وسُئِلَ بعضُهم عن أربعين رأساً من الغنمِ، نصفُها ضأنٌ، ونصفُها ماعزٌ: ما الذي يجِبُ فيها؟ فقالَ: يجبُ فيها شاةٌ، نصفُها ضأنٌ، ونصفُها ماعزٌ[1].

ونظرَ بعضُهم إلى الهلالِ فقالَ: ربّي وربُّكَ اللهُ! سبحانَ من خلقَكَ من عودٍ يابسٍ! ذهَبَ إلى قولِه تعالى: ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩][2].

ماتَت أمُّ ابن عيّاشٍ، فأتاهُ سِيفَوَيهِ مُعزِّياً فقالَ: يا أبا محمَّد، عَظَّمَ اللهُ مُصيبتَكَ، فتبسَّمَ ابنُ عيّاشٍ، وقالَ: قد فعلَ! فقالَ: يا أبا محمَّد، هل كانَ لأمِّكَ ولدٌ؟ فقامَ ابنُ عيّاشٍ عن مجلسِهِ وضحِكَ حتى استلقَى على قفاهُ[3].

وقالَ أبو هفّان: رأيتُ بعضَ الحمقى يقولُ لآخرَ: قد علِمتُ النَّحوَ كلَّهُ إلا ثلاثَ مسائلَ، قالَ: وما هيَ؟ قالَ: أبو «فلانٍ»، و«أبا فلانٍ»، و«أبي فلان»، قال: هذا سهلٌ؛ أما «أبو فلانٍ» فلِلمُلوكِ والأمراءِ والقُضاةِ، وأما «أبا فلانٍ» فلِلنساءِ والتُّجّارِ والكُتّابِ، وأما «أبي فلانٍ» فلِلسِّفلِ والأرذالِ[4].

---

(١) الحكايتان في «نثر الدر» (٤/ ٢٠٦).

(٢) «نثر الدر» (٤/ ٢٠٨).

(٣) «نثر الدر» (٤/ ٢١١)، وسيفويه القاص من مشاهير المغفلين.

(٤) «البصائر والذخائر» للتوحيدي (٤/ ٧٤).

سألَ رجلٌ أعرابياً ـ وأرادَ سُؤالَه عن أهلِه ـ: كيفَ أهلِك؟ قالَها بكسِر اللامِ، فقالَ الأعرابيُّ: صَلْباً. لأنهُ أجابَهُ على فهمِه، ولم يعلَم أن مُرادَه المسألةُ عن أهلِه[1].

ركِبَ بعضُهم ـ ويُقالُ: هو جُحا ـ بَغلتَهُ يوماً، فأخَذَت به في غير الطريقِ الذي أرادَه، فلَقِيَه صديقٌ له فقالَ: أين تُريدُ؟ فقالَ: في حاجةٍ للبَغلة[2].

وصلَّى إماماً بقَومٍ وفي كُمِّهِ جَروُ كلبٍ، فلما ركعَ سقَطَ من كمِّهِ الجَروُ وصاحَ وتنَحنَحَ الناسُ، فالتفَت إليهم وقالَ: إنه سَلُوقيٌّ عافاكمُ الله!.

وحملَ جرّةً خضراءَ إلى السوقِ لِيَبيعَها، فقيلَ لهُ: إنها مثقوبةٌ، فقالَ: إنها لا تَسيلُ؛ فإنه كانَ فيها قُطنٌ لوالِدتي، فَما سالَ منه شيءٌ[3].

وفي هذا القَدْرِ كِفايةٌ للمُنقَبِض[4]، والله أعلَمُ.

***

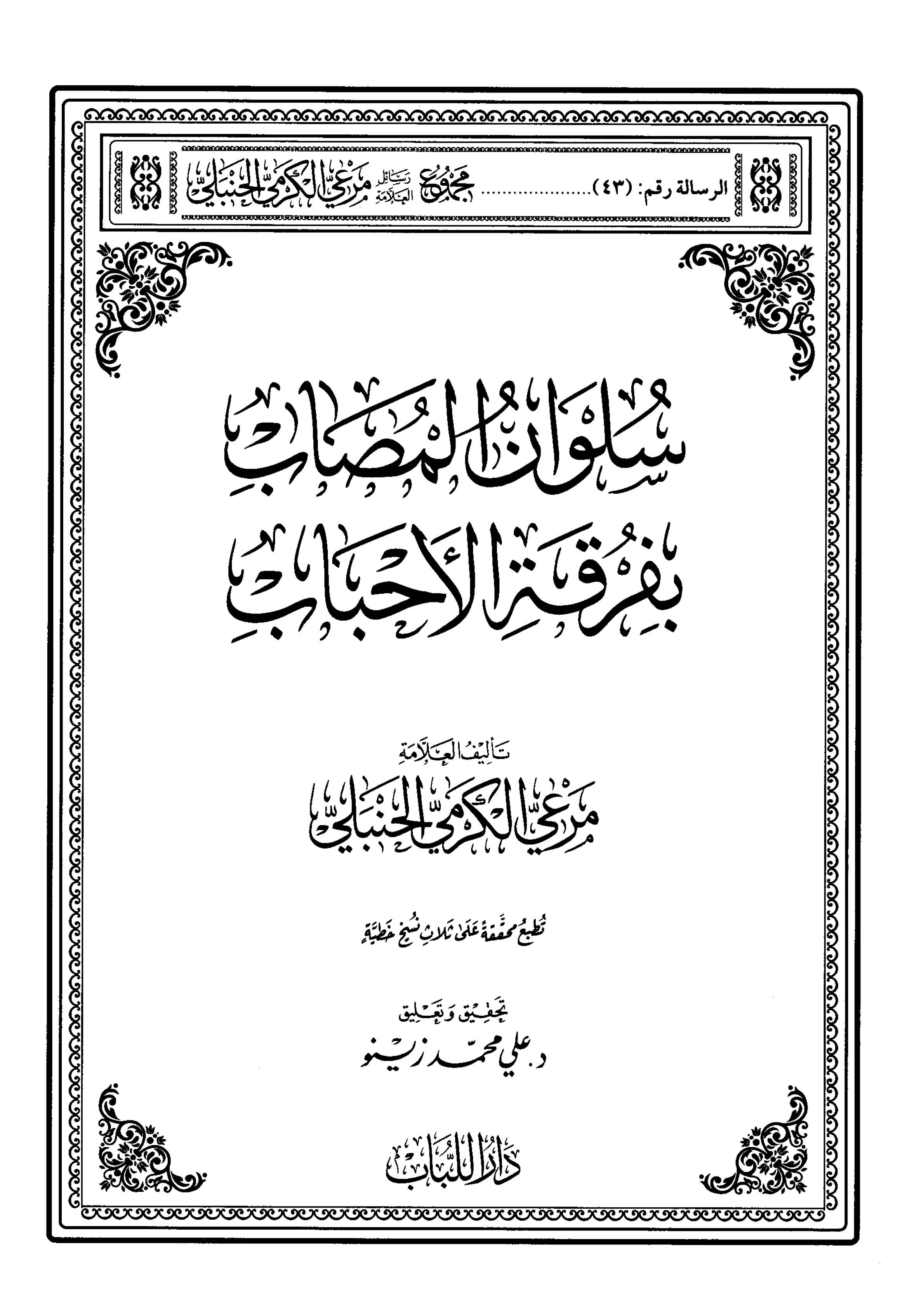
---

(١) «البيان والتبيين» (١/ ١٦٣).

(٢) «نثر الدر» (٥/ ٢٠٧).

(٣) الحكايتان في «نثر الدر» (٥/ ٢٠٨).

(٤) في (ر): «للمتفضين».



سلوان المصاب بفرقة الأحباب

تأليف العلامة

مرعي الكرمي الحنبلي

تطبع محققة على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

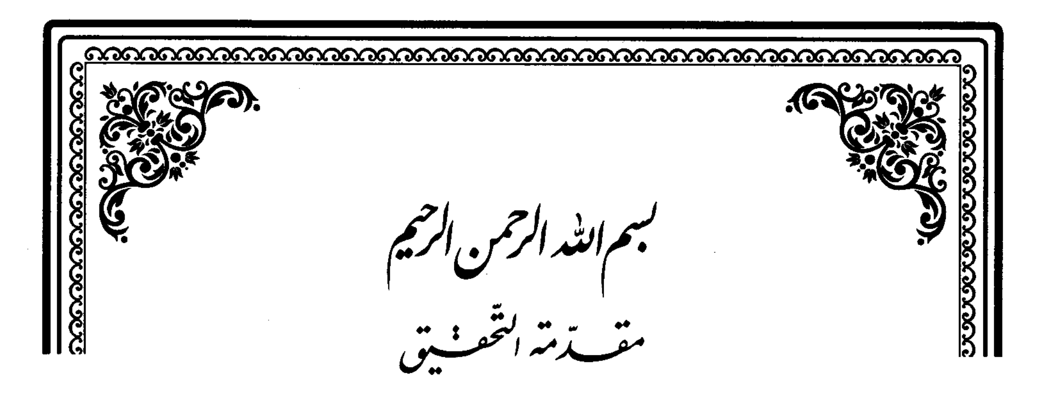
د. علي محمد زينو

دار اللباب

مكتبة باريس الوطنية (ب)

مكتبة برنستون (س)

مكتبة راغب باشا (ر)



الحمدُ لله الذي له في كلّ شيءٍ تقدير، وفي كلّ أمرٍ تدبير، والصلاةُ والسلام على من هو لكلِّ سبيلٍ تنوير، وله في كل شرعةٍ تيسير، وعلى آلِه وصحبِه ومَن لهم في اتّباعه تشمير، وبعد:

فإنّ الله تبارك وتعالى خلق الإنسانَ واصطفاه، وبإنزاله إلى هذه الدار ابتلاه، وأجرى أقدارَه عليه؛ ليرى ما يفعَل، وينظر كيف يعمَل، فإن هو قابل السَّرّاءَ بشُكره، وواجه الضَّرّاءَ بصَبره، نالَ من الله الثوابَ وظفر بالرضوان، وإلا فقد استحقَّ العقابَ وجدُر بالنيران، إلا أن يتداركه اللهُ سبحانه بنِعمة، ويتغمّده برحمة.

هذا وإن المقادير تجري في أعنّتِها، وتسير وفق سنّتِها، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً؛ فهي تُصيب العبادَ بما هو واحدٌ في الظاهِر، ونفسُه في المتبادِر، ولكنّها ـ على الحقيقة ـ صنوفٌ وألوان، وضروبٌ وأنواع؛ فقد يكون الخيرُ النازل محضَ فضلٍ ربانيّ، وقد يكون عاجلَ مثوبةٍ للسالك الرحمانيّ، وقد يكون استدراجاً للكَفور؛ وليتَمادى مَن حقّ عليه الثُّبور، وقد يكون الشرُّ النازل عقوبةً لأهل البغي والفساد، أو امتحاناً يكشف ما يُسِرّه المرءُ في الفؤاد، أو تكفيراً لِما اقترفه بعضُ المُسيئين، أو زيادةَ ثوابٍ للمُحسِنين، ورفعةَ درجات للمُقرَّبين.

فمـا علـى العبـد المؤمن قلبُـه، والمُسـلِمِ المسـلِّمِ لله لبُّـه؛ إلا أن يشـكرَ النِّعَمَ بمُشـاهدة الـمِنّة، ويُبعِـد النِّقَـمَ بالصبـر عنـد المِحنـة، لتتحـوّل بسـبب ذلـك إلى منحـة، وتمـلأ فـؤادَه بالفرحة، وأن يعلـمَ أنّ مَن رضـي بالمقدور فلَـه الرِّضى، وأن مَـن سـخط فلَـه السـخَط، ويأنفَ مـن الوقوع في شـيءٍ من الشـطَط، وينأى بنفسِـه عـن سـبيل الغلَط.

ولا زال أهلُ العلم في كلّ عصرٍ ومصر، ينهَون عن منكَر الجزَع ويأمُرون بمعروف الصبر، ويُذكِّرون المسلمين بما تضمّنه قرآنُهم العظيم، وأتى به نبيُّهم الكريم، من هذه المعاني الجليلة، والقِيَم الرفيعة النبيلة، التي هم إلى التذكير المستمرِّ بها في حاجاتٍ دائمة، وافتقارات قائمة؛ ما دام العبدُ حيّاً في هذه الدار، التي لا سكَن فيها ولا قَرار.

وممّـن رَمـى في سـهامِ التذكيـر بسَـهمِه الرابح، وألقى فـي دِلاء التنويـر بدَلوِه الناضـح، الإمـامُ العلامـة مرعيُّ بنُ يوسـفَ الكرميُّ المقدسـيُّ الحنبلـيُّ رحمه الله تعالـى؛ حيـث وضع هذا الكتـابَ اللطيف، وصنّـف هذا المصنَّف الشـريف، الذي جمع فيه مادةً شـرعيةً حسـنةَ الترتيـب، تمتازُ بغَـزارة الأدلَة ورَوعـة التبويب، وافيةَ النقـول كثيـرةَ الروايـات، مطرَّزةً ببدائـع القصص والحكايـات، يتحقّق بها سُـلوانُ قلـب المؤمـن المُصـاب، عنـدَ وقـوع فُرقـةِ الأحبـابِ؛ بمـا يُذكّـر بـه مـن الآيـات والأحاديـث والأقـوال التـي أتـى منهـا بجُملـة، والمعانـي القيّمـة التـي لا تحسُـن عنهـا الغَفلة.

فبعد مقدّمة يسيرة نظَمَ المصنِّفُ كتابه المانع النافع هذا في ستة أبواب: فيما جاءَ أن الطاعونَ سببُهُ ظهورُ الفواحشِ والمعاصي، وما جاءَ أن الطاعونَ من وخزِ

الجنِّ، وأنه شهادةٌ لكلِّ مسلمٍ، وأنّ النبيَّ ﷺ دعا به لأُمّتِه، وفي الصبرِ وما جاءَ في فضلِ الصابرِ والحامدِ الشاكرِ، وفيما يحصُلُ به التسلّي والاصطِبار لمن ابتُليَ بفراقِ الأحبَّةِ الأخيار، تلَت ذلك خاتمةٌ لطيفة تطرّقت إلى بعضِ أحوال صالحي الموتى في البرزَخ، وشيءٍ مما وردَ أن الموتَى يتزاورُونَ في قُبورِهم.

وقد اعتمدتُ في تحقيقِهِ على ثلاث نُسخ خطية هي: **الأولى**: نسخة مكتبة باريس الوطنية، نُسخت في حياة المؤلف سنة (١٠٢٨هـ) بيد علاء الدين الشامي، ورمزت لها بـ(ب)، **والثانية**: نسخة مكتبة راغب باشا، نُسخت سنة (١٠٤٤هـ) بيد محمد يعقوب المقدسي الحنبلي، ابن المرحوم الشيخ محمد، ابن المرحوم الشيخ يحيى، ابن المرحوم الشيخ يوسف، والد المؤلف لهذا الكتاب، ورمزت لها بـ(ر)، **والنسخة الثالثة**: نسخة مكتبة برنستون ورمزت لها بـ(س).

***

بعد ذلك كلِّه.... هذا الذي بين يديكَ ـ أيها القارئ الكريمُ ـ أثرٌ نفيسٌ من آثار العلامة مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي رحمه الله؛ هو كتابه العظيم «سلوان المصاب بفرقة الأحباب».

أضعُهُ تحتَ نظرِ الراغب، وبين يدَي الطالب، ومن أجلِ تقديمِهِ مخدوماً الخدمةَ اللائقة، شمّرتُ عن ساعد الجدّ، وبذلتُ وافرَ الجهد، فأسهرتُ لذلك الليالي، وأضنيتُ فكري وبالي؛ فإن أصبتُ وأحسنتُ؛ فالفضل لله ـ سبحانه ـ مُبتَدَأً ومُختَتَماً، ومنه التوفيق، وبيده التمام والتحقيق، وإن كان غير ذلك؛ فمن قصوري ونقصي، ومما جنتْهُ يداي، وأسأل اللهَ على ذلك أن يجودَ بالغفر، ويحبوَني بالصفح، وأرجو ممن يطّلِعُ على زلّةٍ أو خَطأة أن يتفضَّل بالعذر، ويتكرّم بالنُّصح.

وأما عملي في كتابي هذا، فيصحُّ فيه وفي غيره ما كتبه القاضي عبدُ الرحيم البَيْسانيّ، إلى العماد الأصبَهاني، معتذراً عن كلامٍ استدركه عليه:

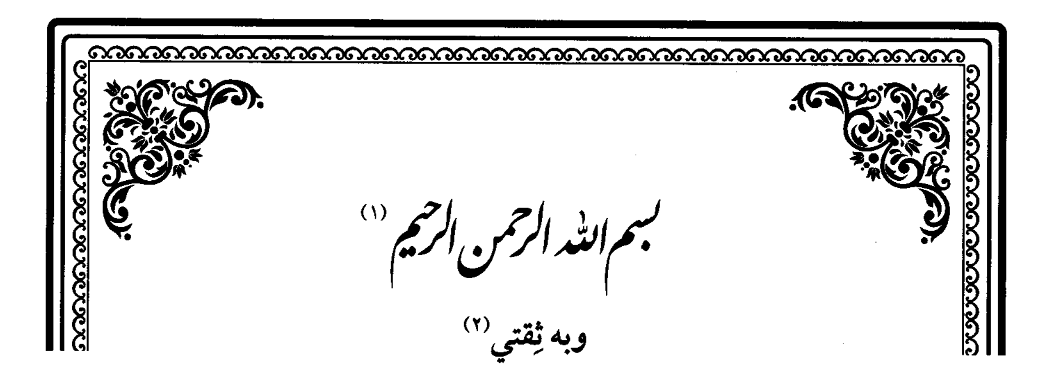
«إني رأيتُ أنّه لا يكتُب إنسانٌ كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّرَ هذا لَكان أحسَن، ولو زِيْدَ هذا لَكان يُستحسَن، ولو قُدِّمَ هذا لَكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لَكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، ودليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر»[1].

والله أعلم، وصلى الله على سيدنا وشفيعنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم.

المحقق

* * *

(١) يُنظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ١٨)، و«أبجد العلوم» لصدّيق حسن خان القنوجي (١/ ٧١).



قالَ العبدُ الفقيرُ إلى اللهِ تعالى مرعيُّ بنُ يوسُفَ الحنبليُّ المقدِسيُّ:

الحمدُ للهِ مجيبِ دعوة المضطرين، وجابرِ قلوبِ المنكَسِرين، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ خاتمِ النبيين، وأشرَفِ المرسلينَ، المنزَّلِ عليهِ في الكتابِ المبينِ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وعلى آله وصحبِهِ أجمعينَ، أمَّا بعدُ:

---

(١) جاء في (س): «ووجَدتُ بالأصل بخَطِّ مؤلِّفه ـ رَحِمَهُ اللهُ تعالى ـ ما صُورتُه:
برسم العبدِ الفقير إلى الله سبحانه وتعالى، النَّبيلُ الهُمام، وسليلُ القوم الكِرام، مَن غصنُ دَوحِ منظَرِه نَضير، ودرُّ عِقدِه الثَّمين ليس له نَظير، المتوشِّح بوِشاح الفضل والحلم، والمنتظم في عقد أهل الكمال والفهم والعلم، المشارُ إليه في محافل الأماثل بالأنامل، إذا قيل: من هو منهُم المُفرَد الكامل؟ مولانا (ض)... (ض) أعزَّ اللهُ تعالى بوُجوده فُقَراءَ الأنام، وأسبَلَ سِجالَ جُودِهِ التّامّ، على الخاصّ والعامّ، ولا برِحَ ملحوظاً بعَينِ عناية الله، محفوفاً بلُطف الله، إنَ شاء الله، آمين».
وقد كُتب الدُّعاء الأخير في (ر) بخطّ مائل: «ورأيتُ أيضاً بخطّ مؤلّفه يقول: أعز الله تعالى بوجوده فقراء الأنام، وأسبل سجال جوده العام على الخاص والعام، ولا برح ملحوظاً بعناية الله محفوفاً بلطف الله، آمين».
وأسفلَ منه: «شعر [من البسيط]:

يـا ناظِراً فـيــــهِ سَــلْ بـالله مَـرحَـمـةً	على المؤلِّفِ واستَغفِرْ لصاحِبِهِ
واطلُـبْ لنفْسِـكَ مِـن خيـرٍ تَزيـدُ بِهِ	وَبَعْـدَ ذلِـكَ غُفرانـاً لكاتِبِـهِ»

(٢) قوله: «وبه ثقتي» زيادة من (ر).

فهـذه فوائـدُ لطيفـةٌ، وفرائـدُ شـريفةٌ، فـي سـببِ الطاعـونِ وحقيقَتـه، وبيـانِ فضيلَتـه، وأنَّ النبـيَّ ﷺ دعـا بهِ علـى أُمتِهِ[1]، وبيـانِ أجرِ الصابر، والحامدِ الشـاكر، ومـا يحصُـلُ بـهِ التَّسـلّي والاصطِبـار، لمـن ابتُلِـيَ بفـراقِ[2] الأحِبّة الأخيـار، على سـبيلِ التلخيـصِ والاختصـار، بما يُوجِـبُ للناظر فيـه[3] مزيدَ الفرحِ والاستبشـار، وسمَّيتُه:

«سُلوان المصابِ بفُرقة الأحبابِ»

فأقـولُ ـ وبـاللهِ التوفيـق، ومنـهُ أرجـو الهِدايةَ إلـى أقـوَمِ طَريق؛ إنه خيـرُ مُعينٍ ورَفيق ـ:

***

(١) سيأتي توجيه هذا الدُّعاء.

(٢) في (س): «بفرقة».

(٣) قوله: «فيه» زيادة من (س).

بابُ

ما جاءَ أن الطاعونَ سببُهُ ظهورُ الفواحشِ والمعاصي

قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقد دلَّ العقلُ والنَّقلُ على[1] أن التقرُّبَ إلى اللهِ تعالى بالطاعةِ والإحسانِ إلى خَلقِه مِن أعظَمِ الأسبابِ الجالبةِ لكلِّ خير، وأضدادها من أكبرِ الأسباب الجالبة لكلِّ[2] شرٍّ.

روى ابنُ ماجَهْ والبيهقيُّ عن ابنِ عمرَ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُما ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لم تظهَرِ الفاحشةُ في قومٍ حتى يُعلِنوا بها إلا فَشا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكُن مضَتْ في أسلافِهم»[3].

وروَى الحاكمُ وصحَّحهُ عن ابنِ مسعودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ قال: إذا بُخِسَ المكيالُ[4] حُبِسَ القطرُ، وإذا كثُرَ الزنا كثُرَ القتلُ ووقعَ الطاعونُ، وإذا كثُرَ الكذِبُ كثُرَ الهرْجُ[5].

وروَى أبو يعلَى والحاكِمُ ـ وصحَّحهُ ـ والبيهقيُّ عن بُرَيدةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ

---

(١) قوله «على»: ليس في (ب).

(٢) سقط في (ب) من قوله «خير» إلى هنا.

(٣) «سنن ابن ماجه» (٤٠١٩)، و«شعب الإيمان» (٣٠٤٢) مطوَّلًا، وطرفُ الحديث: «يا معشر المهاجرين، خمسٌ إذا ابتليتُم بهنّ...».

(٤) في (س): «الميكال».

(٥) «المستدرك على الصحيحين» (٨٥٣٦) موقوفاً، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ولفظُه: «إذا بُخس الميزان حُبس...».

قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ما ظهرَتِ الفاحشةُ في قومٍ إلا سلَّطَ اللهُ عليهم الموتَ»[١].

وروى الإمامُ مالكٌ في «الموطأ» عن ابنِ عباسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُما ـ موقوفاً، والطبرانيُّ عنهُ عن النبيِّ ﷺ: «ما فشا الزِّنا في قومٍ قطُّ إلا كثُرَ فيهم الموتُ»[٢].

وروى الطبرانيُّ عن عمرِو بنِ العاصِ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ: أنهُ سمِعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «ما من قومٍ يظهَرُ فيهم الزِّنا إلا أُخِذوا بالفناءِ»[٣].

وروى غيرُ واحدٍ من المفسِّرينَ خبرَ بَلْعامٍ المشهور، وأنه لما أرادَ أنَّ اللهَ يوقِعُ الفناءَ في بني إسرائيلَ أمرَ قومَه بإخراجِ نسائهم إلى بني إسرائيلَ؛ ليزنوا بهنَّ، فلما زنَوا أرسَلَ اللهُ الطاعونَ على بني إسرائيلَ، فماتَ منهم سبعونَ ألفاً[٤].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٢٥٧٧)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، و«السنن الكبرى» للبيهقي (١٨٨٥٠)، و«شعب الإيمان» له (٣٠٤٠)، وطرفه: «ما نقض قوم العهد...».
وليس الحديث في «مسند أبي يعلى»، فلعله في «مسنده الكبير»، والله أعلم.

(٢) «الموطأ» للإمام مالك (٢/ ٤٦٠) برقم (٢٦) موقوفاً.
وأخرج المرفوع الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٩٩٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٦٥): فيه إسحاق بن عبد الله بن كيسان المروزي، لينه الحاكم، وبقية رجاله موثقون، وفيهم كلام.

(٣) عزاه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ١٩٣) للطبراني، ثم قال: وسنده ضعيف.
ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٨٢٢) بلفظ: «ما من قوم يظهر فيهم الربا، إلا أخذوا بالسنة، وما من قوم يظهر فيهم الرشا، إلا أخذوا بالرعب»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١١٨): وفيه من لم أعرفه.
قلتُ: في إسناده عبد الله بن لهيعة سيئ الحفظ، وتابعيُّه محمد بن راشد المرادي مجهول، ورجّح الحافظ ابن حجر في «تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة» (٩٣٦) سقوط رجل بين المرادي وعمرٍو رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبري في «جامع البيان» (١٠/ ٥٧٦ ـ ٥٧٨).

ومـا أحسَـنَ قـولَ الزمخشـريِّ فـي «بلاغتـه»[1]: إذا كثُـرَ الطاعونَ أرسَـلَ اللهُ الطاعُونَ.

فثبتَ بهذا النقلِ بطلانُ قولِ الأطباءِ: إن الطاعونَ سببُهُ فسادُ جوهرِ الهواءِ بواسطةِ أسبابٍ خبيثةٍ ـ سماويّةٍ أو أرضيّةٍ ـ كالشُّهبِ والرُّجومِ في آخرِ الصيف، والماءِ الآسِنِ والجيَفِ الكثيرة.

ويبطُلُ قولُ الأطباءِ أيضاً ـ من حيثُ العقلُ ـ بوجوهٍ:

منها: وقوعُه في أعدَلِ الفصول، وفي أصحِّ البلادِ هواءً وأطيَبِها ماءً.

ومنها: أنه لو كانَ من فسادِ الهواءِ لعمَّ جميعَ الناس، وبقيّةَ الحيوان، والمُشاهدُ خِلافُهُ؛ فقد يأخُذُ أهلَ البيتِ من بلَدٍ بأجمَعِهم، ولا يدخُلُ بيتاً مجاوِرَهم أصلاً.

ومنها: أنهُ لو كانَ من فَسادِ الهواءِ لعمَّ جميعَ البدنِ بمداومةِ الاستنشاق، والطاعونُ إنما يحدُثُ في جزءٍ خاصٍّ من البدنِ لا يتعدّاهُ لغيرِه[2].

ومنها: أنَّ كلَّ داءٍ بسببٍ من الأسبابِ الطبيعيّةِ لهُ دواءٌ من الأدويةِ الطبيعيّة.

وهذا الطاعونُ أعيى الأطباءَ دواؤهُ؛ حتّى سلَّمَ حُذاقُهم أنه لا دواءَ لهُ، ولا دافِعَ لهُ إلا الذي خلقَهُ وقدَّرهُ[3]، وما أحسَنَ قولَ بعضِهم:

---

(١) قوله: «في بلاغته» ليس في (ب).

ويريد ببلاغة الزمخشري «الكلم النوابغ» له، وهذه العبارة فيه بشرح السعد التفتازاني «النعم السوابغ» (ص١٤٧).

(٢) في (س): «إلى غيره».

(٣) قلتُ: كونُ الطاعون مرسَلًا من عند الله تعالى لا يتعارض ـ عقلًا ولا عادة ولا شرعاً ـ مع كونه مسبَّباً عن أسباب ظاهرة يخلقه الله تعالى عندها، شأنه في هذا شأن الأمراض كلِّها، ما ذُكر في الكتاب والسنة ـ كالبرَص والجُذام ـ وما لم يُذكَر منها، وما استنكارُ المصنف ـ رحمه الله ـ لأقوال الأطباء =

لِكُلِّ داءٍ دَواءٌ يُستَطَبُّ بِهِ ... إلا الحماقَةَ والطّاعُونَ والهَرَما[١]

[سؤال وجوابه]:

فإنْ قيلَ: حيثُ كانَ سببُ الطاعون الفاحِشةَ[٢] فما بالُ من ماتَ بِهِ ولم تقَعْ منهُ الفاحشةُ كالأطفالِ ونحوِهم[٣].

فالجوابُ: إن قاعدةَ العذابِ أنهُ إذا نزَلَ يعُمُّ المستَحِقَّ لهُ وغيرَهُ، وهذِهِ سنةُ اللهِ تعالى في العُقوباتِ: تقَعُ[٤] عامةً، ثمَّ تكونُ طُهراً للمؤمنين، وانتقاماً من الفاجرين.

وأيضاً؛ فكما سبقَ حكمُهُ تعالى أنهُ يعُمُّهم بالخِصبِ[٥] والمطرِ البرَّ والفاجِرَ؛ كذلكَ يعمُّهم بالعقوبة.

= التي ذكرَها وقولُه بعدم قابليّة هذا المرض للشفاء والوقاية منه؛ إلا بسبَب قصور الطبّ في زمانه عن فهم طبيعة الأمراض وانتشارها، وضعفُ إمكاناته عن معالجتها، وعدم تقديمه التصوُّر الشافي المتوائم مع النصوص الشرعية المختلفة، ومع ذلك فإن ما قاله العلامة ابن القيم في «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٤/ ٣٥ ـ ٣٩) ـ وهو قبل المصنف بنحو أربعة قرون ـ أكثر مرونةً، وأبعد غوراً. ونحن اليوم نعيش في عصر انقرض فيه مرض الطاعون ـ أو يكادُ ـ بسبب حصر الأسباب وتطور العلاجات، وشيوع الوعي، وانتشار أسباب الوقاية، وقد توصّل الطب الحديث إلى أن هذا المرض مرض بكتيري، ينتقل من الفئران والقوارض، وأن من أنواعه: الطّاعون الدمّلي الّذي يصيب الغدد الليمفاويّة، والطّاعون الرئوي. يُنظر: «الأمراض المعدية» للدكتور عثمان الكاديكي (ص ٢٠٧ ـ ٢١١).

(١) أنشده السيوطي في «المقامة الطاعونية» من «مقاماته» (١/ ٣٤٨)، وأحسبه له.

(٢) في (ب): «سببه الفاحشة».

(٣) قوله: «كالأطفالِ ونحوِهم» ليس في (س) و(ر).

(٤) في (ب): «فتقع».

(٥) في (ب): «بالخطب».

وأيضاً فهو لسعادةِ الأطفالِ ونحوِهم، وإرادةِ[1] اللهَ الشهادةَ لهم، وهم أجدَرُ بالشهادةِ وأحقُّ بها، أو لزيادةِ حسناتِ من لم يُباشِرِ الفاحشةَ، كما في حديثِ ابن حبّانَ ـ وصحَّحهُ ـ عن النبيِّ ﷺ: «إن الرجلَ ليكونُ عندَ اللهِ بمنزلةٍ فما يبلُغُها بعمَلِه، فما يزالُ يبتليهِ بما يكرَهُ حتى يبلِّغَه إياها»[2].

وأما عدَمُ كثرةِ وقوعِهِ بمُرتكِبي[3] الفواحشِ فهوَ ـ والعياذُ باللهِ ـ استدراجٌ لهم، قالَ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْـمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨].

* * *

(١) في (ب): «واراد».

(٢) «صحيح ابن حبان» (٢٩٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

(٣) في (ب): «بمرتكب».

بابٌ

ما جاءَ أن الطاعونَ من وخزِ الجنِّ

أي: طعنِهم.

روى عبدُ الرزاقِ في «مصنَّفِهِ» وابنُ أبي شيبةَ، والإمامُ أحمدُ، وأبو يعلى، والطبرانيُّ، وابن خُزيمةَ، والحاكِمُ وصحَّحهُ، والبيهَقيُّ في «الدلائلِ» من طُرقٍ عن أبي موسى الأشعريِّ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «فناءُ أُمَّتي بالطعنِ والطاعونِ» قيلَ: يا رسول اللهِ! هذا الطعنُ قد عرفناهُ فما الطاعونُ؟ قالَ: «وخزُ أعدائكم من الجنّ، وفي كلٍّ شهادةٌ»[١].

وروى الطبرانيُّ في «الأوسَطِ» عن عائشةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنها ـ عن النبيِّ ﷺ: «الطاعونُ شهادةٌ لأمَّتي، ووخزُ[٢] أعدائكم من الجنِّ»[٣].

وروى أبو يعلى عن عائشةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنها ـ أن النبيَّ ﷺ قالَ في الطاعونِ: «وخزٌ يصيبُ أُمتي من أعدائهم[٤] من الجنّ، غُدّةٌ كغُدّةِ الإبل، من أقامَ عليها كانَ مُرابِطاً، ومن أُصيبَ كان شهيداً»[٥].

---

(١) هو بألفاظ مقاربة في «المسند» للإمام أحمد (١٩٥٢٨)، و«المسند» لأبي يعلى الموصلي (٧٢٢٦)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٣٤٢٢)، و«المستدرك على الصحيحين» (١٥٨)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٣٨٤).

ولم أجده عند باقي مَن ذكر مِن الأئمة، فأحسبه فيما لم يُوجد من مصنَّفاتهم، والله أعلم.

(٢) في (س): «وخز».

(٣) «المعجم الأوسط» (٥٥٣١)، وقال: لا يروى هذا الحديث عن ابن عمرَ، عن عائشة إلا بهذا الإسناد، تفرّد به يوسفُ بن ميمون.

(٤) في (ب): «أعدائكم».

(٥) «المسند» لأبي يعلى الموصلي (٤٦٦٤).

قالَ الإمام[١] ابن القيِّم ـ رَحِمَهُ اللهُ تعالى ـ: سمَّى النبيُّ ﷺ الطعنَ النافذَ «طعناً»، والطعنَ غيرَ النافِذِ «طاعوناً»، وأخبرَ أن في كلٍّ شهادةً، وطعنُ الإنسِ ظاهريٌّ، وطعنُ الجنِّ باطنيٌّ، وقد ينفُذُ إلى الظاهرِ[٢]، وفي «الصحيحَينِ»: «إن الشيطانَ يجري من ابنِ آدمَ مجرى الدمِ»[٣].

قالَ الحافظ ابن حجرٍ: والذي أوجَب للأطباءِ أن يقولوا ما قالُوه ـ يعني: من أن سببَ الطاعونِ فسادُ جوهَرِ الهواءِ ـ لأنَّ معرفةَ كونهِ من وَخزِ الجنِّ إنما يُدرَكُ بالتوقيف، وليسَ للعقلِ فيه مَجالٌ، ولما لم يكُن عندَهُم في ذلكَ توقيفٌ رأَوا أن أقرَبَ ما يقالُ فيهِ: إنه من فسادِ جوهَرِ الهواءِ[٤]، ولما ورَدَ الشرعُ وجاءَ نهرُ اللهِ بطلَ نهرُ معقِلٍ[٥].

[حكايةٌ في تثبيت كون الطاعون من وخز الجنّ]

وقدْ وردَتْ آثارٌ وحكاياتٌ لا تُحصَى في تثبيتِ[٦] كونِ الطاعونِ من وخزِ الجنّ.

---

(١) قوله: «الإمام» ليس في (ب).

(٢) لم أجد ما ذكر في شيء من كتب ابن القيم، ونحوه في «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١٠/ ١٨٢).

(٣) «صحيح البخاري» (٢٠٣٨)، و«صحيح مسلم» (٢١٧٥) من حديث أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها.

(٤) يُنظر: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١٠/ ١٨١).

(٥) قال الزمخشري في «ربيع الأبرار» (١/ ١٩٠): حفَر زيادٌ نهراً بالبصرة، فأشهد فتْحَ الماء إليه معقلَ ابن يسار صاحبَ رسول الله ﷺ تبرُّكاً به، فنُسب النهر إلى معقل، وتُرك «نهر زياد»، وقيل: إذا جاء نهرُ الله بطل نهرُ معقِل.

(٦) في (س): «سبب».

قالَ شيخُ الإسلامِ القاضي زكريّا: ومِن أقرَبِها وقوعاً ما حدَّثَ بِهِ الشريفُ شهابُ الدينِ ابنُ عدنانَ، وهو يومئذٍ كاتبُ السِّرِّ بالقاهرةِ، قالَ: وقعَ الطاعونُ مرةً، فتوجَّهتُ لعيادةِ مريضٍ، فسمعتُ قائلاً يقولُ لآخرَ: أطعَنُه؟ فقالَ: لا! فأعادَ، فقالَ: دَعْهُ؛ لعلَّهُ ينفَعُ الناسَ، فقالَ: لا بدَّ، قالَ: ففي عَينِ فرَسِه، قالَ: وفي كلِّ ذلكَ ألتفِتُ ولا أرى أحداً، فعُدتُ المريضَ، ثم رجعتُ، فرأيتُ الفرَسَ انفلتَتْ، فتبِعُوها إلى أن ردُّوها، وقد ذهبَتْ عينُها من غيرِ أثرِ ضَربةٍ ظاهرةٍ. قالَ: فتحقَّقتُ صِدقَ المنقول، وأن الطاعونَ من وخزِ الجنّ، وكانَ عندي فيهِ وَقفةٌ[1].

***

(١) يُنظر: «تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين» لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (مخطوط) (ق٦/ ب).

وراوي الحكاية هو السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن علاء الدين علي بن إبراهيم بن عدنان الحسيني الدمشقي، كاتب السر الشريف بالديار المصرية، تولى عدة وظائف بدمشق مثل كتابة السرّ، وقضاء الشافعية، ونظر الجيش، توفي ليلة الخميس ثامن جمادى الآخرة (٨٣٣هـ) بالطاعون؛ كما في ترجمته في «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغري بردي (١٥/ ١٦٤).

وأما «كاتب السر» فهي: وظيفةٌ اختصاصُها قراءةُ الكُتب الواردة على السلطان، وكتابةُ أجوبتها، وأخذُ خطّ السلطان عليها، وتسفيرُها، والجلوسُ بدار العدل لقراءة القصص (الطلبات، والاستدعاءات) والتوقيعُ عليها، ومشاركةُ الوزير في بعض الأمور مع التحدث في أمور البريد، ومشاركةُ الدوادار في أكثر الأمور السلطانية.

وكان رئيس ديوان الإنشاء يتولى هذا المنصب، وهو أولُ من يدخل على السلطان، وآخرُ من يخرج من عنده، ويُعبَّر عنه أحياناً بـ«كاتب الأمراء». يُنظر: «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» للأستاذ محمد أحمد دهمان (ص١٢٧ ـ ١٢٨).

بابُ
ما جاءَ أن الطاعونَ شهادةٌ لكلِّ مسلمٍ

ظاهـرُ[1] عمـومِ الأحاديـثِ دخـولُ كلِّ مسـلمٍ فـي ذلـكَ، ولـو فاسِـقا مرتكِباً للكبائـر، ورجَّـحَ طائفـةٌ مـن العلماء، وأنـهُ يأمَنُ مـن[2] فتنة القبر، فلا يُسـألُ قِياسـاً على شـهيدِ المعركـةِ[3].

رَوى إمامُنا أحمَدُ والبخاريُّ ومسلمٌ عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «الطاعونُ شهادةٌ لكلِّ مسلمٍ»[4].

وروى ابنُ سعدٍ عن حفصةَ بنتِ سيرينَ قالت: سألني أنسُ بنُ مالكٍ: بأي شيءٍ تُحِبِّينَ تموتينَ؟ قلتُ: بالطاعون، قال: إنهُ شهادةٌ لكلِّ مسلمٍ[5].

وروى البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هُرَيرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «المطعونُ شهيدٌ»[6].

وفي لفظ لمسلمٍ عنهُ: «مَن ماتَ في الطاعونِ فهو شهيدٌ»[7].

---

(١) في غير (س): «وظاهر».

(٢) قوله: «من» زيادة من (س).

(٣) رأى ذلك الحافظُ ابن حجر في «بذل الماعون في فضل الطاعون» (ص٢٠٢).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (١٣٣٣٥)، و«صحيح البخاري» (٥٧٣٢)، و«صحيح مسلم» (١٩١٦).

(٥) «الطبقات الكبرى» (٨/ ٤٨٤).

(٦) «صحيح البخاري» (٥٧٣٣)، ولم يروه مسلم بهذا السياق، بل رواه (١٩١٤) بلفظ: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله عز وجل».

(٧) «صحيح مسلم» (١٩١٥) (١٦٥).

وفي لفظٍ لأحمدَ عنهُ: «الطاعونُ شهادةٌ»[١].

وروى البزّارُ عن عائشةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنها ـ قالَتْ: هذا الطعنُ[٢] قد عرفناهُ فما الطاعونُ؟ قالَ: «يُشبِهُ الدُّمَّلَ يخرُجُ في الآباطِ والَمراقِّ، وفيهِ تزكيةُ أعمالهم، وهو لكلِّ مسلمٍ شهادةٌ»[٣].

وروى إمامُنا[٤] أحمدُ بسندٍ صحيحٍ عنِ العِرباضِ بنِ ساريةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «يختَصِمُ الشهداءُ والمتوفَّونَ على فُرُشِهم إلى ربِّنا ـ جلَّ جلالُهُ ـ في الموتى يتوفَّونَ في الطاعون؛ فيقولُ الشهداءُ: إخواننا قُتِلوا كما قُتِلنا، ويقولُ المتوفَّونَ على فُرشِهم: إخوانُنا ماتوا على فُرُشِهم كما مِتنا، فيقُولُ اللهُ: انظُرُوا إلى جراحِهم، فإن أشبَهت جراحَ المقتولينَ فإنهم منهم، فإذا جِراحَتُهم[٥] أشبَهت جراحَتَهم»[٦].

وروى الإمامُ أحمدُ بسندٍ حسَنٍ عن عُتبةَ بن عبدِ السلميّ، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «يأتي الشهداءُ والمتوفُّونَ بالطاعون، فيقولُ أصحابُ الطاعونِ: نحنُ شهداءٌ، فيُقالُ: انظُروا فإن كانَت جِراحتُهم كجراحِ الشهداءِ تسيلُ دماءً وريحُهم كريحِ المسكِ فهم شهداءٌ فيجدُونهم كذلكَ»[٧].

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٨٠٩٢).

(٢) في (س): «الطن».

(٣) «كشف الأستار عن زوائد البزار» للهيثمي (٣٠٤١)، وحسّن إسناده في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣١٥). ومَراقُّ البَطْنِ: ما رَقَّ منه ولان.

(٤) في (ب): «الإمام».

(٥) في (س): «جراحهم».

(٦) «مسند الإمام أحمد» (١٧١٥٩).

(٧) «مسند الإمام أحمد» (١٧٦٥١)، وقد حسّن إسنادَ هذا الحديثِ وسابقه الحافظُ ابن حجر في =

وروى ابنُ سعدٍ في «الطبقاتِ» وابنُ وهبٍ في «جامعِهِ» والطبرانيُّ في «الكبيرِ» عن عبدِ اللهِ بن رافعٍ قالَ: لما أُصيبَ أبو عُبيدةَ بنُ الجراحِ في طاعونِ عمواسٍ استخلَفَ معاذَ بن جبلٍ واشتدَّ الأمرُ فقالَ الناسُ لمعاذٍ: ادعُ اللهَ يرفَعْ عنا هذا الرِّجزَ، فقالَ مُعاذٌ: إنهُ ليسَ برجزٍ، ولكنهُ دعوةُ نبيِّكم وموتُ الصالحينَ قبلَكُم، وشهادةٌ يختصُّ اللهُ بها من شاءَ منكُم، اللهمَّ آتِ آلَ معاذٍ نصيبَهم الأوفى من هذهِ الرحمةِ!

فطُعِنَ ابناه فقالَ: كيفَ تجدانِكُما؟ قالا: يا أبانا، ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧]، قالَ: وأنا ستَجداني إن شاءَ اللهُ من الصابرينَ، ثم طُعِنَت امرأتاهُ، فهلَكَتا، وطعِنَ هو في إبهامِهِ فجعَلَ يمسُّها بفيهِ ويقولُ: اللَّهمَّ، إنها صغيرةٌ فبارِك فيها؛ فإنكَ تُبارِكُ في الصغيرِ حتَّى يكبُرَ[١].

وفي حديثٍ آخرَ: وطُعِنَ في أصبعِه السبابة، فكانَ يقولُ: ما يسرُّني أن لي بها حمرَ النَّعَم[٢].

رَضِيَ اللهُ عنهُ وعن سائر الصَّحابة أجمَعين، والله أعلم[٣].

***

= «فتح الباري» (١٠/ ١٩٤).

(١) «الطبقات الكبرى» (٧/ ٣٨٨)، والسياق له، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٧١) (٣٦٤) مختصراً، ولم أجده فيما طُبع من «الجامع» لابن وهب.

(٢) هو فيما رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٠٨٨).

(٣) كلُّه ليس في (ب)، والترضية خاصةً ليست في (ر).

بابُ

ما جاءَ أن النبيَّ ﷺ دعا بالطاعونِ على أُمتِهِ

وأنهُ في الحقيقةِ ليسَ من بابِ الدُّعاءِ عليهِم، بلْ من بابِ الدُّعاءِ لهم.

روى إمامُنـا أحمدُ، وأبـو نُعَيمٍ، والحاكِمُ فـي «المسـتدرَكِ»، والطبرانيُّ، وابنُ أبـي عاصـمٍ عن أبـي بُـردةَ أخي أبـي موسَـى الأشـعريِّ ـ رَضِـيَ اللهُ عنهُمـا ـ قالَ: قـالَ رسـولُ اللهِ ﷺ: «اللهـمَّ اجعَـل فناءَ أُمّتـي في سـبيلِكَ بالطعنِ والطاعـونِ»[١].

وفي بعضِ الطرُقِ: «اللهمَّ اجعَل فناءَ أُمّتي في الطاعونِ»[٢].

وروَى أبـو يعلَـى عـن أبي بكـرٍ الصدّيـقِ ـ رَضِـيَ اللهُ عنهُ ـ قـالَ: كنتُ مـعَ النبيِّ ﷺ فـي الغـارِ فقـالَ: «اللهمَّ طعنـاً وطاعوناً»، فقلتُ: يا رسـولَ اللهِ! إني أعلَـمُ أنكَ قد سـألتَ مَنايـا أُمّتِكَ، فهذا الطعـنُ قد عرَفنـاهُ، فما الطاعـونُ؟ قـالَ: «ذَرَبٌ[٣] كالدُّمَّل، إن طالَـتْ بكَ حَياةٌ سَـتراهُ».

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (١٥٦٠٨)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٥١٧٠)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٢/ ٣١٤) (٧٩٢)، و«المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٢٤٦٢)، «الآحاد والمثاني» لابن أبي عاصم (٢٥٠٣).

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣١٢): رجال أحمد ثقات.

(٢) هو فيما رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٩٧٤٤).

(٣) في النسخ الثلاث: «درن»، و«الدَّرَن»: الوسخ، والتصويب من رواية الحديث في «مسند أبي يعلى الموصلي» (٦٢)، و«مجمع الزوائد» (٢/ ٣١١)، وقال: فيه جعفر بن الزبير الحنفي وهو ضعيف.

وذكره ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ١٥٧)، وقال: يُقال: «ذَرِبَ الجُرحُ»: إذا لم يقبَلِ الدَّواءَ.

[سؤال وجوابه]:

فإنْ قيلَ: كيفَ يدعُو على أُمّتِه بذلكَ، وهوَ مستلزِمٌ للهلاكِ والفناءِ؟

فالجوابُ: أنه ليسَ المقصودَ من هذا كلِّهِ الدُّعاءُ بالهلاكِ على أُمتِه، وإنما المقصودُ منهُ والمرادُ: حصولُ الشهادةِ لهم بكلٍّ من الأمرَين؛ فإنَّ الفناءَ أمرٌ حَتمٌ لا بدَّ منهُ، وإن كلَّ أحدٍ لا يتعدَّى أجلَهُ فكانَ محطَّ الدُّعاءِ على جعلِ ذلكَ سبباً للفناءِ الذي قدَّرَ اللهُ كونَهُ لا محالةَ، فهذا شفقةٌ منهُ ﷺ على أُمته، وحِرصٌ[1] على إرادةِ الخيرِ لهم؛ فإنَّ أرفعَ درجاتِ الخلقِ في الجنةِ النبيُّونَ، ثم الصِّدّيقونَ، ثم الشُّهداءُ، ثم الصالحونَ، فأرادَ ﷺ أن تكونَ أُمّتُه أعلَى أهلِ الجنةِ درَجاتٍ بعدَ النبيّينَ والصِّدّيقينَ.

وأيضاً إنما دعا بذلكَ؛ ليكُونَ كفّارةً لِـما يقع من أمَّتِهِ من عداوةٍ بعضِهم لبعضٍ؛ كما وردَ أن القتلَ لا يمرُّ بذنبٍ إلا محاهُ[2].

وروى أبو داودَ بسندٍ حسنٍ عن النبيِّ ﷺ: «أُمَّتي أمةٌ مرحومةٌ، ليسَ عليها عذابٌ في الآخِرة، عَذابُها في الدنيا: الفِتَنُ، والزَّلازِلُ، والقَتلُ»[3].

---

(١) في غير (س): «وحرصاً».

(٢) رواه البزار كما في «كشف الأستار عن زوائد البزار» للهيثمي (١٥٤٥) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «قتلُ الصَّبر لا يمُرُّ بذنب إلا محاه»، ووثق رجاله في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٦٦).

(٣) «سنن أبي داود» (٤٢٧٨) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقد قال المظهري في «المفاتيح في شرح المصابيح» (٥/ ٣٤٠ ـ ٣٤١): هذا الحديث مُشكِل؛ لأن مفهومَه: أن لا يُعذَّبَ أحدٌ من أمة النبيِّ ﷺ، فيلزم أن لا يُعذَّبَ مَن قتلَ مِن المسلمين أعداداً كثيرةً، وسرَقَ أموالهم، وآذاهم، وقذَفهم، وفعَلَ الكبائرَ كلَّها، ومعلومٌ أن هذا لم يقُل به أحد، وقد جاءت أحاديثُ بتعذيب الزاني، والقاتلِ بغير الحق، والقاذف، وغيرهم من أصحاب الكبائر، وتأويل هذا =

وعن عائشةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنها ـ قالَت: إنَّ الطاعونَ موعظةٌ ورحمةٌ للمؤمنينَ، وعذابٌ وسخَطٌ للكافرين(١).

[حُكم الاجتماعَ للدُّعاءِ برَفعِ الطاعونِ]:

وحيثُ(٢) فهمْتَ هذا علمْتَ أن الاجتماعَ للدُّعاءِ برَفعِ الطاعونِ لا يُشرَعُ، وأن ذلكَ بدعةٌ مذمومةٌ، وكيفَ يُسألُ رَفعُ ما دعا بِهِ النبيُّ ﷺ وطلبَهُ لأُمتِه، وقد وقَعَ في زمنِ أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطابِ رضيَ الله عنهُ، والصحابةُ ـ رِضوانُ اللهُ عليهم ـ يومَئذٍ(٣) متوافرُون، وأكابِرُهم موجودونَ، فلم يُنقَل عن أحَدٍ منهم أنهُ دعا برَفعِه، ولا أمرَ به، كما أنهم دَعَوا برَفعِ القحط، والاجتماعُ للدُّعاءِ برَفعِه بدعةٌ حدثَتْ سنةَ تسعٍ وأربعينَ وسبع مئةٍ، قالَه ابنُ حجرٍ(٤).

= الحديث: أن قوله: «أمتي هذه أمة مرحومة»، أراد بهم: مَن اقتداه ﷺ كما ينبغي، ويحبُّ اللهَ ورسوله، فأما مَن فعَلَ كبيرةً فقد استحقَّ العذاب، ثم أمرُهُ إلى الله تعالى؛ إن شاء عاقبَه، وإن شاء عفا عنه.

(١) لم أجدهُ من قولها ـ رضي الله عنها ـ في الطاعون، ورواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (١٧) مختصراً، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٨٥٧٥) مطولاً ـ وهذا لفظه ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها ورجل معها، فقال الرجل: يا أم المؤمنين حدثينا حديثاً عن الزلزلة، فأعرضت عنه بوجهها... الحديثَ، وصححه على شرط مسلم. قال الذهبي في «التلخيص»: بل أحسبه موضوعاً على أنس، وفيه نعيم [بنُ حمّاد] منكر الحديث إلى الغاية، مع أن البخاري روى عنه. ا. هـ.

قلتُ: وفي إسناده أيضاً بقيةُ بن الوليد كثير التدليس عن الضعفاء.

(٢) في غير (س): «حيث».

(٣) قوله: «يومئذ» ليس (س).

(٤) في «بذل الماعون» (ص٣٢٨ ـ ٣٢٩).

ولكن ابن حجر نصّ (ص٣١٦ ـ ٣١٧) على أن الدعاء برفع الطاعون مشروع اجتماعاً وانفراداً =

ومن أرادَ الوقوفَ على العجَبِ العجيبِ في شأنِ الطاعون، وتحقيقِ مباحثِه، فعلَيهِ بكتابِنا: «تحقيق الظنونِ بأخبارِ الطاعونِ»[1] يظفَر بالمراد، وإنما الغرَضُ هنا بيانُ الصَّبر، وما تحصُلُ بِهِ تسليةُ المصاب، واللهُ أعلَمُ.

* * *

= في القنوت خاصةً عند الشافعية؛ بناءً على أنه من جملة النوازل، وذكر أن بعض متأخري الشافعية توقفوا في القنوت للطاعون؛ لأجل عدم وقوع نقله عن الصحابة والتابعين، ثم ذكر أن في هذا الذي قاله المتأخر نظرٌ على قواعد الشافعية، وأنه قول الحنابلة، وأنّ غير الشافعية ليس القنوت في النازلة عندهم مشروعاً أصلاً.

(١) وهو مطبوع ضمن هذا المجموع.

بابُ الصبرِ

وما جاءَ في فضلِ الصابرِ والحامدِ الشاكرِ

وهذا البابُ وما بعدَه هو المقصودُ في هذا الكتاب[١].

اعلَم ـ أيَّدكَ اللهُ تعالى ـ أن الصبرَ هو الثباتُ والوقوفُ في مواطنِ الاختبارِ والامتحان، وبالصبرِ يظهَرُ من العبيدِ خبيثُهم وخلاصَتُهم، فالضعيفُ الجبانُ يُظهِرُ الشكوى والضجَرَ، والجزَعَ والهلَعَ، فيقبِّحُ حالَه بعدَمِ الصبر، ويسيءُ مآلَهُ بقلةِ الشُّكر، وقويُّ الجَنان، يُظهرُ التجلُّدَ والكتمانَ، وتركَ الشكوى، وتحسينَ الخُلق، والاستعانةَ بالله تعالى، فيَستقيمُ حالُهُ، ويحسُنُ مآلُه.

واعلَم أن الصبرَ على ثلاثةِ أقسامٍ:

صبرٌ على مجاهدةِ النفسِ ومخالفَتِها.

وصبرٌ على النِّعمةِ والقيامِ بحقِّها.

وصبرٌ على الشدائدِ والمصائب.

والقِسمانِ الأوَّلان هما أشقُّ ما يحمِلُه المكلَّفُ، وهو مقامُ الكاملينَ، والقسمُ الأخيرُ مقامُ القاصرينَ، أما الصبرُ على مجاهدةِ النفسِ ومخالَفتِها فعسِرٌ جداً لا يكادُ يوجَدُ.

قالَ ابن الجوزيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: مخالفةُ النفوسِ أشدُّ من قلعِ الصخرِ من الجبالِ بلا فؤوسٍ.

وقالَ أيضاً: مخالفةُ النفسِ أشدُّ من ردِّ أمسٍ[٢].

---

(١) إشارتُه هذه كلُّها ليست في (ب)، وليست كلمة «الباب» في (ر).

(٢) لم أجد قولَيه.

فكَم من إنسانٍ يصبِرُ على المصائبِ والشدائدِ عمرَهُ كلَّهُ، ولا يقدِرُ على غضِّ بصرِهِ وكفِّ لسانِه ونحوِ ذلك من المَنهيّات.

وأيضاً؛ فمجاهدةُ النفسِ لا تنقَضي، بل هي مستمِرّةٌ ما دام الشخصُ في هذهِ الدارِ بخلافِ مصائبِ الشدائد؛ فإنها تنقَضي ولا تدومُ، ولهذا قالَ النبيُّ ﷺ لـما رجعَ من غزوةِ تبوكٍ: «رجَعْنا من الجهادِ الأصغَرِ إلى الجهادِ الأكبَرِ»[1].

عنى ﷺ بالأصغرِ: جهادَ الكفّار، وبالجهادِ الأكبَرِ: جهادَ النفس، وما ذاك إلا أنَّ الشخصَ له حالتانِ: حالةُ أمرٍ وحالةُ نهيٍ، والعبدُ مخاطَبٌ بهما في جميعِ أحوالِه مدّةَ حياتِه، ولا يقدِرُ العبدُ على القيامِ بهما إلا بالصبر.

واعلَم أنَّ الصبرَ على النَّهيِ أعظَمُ من الصبرِ على الأمر، وما صار الصِّدّيقونَ صدّيقينَ إلا بالصبرِ على المنهيّات، وأما الصبرُ على النِّعمة، والقيامُ بشكرِها فعسِرٌ أيضاً لكنَّهُ دون الصبر على مخالفة النفسِ[2]، وفوقَ صبرِ الشدائد.

وأكثرُ الخلقِ يظنُّ أن الصبرَ على القيامِ بحقوقِ شكرِ النِّعمةِ هينٌ، وليسَ الأمرُ كما ظنوا بل الصبرُ علَيها أعظَمُ منازِلِ الصابرينَ، وأكثَرُ الخلقِ لا يَصبِرون على

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٦٨٥) والبيهقي في «الزهد الكبير» (٣٧٣) ـ وضعَّفه ـ عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قدم النبيُّ ﷺ من غزاةٍ له، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «قدمتم خير مقدَم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال: «مجاهدة العبد هواه».

قال في «كشف الخفاء» (١/ ٤٢٤): قال الحافظ ابن حجَر في «تسديد القوس»: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن [أبي] عبلة، انتهى. قلتُ: رواه عنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٤٣٨).

(٢) في (ب): «لكنه دون الأول».

النِّعَم، بل تُخرجُهم النِّعمةُ إلى الطُّغيانِ والبطَرِ والعصيان، وذلكَ من قلّة الصبرِ على النِّعَم، ولا يصبِرُ عليها إلا الصدّيقونَ كما قالَ كثيرٌ من مشايخِ الصوفيّة: لا يصبِرُ على حلاوةِ الشكرِ إلا صدّيقٌ.

وقال بعضُهم: البلاءُ يصبِرُ عليهِ المؤمنُ، ولا يصبِرُ على العافيةِ إلا صدّيقٌ[١].

قالَ سيدنا[٢] عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ: ابتُلينا بالضراءِ فصبَرنا، وابتُلينا بالسَّرّاءِ فلم نصبِر[٣].

والعجيبُ أن أكثَرَ الخلقِ لا يعدُّ النِّعمةَ ابتلاءً! وليس كذلِكَ؛ فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، أي: نختَبِرُكم بالشدّةِ والرخاء، والحرامِ والحلال؛ لننظُرَ كيفَ صبرُكم في الشِّدّة والشرِّ[٤]، وشكرُكم في الرخاءِ والخير، وقالَ تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ [الفجر: ١٥].

وأما الصبرُ على الشدائدِ والبلايا فهوَ سهلٌ بالنسبةِ للقسمَينِ الأوَّلين، وهذا هو المقصودُ هنا، وإلا فالقسمانِ الأوَّلانِ يستدعِيان طولاً وتحقيقاً لإيضاحِ كشفِهما[٥].

واعلَم ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ أن الصبرَ مقامٌ عظيمٌ لا يثبُتُ فيه إلا خاصّةُ اللهِ من عبادِه، وهو من أعظَمِ شُعَبِ الإسلام[٦]، وأكبرِ دعائمِ الإيمان، وما وقعَ الخلقُ فيما وقعوا فيهِ من المخالفاتِ والآفاتِ إلا من قلّةِ الصبر.

---

(١) هو في «الإحياء» (٤/ ٦٩) عن بعض العارفين، ولم أجد القول الذي قبله.

(٢) قوله: «سيدنا» زيادة من (س).

(٣) رواه عنه الترمذي في «السنن» (٢٤٦٤)، وحسّنه.

(٤) في (ب): «كيف صبركم في الشر».

(٥) في (ب): «كشفها».

(٦) في (ب): «أعظم الشُّعب».

وفي الحديثِ: «إن الصبرَ رأسُ الإيمانِ»[١].

وفي الحديثِ أيضاً: «الإيمانُ نصفان: نصفٌ صبرٌ، ونصفٌ شكرٌ»[٢].

وفي «الصحيحَينِ» من حديثِ أبي سعيدٍ الخُدريِّ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ عن النبيِّ ﷺ أنهُ قالَ: «ما أُعطِيَ أحدٌ عطاءً أعظَمَ وأوسَعَ من الصبرِ»[٣].

وفي حديثٍ آخرَ: «ألا إنَّ الصبرَ من الإيمانِ بمنزلةِ الرأسِ من الجسد، ألا إنهُ لا إيمانَ لمن لا صبرَ لهُ»[٤].

وقالَ الحسنُ البصريُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: الصبرُ كنزٌ من كنوزِ الخيرِ لا يعطيهِ اللهُ عزَّ وجلَّ إلا لعبدٍ كريمٍ عليهِ[٥].

إذا علمْتَ هذا؛ فاعلَم أن الصبرَ مرتبةٌ نفيسة، كما أن الضجَرَ مرتبةٌ خسيسة، والصبرُ داخلٌ في جميعِ الأحوالِ الباطنةِ والأعمالِ الظاهرة، وهو مقامٌ عزيزٌ لوجهَينِ:

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وروى ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (٨) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس بادَ الجسد، ثم رفَع صوتَه فقال: ألا إنه لا إيمانَ لمن لا صبرَ له.

(٢) هو في الفردوس بمأثور الخطاب» لأبي شجاع الديلمي (٣٧٨) عن أنس رضي الله عنه.
وقال العراقي في «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (بهامشه) (٤/ ٦٠): أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، ويزيدُ ضعيف.

(٣) «صحيح البخاري» (١٤٦٩)، و«صحيح مسلم» (١٠٥٣) عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) هو من قول عليٍّ رضي الله عنه كما تقدّم قريباً جداً.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١٦).

أحدُهما: كونُ اللهِ تعالى معَ الصابر[١]، قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، والمعيّةُ على قسمَينِ:

معيةٌ عامّة: وهي المعيّةُ بالعلمِ والقدرة، وهذِه عامّةٌ في حقِّ كلِّ أحدٍ.

ومعيةٌ خاصّةٌ: وهي المعيّةُ بالعونِ والنُّصرة، وهذهِ خاصّةٌ بالصابرينَ ونحوِهم كالمحسِنين والمتَّقين.

الثاني: أن الصابرَ يُوفَّى أجرَهُ بغيرِ حسابٍ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، أي: بغيرِ تقديرٍ.

قالَ مالكُ بن أنسٍ في قولِ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] قال: هو الصبرُ على فجائعِ الدُّنيا وأحزانِها، ولا شكَّ أن كلَّ مَن سلَّمَ فيها لِما أصابَهُ، وترَكَ ما نهِيَ عنهُ فلا مقدارَ لأجرِهِ[٢].

قالَ قَتادةُ: لا ـ واللهِ ـ ما هنالِكَ مِكيالٌ ولا ميزانٌ، حدثني أنسٌ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «تُنصَبُ الموازينُ فيُؤتى بأهلِ الصدقة، فيُوفَّون[٣] أجورَهم بالموازين، وكذلك أهلُ الصلاةِ والحجّ، ويُؤتى بأهلِ البلايا[٤] فلا يُنصَبُ لهم ميزانٌ، ولا ينشَرُ لهم ديوانٌ، ويصَبُّ عليهم الأجرُ بغيرِ حسابٍ؛ حتى يتمنَّى أهلُ العافيةِ في الدنيا أنَّ أجسادَهم تُقرَضُ بالمقاريض؛ مما يذهَبُ بِهِ أهلُ البلاءِ من الفضلِ»[٥].

---

(١) في (ب): «معه».

(٢) يُنظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ٧٦).

(٣) في غير (س): «فيؤتون».

(٤) في (ب): «البلايا».

(٥) أخرج قولَ قتادةَ الطبريُّ في «تفسيره» (٢٠/ ١٧٩)، وذكر السيوطي في «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (١٢/ ٦٣٨) أن حديث أنسٍ رضي الله عنه المرفوع أخرجه ابن مردويه مطوّلاً.

وعن الحسنِ بن عليٍّ - رَضِيَ اللهُ عنهُما - قال: سمعتُ جدّي رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «أدِّ الفرائضَ تكُن من أعبدِ الناس، وعليكَ بالقَنْعِ تكُن من أغنى الناس، يا بنيَّ! إن في الجنةِ شجرةً يقالُ لها: شجرةُ البَلوى، يُؤتى بأهلِ البلاءِ[1] فلا يُنصَبُ لهم ميزانٌ، ولا ينشَرُ لهم ديوانٌ، ويصَبُّ عليهم الأجرُ صبّا»، ثم تلا النبيُّ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠][2].

وسئلَ النبيُّ ﷺ: أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قالَ: «الأنبياءُ، ثم الصالحون، ثم الأمثَلُ، فالأمثَلُ، يُبلى الرجلُ على حسبِ دينِه، فإن كانَ في دينِه صلابةٌ زيدَ في بلائه، وإن كانَ في دينِه رقّةٌ خُفِّفَ عنهُ، وما يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ حتى يمشي على الأرضِ وليس عليهِ خطيئةٌ»[3].

ورويَ عن الإمامِ الشافعيِّ - رَحِمَهُ اللهُ - أنهُ قالَ: لو فكَّرَ الناسُ كلُّهم في سورةِ العصرِ لكفَتْهم، وهوَ كما قالَ؛ فإنَّ اللهَ تعالى أخبرَ أنَّ جميعَ الناسِ خاسرون إلا من كانَ في نفسِه مؤمِناً صالحاً، مُوصِياً بالحقّ، مُوصياً بالصبرِ[4].

---

(١) في (س): «البلايا».

(٢) روى الدارقطني في «العلل» (٧٢٩): أنه روى هنادُ بن السريّ عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «أدِّ ما افترض اللهُ عليك تكُن من أعبد الناس، واجتنِب ما حرّم الله عليك تكُن من أورَع الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكُن من أغنى الناس». ثم قال: ورفعُه وهم، والصحيح أنه من قول ابن مسعود.

قلتُ: أخرج هنادُ الحديث في «الزهد» (١٠٣٢) موقوفاً.

وأخرج حديثَ شجرةِ البلوىٰ الطبرانيُّ في «المعجم الكبير» (٢٧٦٠) عن الحسن رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٥): فيه سعد بن طريف، وهو ضعيف جداً.

(٣) رواه الترمذي في «السنن» (٢٣٩٨)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في «السنن» (٤٠٢٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٤٣٩) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) يُنظر: «الاستقامة» ابن تيمية (٢/ ٢٥٩).

=

وقالَ بعضُ السلفِ: لولا مصائبُ الدنيا لَوَرَدنا القيامةَ مَفاليسَ [١].

وفي مسلمٍ عن عائشةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنها ـ أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «ما من مصيبةٍ يُصابُ بها المؤمنُ إلا كفَّرَ الله بها عنهُ، حتَّى الشوكةُ يُشاكُها»[٢].

وفي «الصحيحَين»: «والذي نفسي بيدِه ما على الأرضِ مسلمٌ يُصيبُه أذى من مرضٍ فما سواهُ إلا حطَّ اللهُ بهِ عنه خطاياهُ، كما تحطُّ الشجرةُ اليابسةُ ورقَها»[٣].

واعلَم أن هذا الأجرَ إنما يكونُ بالصبرِ عند الصدمةِ الأُولى؛ ففي الحديثِ: «إنما الصبرُ عندَ الصدمةِ الأُولى»[٤]، أي: الصبرُ الشاقُّ على النفسِ الذي يعظُمُ الثوابُ عليهِ إنما هو عندَ هجومِ المصيبةِ وحرارَتِها.

قالَ ابن المبارَكِ: العاقِلُ يصنَعُ في أولِ يومٍ من المصيبةِ ما يصنَعُه الجاهلُ بعد خمسةِ أيامٍ[٥].

وسئلَ ربيعةُ: ما منتهَى الصبرِ؟ فقالَ: أن يكونَ يومَ تُصيبُه المصيبةُ مثلَهُ قبلَ أن تُصيبَه[٦].

= وذكر قولَ الإمام الشافعيِّ: النوويُّ في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٥٤) بلفظ «الناسُ في غفلة عن هذه السورة».

(١) هذا القول زيادة من (ب)، وحكاه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/ ٣٨) عن أم إبراهيم العابدة من المصطفيات من عابدات البصرة.

(٢) «صحيح مسلم» (٢٥٧٢)، وأخرجه كذلك البخاري في «صحيحه» (٥٦٤٠).

(٣) «صحيح البخاري» (٥٦٤٨)، و«صحيح مسلم» (٢٥٧١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) «صحيح البخاري» (١٢٨٣)، و«صحيح مسلم» (٩٢٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) ذكره باختلافٍ الغزالي في «الإحياء» (٤/ ١٣٣) في تعزية مجوسيٍّ لابن المبارك في ولد له.

(٦) رواه عنه الحافظ أبو نُعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٦١).

وقالَ رجلٌ للإمامِ أحمدَ: كيفَ تجِدُكَ؟ قالَ: بخيرٍ في عافيةٍ، قالَ: حممتَ البارحةَ، قالَ: إذا قلتُ لكَ: أنا في عافيةٍ، فحَسبُك، لا تخرِجني إلى ما أكرَهُ[1].

وقالَ إبراهيمُ الحربيُّ: ما شكوتُ الحمَّى قطُّ إلى أُمّي، ولا إلى أُختي، ولا إلى امرأتي، الرجلُ الذي يُدخِلُ غمَّهُ على نفسِه، ولا يغُمُّ عيالَهُ، كان بي شقيقةٌ خمساً وأربعين سنةً فما أخبَرْتُ بها أحداً[2].

واعلَم - أيّدكَ[3] اللهُ تعالى - أنَّ في قولِه تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، معَ قولِه تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] جملةَ فوائدَ للصابرينَ، وعبادِه المبتلَينَ[4] بالسَّرّاءِ والضَّرّاء، وهو أنهُ من لطفِ اللهِ تعالى بعبادِه المؤمنينَ أنهُ أنعَمَ عليهِم أولاً وأمَرَ بالشكر، ثم ابتَلى وأمرَ بالصبر؛ فقالَ تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [البقرة: ١٥٢-١٥٣] لينالَ العبدُ درجةَ الشاكرينَ، ودرجةَ الصابرين معاً فيكمُلُ إيمانه.

وفي الحديثِ: «الإيمانُ نصفانِ: نصفٌ صبرٌ، ونصفٌ شكرٌ»، وتقدَّمَ.

وقالَ بعضُ المفسرينَ في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]، أي:

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٤٩).

(٢) من قول ابن المبارك إلى هنا زيادة من (ب).

وروى قولَ إبراهيم الحربيِّ الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦/ ٥٢٦) بنحوه مطولاً.

(٣) في (ب): «وفّقك».

(٤) في (س): «وعبادة للمبتلين».

اذكُروني بطاعَتي أذكُركم بمَعونَتي[١]، وقيل: اذكُروني في[٢] النِّعمةِ والرخاءِ أذكُركم في الشدةِ والبلاءِ[٣]، وقيلَ: اذكُروني في الدُّنيا أذكُركم في الآخِرة[٤].

وقالَ الإمامُ الشافعيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٥]: «الخوفُ»: خوفُ اللهِ تعالى، و«الجوعُ»: صيامُ رمضانَ، و«نقصٌ من الأموالِ»: الزكاةُ والصدقاتُ، و«منَ الأنفسِ»: الأمراضُ، و«الثَّمرات»: موتُ الأولادِ[٥].

وقالَ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] أي: على البلايا والرزايا، أي: بشِّرْهم بالثوابِ الجزيلِ على الصبر، وثوابُهُ غيرُ مقدَّرٍ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وتقدَّمَ ذلكَ.

ثم نعَتَ اللهُ الصابرينَ بقولِه: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، قالَ بعضُهم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾: إقرارٌ منّا له[٦] بالملك، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: إقرارٌ على أنفُسِنا بالهلاكِ[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٩٨) عن سعيد بن جبير، وذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ١٦٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) سقط حرف الجر في (س).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ١٦٧) عن سعيد بن جبير.

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» (٤/ ١٢٤) ولم ينسبه.

(٥) لأن ولدَ الرجل ثمرةُ قلبه. كذا ذكرَه عن الإمام الشافعيِّ الثعلبيُّ في «تفسيره» (٢/ ٢٢)، والبغويُّ في «تفسيره» (١/ ١٦٩).

(٦) في (س): «له منا».

(٧) عزاه الثعلبيُّ في «تفسيره» (٢/ ٢٣)، والرازي في «تفسيره» (٤/ ١٣٣) إلى أبي بكر الوراق.

وقالَ بعضُهم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾: أي: نحنُ وأموالُنا للهِ يصنَعُ بنا ما يشاءُ، ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: إقرارٌ بالهلاكِ والفناء، ومعنى «الرجوعِ إلى اللهِ تعالى: الرجوعُ إلى انفرادِهِ بالحكم؛ لأنهُ إذا زالَ حكمُ العبادِ رجَعَ الأمرُ إلى اللهِ سبحانَهُ»[١].

قالَ سعيدُ بن جُبيرٍ: لقد أُعطِيَت هذهِ الأمةُ عندَ المصيبةِ ما لم تعطَهُ الأنبياءُ قبلَهم، وهوَ: «إنا لله وإنا إليه راجعونَ»، ولو[٢] أُعطِيَه الأنبياءُ لأُعطِيَه يعقوبُ إذ يقولُ: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤][٣].

[فوائد كلمة «إنا لله وإنا إليه راجعونَ»]:

واعلَم أنَّ في هذِه الكلمةِ الشريفةِ فوائدَ للمُصابِ[٤]:

منها: الاشتغالُ بهذه الكلمةِ عن كلامٍ لا يليقُ.

ومنها: أنها[٥] تُسلّي قلبَ المصاب، وتقلِّلُ حزنَهُ.

ومنها: أنها تقطَعُ عملَ الشيطانِ في أن يوافِقَهُ في كلامٍ لا يليقُ.

ومنها: أنه إذا سمِعَه غيرُه اقتدى به.

ومنها: أن هذا القولَ مذكِّرٌ له التسليمَ لقضاءِ اللهِ وقدَرِه.

قالَ ابن عبّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُما ـ: أخبرَ اللهُ تعالى أن المؤمِنَ إذا سلَّمَ أمرَهُ للهِ

---

(١) قاله الواحدي في «التفسير الوسيط» (١/ ٢٣٧).

(٢) في (س): «ولقد».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٢٢) عنه.

(٤) قولـه: «الشـريفة» ليـس (س)، وهـذه الفوائد في «اللبـاب في علـوم الكتاب» لابن عـادل الحنبلي (٣/ ٨٨).

(٥) قوله: «أنها» ليس في (ب).

عز وجل واسترجَعَ عندَ مُصيبتِهِ كتبَ اللهُ له ثلاثَ خصالٍ: الصلاةَ من اللهِ ـ وهي هنا المغفرةُ ـ والرحمةُ، والهدايةُ[١]، قالَ تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]، أي: المهتدونَ لهذِه الطريقةِ الموصِلةِ صاحبَها إلى كلِّ خيرٍ، أو: المهتَدُونَ إلى الجنةِ الفائزونَ بالثوابِ[٢].

قالَ أبو بكرٍ الرازيُّ: اشتملَت الآيةُ على فرضٍ ونفلٍ، أما الفرضُ فهو التسليمُ لأمرِ الله، والرضا بقضائه، والصبرُ على أداءِ فرائضِه لا يصرِفه عنها مصائبُ الدُّنيا، وأما النفلُ فقولُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦][٣].

روى إمامُنا أحمَدُ وابنُ ماجَهْ عن الحسينِ بن عليٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُما ـ قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن أُصيبَ بمصيبةٍ فذكرَ مصيبَتَهُ وأحدثَ استِرجاعاً ـ وإن تقادَمَ عهدُها ـ كتَبَ اللهُ له من[٤] الأجر مثلَ يومِ أُصيبَ»[٥].

وروى ابنُ أبي الدُّنيا عن سعيدِ بنِ المسيَّب، عن النبيِّ ﷺ: «من استرجَعَ اللهَ بعدَ أربعين سنةً أعطاهُ اللهُ ثوابَ مُصيبَتِه يومَ أُصيبَها»[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٢١) عنه رضي الله عنه.

(٢) ذكرهما الرازي في «تفسيره» (٤/ ١٣٣ ـ ١٣٤) ولم ينسبهما.

(٣) يُنظر: «أحكام القرآن» للجصاص (١/ ١١٧)، وهو أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (ت٣٧٠هـ).

(٤) قوله: «له» سقط في (ر)، وسقط في (ب) قوله: «من».

(٥) «مسند الإمام أحمد» (١٧٣٤)، و«سنن ابن ماجه» (١٦٠٠)، واللفظ له.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزاء»؛ كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٢/ ٧٦)، وذكر نحوه في «العزاء» أيضاً عن كعب الأحبار.

وقد رواه الحارث بن أبي أسامة في «المسند» (بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث) (٢٦٢) بنحوه.

ورويَ عن شهرِ بن حوشَبٍ، عن النبيِّ ﷺ: «ما من مسلم يذكُرُ مُصيبَته[١] وإن قدُمَت فاسترجَعَ، إلا جدَّدَ اللهُ له أجرَها»[٢].

وبالجملة؛ ففي الصبرِ على المصائبِ والاسترجاعِ عندَ ذكرِها ثوابٌ عظيمٌ، وفيما ذكرناهُ كِفايةٌ لمن تدبَّره، واللهُ ـ سُبحانَه وتعالى[٣] ـ أعلَم.

* * *

(١) في (ر): «مصيبة».

(٢) رواه نعيم بن حماد في «الزهد» (١٠٥).

(٣) جملة التنزيه ليست (ب)، وليس في (ر) منها كلمةُ «وتعالى».

بابُ

ما يحصُلُ به التَّسلّي والاصطِبار، لمن ابتُليَ بفراقِ الأحبّةِ الأخيار

اعلم ـ أيّدكَ اللهُ تعالى ـ أنَّ التَّسلّيَ يحصُلُ للمُصاب[1] بأحدِ أمورٍ:

منها: أن يعلَمَ العاقلُ أن اللهَ تعالى كتبَ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أن يخلُقَ السماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ، كما ثبتَ ذلكَ في «الصحيح»؛ روى مسلمٌ عن عبدِ اللهِ بن عمرٍو بن العاصِ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُما ـ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «كتَبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أن يخلُقَ السمواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنة»[2].

وروَى إمامُنا أحمَدُ والترمذِيُّ ـ وصحَّحهُ ـ عن عبادةَ بن الصامتِ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أولُ ما خلَقَ اللهُ القلمَ قالَ لهُ: اكتب، قالَ: يا ربِّ، وما أكتُبُ؟ قالَ: اكتُبْ مقاديرَ كلِّ شيءٍ»[3].

فإذا كانَ كذلِكَ؛ فليعلَمِ العاقلُ أن كلَّ ما قدَّره اللهُ تعالى فلا سَبيلَ إلى تخلُّفِه قطعاً.

قالَ ابنُ الجوزيِّ: من علِمَ أن ما قُضِيَ لا بُدَّ أن يصيبَهُ قلَّ حُزنُه[4].

ورويَ عن ابنِ عباسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُما ـ في قولِه تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] أنهُ لوحٌ من ذهَبٍ مكتوبٌ فيهِ: بسم الله الرحمن الرحيم، عجبْتُ لمن أيقَنَ بالقدَرِ كيفَ يحزَنُ، وعجبْتُ لمن أيقَنَ بالموتِ

---

(١) في (س): «للمصائب»، وليست في (ب).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٦٥٣).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٢٢٧٠٥)، و«سنن الترمذي» (٣٣١٩).

(٤) يُنظر: «زاد المسير في علم التفسير» (٨/ ١٧٣).

كيفَ يفرَحُ، وعجبْتُ لمن يعرِفُ الدُّنيا وتقلُّبَها بأهلِها كيفَ يطمئنُّ إليها[١].

وقالَ إبراهيمُ الحربيُّ: اتَّفقَ العُقلاءُ من كلِّ أمةٍ أنَّ من لم يمشِ معَ القدَرِ لم يتهَنَّ بعيشٍ[٢].

وحيثُ كانَ كذلِكَ؛ فإنّ أَولى[٣] ما اعتمَدَ عليهِ العاقلُ اللَّبيبُ في جميعِ أمورِه، ورجعَ إليهِ الأريبُ في ورودِه[٤] وصدُورِه، وتلبَّسَ بهِ المصابُ في آصالِه وبكورِه، هو الرِّضا بقضاءِ اللهِ ومقدورِه، والتسليمُ للقضاءِ وتلقِّيهِ بالقَبولِ والرضا والإذعانِ لمقدورِهِ ومَحتومِهِ[٥]، والصبرُ عندَ نزولِه ولزومِه.

وليعلَمَ علمَ اليقينِ أن ما أصابَهُ لم يكُن ليخطئهُ، وما أخطأهُ لم يكُن ليصيبَهُ، قالَ تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢] أي: نخلُقَها[٦].

ومنها: أن يعلَمَ العاقِلُ أنَّ الإنسانَ ما دامَ في هذهِ الدارِ فهوَ معرَّضٌ للبلايا والمصائبِ[٧] والرَّزايا، والأمراضِ والأسقام، وأنه كالهدَفِ الذي يُرمَى بالسِّهام،

(١) ذكرَه عنه البغويُّ في «تفسيره» (٥/ ١٩٦).

(٢) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٥٢٦).

(٣) في (ب): «فأولى».

(٤) في (ب): «ورده».

(٥) في (س): «ومختومه».

(٦) هذه الفقرة كلها زيادة من (ب).

وقد روى هذا التفسيرَ الطبريُّ في «جامع البيان» (٢٢/ ٤١٨) عن قتادة، و(٢٢/ ٤١٩) عن ابن زيد، و(٢٢/ ٤٢٠)، وابنُ أبي حاتم في «تفسير القرآن العظيم» (١٨٨٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) قوله: «والمصائب» ليس في (ب).

ولينظُر إلى قولِ اللهِ تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤] أي: في شدّةٍ ونصَبٍ؛ بسببِ ما يقاسيهِ من مُكابدةِ المحَنِ والمشاقّ، فهو من أولِ خروجِهِ إلى الدُّنيا في مُكابدةِ مشاقِّ التربيةِ إلى حينِ التمييز، فيتحمَّلُ مُكابَدةَ التأديبِ والتعليمِ إلى حينِ التكليف، فتلزمُهُ مُكابَدةُ الأوامرِ والنواهي والشهوات، ثم في حالِ الكسبِ والسعيِ يدخُلُ في مُكابَدةِ الخلقِ وإذايتِهم إن خالطَهم، أو اعتزَلَ عنهم.

قالَ الحسنُ: يكابدُ مصائبَ الدُّنيا، وشدائدَ الآخرة[1].

وعنهُ أيضاً: يكابدُ الشكرَ على السَّرّاء، ويُكابِدُ الصبرَ على الضَّرّاء؛ لأنهُ لا يخلُو من أحَدِهما[2].

وقالَ بعضُهم: لم يخلُق الله خَلقاً يُكابِدُ ما يُكابِدُ ابن آدمَ، وهو معَ ذلكَ أضعَفُ الخلقِ[3].

وفي «تفسيرِ القُرطبيِّ»: أولُ ما يُكابِدُ قطعُ سرُّته، ثمَّ إذا قمِّطَ قِماطاً، أو شُدَّ رباطاً، يُكابِدُ الضيقَ والتعبَ، والمشقّةَ والنصبَ، ثم يُكابِدُ الارتضاعَ، ولو فاتَهُ ضاعَ، ثم يُكابِدُ نبْتَ أسنانِه، وتحرُّكَ لسانه، ثم يُكابِدُ الفِطامَ، الذي هو أشدُّ من ألفِ طامٍ[4]، ثم يُكابِدُ الخِتانَ، والأوجاعَ والأحزانَ، ثم يُكابِدُ المعلِّمَ وصَوْلتَهُ، والمؤدِّبَ وسياستَهُ، والأستاذَ وهيبَتَهُ، ثم يكابدُ شغلَ التزويجِ وشُغلَ الأولاد، والخدَمِ والأجناد، ثم يُكابدُ شُغلَ الدُّور، وبناءَ القصور، ثم الكِبرَ والهرَم، وضَعفَ الرُّكبِ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩٣١٥) عنه.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره الكبير» (٣١/ ١٦٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٩) عن الحسن، وذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٣٠) عن يمان، ولم أعرفه.

(٤) يُقال: طمى الماء: ارتفع، وطمى الخَطْبُ: اشتدّ. وفي مطبوع مصدره: «أشد من اللِّطام».

والقدَم، في مَصائبَ يكثُرُ تَعدادُها، ونوائبَ يطولُ إيرادُها، من صُداعِ الراس، ووجَعِ الأضراس، ورمَدِ العين، وغمِّ الدَّين، ووجَعِ السِّنّ، وألمِ الأُذْن، ويُكابِدُ مِحناً في المالِ والنفس، مثلَ الضَّربِ والحَبس، ولا يَمضي عليهِ يومٌ إلا ويُقاسي فيهِ شدّةً، ويُكابِدُ فيهِ مشقّةً، ثم الموتُ بعدَ ذلكَ كلِّه، ثم مساءلةُ الملَكِ ووحشَتُهُ، وضغطةُ القبرِ وظُلمَتُهُ، ثم البعثُ والعرضُ على اللهِ تعالى، إلى أن يستقِرَّ بهِ القَرار، إما في الجنّةِ وإما في النارِ[1].

وأعظَمُ من هذا كلِّهِ أن[2] يُكابِدَ نفسَهُ وهواهُ، وإبليسَ وجنودَهُ.

شعرٌ:

إني بُليتُ بأربَعٍ يَرمينَني ... بالنَّبل، قد نَصَبوا عَليَّ شِراكا

إبْليسُ، والدُّنيا، ونَفْسي، والهَوى ... مَن أينَ أرْجُو بَينَهُنَّ فِكاكا

يا رَبِّ ساعِدْني بعَفوٍ؛ إنَّني ... أصبَحتُ لا أرْجُو لهنَّ سِواكا[3]

ومعَ ذلكَ كلِّه؛ فهو[4] تتخلَّله المصائبُ والنوائبُ والمخاوفُ، من بلاءٍ في بدَنه، أو مَوتِ ولدِه، أو صديقِه، أو غيرِ ذلك مما لا ينحَصِرُ، إن أخطأهُ هذا أصابَهُ هذا.

ففي «البخاريِّ»: أنَّ النبيَّ ﷺ خطَّ خطاً مُربَّعاً، وخطَّ خطّاً في الوسطِ خارِجاً

---

(١) يُنظر: «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٢٩٣).

(٢) في (ب): «أنه».

(٣) ذكرها القرطبي في «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٢/ ٨٨٠)، دون نسبة، ولم أهتد إلى قائلها.

(٤) ليس في (ب) قوله: «فهو».

منهُ، وخطَّ خططاً صغاراً... إلى أن قالَ: «فهذا الإنسانُ، وهذا أجلُهُ محيطٌ به، وهذا الذي هوَ خارِجٌ أملُه، وهذه الخططُ الصغارُ الأعراضُ، فإن أخطأَهُ هذا نهشَهُ هذا، وإن أخطأَهُ هذا نهشَهُ هذا»[١].

فإذا كانَ كذلِكَ؛ فكيفَ يطمَعُ العاقِلُ في أن يسلَمَ من الآفاتِ والمحَنِ والمصائبِ والشدائدِ!

ورُوِيَ: أن اللهَ تعالى أمرَ الملائكةَ أن يَعجِنوا الترابَ الذي أرادَ أن يخلُقَ منهُ آدمَ بماءِ الفرَحِ والسُّرور، ففعلُوا ذلك، فلَم ينعَجِن، فقالَ اللهُ[٢] لهم: صبُّوا عليه ماءَ الحزنِ واعجِنوه به، فلما صبُّوه[٣] عليهِ لانَ وانعجَنَ، فاستمرَّ أربعينَ سنةً يُمطَرُ عليهِ ماءُ الحزن، ثمَّ أُمطِرَ عليه سنةً ماءُ السرورِ[٤]، فقالَ اللهُ تعالى: سبَقَ في[٥] علمي وقضائي: أن هذا وذريَّتهُ يعيشُونَ في الحزنِ والمصائبِ إلى يومِ القيامةِ[٦].

ومنها: أن يعلَمَ العاقِلُ أنَّ هذه الدارَ دارُ كدَرٍ لا راحةَ فيها للمؤمن، إن أضحكَتِ اليومَ أبكَتْ غداً، وإن أسرَّتْ أعقبَ السرورَ رَدىً[٧]، وإن أضحكَتْ قليلاً أبكَتْ كثيراً، وإن سرَّتْ يوماً ساءَتْ دهراً، وإن متَّعت قليلاً منعَتْ طويلاً، وما سرَّتْ أمراً بيومِ سرورٍ، إلا جعلَتْ لهُ يومَ شرورٍ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٤١٧) من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) لفظ الجلالة ليس في (س).

(٣) في (ب): «صب».

(٤) قوله: «أمطر عليه» ليس في (ب)، وفي (س): «ماء السرور سنة».

(٥) حرف الجر ليس في (ب).

(٦) لم أجد المرويَّ.

(٧) في (س): «أعقبت»، وفي (ب): «داء».

قالَ ابنُ مسعودٍ: لكلِّ فرحةٍ ترحةٌ، وما ملئَ بيتٌ فرَحاً إلا مُلئ تَرَحاً[١].

وقالَ ابن سيرينَ: ما كانَ من ضحكٍ قطُّ إلا كان من بعدِه بكاءٌ[٢].

فهذِه الدارُ[٣] صفاؤها كدَرٌ، وأمنُها حذرٌ، ومُسالَـمتُها غررٌ، وساكِنُها رهينُ القضاءِ والقدَر، وصحَّتُها سقَمٌ، وشبابها هَرَمٌ[٤]، ما اجتمَعَ لأحدٍ فيها أملُه، إلا أسرَعَ في تفريقِهِ أجلُهُ.

فهي ظلٌّ زائلٌ، وحالٌ حائلٌ، ورُكنٌ مائلٌ، وغَولٌ غائلٌ، وسُمٌّ قاتلٌ، ورفيق[٥] خاذلٌ، ومسؤولٌ باخِلٌ، كم تَعِدُ وتماطِلُ[٦]، كلُّ وَعدِها غُرورٌ وباطلٌ، تاللهِ ما فرِحَ بالدنيا عاقلٌ، أيُّ مُطمئنٍّ فيها لم يُزعَج، وأيُّ قاطنٍ لم يُخرَج[٧].

فإن كنتَ في شكٍّ فسَلْ عن الجيرانِ المنازِلَ، وقلْ لها: أين الساكِنُ النازِلُ؟ فيجيبُكَ لسانُ حالها، عندَ سؤالها[٨]: ركِبوا فرسَ الرحيلِ المُسرَج، وإلى بَوادي

---

(١) في الأصل: «برحاً»، والتصويب من لفظ الحديث في «الاعتبار وأعقاب السرور» لابن أبي الدنيا (٣).

وقد روى طرفه وكيع في «الزهد» (٥٠٦)، ورواه مطوَّلاً (٥٠٧) هو والإمام أحمد في «الزهد» (٩٠١) بلفظ: «وما ملئ بيت حَبرة، إلا ملئ مثلها عَبرة».

وروى طرفَه الخطيبُ في «تاريخه» (٤/ ١٩٧) مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وفي إسناده ضعفاء.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الاعتبار وأعقاب السرور» (٥).

(٣) من قوله: «وإن أضحكَتْ قليلًا» ليس في (س) و(ر).

(٤) في (ب): «حرم».

(٥) في (ب): «رفيق».

(٦) في (ب): «تعدكم تماطل».

(٧) يُنظر: «التبصرة» لابن الجوزي (١/ ٢٧٢).

(٨) قوله: «عند سؤالها» ليس في (ب).

القبورِ كان المخرَجُ، وكان النعشُ[١] المركوبُ بعدَ الهودَج، وكأسُ الصفاءِ ممزوجٌ فيها[٢] بالأكدار، وعلى هذا وضْعُ هذه الدار.

فالعجَبُ ممَّن يدُه في سلّةِ الأفاعي كيفَ يُنكِرُ اللسعَ، وأعجَبُ منهُ من يطلُبُ من المطبوعِ على الضرِّ النفعَ!

شعر:

طبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وأنتَ تُريدُها ... صَفْواً مِنَ الأقذارِ والأكدارِ
ومُكلِّفُ الأيامِ ضدَّ طِباعِها ... مُتطلِّبٌ في الماءِ جَذْوةَ نارِ[٣]

وقالَ بعضُهم ـ رَحِمَهُ اللهُ تعالى ـ:

ومَن يَكُ في الدُّنيا فلا يَعْتِبَنَّها ... فلَيسَ عَلَيها مُعتِبٌ ومَلامُ
وما هِيَ إلا زَحمةٌ ومَشَقّةٌ ... ولمْ يُرَ فيها راحةٌ وسَلامُ
فلِلهِ أعوامٌ تمُرُّ عَلى الوَرى ... نَعيمٌ وبُؤسٌ صِحّةٌ وسَقامُ
عُصُورٌ وأحقابٌ تمُرُّ وتَنقَضي ... ولَيسَ لها في الانقِضاءِ دَوامُ
فلله درُّ الغَمِّ حَيثُ أمَدَّني ... بطُولِ حَياةٍ والغُمومُ سِمامُ[٤]
أرى عُمْرَ نُوحٍ كلَّ أنْ يمُرَّ بي ... وما حامَ حامٌ حَولَ ذاكَ وسامُ
فدَعْها وما فيها هَنيئاً لأهْلِها ... ولا تَكُ فيها رَغْبةٌ وسُؤامُ

---

(١) في (ب): «المخرج، والنعش».

(٢) في (ب): «وكان»، وليس في (س) قوله: «فيها».

(٣) يُنظر: «الثبات عند الممات» لابن الجوزي (ص٢٦)، وفيه خطأ: «على الضرّ التمنع».

أما البيتان فهما لأبي الحسن التهاميّ في أوائل مرثيته ولدَه. يُنظر: «ديوانه» (ص٣٠٨).

(٤) في (س): «سهام».

فبَيـنَ البَرايـا والخُلـودِ تَبـايُنٌ وبَينَ المَنايا والنُّفوسِ لِـزامُ[١]

وقالَ بعضُهم:

نعَـمْ إنهـا الدُّنيـا سِمـامٌ لطاعِـمٍ وخَـوفٌ لمطلُـوبٍ، وهَـمٌّ لطالِـبِ

وإنـا لنَهواهـا مَـعَ الغَـدرِ والقِلا ونمْدَحُهـا مَـعَ عِلْمِنـا بالمعايِـبِ

ومَنْ كانَتِ الأيّـامُ ظَهْـراً لِرحلـةٍ فيا قُـربَ مـا بَيـنَ المـدَى والركائبِ[٢]

ولما علِمَ العاقلُونَ أن هذِهِ الدُّنيا بهذه المثابةِ استراحُوا، فلَم يفرَحُوا بما آتاهُم ولا حزِنُوا على ما فاتهم وناحُوا، وأصبَحَ قائلُهم يقولُ:

ومـا اسـتَغْرَبَت عَيْنـي فِراقـاً رأيتُـهُ ولا عَلَّمَتنـي غيـرَ مـا أنـا عالِمُـه[٣]

ومنها: أن التَّسلِّيَ يحصُلُ للعبدِ المصابِ بتذكُّره ما يعقِبُ مُصيبتَهُ من الثواب؛ فإنَّ لذّةَ الثوابِ تُنسي ألَمَ العِقاب؛ كما يُحكى[٤] أن بعض الصالحاتِ عثَرَتْ، فانقطَعَ ظُفرُها، فبكَتْ، ثم ضَحِكت، فقيلَ لها: سبُحان اللهِ! أتجمعينَ بين البكاءِ والضحِكِ في مقامٍ واحدٍ؟ فقالَتْ: أما بكائي؛ فلشِدّةِ ما وجدْتُ من الألم، وأما ضحِكي فلأجلِ ما تذكَّرتُه من لذّةِ الثوابِ[٥].

وقـد تقـدَّمَ ما فـي فضـلِ الصبرِ علـى المصيبـةِ وثوابِ الاسـترجاع، وسـيأتي إن شـاءَ اللهُ تعالـى ما فـي فضلِ مـوتِ الأولادِ.

---

(١) الأبيات من قصيدة طويلة نسبها العاملي في «الكشكول» (١/ ٩٥ ـ ٩٨) إلى الفاضل المحقِّق أبي السعود أفندي صاحب «التفسير»، والمُفتي بقسطنطنية.

(٢) الأبيات للشريف الرضي في مرثية له في «ديوانه» (١/ ٢١١ ـ ٢١٢).

(٣) البيت للمتنبي في «ديوانه» (بشرح البرقوقي) (٤/ ٥٠).

(٤) في (ب): «حُكي».

(٥) ذكر هذه الحكاية ابنُ النحاس في «مشارع الأشواق» (٢/ ٥١٥) عن امرأةِ فتح الموصلي.

ومنها: أن يعلَمَ العاقِلُ أن الجزَعَ لا يفيدُ شيئاً، بل ربما يكونُ في إظهارِه شماتةُ الأعداء والحُسّاد؛ كما قيل [(١)] ـ شعر ـ:

تصَبَّر ولا تُبْدِ[(٢)] التَّضَعْضُعَ للعِدى ... ولو عَمِلَتْ في اللَّحْمِ مِنكَ البَواتِرُ

سُرورُ الأعادي أنْ تَراكَ بذِلّةٍ ... ولكِنَّها تَغتَمُّ إنْ أنْتَ صابِرُ [(٣)]

وليُعلَم أنَّ مَن رضِيَ بقضاءِ اللهِ فلَهُ الرضا من اللهِ سبحانَهُ، ومَن سخِطَ فلَهُ السخَطُ؛ فعَن النبيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَ إذا أحبَّ قوماً ابتلاهُم، فمَن رضِيَ فلهُ الرِّضا، ومن سخِطَ له السخَطُ، ومن جزَعَ فلهُ الجزَعُ». رواهُ الإمامُ أحمدُ[(٤)].

وعنِ[(٥)] ابن عبّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُما ـ: أوَّلُ شيءٍ كتبَهُ اللهُ في اللَّوحِ المحفوظِ: إني أنا اللهُ، لا إلهَ إلا أنا، محمَّدٌ رسُولي، من استسلَمَ لقضائي، وصبرَ على بلائي، وشكَرَ نعمائي، كتبتُهُ صِدّيقاً، وبعثتُهُ معَ الصدّيقينَ، ومن لم يَستسلِم لقضائي، ولم يصبِرْ على بلائي، ولم يشكُر نعمائي، فليتَّخِذ إلهاً سوايَ[(٦)].

---

(١) هذه الفقرة في (ب): «ومنها: أن يعلَمَ العاقِلُ أن الجزَعَ لا يفيدُ شيئاً، بل يشمِّتُ عدوَّهُ ويسوءُ صديقَهُ، ويغضِبُ ربَّهُ، ويسرُّ شيطانَهُ، ويحبِطُ أجرَهُ وضعف نفسِه، وعكسُ ذلك من ضجر».

(٢) في النسخ الثلاث: «تُبدي»، والصواب حذف الياء.

(٣) ذكرهما الثعالبي في «اللطائف والظرائف» (ص١٧٢) دون نسبة.

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٢٣٦٢٣) و(٢٣٦٣٣) و(٢٣٦٤١) عن محمود بن لبيد رضي الله عنه دون قوله: «ومن سخِطَ له السخَطُ» الذي هو ـ دون ذكر الجزَع ـ في «سنن الترمذي» (٢٣٩٦/ م)، و«سنن ابن ماجه» (٤٠٣١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) من قوله: «النبي ﷺ» إلى هنا سقط في (س) و(ر).

(٦) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين» (ص٢٠٢).
قال ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (١/ ٢١٢) بعد أن نسبه للديلمي من حديث ابن عباس: وإسناده ظلمات، فيه سليمان بن عمرو، وهو أبو داود النخعي، =

وعن عُمرَ بنِ الخطابِ ـ رَضيَ اللهُ عنه ـ: إن صبَرتَ مضَى أمرُ اللهِ وأنت مأجورٌ، وإن جزَعتَ جرَى أمرُ اللهِ وأنتَ مأزورٌ[1].

وعن عليِّ بنِ أبي طالبٍ ـ رَضيَ الله عنهُ ـ: إن صبَرتَ جرَتْ عليكَ المقاديرُ وأنتَ مأجورٌ، وإن جزَعتَ[2] جرَت المقاديرُ عليكَ وأنتَ مأزورٌ[3].

فحيثُ[4] كانَ كذلِكَ فالجزعُ لا يردُّ الفائتَ، ولكنَّهُ يسرُّ الشامِتَ، ويقدَحُ في الصبر، وينقِصُ الأجرَ، والعامةُ تقولُ: «مَن لم يصبِرْ طِيْبَةً، صبرَ غَصِيْبَةً».

قالَ عليٌّ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ للأشعَثِ بن قيسٍ: إنكَ إن صبرْتَ إيماناً واحتِساباً وإلا سلوتَ كما تسلُو البهائمُ[5].

= وإسماعيل بن بشر مجهول، وجويبر متروك، والضحّاك لم يسمع من ابن عباس.

وقد أخرج الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٢٠) (٨٠٧) عن أبي هندٍ الداريِّ قال: سمعتُ رسولَ ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى: «من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليلتمس رباً سواي». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٧): فيه سعيد بن زياد بن هند، وهو متروك.

(١) لم أجده.

(٢) سقط في (ر) من قوله: «جرى أمر الله» إلى هنا.

(٣) أخرجه باختلافٍ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩/ ١٣٩).

(٤) في (ب): «وحيث».

(٥) لم أجده مسنداً، وقال أبو هلال العسكريُّ في «الصناعتين» (ص١٥٩): وسمع أبو تمامٍ قولَ عليِّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ للأشعَث بن قيس: «إنك إن صبرتَ جرى عليك قضاء الله وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك أمر الله وأنت موزور؛ فإنّك إن لم تسلُ احتساباً سلَوتَ كما تسلو البهائم»؛ فحكاه حكايةً حسنة في قوله:

وقال عليٌّ في التّعازي لأشعَثٍ ... وخافَ عليهِ بعضَ تلكَ المآثمِ

أتصبِرُ للبَلْوى رَجاءً وحُسبةً ... فتُؤجَرَ، أم تسلُو سُلُوَّ البهائمِ

خُلقنا رجالاً للتجلُّد والأسى ... وتلكَ الغَواني للبُكا والمَآتِمِ =

كتبَ بعضُ الحكماءِ إلى أخيهِ تعزيةً، وهي[١]: إنه قد ذهَبَ منكَ ما رُزئتَ به، فلا يذهبَنَّ منكَ ما عُوِّضتَ عنهُ[٢]. يعني: الأجرَ.

شعرٌ:

إذا أُبْليــتَ بالـكَــرهِ   فكَنْ بالصَّبــرِ لَـوّاذا
وإلا ذَهَــبَ الأجْــرُ   فَلا هَــذا ولا هَــذا[٣]

فلَعَمْري، إن الجزَعَ لا يدفَعُ، والقلَقَ لا ينفَعُ، والحذَرَ لا يرفَعُ[٤]، هيهاتَ أن يُرُدَّ الحذَرُ، ما سبقَ بهِ القدَرُ، بل الجزَعُ الذي[٥] يُفوِّتُ ثوابَ الصبرِ والتسليمِ الذي ضمِنَه[٦] اللهُ على الصبرِ والاسترجاعِ أعظمُ منَ المصيبةِ في الحقيقة.

شعرٌ:

تصَبَّـرْ؛ فـإنَّ الأجْـرَ أسْـنَى[٧] وأعْظَمُ   ورأيُـكَ أهْـدَى لـلَّـتـي هِـيَ أقـوَمُ
ولَـو جازَ فَـرْطُ الحُزنِ للمَـرْءِ لَـمْ يُفِدْ   فما بـالُـنـا لا نَـسـتَـفـيـدُ ونـأثَـمُ

والأبيات في قصيدة في «ديوان أبي تمام» (بشرح التبريزي) (٣/ ٢٥٩).

(١) قوله: «وهي» ليس في (ب).

(٢) لم أجده.

(٣) ذكرهما ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٨٥) من إنشاد ابن مسروق.
وأحسبُ أنه أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي، كان عذبَ اللسان، جيّدَ الخاطر، (ت ٢٩٨هـ). ترجمه في «صفة الصفوة» (٤/ ١٢٨).

(٤) قوله: «والحذر لا يرفع» ليس في (ب).

(٥) ليس في (س) قوله: «الذي».

(٦) في (ب) و(ر): «وهو التي ضمنها».

(٧) في (ر): «أنسى».

وإنـي عَـن نَـدْبِ الأَحِبّـةِ سـاكِتٌ ... وإنْ كـانَ قَلْبـي بالأَسَـى يَتكَلَّـمُ
عَلَـى مِثْـلِ هـذا عاهَـدَ الدَّهْـرُ أَهْلَهُ ... وِصـالٌ وتَفريـقٌ يُسـيءُ ويُؤلِـمُ[1]

فلا جرمَ أن اللهَ تعالى قد حثَّ على الصبرِ الجميل، ووعَدَ على ذلكَ الأجرَ الجزيلَ، فقالَ سبحانَه وتعالى فيما ثبتَ من الأحاديثِ القُدسيّةِ في صحيحِ السُّنّةِ: «ما لعبدي المؤمنِ عندي جزاءٌ إذا قبضْتُ صفيَّهُ من أهلِ الدُّنيا ثم احتسَبهُ إلا الجنّة»[2].

ومنها: أن يتذكَّرَ العاقِلُ المُصابُ ما ورَدَ في الحديثِ الصحيحِ: «إنَّ للهِ ما أخذَ، وما أعطَى، وكلُّ شيءٍ عندَهُ إلى أجلٍ مُسمَّى»[3].

وأنَّ أموالَنا وأولادَنا [إنما هيَ][4] ودائعُ، ولا بدَّ لصاحبِ الوديعةِ أن يأخُذَها من الدهر.

شعرٌ:

ومـا المـالُ والأهْلُـونَ إلا وَديعـةٌ ... ولا بُـدَّ يَومـاً أنْ تُـرَدَّ الوَدائـعُ[5]

فلينظُرِ العاقلُ المصابُ في بدايَتِه ونهايَتِه، فبدايتُه: أنهُ هو وأهلُه ومالُه ملكٌ للهِ عزَّ وجلَّ حقيقةً، وقد جعلَهُ عندَهُ عاريةً، فإذا أخذَهُ منهُ فهو كالمُعيرِ يأخُذُ متاعَهُ.

---

(١) في (س) و(ر): «وصار»، وفي النسخ الثلاث: «بتفريق»، والتصويب من «ديوان ابن نباتة المصري»، والأبيات فيه (ص٤٦٣ ـ ٤٦٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٤٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «صحيح البخاري» (٥٦٥٥)، «صحيح مسلم» (٩٢٣) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٤) قوله: «إنما هي» ليس في (س) ولا (ر).

(٥) هو للَبيدِ بن ربيعة رضي الله عنه في «ديوانه» (ص٨٩)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٧٩).

ونهايتُهُ: أن مَصيرَهُ ومرجِعَهُ إلى اللهِ ربِّه، ولا بدَّ أن يُخلِّفَ الدُّنيا وراءَ ظهرِه ويَجيءَ ربَّهُ فرداً، كما خلقَهُ أولَ مرةٍ، بلا أهلٍ ولا مالٍ ولا عَشيرةٍ، ولكِنْ بالحسناتِ والسيِّئات، فإذا كانَت هذهِ بدايةَ العبدِ ونهايتَهُ؛ فكيفَ يفرَحُ بموجودٍ، أو يأسى[1] على مفقودٍ.

وعن أنسِ بن مالكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: ماتَ ابنٌ لأبي طلحةَ من أُمِّ سُليمٍ، فقالتْ لأهلِها: لا تحدِّثوا أبا طلحةَ بابنِه حتى أكونَ أنا أُحدِّثُهُ، قالَ: فجاءَ، فقالَ: كيفَ الغلامُ؟ فقالَتْ: قد هدأ نفَسُهُ[2]، وأرجو أن يكُونَ قد استراحَ، قالَ: فقرَّبت إليهِ عَشاءً، فأكَلَ وشرِبَ، قالَ: ثمَّ تصنَّعتْ لهُ أحسَنَ ما كانَتْ تصنَّعُ قبلَ ذلكَ، فوقَعَ بها.

فلمّا رأت أنهُ قد شبِعَ وأصابَ منها قالَتْ: يا أبا طلحةَ، أرأيتَ لو أن قوماً أعاروا عارِيتَهم أهلَ بيتٍ، فطلَبُوا عارِيتَهم، ألهُم أن يمنعُوهم؟ قالَ: لا، قالَتْ: فاحتَسِب ابنَكَ!

فانطلَقَ حتى أتى رسولَ اللهِ ﷺ، فأخبرَهُ بما كان، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «بارَكَ اللهُ لكما في ليلَتِكُما»[3]، قالَ: فحمَلَت، وولَدَت[4]، فسمّاهُ رسولُ اللهِ ﷺ: عبدَ اللهِ[5].

ومنها: أنَّ العاقِلَ المؤمنَ يتسلَّى بمصيبَتِه بالنبيِّ ﷺ عن كلِّ مُصيبةٍ[6].

---

(١) في (ر) و(س): «ويأسف».

(٢) قوله: «قد» ليس في غير (ب).

(٣) «صحيح البخاري» (١٣٠١).

(٤) في هامش (س): «قوله: «وولدت» هو كذلك بالأصل».

(٥) وردت تسمية النبي ﷺ للصبي في رواية «صحيح البخاري» (٥٤٧٠).

(٦) جاء في هامش (س): «في سيرة ابن سيد الناس«: «لتُعزِّي [كذا] المسلمين بمصائبهم المصيبةُ بي».
وإعرابُه: اللام: لامُ الأمر، و«تُعزِّي» [كذا]: فعلٌ مضارع مجزوم بها، و«المسلمين»: مفعولٌ مقدَّم، =

روى الطبرانيُّ عن عائشةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنها ـ أن النبيَّ ﷺ قالَ: «يا أيها الناسُ، من أصيبَ منكُم بمُصيبةٍ من بعدي؛ فليتعزَّ بمُصيبَتِه بي عن مُصيبَتِه التي تُصيبُه؛ فإنهُ لن يُصابَ أحدٌ من أُمّتي من بعدي بمثلِ مُصيبَتِه بي»[1].

وروَى الطبرانيُّ أيضاً عن عبدِ الرحمن بنِ سابطٍ[2]، عن أبيهِ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن أُصيبَ بمصيبةٍ فليذكُر مصيبتَه بي؛ فإنها أعظَمُ المصائبِ»[3].

= و«بمصائبهم» متعلّق بـ«تعزّي»، وقوله: «المصيبةُ» فاعلٌ مؤخَّر، و«بي»: متعلّق بـ«المصيبة».
والمعنى: أن مصيبتَه ـ وهي موتُه ﷺ ـ تسلّي المسلمين في كلِّ ما يُصابون به؛ لأنه دونَ المصيبة به عليه الصلاة والسلام. هكذا بخطِّ شرف الدين ابن شيخ الإسلام ـ رَحِمَهُ اللهُ تعالى». ا. هـ.
قلتُ: الحديثُ ذكره ابنُ سيد الناس في «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» (٢/ ٤٥٢)، وهو في «موطأ الإمام مالك» (١/ ٢٣٦) (٤١) عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر مرفوعاً معضَلاً.
وأما شرفُ الدين ابنُ شيخ الإسلام فهو الشيخ شرفُ الدين بنُ زين العابدين بنِ مُحيي الدين بن وليِّ الدين بن جمال الدين بن يوسف بن شيخِ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي، كانت كتبُه كثيرةً؛ بحيث أنه اجتمع عنده كتبُ جدِّه شيخ الإسلام ومن بعدَه من أسلافِه على كثرتها، وأضاف إليها مثلَها شراءً واستكتاباً، فكان إذا أتاه أحد بكتابٍ ـ أيِّ كتاب ـ للبيع لا يُخرجه من بيته ولو بزيادةٍ على ثمن مثله، وكان حريصاً على خطوط العلماء ضنيناً بها، (ت ١٠٩٢). يُنظر: «خلاصة الأثر» (٢/ ٢٢٢).

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٤٤٨)، وفيه عبد الله بن جعفر، والدُ علي بنِ المدينيّ، وهو ضعيف. قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٧).

(٢) في (س) و(ر): «أسباط»، وقوله: «أيضاً» زيادة من (س).

(٣) «المعجم الكبير» (٦٧١٨)، وقال الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢): وفيه أبو بردة عمرُو بنُ يزيد، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره.

وروى ابنُ أبي الدُّنيا، عن النبيِّ ﷺ قال[١]: «إذا اشتدَّ حزنُ أحدِكُم على هالكِهِ فليذكُرْني، وليعلَمْ أني قد مِتُّ»[٢].

وفي لفظٍ آخرَ: «مَن عظُمَت مُصيبَتُه فليذكُرْ مُصيبَتهُ بي؛ فإنها ستَهُونُ عليهِ»[٣].

قالَ ابنُ السَّمّاكِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: كانَ رجلٌ يجلِسُ إليَّ، فبلغَني أنه شاكٍ، فأتيتُهُ أعودُهُ، فإذا هو قد نزَلَ بهِ الموتُ، وإذا أمٌّ له عجوزٌ كبيرةٌ عندَهُ، فجعلَتْ تنظُرُ إليهِ حتى أُغمِضَ وعصِّبَ وسُجِّيَ، فقالَت: رحمَكَ اللهُ يا بنيَّ! لقد كنتَ بنا بَرّاً، وعلينا شَفُوقاً، فرزقنا[٤] اللهُ عليكَ الصبرَ، فقَد كنتَ تُطيلُ القيامَ، وتُكثِرُ الصيامَ، لا حرمَكَ[٥] اللهُ ما أمَّلتَ من رحمَته، وأحسَنَ عنكَ العزاءَ، ثم نظرَت إليَّ وقالَتْ: أيها العائدُ، لو بقِيَ أحدٌ لأحدٍ ـ فقلتُ في نفسي: تقولُ[٦]: لبقِيَ لي ابني لحاجَتي إليهِ ـ فقالَتْ: لبقِي رسولُ اللهِ ﷺ لأُمَّته.

فخرَجتُ وأنا أقولُ: ما رأيتُ امرأةً أكمَلَ منها ولا أجزَلَ[٧].

---

(١) قوله: «قال» زيادة من (س).

(٢) ذكره الحليمي في «المنهاج في شعب الإيمان» (٣/ ٣٧١)، ولعله أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزاء»، وهو مفقود.

(٣) ذكره ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (٢/ ٣٥٠)، ولم أجده مسنداً.

(٤) في (ب): «فرزق».

(٥) في غير (ب): «لا أحرمك».

(٦) قوله: «تقول» سقط في غير (ب).

(٧) لم أجد الحكاية إلا في «التذكرة الحمدونية» (٤/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).
وابن السَّمّاك هو محمد بن صَبيح، أبو العبّاس، العِجليُّ مولاهم، الكوفي، الواعظُ الزاهد، أحد الأعيان. (ت١٨٣هـ). «تاريخ الإسلام» (٤/ ٩٥٩).

شعرٌ:

اصْبِـرْ لـكُلِّ مُصيبـةٍ وتـجَلَّدِ واعْلَم بـأنَّ المَـرْءَ غَيـرُ مخلَّـدِ

وإذا ذكَـرْتَ مُفارَقـاً ومُصابَـهُ فاذْكُر مُصابَـكَ بالنَّبـيِّ مُحمَّدِ[١]

ومنها ـ وهو أعظَمُ ما يورِثُ التَّسلِّيَ ويُذهِبُ الأسَى ـ: تذكُّرُ ما وقعَ للخَلقِ من ذلكَ، فقلَّ أحدٌ إلا وقد سُلِكَ بِهِ هذِه المسالِكُ.

شعرٌ:

ولولا الأسَى ما عِشْتُ في النّاسِ ساعةً ولـكِـنْ مَـتـى نـادَيتُ جاوَبَني مِثْلي[٢]

ولينظُـرِ المصـابُ يَمنـةً، فهل يـرى[٣] إلا محنـةً؟ ثم ليعطِـف يَسـرةً، فهل يرَى إلا حسـرةً، وإنـهُ لـو فتَّشَ العالـمَ لم يـرَ فيهـم[٤] إلا مُبتلىً، إمـا بفواتِ محبـوبٍ، أو حُصـولِ[٥] مكـروهٍ، لا سـيَّما في أيـامِ الطاعـون، فالعاقِلُ يتسـلَّى بغيـرِه، ولذلكَ قالَ الغزالـيُّ ـ رَحِمَـهُ اللهُ ـ: المـوتُ معَ النـاسِ عرسٌ[٦].

ماتَ لبعضِهم سبعةُ بنينَ في الطاعون، فعُزِّيَ فيهم، وقيلَ لهُ: ماتوا جميعاً،

---

(١) البيتان بنحوهما لأبي العتاهية في «ديوانه» (ص١٢٩)، و«بهجة المجالس» (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥١). ونُسبا لإبراهيم بن المهدي في «مناقب آل أبي طالب» للمازندراني (١/ ٢٩٥).

(٢) هو لحُرَيث بن زيد الخيل في أبيات في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٢٨٧)، وفي «ديوان الحماسة» (بشرح المروزقي) (٢/ ٨٤٨)، لكن أبا تمام عاد فنسبه (٢/ ٨٦٩) ـ بشيء من اختلاف ـ في أبياتٍ لنهشل بن حَرِيٍّ، ونسبه البغدادي في «خزانة الأدب» (١١/ ٣٦٥) للشمردل بن شريك.

(٣) في (ر) و(س): «ينظر».

(٤) في (ب): «يرميهم»، وقبلها في (س): «لا».

(٥) في (س): «حضور».

(٦) لم أجده.

فقالَ: إني مُسلمٌ مُسلم[١]، فوُجِدَ عندَهُ من الصبرِ ما لا يوجَدُ عندَهُ في غيرِ هذه الأيام، وما أحسَن قولَ الخنساءِ في مثلِ هذا المقامِ:

ولَـولا كَثـرةُ الباكيـنَ حَوْلي ... عَلَـى إخْوانِهِـمْ لقَتَلْـتُ نَفْسـي

ومـا يَبكُـونَ مِثـلُ أخـي ولكِـنْ ... أُسَـلِّي النَّفـسَ عنـهُ بالتَّأَسّـي[٢]

ولمـا حضرَت إسـكندرَ ذا القرنينِ الوفاةُ كتبَ إلى أُمـهِ: إذا أتاكِ كتابي، فاصنَعي طعاماً واجمَعـي عليهِ النسـاءَ، فـإذا جلسـنَ، فاعزِمي عليهِـنَّ أن لا تأكُلَ منهـنَّ امرأةٌ ثَكلَـى، ففعَلَـت، فرفَعنَ أيديَهُـنَّ كلُّهُنّ، فقالـت: ألا تأكُلنَ؟ كلُّكنَّ ثكالـى! قلنَ: إي ـ واللهِ ـ مـا منـا امـرأةٌ إلا وقـد أثكِلـت، فقالَـتْ: يا أسـفاهُ! هلَـكَ ابني، ما كتَبَ بهذا إلا تَعزيةً لي[٣].

ماتَ لأبي بكرةَ الصحابيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ من الأولادِ دُفعةً واحدةً أربعونَ[٤]، ولأنسِ بن مالكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ ثلاثةٌ وثمانون، وذلكَ بالطّاعونِ[٥].

---

(١) حكاه المبرد في «التعازي» (ص٢١٥) من قول البراء المازني: مات في الطاعون لصدقة بن عامر المازني... إلخ.

(٢) «ديوان الخنساء» (ص٣٢٦)، و«الأمالي» لأبي عليٍّ القالي (ص٦٦١).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الاعتبار وأعقاب السرور» (٦٨) عن ابن لهيعة به.

ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٣٥٨) بإسناده إلى ابن لهيعة: حدثني سالم بن غيلان، عن سعيد بن أبي هلال: أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار: أنت تقولُ... الحكايةَ.

(٤) في (س): «دفعة واحد وأربعون».

(٥) لم أجد ما ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ من موت أبناء أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه، والذي وجدته أنه مات في الطاعون الجارف في شوال سنة تسع وسبعين أربعون ولداً لابنه عبدِ الرحمن بن أبي بكرة، ولأنس بن مالك رضي الله العددُ المذكور، ولعبيد الله بن عمير ثلاثون ابناً، يُنظر: «التعازي» للمبرد (ص٢١٥)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٢/ ٦١٦).

وهذا سيدُ المرسَلين ـ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ ـ قبَضَ اللهُ أولادَهُ في حياتِه، فماتَ لهُ ﷺ من الأولادِ ستةٌ ـ أو سبعةٌ، أو ثمانيةٌ؛ على الخلافِ في ذلكَ ـ: القاسمُ، وعبدُ الله، والطيّبُ، والطاهرُ، وإبراهيمُ، وزينَبُ، ورقيةُ، وأمُّ كلثومٍ، ولم يتأخَّر سوى فاطمةَ، ولم تَعِش بعدَه إلا ستةَ أشهرٍ وبعضَ ليالٍ.

وفي قتلِ الحسَن، والحُسين، وعليِّ بنِ أبي طالبٍ، وعثمانَ بنِ عفانٍ، وعُمرَ بنِ الخطّابِ ـ رِضوانُ اللهِ عليهم أجمَعينَ ـ تَسليةٌ للصابرينَ، وعِظةٌ للمتَّعِظين، وذِكرى للمُؤمنين[1].

شعرٌ:

تسَلَّ فكَمْ لكَ من أُسْوةٍ ... تُجلِّي عَنكَ هُمومَ الحَزَنْ

بمَوْتِ النَّبيِّ وقَتْلِ الوَصِيِّ ... وذَبْحِ الحُسَينِ وسَمِّ الحَسَنْ[2]

روى الطبرانيُّ عن ابنِ عمرَ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُما ـ قالَ: كانَ بمكّةَ مُقعدان لهما ابنٌ شابٌّ، فكانَ إذا أصبَحَ نقلَهُما إلى المسجِد، فكانَ يكتَسِبُ عليهِما يومَهُ، فإذا كانَ المساءُ احتمَلَهُما، فماتَ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لو تُرِكَ أحدٌ لأحدٍ تُرِكَ ابنُ المُقْعَدَين»[3].

---

(١) من قوله: «وعظة» زيادة من (س).

(٢) هما لدعبل بن علي الخزاعيّ في «شعره» (ص٢٦٧ ـ ٢٦٨).

يُريد بـ«الوصي»: علي بن أبي طالب رضي الله عنه واستشهاده بيد عبد الرحمن بن ملجم المرادي، واستشهاد الحسين رضي الله عنه بسيف شَمِر بن ذي الجَوشنّ الضبابيّ، ودَعوى سمّ الحسن رضي الله عنه بيد امرأته جعدة بنت الأشعث.

(٣) «المعجم الأوسط» (٥٩٦٧)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٣٢٠): فيه عبد الله بن جعفر بن نجيح، وهو متروك.

شعرٌ:

سَبيلُ الخَلقِ كُلِّهم الفَناءُ ... فما أحَدٌ يَدُومُ لهُ بَقاءُ
يُقَرِّبُنا الصَّباحُ إلى المَنايا ... ويُدْنينا إلَيهِنَّ المَساءُ
أتأمَلُ أن تَعيشَ وأيُّ غُصْنٍ ... عَلَى الأيّامِ طالَ لهُ النَّماءُ[(١)]
فلا تَركَنْ إلَيْها مُطمَئنّاً ... فلَيسَ بدائمٍ منها الصَّفاءُ[(٢)]

ومنها: أن يعلَمَ العاقِلِ أنَّ هذه الأيامَ إنما هيَ مراحل، ومَسافاتٌ تقطَعُها الرواحِل، لا بقاءَ لأحدٍ في هذهِ الدار، وإنْ طالَت به مُدّةُ[(٣)] الأعمار.

شعرٌ:

تعَزَّ فما في هذِهِ الدّارِ لامْرِئٍ ... بَقاءٌ وإنْ طالَتْ بهِ مُدّةُ العُمْرِ
وإنَّ المنايا لَهْيَ كأسٌ مُدارةٌ ... عَلَى كُلِّ مخلُوقٍ مِنَ العَبْدِ والحُرِّ[(٤)]

وقال آخَرُ[(٥)] غيرُهُ:

وما هَذِه الأيّامُ إلا مَراحِلٌ ... يَحُثُّ بها[(٦)] حادٍ مِنَ المَوْتِ قاصِدُ
وأعجَبُ شَيءٍ لو تأمَّلْتَ أنّها ... مَنازِلُ تُطْوَى والمُسافِرُ قاعِدُ[(٧)]

---

(١) في (ر) و(س): «نماء»، وقبلها في (س): «وأنت».

(٢) الأبيات في «التبصرة» لابن الجوزي (١/ ٣٤٤) دون نسبة، ولعلها من نظمه.

(٣) قوله: «مدة» ليس من (س).

(٤) لم أجدهما.

(٥) قوله: «وقال آخر» زيادة من (س).

(٦) في (س): «لها».

(٧) البيتان في «مدارج السالكين» لابن القيم (٣/ ٢١٠) دون نسبة.

كتبَ بعضُ الحكماءِ إلى أخٍ لهُ: أما بعدُ؛ فإنَّ الدُّنيا حلمٌ، والآخِرةَ يقَظةٌ[١]، والمتوسِّطَ بينَهُما الموتُ، ونحنُ في أضغاثِ أحلامٍ[٢].

وكتبَ الأوزاعيُّ إلى أخٍ لهُ: أما بعدُ؛ فإنهُ قد أحيطَ بكَ من كلِّ جانبٍ، واعلَم أنهُ يُسارُ بك في كلِّ يومٍ وليلةٍ، فاحذَرِ اللهَ والقيامَ بينَ يديه، وأن يكونَ آخرُ عهدِكَ بهِ والسلامُ[٣].

وكتبَ الحسنُ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ: كأنَّكَ بالدنيا لم تكُن، وكأنَّك بالآخِرةِ لم تزَلْ[٤].

وكتبَ الإسكندَرُ إلى أرسطاطاليسَ: اكتُب لي بموعظةٍ، فكتَبَ إليهِ: إذا استولَت بكَ السلامةُ فجدِّد ذكرَ العطَب، وإذا[٥] طابَت لكَ العافيةُ فحدِّث نفسَكَ بالبلاء، وإذا اطمأنَّ بكَ الأمنُ فاستشعِر الخوفَ، وإذا بلغتَ نهايةَ الأملِ فاذكُر الموتَ[٦].

ومنها: أن يعلَمَ العاقلُ أنهُ ما من مصيبةٍ إلا وفوقَها ما هو[٧] أعظَمُ منها، فليَحمَدِ اللهَ المُصابُ؛ حيثُ دفعَ عنهُ ما هو أشقُّ وآلَمُ، وما دفعَ اللهُ كان أعظَمَ.

فعن الشعبيِّ: أنَّ شُريحاً قالَ: إني لأصابُ بالمصيبة فأحمَدُ اللهَ عليها أربعَ

---

(١) قوله: «يقظة» سقط من (س).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «آداب الحسن البصري» (ص١١١) في مكتوب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله.

(٣) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٥٦٠).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٣٦٣).

(٥) في (س): «فإذا».

(٦) ذكره الطرطوشي في «سراج الملوك» (٢/ ٧٣٠).

(٧) قوله: «ما هو» زيادة من (س).

مراتٍ: أحمدُ إذ[١] لم يكُن أعظَمُ منها، وأحمَدُ إذ رزقَني الصبرَ عليها، وأحمدُ إذ وفَّقني للاسترجاعِ لما أرجو فيهِ من[٢] الثواب، وأحمَدُ إذ لم يجعَلها في ديني[٣].

ومنها: أنه يتسلَّى بحكايا[٤] وأخبارِ العاقلينَ الحازِمينَ.

حكَى ابن الجوزيِّ في «التبصرة»: أنه جاءَ رجلٌ إلى بعض السَّلفِ وهو يأكلُ طعاماً، فقالَ لهُ: ماتَ أخوكَ، فقالَ: قد علِمتُ، اجلِسْ فكُلْ، فقلتُ: ما سبَقَني غيري، فمَن أعلَمكَ؟ قالَ: قولُه تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦][٥].

شعرٌ:

عَـزاءٌ فمـا يَصْنَـعُ الجـازِعُ ... ودَمْعُ الأسَـى أبَـداً ضائـعُ

بكَى النّاسُ مِن مَوتِ أحْبابِهِم ... فهَـلْ مِنهُـمُ أحَـدٌ راجِعُ

عَرَفنـا المصائـبَ قبْـلَ الوقُوعِ ... فـما زادَنـا الحـادِثُ الواقِـعُ

وكَيْـفَ يُوقَّـى الفَتَـى ما يَخافُ ... إذا كـانَ حـاصِـدُهُ الزّارِعُ[٦]

ماتَ ولدٌ لإبراهيمَ بن سلمٍ[٧] بنِ قُتيبةَ، فعزّاهُ الهادي فقالَ لهُ: يا إبراهيمُ، سرَّكَ

---

(١) في (ر): (إذا).

(٢) قوله: «من» ليس في (س) و(ر).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٠٧).

(٤) في (س): «بحكايات».

(٥) لم أجد الحكاية في مطبوع «التبصرة»، ولا غيره، والله أعلم.

(٦) الأبيات في قصيدةٍ للشاعر العباسي صرّ درّ في «ديوانه» (ص١٨١ ـ ١٨٣).

(٧) في النسخ الثلاث: «مسلم»، والتصويب من حكاية الطبريِّ الحكايةَ في «تاريخه» (٨/ ٢١٩)، وكان المذكورُ عامل الخليفة العباسي موسى الهادي على اليمن حتى مات؛ كما ذكر خليفة بن خياط في «تاريخه» (ص٤٤٦)، ولم أهتدِ إلى ترجمة له، والله أعلم.

وهو عدوٌّ وفتنة، وأحزنَكَ وهو صلاةٌ ورحمةٌ، فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ! ما بقِيَ مني جُزءٌ كانَ فيه حزنٌ إلا وقد امتلأ عزاءً.

وعزَّى بعضُهم صديقَهُ بولدِهِ فقالَ لهُ[١]: اللهُ خيرٌ لهُ منكَ، وثوابُه خيرٌ لكَ منهُ[٢].

وعـزَّى رجـلٌ رجـلاً علـى طفـلٍ فقـالَ: عوَّضـكَ اللهُ منـهُ مـا عوَّضَـهُ منـكَ، يعنـي: الجنـةَ[٣].

وقيـلَ لرجـلٍ: كـم لكَ مـن الولدِ؟ فقـالَ: تسـعةٌ، فقيلَ لـهُ[٤]: إنما نعـرِفُ لكَ ولـداً واحِـداً! فقـالَ: كانَ لي عشـرةٌ، فقدَّمتُ[٥] تسـعةً وبقـيَ واحدٌ، فـلا أدري: أنا لهُ أم هـوَ لي؟[٦].

مـاتَ ولـدٌ لإبراهيـمَ الحربيِّ - وكان قـد قرَأ وتفقَّـهَ - فلمّا عزِّيَ فيـهِ قالَ: كنتُ أحـبُّ موتَـهُ، فقيلَ: ولمَ؟ قـالَ: رأيتُ في المنـام القيامةَ قد قامَتْ والنـاسُ عِطاشٌ، وإذا صِبيـانٌ معهُـم قِـلالُ المـاءِ يتلقَّونَ النـاسَ به، فقلـتُ لأحَدِهم: اسـقِني، فقالَ: لستَ أبي[٧].

---

(١) قوله: «له» زيادة من (ب).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨/ ١١٢) في تعزية رجاء بن حَيوَةَ لعُمرَ بن عبد العزيز رحمهما الله.

(٣) ذكره ابنُ قتيبة في «عيون الأخبار» (٣/ ٥٣)، والمبرد في «التعازي» (ص٤٨) من تعزية أبي بكرٍ عمرَ رضي الله عنهما على طفلٍ له، وذكره الجاحظُ في «البيان والتبيين» (٣/ ٢٨٥)، وابن عبد البر في «بهجة المجالس» (٢/ ٣٥٠) من تعزية ابنِ عباس عُمرَ رضي الله عنهم.

(٤) في (س) و(ر): «فقال».

(٥) في (ر): «فقدت».

(٦) ذكره بنحوه الشريف المرتضى في «الأمالي» (١/ ٢١٧) بين زياد بن أبيه ورجل من أهل البصرة.

(٧) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٥٣٤).

ولما ماتَ عبدُ الملكِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ دفنَهُ عُمرُ ووقَفَ على قبرِه، فقالَ: رحمَكَ اللهُ يا بنيَّ! قد كنتَ بَرّاً بأبيكَ، واللهِ، ما زلتُ منذُ وهبَكَ اللهُ لي مسروراً بكَ، ولا واللهِ، ما كنتُ قطُّ أشدَّ سروراً، ولا أرجَى لحظِّي من اللهِ تعالى فيكَ[١] منذ وضعتُكَ في هذا المنزلِ؛ رضاءً بقضاءِ اللهِ، وتسليماً لأمرِهِ[٢].

وقالَ أبانُ بنُ تغلبَ[٣]: رأيتُ أعرابيّةً[٤] تمرِّضُ ابناً لها، فلما فاضَ أغمَضتهُ، ثم تنحَّت عَن موضعِها، فجلسَت تجاهَهُ وقالَت: يا فلانُ، ما حقُّ[٥] من أُلبِسَ العافيةَ، وأُسبِغت عليهِ النِّعمة، وأُطيلَت له النظرةُ؛ أن يعجَزَ عن التوثُّقِ لنفسِهِ بالصبرِ على ما أصابه في هذهِ الساعة، قالَ: فأجابها أعرابيٌّ: إنّا لم نزَل[٦] نسمَعُ أن الجزَعَ للنساء، فلا يجزعَنَّ رجلٌ لمصيبةٍ بعدَك، ولقد كرُمَ صبرُك، وما أشبَهتِ النساءَ.

وقالَ ابن الجوزيِّ: قالَ بعضُ السلفِ: رأيتُ في بعضِ الجبالِ شابّاً أصفرَ اللون، غائرَ العينَين، مرتعِشَ الأعضاء، لا يستَقرُّ على الأرض، كأنّ بِهِ وخزَ الأسنّة، ودموعُهُ تتحادَرُ، فقلتُ لهُ: من أنتَ؟ فقالَ: آبِقٌ هربَ من مولاهُ، قلتُ[٧]: فيعودُ ويعتذِرُ، فقالَ:

---

(١) قوله: «فيك» ليس (س) ولا (ر).

(٢) رواه الإمام أحمد بن حنبل في «الزهد» (١٧٣١).

(٣) في النسخ الثلاث: «ثعلب»، والتصويب وفاقاً للخبر في «صفة الصفوة» (٤/ ٣٩٦)، وأبان بن تغلب الربعي الكوفي الشيعي روى له الجماعةُ إلا البخاري، وتوفي (١٤١هـ). يُنظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٢/ ٦).

(٤) في (س): «أعرابياً».

(٥) في (س): «أما وقد»، وفي (ر): «أما وحق».

(٦) قوله: «نزل» استُدرك في (س) وحدَها.

(٧) في (س) و(ر): «فقلت».

العُذرُ[١] يحتاجُ إلى إقامةِ حُجّة، فكيفَ يعتذِرُ المقصِّرُ؟ فقلتُ: يتعلَّقُ بمَن يشفَعُ فيه، فقالَ: كلُّ الشفعاءِ يخافونَ منهُ، قلتُ: فمن هوَ؟ قالَ: مولىً ربّاني صغيراً، فعصَيتُه كبيراً، شرطَ لي فوفّاني، وضمِنَ لي فأعطاني، فخُنتُه في ضَماني، وعصيتُه وهوَ يراني، فوا حَيائي من حُسنِ صُنعهِ وقَبيحِ فعلي، فقلتُ: أين هذا المولى؟ فقالَ: أين توجَّهتَ لقيتَ أعوانَهُ، وأين استقرَّت قدمُكَ ففي دارِه، فقلتُ: ارفُق بنفسِكَ، فربما أحرقَكَ هذا الخوفُ، فقالَ: الحريقُ بنارِ خوفهِ أحقُّ وأولى؛ لعلَّهُ يرضَى، ثم أنشأَ يقولُ:

لم يُبْقِ خَوفُكَ لي دَمْعاً ولا جَلَداً ... لا شَكَّ أنّي بهذا مَيِّتٌ كَمَدا
عَبْدٌ كَئِيبٌ أتى بالعَجْزِ مُعْتَرِفاً ... ونارُهُ تُحْرِقُ الأحْشاءَ والكَبِدا
ضاقَتْ مَساكِنُهُ في الأرْضِ مِن وَجَلٍ ... فهَبْ لَهُ مِنكَ لُطْفاً إن أتاكَ غَدا

فقلتُ لهُ: يا غلامُ، الأمرُ أسهَلُ مما تظنُّ! فقال: هذا من فِتَنِ البطّالينَ، هبْهُ تجاوَزَ وعفا، أين آثارُ الإخلاصِ والصفا؟ ثم صاحَ صيحةً فخرَّ ميتاً، فخرجَتْ عجوزٌ من كهفِ جبلٍ عليها ثيابٌ رثّة، فقالت: من أعانَ على البائسِ الحَيرانِ؟ فقلتُ: يا أمةَ اللهِ! دعوتُه إلى الرجاء، فقالَت: قد دعوتُه إلى ذلكَ، فقالَ: الرجاءُ بلا صَفاءٍ شركٌ، قلتُ: من أنتِ منهُ؟ قالت: والدَتُه، فقلتُ: أُقيمُ عندَكِ أعينُكِ عليه، فقالَت: خلِّه ذليلاً بينَ يدَي قاتلِه عساهُ يراهُ بغَيرِ مُعينٍ فيرحَمَه، فلَم أدرِ مِمّاذا أعجَبُ: من صِدقِ الغلامِ في خوفِه، أو من قولِ العجوزِ وحُسنِ صبرِها وصِدقِها[٢].

فلْيَتَأسَّ المصابُ بصبرِ مثلِ هؤلاءِ القوم، وليتشبَّه بهم، فمن تشبَّهَ بقومٍ فهو منهُم[٣].

---

(١) في (س) و(ر): «المعتذر».

(٢) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ٣٦٧ـ٣٦٨).

(٣) كما في حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً في «سنن أبي داود» (٤٠٣١).

[أحاديث في فضل موت الأولاد]

وقد وردَ في فضلِ موتِ الأولاد عدّةٌ[١] أحاديثَ يَتسلَّى بها قلبُ المصابِ بمَوتهم، وقد ذكرتُ طرفاً كثيراً منها[٢] في «تحقيقِ الظنونِ بأخبارِ الطاعونِ»، وها أنا أذكُرُ بعضَها وفاءً بما وعَدنا به سابقاً.

روى الترمذِيُّ عن أبي موسَى الأشعريِّ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إذا ماتَ ولدُ العبدِ المؤمن[٣] قالَ اللهُ لملائكَتِه: قبضتُم ولدَ عبدي؟ فيقولونَ: نعم، فيقولُ: قبضتُم[٤] ثمَرةَ قلبِه؟ فيقولونَ: نعم، فيقولُ الله تعالى: ماذا قالَ عبدي؟ فيقولون: حَمِدَكَ واسترجَعَ، فيقولُ اللهُ: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنّة، وسمُّوه: بيتَ الحمدِ»[٥].

وروى البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هُرَيرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يموتُ لأحدٍ من المسلمينَ ثلاثةٌ من الولدِ فتَمَسَّهُ النارُ، إلا تحلّةَ[٦] القَسَمِ»، وتحلّةُ القَسَمِ: قولُه تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١][٧].

---

(١) قوله: «عدة» ليس في (س).

(٢) قوله: «منها» ليس في (س).

(٣) قوله: «المؤمن» زيادة من (س)، وسقط فيها وفي (ر) قبله قوله: «ولد».

(٤) في (ر): «أقبضتم»، وسقط في (ب) من هنا إلى قوله: «فيقول الله تعالى».

(٥) «سنن الترمذي» (١٠٢١)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٦) في (ر) هنا وفي الموضع التالي: «نحلة» بالنون.

(٧) «صحيح البخاري» (١٢٥١) وتفسير تحلة القسم فيه من قول البخاري، و«صحيح مسلم» (٢٦٣٢).

و«تحِلّة القسَم»: ما ينحلُّ به القَسَم، وهو اليمين، والمراد به: تقليل مدة الورود على النار بقدر ما يبرُّ قسم الله تعالى في الآية.

وروى البخاريُّ ومسلمٌ عن أنسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ما من مسلمٍ يموتُ لهُ ثلاثةٌ من الولدِ لم يبلُغوا الحِنثَ إلا أدخلَهُ اللهُ الجنةَ»[1].

وروى الطبرانيُّ عن جابرِ بن سَمُرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «من دفنَ ثلاثةً، فصبرَ عليهم واحتسَبَ؛ وجبَتْ له الجنّةُ»، فقالت أمُّ أيمَنٍ: واثنَين؟ قالَ: «واثنين»، قالت: وواحدةً؟[2]، فسكَتَ، ثم قالَ: «وواحدٌ».

وروى الإمامُ أحمَدُ والنسائيُّ والحاكمُ ـ وصحَّحهُ ـ عن قُرّةَ بن إياسٍ قالَ: كان رجلٌ يأتي النبيَّ ﷺ ومعه ابنٌ لهُ، فقالَ له رسولُ اللهِ ﷺ: «يا فلانُ، تحبُّهُ؟»، قال[3]: بأبي وأمي، أحبَّكَ اللهُ كما أُحِبهُ! ففقدَه النبيُّ ﷺ فقالَ: «ما فعَلَ ابنُ فلانٍ؟»، قالوا: توفِّيَ، فلَقِيهُ فقالَ: «ما تحبُّ أن تأتيَ باباً من أبوابِ الجنّة، تستفتِحُ إلا جاءَ يفتَحُ لكَ»، فقالَ بعضُ القومِ: يا رسولَ الله، ألهُ وحدَه، أم لكلِّنا؟ قالَ: «لا، بل لكُلِّكم»[4].

ورُوي عن عُبيدِ بن عُميرٍ الليثيِّ قالَ: إذا كانَ يومُ القيامةِ خرجَ وِلْدانُ المسلمينَ من الجنّةِ بأيديهم الشرابُ، فيقولُ الناسُ لهم: اسقونا، فيقولون: أبَوَينا أبَوَينا! حتى السِّقطُ مُحبَنْطئاً ببابِ الجنةِ يقولُ: لا أدخُلُ حتى يدخُلَ أبواي[5].

---

(١) «صحيح البخاري» (١٣٨١)، ولم يروه مسلمٌ من حديثِ أنسٍ رضي الله عنه.

(٢) في النسخ الثلاث: «وواحد»، والتصويب من رواية الحديث في «المعجم الكبير» (٢٠٣٠)، و«المعجم الأوسط» (٢٤٨٨). وقال الهيثمي في: «مجمع الزوائد» (٣/ ١٠): فيه ناصح بن عبد الله أبو عبد الله، وهو ضعيف متروك.

(٣) في (ر): «فقال».

(٤) «مسند الإمام أحمد» (١٥٥٩٥)، واللفظ له، و«سنن النسائي الصغرى» (١٨٧٠)، و«المستدرك على الصحيحين» للحاكم (١٤١٧).

(٥) لم أجده، اللهم إلا في كتاب «مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد» للشهيد الثاني العاملي الشيعي (ص٣٣ ـ ٣٤).

=

حكايةٌ لطيفةٌ

رَوى ابنُ الجوزيِّ في «كتابِ التّوّابينَ» عن مالكِ بن دينارٍ: أنه سُئلَ عن سببِ توبَتِهِ، فقالَ: كنتُ شُرطياً، ثم إني اشترَيتُ جاريةً نفيسةً، ووقعَت مني أحسَنَ مَوقعٍ، وولدَت بنتاً، فشُغِفتُ بها، فلما دبَّت على الأرضِ ازدادَتْ في قلبي حُبّاً، وألِفَتْني وألِفْتُها، فلما تمَّت لها سنتان ماتَت، فأكمدَني حزنُها، فلما كانَت ليلةُ النِّصفِ من شعبانَ ـ وكانت ليلةَ جمعةٍ ـ رأيتُ في منامي كأنَّ القيامةَ قد قامَتْ، ونفِخَ في الصور، وبُعثَ[1] من في القبور، وحُشِرَ الخلائقُ وأنا معهُم، فسمِعتُ حِسّاً، فالتفتُّ فإذا أنا بتنّينٍ عظيمٍ أسودَ أزرقَ قد فتحَ فاه مُسرِعاً نحوي، فمرَرتُ بينَ يدَيه هارباً فَزِعاً مرعوباً، فمررتُ في طريقي بشيخٍ نقيِّ الثوبِ طيِّبِ الرائحة، فسلَّمتُ، فردَّ السلامَ، فقلتُ له[2]: أيها الشيخُ، أجِرني من هذا التنّين؛ أجارك اللهُ عزَّ وجلَّ، فبكَى وقالَ: أنا ضعيفٌ، وهذا أقوى مني، مُرَّ وأسرِعْ، فلعلَّ اللهَ أن يُقيِّضَ لكَ ما يُنجيكَ منه، فولَّيتُ هارباً على وجهي، فصعِدتُ على شرَفٍ من شرَفِ القيامة، فأشرَفتُ

= وأخرج الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧٤٦) عن سهل بن حنيف رضي الله عنه مرفوعاً: «تزوجوا، فإني مكاثر بكم الأمم، وإن السقط ليرى محبنطئاً بباب الجنة، فيقال له: ادخل، فيقول: حتى يدخل أبواي».

وأخرج في «المعجم الكبير» (١٠٠٤) عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه مرفوعاً: «سوداءُ ولودٌ خيرٌ من حسناءَ لا تلد، إني مكاثر بكم الأمم حتى بالسقط يظل محبنطئاً على باب الجنة، يُقال له: ادخُل الجنةَ، فيقول: يا ربّ وأبواي؟، فيُقال له: ادخُل الجنةَ أنت وأبواك».

وفي الحديث الأول موسى بن عبيدة، وفي الثاني علي بن الربيع، وهما ضعيفان؛ كما أفاد الهيثمي في «المجمع» (٣/ ١١) و(٤/ ٢٥٨).

(١) في (ب): «وبعثر».

(٢) قوله: «له» زيادة من (ب).

على طبَقاتِ النيران، فكِدتُ أهوي فيها من فزَعي، فصاحَ صائحٌ: ارجِع، فلستَ من أهلِها، فاطمأنَنتُ[١] إلى قولِه، ورجَعتُ ورجَعَ التنّينُ في طلَبي، فأتيتُ الشيخَ فقلتُ لهُ[٢]: يا شيخ، سألتُكَ أن تجيرَني من هذا التنّينِ فلم تفعَلْ، فبكَى الشيخُ وقالَ: أنا ضعيفٌ، ولكِن سِرْ إلى هذا الجبل؛ فإن فيهِ ودائعَ المسلِمينَ، فإن كانَ لك فيهِ وديعةٌ، فتنصُركَ.

قالَ: فنَظرتُ[٣] إلى جبلٍ مستديرٍ من فضةٍ، فيهِ طاقاتٌ مُخرَّقة، وسُتورٌ مُعلَّقة، وعلى كلِّ طاقة مِصراعانِ من الذهبِ الأحمر، مُفصَّصةٌ بالياقوت، مكفوفةٌ بالدرّ، على كلِّ مصراعٍ سترٌ من الحرير، فلما نظرتُ إلى الجبلِ هَروَلتُ إليهِ والتنّينُ من ورائي، حتى إذا قرُبتُ منه صاحَ بعضُ الملائكةِ عليهم الصلاةُ والسلامُ: ارفَعوا الستورَ، وادفَعوا[٤] المصاريعَ، وأشرِفوا، فلعلَّ لهذا[٥] البائسِ بينكم وديعةً تُجيره من عدوِّه.

فلما فُتِحتِ المصاريعُ أشرفوا عليَّ، فرأيتُ أطفالاً كالأقمار، وقرُبَ التنينُ مني، فحِرتُ في أمري، فصاحَ بعضُ الأطفالِ: ويحَكُم أشرِفوا كلُّكم، فقد[٦] قرُبَ منه عدوُّهُ! فأشرَفوا فوجاً بعد فوجٍ، فإذا بابنتي التي ماتَت قد نظرَت إليَّ وبكَت، وقالَت: أبي والله، ثم وثبَت في كفّةٍ من نورٍ كرميةِ السهمِ حتى صارَت عندي، ومدَّت يدَها

---

(١) في (ر) و(س): «فاطمأنيت».

(٢) قوله: «له» زيادة من (ر).

(٣) في (ب): «ونظرت».

(٤) في (ب): «وارفعوا».

(٥) في (ب): «هذا».

(٦) في (ر) و(س): «قد».

الشِّمالَ إلى يدي اليُمنى، فتعلَّقتُ بها، ومدَّت يدَها اليُمنى إلى التنّينِ فولَّى هارباً، ثم أجلَسَتْني، وقعدَت في حِجري، وضرَبتْ بيَدِها اليُمنى إلى[1] لِحيَتي، وقالَت: يا أبتِ، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، فبَكيتُ وقلتُ: يا بنيَّتي، أنتُم[2] تعرفونَ القرآنَ؟ فقالَت: يا أبتِ، نحنُ أعرَفُ بهِ منكُم!

قلتُ: أخبريني عن هذا التنّينِ الذي أرادَ أن يُهلِكَني، قالَت: ذلكَ عملُكَ السيِّئُ قوَّيتَهُ، فأرادَ أن يُغرِقك في نارِ جهنَّمَ، قلتُ: والشيخُ الذي رأيتُه؟ قالت: ذلكَ عملُكَ الصالحُ أضعفتَهُ حتى لم يكُن لهُ طاقةٌ بعمَلِكَ السيِّءِ، فقلتُ: يا بنيّةُ!، ما تصنعُونَ في هذا الجبلِ؟، قالَت: أطفالُ المؤمنينَ قد أُسكِنوا فيهِ إلى يومِ القيامة، ننتَظِرُكم[3] تقدِمون علينا، فنشفَعُ لكُم.

قالَ مالكُ بن دينارٍ: فانتبَهتُ فزِعاً مرعوباً، فكسرتُ آلاتِ[4] المخالفة، وتركتُ عني جميعَ ذلكَ، وعقدتُ التوبةَ النصوحَ معَ اللهِ تعالى، فتابَ عليَّ سبحانَهُ[5].

والآثارُ والأخبارُ في مثلِ هذا كثيرةٌ، وفيما ذكرناهُ كفايةٌ لِمَن تدبَّرهُ بعَينِ بصيرَتِه.

* * *

---

(١) في (س): (في).

(٢) في (س) و(ر): (وأنتم).

(٣) في (س): «ننظركم».

(٤) في (س): الآلات».

(٥) كتاب «التوابين» لابن قدامة (ص٢٠٢ ـ ٢٠٥)، ونسبةُ المصنف الكتابَ لابن الجوزي سبقُ قلم، والله أعلم.

خاتمةٌ

روى الحاكمُ والطبرانيُّ عن عبدِ اللهِ بن عمرَ[١] ـ رَضِيَ اللهُ عنهُما ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «تُحفةُ المؤمِنِ الموتُ»[٢].

وفي حديثٍ آخرَ: «الموتُ ريحانةُ المؤمِنِ»[٣].

وفي حديثٍ آخرَ: «الموتُ غَنيمةُ المؤمِنِ»[٤].

وفي حديثٍ آخرَ: «الموتُ تحفةٌ لكلِّ مسلمٍ»[٥].

وروى سعيدُ بن منصورٍ في «سُننهِ» وابنُ جريرٍ في «تفسيرِهِ» عن أبي الدَّرداءِ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: ما من مؤمنٍ إلا الموتُ خيرٌ لهُ، وما من كافرٍ إلا الموتُ خيرٌ لهُ، فمَن لم يُصدِّقني؛ فإن اللهَ يقولُ: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ الآيةَ [آل عمران: ١٧٨][٦].

وروى الإمامُ أحمدُ، وابنُ أبي شيبةَ عن أبي الدَّرداءِ أيضاً ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ أنهُ قالَ لهُ: ما تحِبُّ لمن تحِبُّ؟ قالَ: الموتُ[٧].

---

(١) في (س): «عمر».

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٧٩٠٠) وصحّحه، و«المعجم الكبير» (١٤٦٥٢)، وتعقّب الذهبيُّ الحاكمَ بأن في إسنادِه عبد الرحمن بن زياد هو الأفريقي، وهو ضعيف، ومع ذلك وثّق رجالَه الهيثميُّ في «المجمع» (٢/ ٣٢٠).

(٣) «الفردوس بمأثور الخطاب» (٦٧١٨) عن الحسين بن علي رضي الله عنهما.

(٤) «الفردوس بمأثور الخطاب» (٦٧١٤) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «الموت غنيمة، والمعصية مصيبة...» الحديثَ، وبهذا اللفظ خُتم حديثُها رضي الله عنها (٤٤١٩).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥١٦) واللفظُ له، وأبو داود السجستاني في «الزهد» (١١٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٧٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.

(٦) «التفسير من سنن سعيد بن منصور» (٥٤٧)، و«تفسير الطبري» (٦/ ٣٢٧).

(٧) «الزهد» للإمام أحمد بن حنبل (٧٤٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٦٠٠).

وعن أبي الدَّرداءِ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ أيضاً: ما أهدَى إليَّ أخٌ هديةً أحبَّ إليَّ من السَّلام، ولا بلغَني عنهُ خبرٌ أعجَبَ إليَّ من موتِهِ[١].

وروى ابنُ أبي شيبةَ عن عُبادةَ بن الصامتِ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: أتمنَّى لحبيبي أن [يقلَّ مالُه، و] يُعجِّلَ موتُه[٢].

وعن مسروقٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ: ما من شيءٍ خيرٍ للمؤمنِ من لَحْدٍ قد استراحَ فيهِ من همومِ الدُّنيا، وأمِنَ من عذابِ اللهِ[٣].

قالَ الخطابيُّ: أنشدَنا بعضُ أصحابِنا لمنصورِ بن إسماعيلَ:

قـد قلـتُ إذ مَدَحُـوا الحيـاةَ فأكثَرُوا: ... فـي المـوتِ ألْـفُ فَضيلـةٍ لا تَعـرِفُ

مِـنـهـا أمـانُ لِـقـائــهِ بلـقـائـهِ ... وفِــراقُ كلِّ مُعاشِـرٍ لا يُنصِـفُ[٤]

وقالَ الخطّابيُّ: وقالَ الجاحظُ: قد أبدعَ العبّاسُ بنُ الأحنَفِ في قولِه:

يَبكـي رِجـالٌ عَلَـى الحَيـاةِ وقَــدْ ... أفْنى دُمُوعـي شَـوقي إلـى الأجَـلِ

---

(١) «الزهد» للإمام أحمد بن حنبل (٧٥٥).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٨١٢)، والاستدراك منه.

(٣) لفظ الجلالة ليس في (س). وقد رواه وكيعٌ في «الزهد» (٨٧)، وعنه ابنُ أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٦٥).

وروراه كذلك الإمامُ أحمد في «الزهد» (٢٠٤٠) باختلاف يسير.

(٤) رواهما الخطابي في «العزلة» (ص٢٠٢).

ومنصورُ بن إسماعيلَ هو أبو الحسن التميمي المصري الشافعي الضرير، كان إماماً في فقه مذهبه، أديباً شاعراً مجيداً متفنناً، (ت٣٠٦هـ). ترجمه ياقوت في «معجم الأدباء» (٦/ ٢٧٢٣) ثم أورد البيتين بعد صفحتين.

أَمُوتُ مِنْ قَبلِ أنْ يُغَيِّرني الـ ـدهرُ فإني مِن عمَلي عَلَى وجَلِ [(١)]

وقول بعضِهم:

جَزى اللهُ عنّا الموتَ خَيراً فإنهُ أبرُّ بِنا مِن برٍّ أُمٍّ وأرْأفُ

يُعجِّلُ تخليصَ النُّفوسِ مِن الأذى ويُدني منَ الدّارِ التي هِيَ أشْرَفُ [(٢)]

وروى ابنُ أبي الدنيا عن النبيِّ ﷺ: «إن مثلَ المؤمنِ في الدُّنيا كمثَلِ الجنينِ في بطنِ أُمهِ»[(٣)].

وروى الطبرانيُّ وأبو نُعَيمٍ: أن النبيَّ ﷺ نظرَ إلى ملَكِ الموتِ عندَ رأسِ رجلٍ

---

(١) وردت كلمة «الدهر» بكاملها في صدر البيت في (ب).

وردفي هامش (ر): «لعله: «فإن اكتسابي على وجل» أو «فإني فقير على وجل» وقرأ بعض الأفاضل من الشعراء البيتين، فذكر أن البيت الأول موزون، والثاني في قوله: «أن يغيرني» الصحيح «يغيرك»، «فإني من عملي» الصحيح «فإني منه على وجل»؛ لأن الخطابَ واقع لصديقه، أو لحبيبه. انتهى». ا. هـ.

وأصابَ الشاعر الفاضل المذكور في الانتباه إلى وجود الخلل في رواية البيت الثاني، لكن قوله أولاً: «يغيرني» هو رواية البيت في «العزلة» للخطابي (ص٢٠٢)، والبيتان ـ على التصحيحين ـ في «ديوان العباس بن الأحنف» (ص٢٢١)، ولم أجد قولَ الجاحظ في شيءٍ من مطبوع كتبه.

(٢) نسبهما المستعصمي في «الدر الفريد وبيت القصيد» (٦/ ٢٥ ـ ٢٦) لعليٍّ رضي الله عنه، وهما في «ديوانه» (ص١٣٤)، غير أنّه يشكِّك في نسبتهما إليه عدمُ عزو الجاحظ إياهما في «المحاسن والأضداد» (ص٢٥٥)، وابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» (٤/ ٣٨٤)، والعاملي في «الكشكول» (٢/ ٨٨٠).

(٣) ذكره الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٩٧)، وذكر الزينُ العراقي في «تخريجه» أنه أخرجه ابن أبي الدنيا في «الموت» من رواية بقية عن جابر بن غانم السلفي عن سليم بن عامر الجنائزي مرسلاً هكذا. ا. هـ.

من الأنصارِ فقالَ: «يا ملَكَ الموت، ارفُق بصاحبي؛ فإنه مؤمِنٌ»، فقالَ ملكُ الموتِ: طِبْ نفْساً، وقرَّ عيناً، واعلَم أني بكلِّ مؤمنٍ رفيقٌ[1].

[من أحوال صالحي الموتى في البرزخ]

واعلَم أنَّ أحوالَ الموتى في البرزَخِ عجيبةٌ، وأمورَهم غريبةٌ، ما بينَ معذَّبٍ ومُنعَّمٍ، واللهُ أرحمُ الراحمينَ.

فعن أنسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ عن النبيِّ ﷺ: «إن أرحمَ ما يكونُ اللهُ بالعبدِ إذا وُضِعَ في حُفرَتِهِ»[2].

وعن عكرمةَ قالَ: يُعطَى المؤمِنُ في قبرِهِ مُصحَفاً يقرَأُ فيهِ[3].

وعن سلمةَ بن شبيبٍ قالَ: سمعتُ أبا حمّادٍ الحفّارَ ـ وكانَ ثقةً ورِعاً ـ قالَ: دخلتُ يومَ الجُمعةِ المقبُرةَ نصفَ النهار، فما مرَرتُ بقبرٍ إلا سمعتُ منهُ قراءةَ القرآنِ[4].

---

(١) رواه البزار في «المسند» (كشف الأستار) (٧٨٤) بهذا السياق، ورواه مطوَّلًا الطبراني في «المعجم الكبير» (٤١٨٨)، وعنه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٥٦١).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٢٦): فيه عمر بن شمر الجعفي والحارث بن الخزرج، ولم أجد من ترجمهما.

(٢) «الفردوس بمأثور الخطاب» (٨٢٣)، وفي إسناده يغنم بن سالم ومحمد بن يونس وضاعان؛ كما أفاد الغماري في «المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي» (٢/ ٤٤٩).

(٣) سقط هذا القولُ في (س)، وقد ذكر الحافظُ ابن رجب الحنبلي في «أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور» (ص٧٢) أنه خرّجه الخَلّال في كتاب «السنة» من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان ـ وفيه ضعف ـ عن أبيه، عن عكرمة قال: قال ابن عباس... فذكره. وكذا في «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» للسيوطي (ص١٩٠).

(٤) ذكره السيوطي في «شرح الصدور» (ص١٨٨ ـ ١٨٩) عن ابن منده ـ وأحسب أنه أبا القاسم ابنَ =

وعنِ ابنِ النَّضْرِ النَّيسابُوريِّ الحفارِ ـ وكان صالحاً ورِعاً ـ قالَ: حفرتُ قبراً، فانفتَحَ في القبرِ قبرٌ آخَرُ، فنظرتُ فيه، فإذا أنا بشابٍّ حسَنِ الوجه، حسَنِ الثياب، طيِّبِ الريح، جالساً مُربَّعاً، وفي حِجرهِ كتابٌ مكتوبٌ بخُضرةٍ[1] أحسنَ ما رأيتُ من الخطوط، وهوَ يقرَأُ القرآنَ، فنظَرَ الشابُّ إليَّ وقالَ: أقامَتِ الساعةُ؟ قلتُ: لا، قالَ: فأعِدِ الـمَدَرةَ إلى مَوضِعِها، فأعدْتُها إلى موضِعِها[2].

وقالَ اليافعيُّ: روينا عمَّن حفرَ القُبورَ منَ الثِّقاتِ: أنهُ حفَرَ قبراً، فأشرَفَ فيهِ على إنسانٍ جالسٍ على سريرٍ، وبيدِهِ مُصحَفٌ يقرَأُ فيه، وتحتَهُ نهرٌ يجري، فغُشِيَ عليه، وأُخرِجَ من القَبر، ولم يُفِقْ إلا في اليومِ الثالثِ[3].

وعَن أبي سعيدٍ الخُدريِّ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «مَن قرأ القرآنَ ثم ماتَ قبلَ أن يستَظهِرَه أتاهُ ملَكٌ يعلِّمُه[4] في قبرِه، ويلقَى اللهَ وقد استَظهَرهُ».

= منده في كتابه «الأحوال والإيمان بالسؤال» ـ بإسناده.

وسلمة بن شبيب النيسابوري، أبو عبد الرحمن الحجري، المسمعي، نزيل مكة، مستملي أبي عبد الرحمنِ المقرئ، أحد الأئمة المكثرين، والرحّالة الجوّالين، روى له الجماعة إلا البخاري، (ت ٢٤٧هـ). يُنظر: «تهذيب الكمال» (١١/ ٢٨٤). ولم أجد ترجمة لأبي حمّادٍ الحفّار.

(١) في (س): «بخط».

(٢) ذكره السيوطي في «شرح الصدور» (ص١٩٢) عن ابن منده.

(٣) ذكره السيوطي في «شرح الصدور» (ص٢٠٦) عن اليافعي، وهو عفيف الدين أبو السعادات، عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني ثم المكي (٧٦٨هـ)، والحكاية في كتابه «روض الرياحين في حكايا الصالحين» (ص١٦٥).

(٤) في النسخ الثلاث: «يعطه»، وفي هامش (س): «كذا في الأصل». والتصويب من المصادر.

وقد ذكر الحافظُ ابن رجب الحنبلي في «أهوال القبور» (ص٧٢) أنه رواه أبو القاسم الأزهري في «فضائل القرآن»، وذكره بإسناده، وذكر أنّ المرفوع لا يصحّ، وكذا ذكر السيوطي في «شرح الصدور» (ص١٩١)، وزاد أنه في «الفِردوس» للديلمي، وأنه أخرجه السِّلَفي في «انتخابه» لحديث =

وعن عطيّةَ العوفيِّ قالَ: بلغَني أن العبدَ إذا لقِيَ اللهَ ولم يتعلَّمْ كتابَهُ علَّمهُ اللهُ في قبرِه[1].

وعن يزيدَ[2] الرَّقَاشيِّ قالَ: بلغَني أن المؤمنَ إذا ماتَ وقد بقِيَ عليهِ شيءٌ من القرآنِ لم يتعلَّمهُ؛ بعثَ اللهُ إليه[3] ملائكةً يحفِّظُونهُ ما بقي عليهِ منهُ؛ حتى يُبعَثَ من قبرِهِ[4].

[مما وردَ أن الموتَى يتزاورُونَ في قُبورِهم]

وقد وردَ أن الموتَى يتزاورُونَ في قُبورِهم:

روى الترمذِيُّ وابنُ ماجَهْ والبيهَقيُّ عن أبي قتادةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا ولِيَ أحدُكم أخاهُ فليُحسِن كفنَهُ؛ فإنهم يتزاورُونَ في قبورِهم»[5].

وفي حديثٍ آخرَ: «حَسِّنوا أكفانَ موتاكُم؛ فإنهُم يتباهَونَ ويتزاوَرونَ في قبورِهم»[6].

= الفراء، ثم ذكر أنه وقف عليه مسنداً في الجزء الأول من «فوائد» أبي الحسين ابن بشران، وهذا الجزء مطبوعٌ في أثناء «الفوائد» لابن منده، والحديث فيه برقم (٦٧٧).

(١) ذكر الحافظُ ابن رجب الحنبلي في «أهوال القبور» (ص٧١ ـ ٧٢) أنه رواه ابن أبي الدنيا في «ذكر الموت»، وذكره بإسناده، وكذا ذكره السيوطي في «شرح الصدور» (ص١٩١) عن ابن أبي الدنيا وابن منده.

(٢) في (ر): «زيد».

(٣) في (ر) و(س): «له».

(٤) ذكر الحافظُ ابن رجب في «أهوال القبور» (ص٧١) أنه رواه ابن أبي الدنيا في «ذكر الموت»، ونحوه في «شرح الصدور» للسيوطي (ص١٩١).

(٥) «سنن الترمذي» (٩٩٥)، وقال: هذا حديث حسن غريب، و«سنن ابن ماجه» (١٤٧٤)؛ كلاهما دون جملته الأخيرة، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٨٨٣٠) بتمامه.

(٦) قال ابن رجب في «أهوال القبور» (ص١٢٩): ويُروى من حديث محمد بن مصفى: حدثنا معاوية، =

وروَى ابنُ أبي الدنيا بسندٍ لا بأسَ بهِ: أن رجُلاً تُوفِّيتِ امرأتُهُ، فرأى نِساءً في المنام، ولم يرَ امرأتَهُ معهُنَّ، فسألهُنَّ عنها؛ فقلنَ: إنكُم قصَّرتُم في كفَنِها، فهي تَستَحي تخرُجُ معنا، فأتى الرجلُ النبيَّ ﷺ فأخبرَهُ؛ فقالَ النبيُّ ﷺ: «انظُر هل إلى ثقةٍ من سبيلٍ؟»، فأتى رجُلاً من الأنصارِ قد حضَرَتهُ الوفاةُ، فأخبرَهُ، فقالَ الأنصاريُّ: إن كانَ أحَدٌ يبلِّغُ الموتى بلَّغتُ، فتُوُفِّيَ الأنصاريُّ، فجاءَ زوجُ المرأةِ بثوبَينِ مُزَعفرَينِ، فجعَلَهما في كفَنِ الأنصاريّ، فلما كانَ الليلُ رأى النِّسوةَ ومعَهُنَّ امرأتُه، وعليها الثَّوبانِ الأصفَرانِ[1].

***

= عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ، وهذا جزءٌ من إسناد الحديث في كتاب «الإبانة» لأبي نصر السجزي الوائلي ـ وهو مفقود ـ ساقه بتمامه القرطبي في «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (١/ ٢٦٨)، وذكر الحديثَ السيوطيُّ في «شرح الصدور» (ص١٩٢)، وزاد في عزوه إلى الحارث بن أبي أسامة في «مسنده»، والعُقيلي.

قلتُ: لم أجده في «بغية الباحث» للهيثميّ، وذكرَه العُقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ٥٥) وقال: بإسناد صالح، و: بإسناد جيد، وكان أسندَه بنحوِ في ترجمة راشدٍ أبي ميسرةَ العطّار ـ وقال: ولا يتابَع على حديثه ـ من حديث أنسٍ رضي الله عنه.

ورواه ابنُ عدي في «الكامل» (٤/ ٢٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وفي إسناده سليمان ابن أرقم متروك.

وقد حكم ابنُ عِراقٍ في «تنزيه الشريعة المرفوعة» (٢/ ٣٧٣)، والفَتَّنيُّ في «تذكرة الموضوعات» (ص٢١٩)، والسيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ٣٦٦) بأن الحديث حسن صحيحٌ بطُرقه الكثيرة وشواهده.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٦١) مُرسَلًا.

وساقه السيوطيُّ في «شرح الصدور» (ص١٩٣)، ثم قال: وهذا مرسَلٌ لا بأسَ بإسناده؛ فإن ابن أبي ضَمرة مقبول، وراشدُ بن سعد ثقةٌ كثير الإرسال.

وفي هذا القَدْرِ كِفايةٌ لِـمَن تدبَّرهُ، واللهُ سبحانَهُ وتعالى أعلَمُ[١].

تمّ الكتابُ بحَمدِ اللهِ وعونِهِ وحُسن توفيقِه[٢].

وكتبَهُ إثرَ تأليفِهِ الفقيرُ علاءُ الدينِ الشاميُّ، سامحَهُ اللهُ لِـما كان من ذنوبِه، وما يكونُ، ولمن قالَ: آمينَ، والحمدُ للهِ قابلِ دعوةِ الداعينَ، وقابِلِ عُذرِ المعتذِرينَ، غرّةَ جُمادى الآخِرةِ سنةَ ثمانٍ وعشرينَ وألفٍ[٣].

---

(١) بهذا ينتهي الكتاب في (س)، وجاء في هامشها: «كتبت هذا من غير خط المؤلف».

(٢) قوله: «الكتاب» وقوله: «وحسن توفيقه» زيادتان من (ر).

(٣) كذا جاء في خاتمة النسخة (ب). وجاء في النسخة في (ر): «ووافق الفراغ من كتابته يوم الاثنين المبارك الموافق لعاشر جمادى الآخرة من شهور سنة أربع وأربعين ومئة وألف، بقلم أفقر الورى، وأحوجهم إلى رب الثرى، من في رعاية ربه العلي، محمد يعقوب المقدسي الحنبلي، ابن المرحوم الشيخ محمد، ابن المرحوم الشيخ يحيى، ابن المرحوم الشيخ يوسف، والد المؤلف لهذا الكتاب، تغمدهم الله برحمته، آمين».
ثم كُتب في هامش (ر) بخط مائل: «بلغ مقابلة على كتاب نقل منه كراس منه بخط مؤلفه بحسب الطاقة، والثاني بخط غير خط مؤلفه».
وكتب ناسخ (ر): «لمؤلفه ـ رَحِمَهُ اللهُ تعالى ورضي عنه ـ:

شُـغِفتُ بِـذِي حُسْـنٍ مَليحِ شَـمائِلٍ ... علـى حُبِّـه قلبـي أراهُ قَـدِ اقتَصَـرْ
لَطيفــاً ولكِــنْ عنــدَهُ كُلُّ جَفْــوةٍ ... ظَريفـاً يُـرىٰ لكِـنَّ فـي عَيْنِـهِ حَـوَرْ
يُعَـرِّضُ بالهِجْـرانِ فـي كُلِّ سـاعةٍ ... ويُؤلِــمُ قَلبـي بالتَّجَنّـي إذا خَطَـرْ
يُعَلِّــقُ آمالــي غُــروراً ويَنثَنــي ... قَريبـاً بَعيـداً يُشـبِهُ النَّجْـمَ والقَمَـرْ
تَحيَّــرتُ فــي أفعالِــهِ وَهْــوَ نافِـرٌ ... وقَـد خِلْـتُ أنّـي منـهُ لا أبلُـغُ الوَطَـرْ
علــى أنّــهُ مَبْــدا غَرامــي ولَوْعَتــي ... ومُبْتَـدأٌ يَـدري ولـم يَـدْرِ مـا الخَبَـرْ
شَـكَوتُ لـهُ تَكْديـرَ حالِـيْ فَقـال لـيْ ... وهَـل تَـمَّ فـي الدُّنيـا صَفـاءٌ بِـلا كَـدَرْ

=

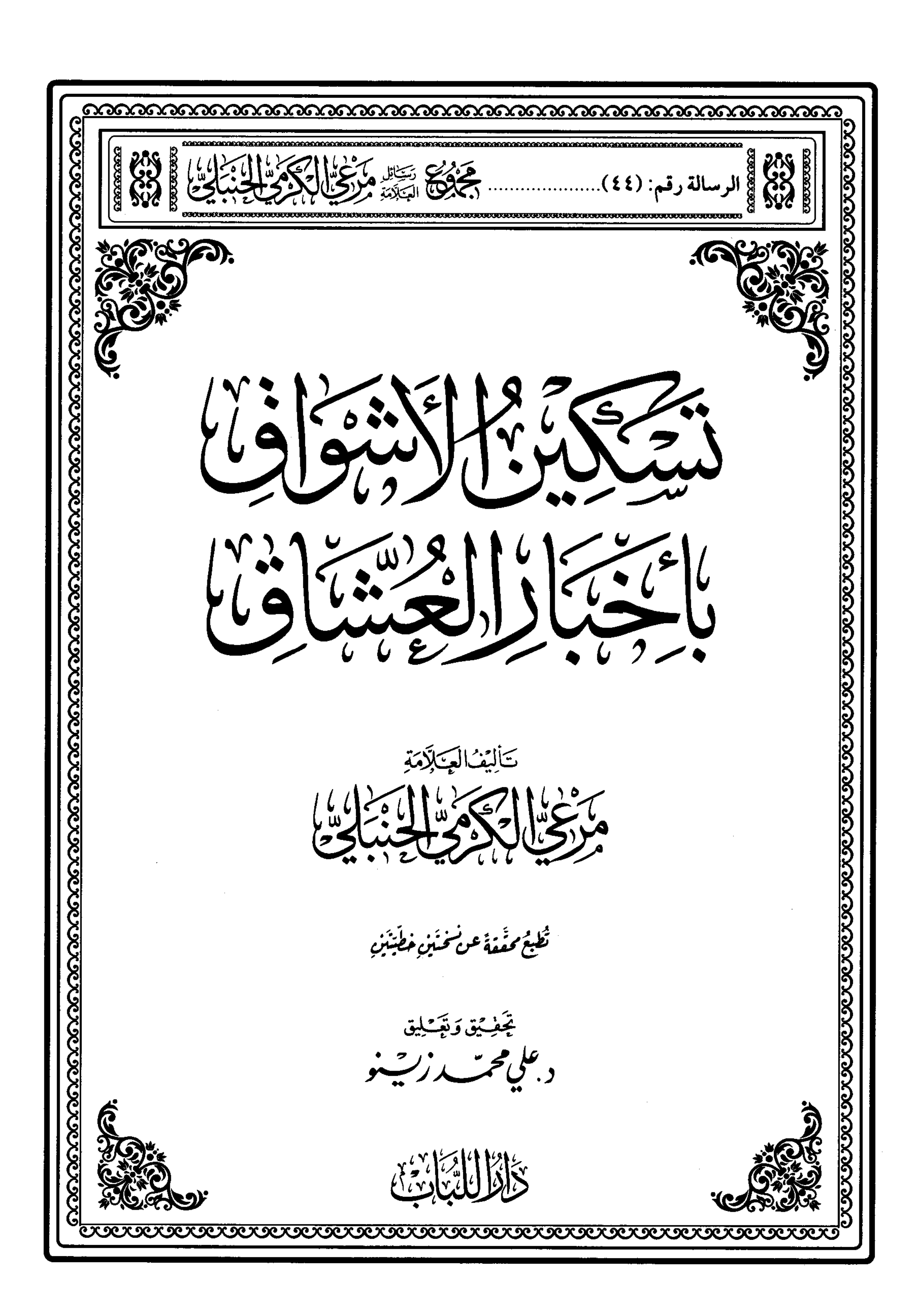
= شعر:

تَـمَّ الكِتـابُ بِعَـوْنِ اللهِ ذي الجُـوْدِ رَبِّ البَرِيَّـةِ مُجْـري المـاءِ فـي العُـوْدِ
يـا قـارئَ الخَـطِّ قُـلْ بـاللهِ مُجتَهِـداً اِغْفِـرْ لِكاتِبِـهِ يـا خَيْـرَ مَعْبُـودِ

غيره:

إنـي سـألتُكَ بـالله الـذي خضَعَـت لـه السَّـماواتُ وَهْـوَ الواحِـدُ البـاري
إذا تأمَّلْـتَ فاسْـتَغْفِرْ لكاتِبِـهِ لَعَـلَّ كاتِبَـهُ يَنجُـو مِـنَ النّـارِ





مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي الحنبلي
الرسالة رقم: (٤٤)
تسكين الأشواق بأخبار العشاق
تأليف العلامة
مرعي الكرمي الحنبلي
تطبع محققة عن نسختين خطيتين
تحقيق وتعليق
د. علي محمد زينو
دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثقي وهو حسبي

قال العبد الفقير إلى الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سند العاشقين، وسيد المحبين، وافضل المحبوبين، وعلى اله واصحابه رضوان الله عليهم اجمعين، وبعد فهذه نبذة يسيرة من اخبار العشاق واهل الاشواق السالكين في الحب طريقة اهل العفافه وذلك هو الركن الاعظم في شروطه بلا خلافه وان كان غير ذلك فهو المذموم، ومرتكبه الملوم كما عليه غالب ابنا هذا الزمان، الا من حرسه الله من الشيطان، وشتان ما بين المقامين شتان، قال الاصمعي قلت لاعرابي هل تعرفون العشق بالبادية قال نعم ايكون احد لا يعرفه قلت فما هو عندكم قال القبلة والضمة والشمة قلت ليس هو هكذا عندنا قال وكيف هو قال ان يتفخذ الرجل المراة فيباضعها فقال قد خرج الى طلب الولد وقال مربد كان الرجل فيما مضى اذا عشق الجارية راسلها سنة ثم يرضى ان يمضغ العلك الذي تمضغه ثم اذا تلاقيا تحادثا وتناشدا الاشعار فصار الرجل اليوم اذا عشق الجارية لم يكن له هم الا ان يرفع رجليها كانه اشهد على نكاحها ابا هريرة وابن سيرين ولما كان العشق مظنة المحذور اطلق كثير من العلما ذمه قايلين ان الذي يورثه العشق من نقص العقل والعلم وفساد الخلق والدين والذهن والاشتغال عن مصالح الدين والدنيا اضعاف اضعاف ما يتضمنه من جنس الصفات المحموده كما هو مشاهد لكل عاقل فانه لم يوجد قط عشق الا وضرره اعظم من منفعته ولا عبرة بمن مدحه من عقلا العرب وظرفايهم وطوايف من الحكما والمتصوفه قايلين ان فيه فوايد من جملتها رقة الطبع وازالة خبثه وترويح النفس وخفتها ورياضة الجسد ويشجع الجبان ويسخي البخيل ويصفي ذهن الغبي ويطلق لسان المعجم بالشعر الى غير ذلك مما ذكروه في مدحه وذمه شعرا ونثرا قال ابن تيميه ومن امر من المتفلسفه بعشق الصور كابن سينا او من الفرس او من جهال المتصوفة فانهم اهل ضلال فان هذا وان ظن ان فيه منفعة للعاشق كتهذيب اخلاقه او للمعشوق من السعي في مصالحه كتعليمه وتاديبه وغير ذلك لكن مضرة ذلك اضعاف منفعته واين اثم ذلك من نفعه وهذا بمنزلة ان يقال ان في الزنا منفعة لكل منهما بما يحصل له من اللذة والسرور ولا من الجعل وغير ذلك وكما يقال ان في شرب الخمر منافع بدنيه ونفسيه وقد قال تعالى في الخمر والميسر فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما وقد اطلت الكلام على هذا ونحوه في مولف لطيف وانما المراد هنا بيان احوال عشاق العرب المشهورين ونحوهم ملتزما جمع المفرق وطي المنتشر مع رعاية الاختصار في اخبارهم وهل من مذكر

اخبار المجنون وصاحبته ليلى

المجنون اختلف في اسمه فقيل قيس والاشهر ان اسمه عامر ولم يلقه الهزال والجنون وتغير اللون الا من العشق وهو من بني عامر ويتصل نسبه الى كعب ابن ربيعه بن صعصعه وكان قبل العشق مديد القامة جعد الشعر ابيض اللون وصاحبته ليلى بنت مهدي وكنيتها ام مالك ويتصل نسبها بنسبه في كعب بن ربيعه وسبب عشقه لها انه مر يوما على ناقته وعليه حلتان من حلل الملوك بامراة من قومه وعندها نسوة يتحدثن فاعجبهن فاستنزلنه للمنادمة فنزل وجعل يحادثهن ويقلب طرفه فوقعت عينه على ليلى فلم يصرف طرفه عنها وشاغلته فلم يشتغل ثم قال هل عندكن ما تاكلن فقالت ليلى لا فعمد الى ناقته فنحرها وقطعها وجاءته لتمسك معه اللحم فجعل يقطع بالسكين في كفه وهو شاخص فيها فجذبتها من يده ولم يشعر بنفسه ثم قال لها اتاكلين الشواء قالت نعم فطرح شيا من اللحم على الجمر واقبل يحادثها فقالت له انظر الى اللحم هل استوى فمد يده الى الجمر وجعل

مكتبة راغب باشا (الأصل)

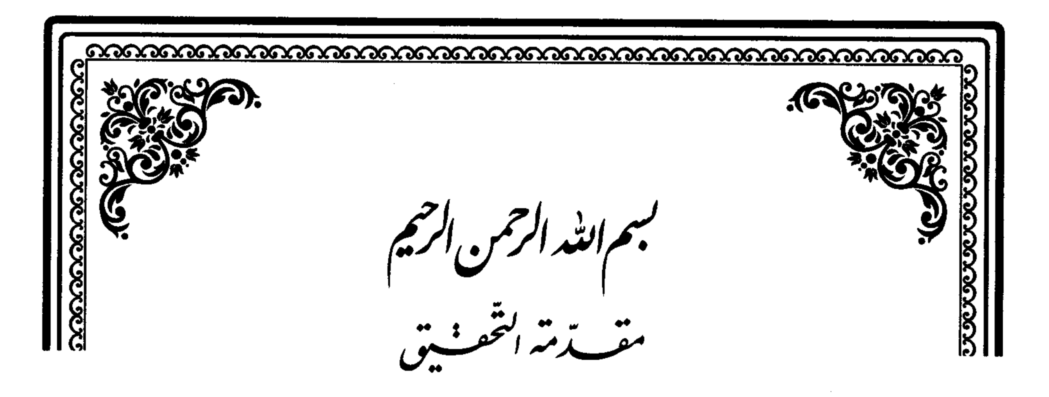


قال العبد الفقير الى الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سند العاشقين وسيد المحبين وأفضل المحبوبين وعلى آله وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ﴿وبعد﴾ فهذه نبذة يسيرة من أخبار العشاق وأهل الاشواق السالكين في الحب طريقة أهل العفاف وذلك هو الركن الاعظم في شروطه بلا خلاف وإن كان غير ذلك فهو المذموم ومرتكبه الملوم كما عليه غالب أبناء هذا الزمان الا من حرسه الله من الشيطان وشتان ما بين المقامين شتان ﴿قال الاصمعي﴾ قلت لاعرابي هل تعرفون العشق بالبادية قال نعم أيكون أحد لا يعرفه قلت فما هو عندكم قال القبلة والضمة والشمة قلت ليس هو هكذا عندنا قال وكيف هو قال ان يتفخذ الرجل المرأة فيباضعها فقال قد خرج الى طلب الولد ﴿وقال مربد﴾ كان الرجل فيما مضى اذا عشق الجارية راسلها سنة ثم يرضى أن يمضغ العلك الذي تمضغه ثم اذا تلاقيا تحادثا وتناشدا الاشعار فصار الرجل اليوم اذا عشق الجارية لم يكن له هم الا أن يرفع رجليها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وابن سيرين (ولما كان العشق مظنة المحذور) أطلق كثير من العلماء ذمه قائلين ان الذي يورثه العشق من نقص العقل والعلم وفساد الخلق والدين والذهن والاشتغال عن مصالح الدين والدنيا أضعاف أضعاف ما يتضمنه من جنس الصفات المحمودة كما هو مشاهد لكل عاقل فانه لم يوجد قط عشق الا وضرره أعظم من منفعته ولا عبرة بمن مدحه من عقلاء العرب وظرفائهم وطوائف من الحكماء والمتصوفة قائلين ان فيه فوائد من جملتها رقة الطبع وإزالة خبثه وترويح النفس وخفتها ورياضة الجسد ويشجع الجبان ويسخي البخيل ويصفي ذهن الغبي ويطلق لسان المعجم بالشعر الى غير ذلك مما ذكروه في مدحه وذمه شعرا ونثرا ﴿قال ابن تيمية﴾ ومن أمر من المتفلسفة بعشق الصور كابن سينا أو من الفرس أو من

جهال

اخبار المجنون وصاحبته ليلى

مكتبة محمود أفندي (ط)



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التحقيق

الحمدُ لله ربِّ العالمين خالقِ الإنسانِ من حمأ مَسنون، علّامِ كلِّ غيب مكنون، وكاشف كلِّ سرٍّ مضنون، والصلاة والسلام على من شهد له ربُّه بأنه ليس بشاعرٍ ولا كاهنٍ ولا مجنون، ووعدَه بأنّ له أجراً غير ممنون، وعلى آله وصحبه وتابعيهم من كلّ عَدلٍ غير مظنون، وبعد:

فهذا كتابٌ لطيفٌ من تراث العلامة مرعي بن يوسف الكَرْميّ الحنبليّ ـ رحمه الله تعالى ـ جعَلَهُ تتميماً وتتويجاً لكتابِه الآخَر الآتي بعد هذا والذي سماه: «منية المحبّين وبغية العاشقين»، والذي وضعَه في الكلامِ عن إثبات حقيقة المحبة وبيان شرفها، وفي كلام الخائضين في حقيقتها، وفي حقيقة العشق وأسبابه ومراتبه، وكلام مادحيه وذامّيه، وذمّ الهوى، وفي ذكر القلب، ومدح العقل، وعلامات المحبِّ والعاشق، وحقيقة الشوق، وفي إرشاد العاشق السقيم إلى الطريق المستقيم، والحذر من إطلاق النظَر، وفي فضل الشِّعر وذكرِ شيء من أشعار المحبّين

وقد أراد الكَرْميُّ ـ رحمه الله ـ في كتابه هذا بيانَ أحوالِ عدد من عشّاقِ العربِ المشهورين؛ فسرَد فيه طائفةً من أخبارِ أشهَرِهم، كمجنون ليلى وصاحبتِه، وتوبة بن الحُميِّر وليلاهُ الأخيليّة، وقيسِ بن الحُباب وليلاهُ الكعبيّة، وجميل بن مَعمَر ومعشوقته بُثَينة، وكُثَيِّر بن عبد الرحمن مع عزّةَ بنت جميل، وآخَرين من المسمَّين والمجهولين،

ثم عرّج على الكلامِ على وجود العشق في غير البشر، وختَمَهُ بخاتمة في تصويب القول بذمّ العشق، وعلاجِ العاشق.

وقد جمع المؤلف ـ رحمه الله ـ هذا الكتاب بعدَ «منية المحبّين» تتميماً وتتويجاً له كما ذكرتُ، وقد صرّح بتصنيفِه بالجامع الأزهر في القاهرة في شهر شعبان سنة (١٠٢٩هـ)، أي: قبل وفاته بأربع سنين، مما يُوحي بأنّه من أواخر مؤلفاته، وأنه كتبه وهو في قمّة نضوجه العِلمي والشخصيّ، ولا ريبَ أنه قصد بذلك مقاصدَ أسمى مما قد يتبادر إلى الذهن من مجرّد تسويد الأوراق ببعض القصص الظريفة، والحكايات الطريفة.

وللكرميّ ـ رحمه الله تعالى ـ كذلك ديوانُ شعرٍ لطيفٌ اسمهُ «الغزل المطلوب في المحب والمحبوب»؛ جمع فيه أكثر من مئةٍ من القصائد والقِطَع الشعرية، مع العشراتِ من النُّتَف، كلها من نظمِه، إلا قليلاً منها من اختياراته، وقد أكرَمني الله بتحقيقِه ونُشِرَ قبل أزيدَ من ثلاث سنوات، ولله الفضل والمنة[1].

ويأتي تحقيق هذه النَّشرةِ عن نسخةٍ يتيمة محفوظةٍ في مكتبة راغب باشا في إسطنبول، وهي نُسخة ـ مع كونِها غير مؤرّخة ـ قيّمةٌ بسبب كونِها منقولةً من نسخةٍ بخطِّ المؤلف رحمه الله وغفر له، وأشرت لها بـ(الأصل)، وقد قابلتُها على مطبوعةٍ عتيقة غير مؤرّخة، نشرَتها مكتبةُ حضرة محمود أفندي توفيق الكتبي بمصر؛ تحت عنوان «قصة العاشق ومعشوقته» وهي من مصورات مكتبة أزميرلي حقي في المكتبة السليمانية باسطنبول، وقد تم التعريفُ بها بالقول: «وهي قصة أدبية تتضمن أخبار العشاق وأهل الأشواق، السالكين في طريقة أهل العفاف»، وأشرت لهذه المطبوعة بـ(ط).

***

(١) وحققه مرة ثانية أخونا الأستاذ مناف بعاج وطبع ضمن هذا المجموع بحمد الله.

بعد ذلك كلِّه....

هذا الذي بين يديكَ ـ أيها القارئ الكريمُ ـ هو كتاب «تسكين الأشواق بأخبار العُشّاق» للعلّامة مَرْعي بن يوسف الكَرْميّ المَقدِسيّ الحَنْبَليّ (١٠٣٣هـ) عليه رَحَماتُ الله.

أضعُهُا تحتَ نظرِ الراغِب، وبين يدَي الطالِب، ومن أجلِ تقديمِها مخدومةً الخدمةَ اللائقة، شمّرتُ عن ساعد الجِدّ، وبذلتُ وافرَ الجهد، فأسهرتُ لذلك الليالي، وأضنيتُ فِكري وبالي؛ فإن أصَبتُ وأحسَنتُ؛ فالفضلُ لله ـ سُبْحانَه وتعالى ـ مُبتَدَأً ومُختَتَماً، ومنه التوفيق، وبيدِه التمام والتحقيق.

وإن كان غير ذلك؛ فمِن قُصوري ونَقصي، ومما جنتْهُ يداي، وأسأل اللهَ على ذلك أن يجودَ بالغَفْر، ويحبوَني بالصَّفح، وأرجو ممن يطّلِعُ على زلّةٍ أو خَطأة أن يتفضَّل بالعُذْر، ويتكرَّم بالنُّصح.

وأمّا عمَلي في كتابي هذا، فيصحُّ فيه وفي غيره ما كتبه القاضي عبد الرحيم البيسانيّ، إلى العماد الأصبهانيّ، مُعتذراً عن كلامٍ استدرَكَهُ عليه: «إني رأيتُ أنّه لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّرَ هذا لَكان أحسَن، ولو زِيْدَ هذا لَكان يُستحسَن، ولو قُدِّمَ هذا لَكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لَكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، ودليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر»[1].

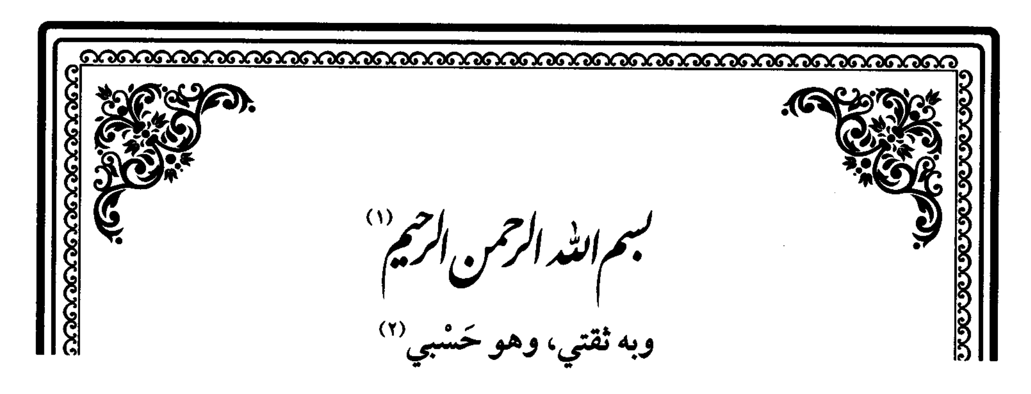
والله أعلَم، وصلّى اللهُ على سيدنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ وسلَّم.

المحقق

* * *

(١) يُنظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ١٨)، و«أبجد العلوم» لصدّيق حسن خان القنوجي (١/ ٧١).





بسم الله الرحمن الرحيم (1)

وبه ثقتي، وهو حَسْبي (2)

قالَ العبدُ الفقيرُ إلى اللهِ تعالى مَرْعيُّ بنُ يوسُفَ الحَنبَليُّ المقدِسيُّ:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على سنَدِ العاشقينَ، وسيِّدِ المحبّينَ، وأفضَلِ المحبُوبينَ، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ رضوانُ اللهِ عليهِمْ أجمعينَ؛ وبعدُ:

فهذِهِ نُبذةٌ يسيرَةٌ مِن أخبارِ العُشّاق، وأهلِ الأشواقِ، السالِكينَ في الحبِّ طريقةَ

---

(1) جاء في أول الأصل الخطي: «لمؤلِّفه ـ سامَحَهُ الله تعالى ـ:

إليـكَ ـ حَبيبـي ـ دائمًـا أتشـوَّقُ ... ويأخُذُنـي وَجْـدٌ عليـكَ وأقلَـقُ

وتُنعِشُـني ذِكْـراكَ لـو كُنـتُ مَيِّتـاً ... وتُطرِبُنـي رُؤْيـاك لـولا التَّحـرُّقُ

ولـولا هَـواكَ العَذْبُ ما شـاقَني صَبا ... ولا قَـرَّتِ العَينـانِ لـولا التَّعلُّـقُ

فـلا مِثـلَ طَعـمِ الحـبِّ والحـبُّ دانياً ... ولا مِثـلَ طِيـبِ الوَصـلِ لـولا التَّفرُّقُ

إذا المـرءُ لـم يَعشَـقْ عَفيفـاً ولا يُـرى ... مُحِبّـاً، فـذاكَ المـرءُ صَلْـدٌ وأحمَـقُ

عَشِـقتُ ولكـنْ بالعَفـافِ مـعَ التُّقـى ... وَهِمـتُ ولكـنْ بالسُّـكون المُؤنَّـقُ

وأطلَقـتُ لكـنْ دَمـعَ عَينـي مُسَلسَـلاً ... وَطَلّقـتُ لكـنْ كلَّ شـيءٍ يُعـوِّقُ

ومـا العِشـقُ إلّا هكـذا ليـسَ غيـرَهُ ... وإلّا فتَـرْكُ الحُـبِّ أَوْلـى وأَيْلَـقُ

فجانِـبْ طِباعَ البُهْـمِ يا مُدّعـي الهَوى ... فـإنَّ مقـامَ الحُـبِّ أعلـى وأوثَـقُ

أبـى اللهُ والعُشّـاقُ إلّا تَعفُّفـاً ... ولا خيـرَ فيمَـن لا يَعَـفُّ ويعشَـقُ».

وهذه الأبيات العشرة في «الغزل المطلوب في المحب والمحبوب» للكَرْميّ رحمه الله.

(2) قوله: «وبه ثقتي وهو حسبي» ليس في (ط).

أهلِ العفافِ، وذلكَ هوَ الركنُ الأعظَمُ في شُروطِهِ بلا خلافٍ، وإنْ كانَ غير ذلكَ فهوَ المذمُومُ، ومرتكِبُهُ الملُومُ، كما عليهِ غالِبُ أبناءِ هذا الزمانِ، إلا مَن حرسَهُ اللهُ مِنَ الشيطانِ، وشتّانَ ما بينَ المقامَينِ شتّانَ.

قالَ الأصمَعيُّ: قلتُ لأعرابيٍّ؟ هلْ تعرفُونَ العِشقَ بالباديةِ؟ قال: نعَم؛ أيكُونُ أحدٌ لا يعرِفهُ؟ قلتُ: فما هوَ عندَكمْ؟ قالَ: القُبلةُ والضَّمَّةُ والشَّمَّةُ، قلتُ: ليسَ هوَ هكَذا عندَنا، قالَ: وكيفَ هوَ؟ قال: أنْ يتَفَخَّذَ الرجُلُ المرأةَ فيُباضِعَها، فقالَ: قد خرَجَ إلى طلَبِ الولدِ[1].

وقالَ مُزبَّدٌ[2]: كانَ الرجُلُ فيما مضَى إذا عشِقَ الجاريةَ راسلَها سنةً، ثم يرضَى أنْ يمضَغَ العلكَ الذي تمضَغُهُ، ثمَّ إذا تلاقَيا تحادَثا وتناشَدا الأشعارَ، فصارَ الرجُلُ اليومَ إذا عشِقَ الجاريةَ لَمْ يكُنْ لهُ همٌّ إلا أنْ يرفَعَ برجليها كأنَّهُ أشهَدَ على نِكاحِها أبا هرَيرةَ وابنَ سيرينَ[3].

---

(١) «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي (٢/ ٥٥).

وسؤال الأصمعيّ فيما أسنده أبو عليٍّ القاليُّ في «الأمالي» (ص٥١٨) ليس عن العشق، بل عن الزنى، والعياذ بالله.

(٢) في الأصل والمطبوع بالراء المهملة، والصواب إعجامها، وفي ضبط اسمه خلافٌ بيّنه الزَّبيديُّ في «تاج العروس» (٨/ ١٣٣) فقال: «مزبد»، كـ«مُحَدِّث»: اسمُ رجُل، صاحب النوادر، وضبَطَه عبدُ الغنيِّ وابنُ ماكولا: كـ«مُعَظَّم»، وكذا وُجِدَ بخطّ الشرَف الدِّمياطيّ، وقال: إنه وجده بخطّ الوزير المغربيّ، قال الحافظ: ووُجد بخط الذهبي ساكنَ الزاي مكسورَ المُوحَّدة.

(٣) «الإمتاع والمؤانسة» للتوحيدي (٢/ ٥٦) بذكر إشهاد أبي هريرة رضي الله عنه وحده، وذكَرَ أبو حيان بعده قولاً لابن سيرين، فكأنّ في مصدر المؤلف خللاً، أو أنه التبس عليه، والله أعلم.

والخبر بنحوه في «محاضرات الأدباء» للراغب (٣/ ٢٢٩) عن أبي زيد، وفي «ربيع الأبرار» للزمخشري (٣/ ٤٣٥).

ولما كانَ العِشقُ مظِنَّةَ المحظُورِ أطلَقَ كثيرٌ منَ العلماءِ ذَمَّهُ قائلينَ: إنَّ الذي يورِثُهُ العشقُ مِن نقصِ العقلِ والعلمِ، وفسادِ الخُلقِ والدّينِ والذِّهنِ، والاشتِغالِ عَن مصالحِ الدينِ والدُّنيا أضعافُ أضعافِ ما يتضمَّنهُ مِن جنسِ الصفاتِ المحمُودةِ؛ كما هوَ مُشاهدٌ لكلِّ عاقلٍ؛ فإنهُ لمْ يوجَدْ قطُّ عشقٌ إلا وضررُهُ أعظَمُ مِن منفعَتِهِ، ولا عِبرةَ بمَن مدحَهُ مِن عُقلاءِ العرَبِ وظُرفائِهِمْ، وطوائفَ مِنَ الحُكماءِ والمتصوِّفةِ قائلينَ: إنَّ فيهِ فوائدَ[1] مِن جُملتِها رقَّةُ الطبعِ، وإزالةُ خبثِهِ، وترويحُ النفسِ وخِفَّتها، ورياضَةُ الجسدِ، ويشجِّعُ الجبانَ، ويُسخّي البخيلَ، ويُصفّي ذهنَ الغبيِّ، ويُطلقُ لسانَ المعجَمِ بالشعرِ، إلى غيرِ ذلكَ مما ذكرُوهُ في مدحِهِ وذمِّهِ شِعراً ونَثراً.

قالَ ابنُ تيميَّةَ: ومَن أمرَ منَ المتفَلسِفَةِ بعشقِ الصورِ كابنِ سينا، أو مِن الفُرسِ، أو مِن جهّالِ المتصوِّفةِ؛ فإنهُمْ أهلُ ضلالٍ، فإنَّ هذا وإن ظُنَّ أنَّ فيهِ منفعَةً للعاشقِ كتهذيبِ أخلاقِهِ، أو للمعشُوقِ من السعيِ في مصالحِهِ كتعليمِهِ وتأديبِهِ، وغيرِ ذلكَ، لكِنَّ مضرةَ ذلِكَ أضعافُ مَنفعتِهِ، وأينَ إثمُ ذلكَ مِن نفعِهِ؟

وهذا بمنزِلةِ أنْ يُقالَ: إنَّ في الزنا منفعَةً لكلٍّ مِنهُما بما يحصُلُ لهما منَ اللَّذّةِ والسُّرورِ، ولها منَ الجُعْلِ[2]، وغيرِ ذلكَ.

وكما يقالُ: إنَّ في شربِ الخمرِ منافعَ بدنيَّةً ونفسيَّةً، وقدْ قالَ تعالى في الخمرِ والميسرِ: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩][3].

---

(١) في (ط): «فرائد».

(٢) الجُعل: الأجر، يريد: ما يُعطى للزانية من مال أُجرة على زِناها، والعياذ بالله.

(٣) يُنظر: «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

وقدْ أطلْتُ الكلامَ على هذا ونحوِهِ في مؤلفٍ لطيفٍ[١]، وإنما المرادُ هُنا بيانُ أحوالِ عُشّاقِ العربِ المشهورينَ ونحوِهِمْ؛ مُلتزِماً جمعَ المفرَّقِ[٢] وطيَّ المنتشِرِ، معَ رعايةِ الاختصارِ في أخبارِهِمْ وهَلْ مِن مدَّكِرْ؟

***

أخبارُ المجنُونِ وصاحبَتِهِ ليلَى[٣]

المجنُونُ اختُلِفَ في اسمِهِ؛ فقيلَ: قيسٌ، والأشهَرُ: أنَّ اسمَهُ عامرٌ، ولمْ ينَلْهُ الهزالُ والجنونُ وتغيُّرُ اللونِ إلا منَ العشْقِ، وهوَ مِن بني عامرٍ، ويتصِلُ نسبُهُ إلى كعبِ بنِ ربيعَةَ بنِ صعصَعَةَ، وكانَ قبلَ العِشقِ مديدَ القامَةِ، جعْدَ الشعرِ، أبيضَ اللونِ.

وصاحبتُهُ ليلَى بنتُ مَهديٍّ، وكُنيَتُها أمُّ مالكٍ، ويجتمِعُ[٤] نسبُها بنسبِهِ في كعبِ بنِ ربيعَةَ[٥].

وسببُ عِشقِهِ لها: أنهُ مرَّ يوماً على ناقتِهِ وعليهِ حُلَّتانِ مِن حُلَلِ الملوكِ بامرأةٍ من قومٍ وعندَها نسوةٌ يتحدَّثنَ، فأعجبَهنَّ فاستنْزلنَهُ للمنادَمَةِ، وجعَلَ يحادِثُهنَّ ويقلِّبُ

---

(١) يُريد كتابه الآخر: «منية المحبّين وبُغية العاشقين»، وسيصرّح باسمه في خاتمة هذا الكتاب.

(٢) في (ط): «المفترق».

(٣) يُنظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص٥٦٣ ـ ٥٧٣)، وأخبار مجنون بني عامر ونسبه في «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (٢/ ٥ ـ ٦١)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٢٤/ ٢٢٣ ـ ٢٢٧)، و«نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر» للإمام يوسف بن حسن ابن عبد الهادي، المشهور بابن المِبرَد (٩٠٩هـ) بكماله، وأخبار المجنون وصاحبته ليلى في «تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق» لداود الأنطاكي الأكمه (ص٥٢ ـ ٧٠).

(٤) في الأصل: «ويتصل»، وما في (ط) أقوم.

(٥) في «الأغاني» (٢/ ١٠) عن أبي عمرو الشّيبانيّ وأبي عبيدة: كان المجنون يهوى ليلى بنت مهديّ بن سعد، وفيه (٢/ ٧) عن أبي زياد الكلابي: ليلى بنت سعد بن مهديّ.

طرفهُ فوقعَتْ عينهُ على ليلَى، فلَمْ يصرِفْ طَرْفَهُ عنها، وشاغلْنَهُ[1] فلَمْ يشتغِلْ، ثم قالَ: هلْ عندكُنَّ ما تأكُلنَ؟ فقالَتْ ليلَى: لا، فعمَدَ إلى ناقتِهِ فنحرَها وقطَّعَها، فجاءَتهُ لتمسِكَ معهُ اللحَمَ، فجعَلَ يقطَعُ بالسكّينِ في كفِّهِ وهوَ شاخِصٌ فيها، فجذَبتْها مِن يدِهِ ولم يشعُرْ بنفسِهِ!

ثمَّ قالَ لها: أتأكُلينَ الشواءَ؟ قالَتْ: نعَمْ، فطرَحَ شَيئاً منَ اللحمِ على الجمرِ، وأقبلَ يحادِثُها، فقالَتْ لهُ: انظُرْ إلى اللحْمِ هلِ استَوى؟ فمدَّ يدهُ إلى الجمرِ وجعَلَ يقلِّبُ بها اللحمَ فاحترقَتْ ولمْ يشعُرْ، فلمّا علِمتْ ما داخلَهُ صرَفتْهُ عَن ذلِكَ ثمَّ شدَّتْ يدَهُ بهدْبِ قناعِها، ثمَّ ذهَبَ وقدْ تحكَّمَ عشقُها من قلبِهِ.

وقيلَ: سببُ عشقِهِ لها أنها كانَتْ مُغرمةً بأحاديثِ الناسِ والأشعارِ، وكانَ هوَ أروَى الناسِ لذلِكَ، فكانَتْ تستدعيهِ لتسمَعَ منهُ، وكانَ يجيبُها إلى ذلكَ فتداخلَتْ بينَهُما المحبَّةُ.

وفي «نديمِ المسامَرةِ»: أنهُما انتَشآ صَغيرينِ يرعيانِ الغنَمَ بدليلِ قولِهِ [من الطويل]:

تَعَلَّقْتُ لَيْلَى وهيَ ذاتُ ذُؤابَةٍ ... ولمْ يَبْدُ للأتْرابِ مِنْ ثَدْيِها حَجْمُ

صَغيرَيْنِ نَرْعَى البَهْمَ يا لَيْتَ أنَّنا ... إلى اليَوْمِ لمْ نَكْبُرْ ولمْ تَكْبُرِ البَهْمُ

فتحابّا، وإنَّها حُجبَتْ عنهُ فداخلَهُ جنونٌ[2].

---

(١) في الأصل: «وشاغلته»، والصواب ما في (ط).

(٢) الأقوال الثلاثة في «تزيين الأسواق» (ص٥٣) يعزو الأولَ إلى صاحب «نزهة المشتاق»، وأخرجه أبو الفرج في «الأغاني» (٢/ ١١ ـ ١٢) بشيء من اختلاف، وذكره ابنُ المبرد في «نزهة المسامر» (ص٢٧) بنحوه.

وعزا الثالث ـ كما هو هنا ـ إلى «نديم المسامرة»، وهو كتاب ذكره غير مرة، ونسبه في (ص٨٢) للمقدسي، ولم أهتدِ إلى معرفة هذا الكتاب ولا مؤلفه، ولا إلى تحديد صاحب =

ولما عرفَ كلٌّ منهُما ما عندَ الآخرِ وتمكنَّتِ المحبَّةُ منهُما جعَلَ يأتيها نهاراً قبلَ الحجبِ ويذهَبُ ليلاً.

وكانَ المجنُونُ عندَ أبيهِ أعظمَ منزلَةً مِن جميعِ إخوتِهِ، وكانَ أبوهُ ذا ثروةٍ، فدفَعَ خمسينَ بعيراً وراعيَها في مهرِ ليلَى فلَمْ يَقبَلْ أبوها، معَ أنهُ دونَهُم؛ لأنَّ العربَ كانَتْ تكرَهُ تزويجَ اثنَينِ اشتَهرَتْ أخبارُهما بالمحبَّةِ، فخيَّرُوها بينهُ وبينَ رجلٍ اسمُهُ وردٌ، وهدَّدُوها على أنْ تختارَ وَرداً فاختارَتْهُ كارهةً، فقلق المجنون لذلك وشكا إليها ذلك فقالت: لا بأسَ عليك، والله لا اجتمعتُ بغيرك إلا كارهة[1].

وكانَتْ قبلَ هذا القولِ قدِ امتحنَتهُ لتنظُرَ ما عندَهُ منَ المحبَّةِ، فدَعتْ شَخْصاً بحضرَتِهِ فسارَّتهُ ـ أو صرفَتْ وجهَها عنهُ إلى غيرِه ـ ثمَّ نظرتْهُ قدْ تغيَّرَ حتى كادَ أنْ يتفطَّرَ، فأنشدتْ تقولُ:

كِلانــا مُظهِــرٌ للنّــاسِ بُغْضاً ... وكُــلٌّ عِنــدَ صاحِبِــهِ كَميــنُ
وأسْرارُ المَلاحِظِ لَيْسَ تَخْـفَى ... وقَدْ تُغري[2] بذي اللَّحْظِ الظُّنُونُ
وكَيْفَ يفُوْتُ هذا الناسَ شَيءٌ ... ومـا فـي النّاسِ تُظهِـرُهُ العُيونُ

= «نزهة المشتاق»، والله أعلم.

والبيتان في «ديوان المجنون» (ص١٨٦)، وأسندهما ابنُ المبرد في «نزهة المسامر» (ص٢٥) يروي السبب الثالث، وذكرهما مع سببهما ابنُ قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص٥٦٤)، وهما في «الأغاني» (٢/ ١١) في غير هذا السبب المذكور هنا.

وأسند الأصبهاني سبباً آخر في «الأغاني» (٢/ ٢٩ ـ ٣١).

(١) سقط في (ط) من قوله: «فقلق» إلى هنا. ويُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٥٤) بسياق مزيد.

(٢) في (ط): «تعرو».

فسُرَّ بذلكَ حتى كادَ يذهَبُ عقلُهُ، فانصرَفَ وهوَ ينشِدُ الأشعارَ في هواها [1].

ولما اشتُهِر أمرُهما في العرَبِ وشاعَ شعرُهُ فيها منعَهُ أهلُها مِن زيارتِها، فكانَ يأتيها في غفَلاتِ الحيِّ يزورُها ويتحادَثُ معَها على غيرِ ريبةٍ، فلما عَلِموا بذلكَ شكَوهُ إلى مَروانَ فكتَبَ إلى عاملِهِ بهدرِ دمِهِ إذا وجِدَ عندَ ليلَى، فلما بلغَهُ ذلكَ أنشَدَ:

لَئِنْ حُجِبَتْ لَيْلَى وآلَى أميرُها ... عَلَيَّ يَميناً جاهِداً لا أزُورُها

وأوْعَدَني فيها رِجالٌ أبُوهُمُ ... أبي وأبُوها خَشَّنَتْ لي صُدُورُها

على غَيرِ شَيءٍ غَيرَ أنّي أُحِبُّها ... وأنَّ فُؤادي عِندَ لَيْلَى سَميرُها [2]

ولما أيِسَ مِن زيارتها قلِقَ لذلِكَ قلقاً عظيماً أدَّى إلى زوالِ عقلِهِ، فهامَ علَى وجهِهِ يلعَبُ بالترابِ والعِظامِ، ولا يغفَلُ عَن ذكرِها، وأنها جزِعتْ لذلِكَ جزَعاً شديداً أدَّى إلى سُقمِها فحجَّ بها أهلُها، فرآها شخصٌ مِن ثقيفٍ فخطَبَها منهُمْ، فأجابُوا بعدَ أنْ ردُّوا جماعةً، فبلَغَ المجنونَ ذلكَ فاشتدَّ غرامُهُ، وزادَ

---

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٥٤) بسياق مزيد.

وذكر البيتَين الأولين ـ باختلاف في عجز ثانيهما ـ الأصبهاني في «الأغاني» (٢/ ١٣)، وروى الأول وله ثانٍ مختلفٌ في خاتمة رواية في سبب عشقه (٢/ ١١ ـ ١٢)، وذكر الأول يتيماً ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص٥٦٥)، وذكره وأعقبه بثلاثة أبياتٍ مختلفة ابنُ المِبرد في «نزهته» (ص٢٨).

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٥٥) بسياق مزيد.

وقد أسند السراج هذا الخبر عن «مصارع العشاق» (٢/ ٢٨٧) مطوّلاً وفيه الأبيات الثلاثة، وأسنده إليه ابن المبرد في «نزهة المسامر» (ص٣٦ ـ ٣٧).

والأبيات في «ديوان المجنون» (ص١١٢)، ورواها صاحب «الأغاني» (٢/ ٤٤) في خبر المجنون مع نوفل بن مساحق.

هيامُهُ، ولما تحقَّقَ تزويجَها جعَلَ يُنشِدُ الأشعارَ، ويمرُّ ببيتِها فلا ينظُرُ إليهِ، ومِن كلامهِ في ذلكَ قولُهُ:

ألا أيُّها البَيْتُ الَّذي لا أزُورُهُ ... وإنْ حَلَّهُ شَخْصٌ إلَيَّ حَبيبُ

هَجَرْتُكَ إشْفاقاً وزُرْتُكَ خائفاً ... وفيْكَ عَلَيَّ الدَّهْرُ مِنْكَ رَقيبُ

سأسْتَعْتِبُ الأيّامَ فيْكَ لعَلَّها ... بيَوْمِ سُرُورٍ في الزَّمانِ تَؤوْبُ[1]

ولما بلغَهُ نقلُها إلى الثَّقفيِّ كادَ يتمزَّقُ، فاجتمَعَ بهِ عزوةٌ مِن قومهِ ممَّن كانَ ينادمُهُ حالَ صحتِهِ فعزَمُوا على أنْ يسافِروا بهِ مُتنزِّهينَ في أحياءِ العرَبِ ليذهَبَ ما بهِ، فسارُوا وهوَ معهُمْ تعاودُهُ الصحَّةُ دَوراً والجنُونُ أدواراً، وهم يرِدُونَ بهِ كلَّ مُستَنزهٍ، ويعرِضُونَ عليهِ مِن بناتِ الحيِّ كلَّ مَليحةٍ، فلَم يُفِدْ فيهِ ذلكَ شَيئاً، وإنهُمْ غفلُوا عنهُ ليلةً ثمَّ افتقدُوهُ، فرأَوهُ قدْ ذهبَ، فركِبَ ابنُ عمٍّ لهُ في طلبِهِ، فرآهُ ماسِكاً ظَبيَةً وهوَ يمسَحُ عنها الترابَ ويُقبِّلُها ويبكي ويقولُ:

أيا شِبْهَ لَيْلَى لا تَخافينَ إنَّني ... لَكِ اليَوْمَ مِنْ وحْشيةٍ لبَديلُ

فقالَ لهُ: اذهبْ بنا، فلَمْ يُجِبْ، فقالَ: اذهَبْ لنَمُرَّ بليلَى، فقامَ معهُ فلمّا جاءَ إلى أصحابِهِ جلَسَ مُتفكِّراً لا يُخاطبُهم[2].

---

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٥٥ ـ ٥٦) بسياق مزيد.

والأبيات في «ديوان المجنون» (ص٤٣)، وهي في سياق مطوَّل في «الأغاني» (٢/ ٣٢)، وذكر في (٢/ ٤٢) أن هذه الأبيات في شعر محمد بن أميّة مروية.

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٥٦) بسياق مزيد، إلا أن ختام البيت فيه: «لصديقُ»، ولم أجده كما ذكره الكرمي رحمه الله ـ في أي مصدر.

والبيت مطلعُ قصيدة قافيّةٍ طويلة في «ديوان المجنون» (ص١٦٢)، وهو وبعدَه بيتان في «الأغاني» (٢/ ٥٣) و«ذيل أمالي القالي» (ص٩٧٩) في خبر المجنون. =

وأخذَهُ أبوهُ مرةً حتَّى أمسكَهُ أستارَ الكعبةِ ثمَّ قالَ لهُ: قلْ: اللهُمَّ! أنسِني ذكرَها وامحُ مِن قلْبي حُبَّها، فقالَ: اللهُمَّ! اجمَعْني بها وارزُقْني حبَّها، وزِدْني بها كلَفاً وفيها تلَفاً، وأنشَدَ:

يَقَرُّ لعَيْني قُرْبُها ويَزيدُني ... بها عَجَباً مَنْ كانَ عِنْدي يَعيبُها

فكَمْ قائلٍ قَدْ قالَ تُبْ فعَصَيْتُهُ ... وتلْكَ لعَمْري تَوبَةٌ لا أَتُوبُها

فيا نَفْسُ صَبْراً لَسْتِ ـ والله ـ فاعْلَمي ... بأَوَّلِ نَفْسٍ غابَ عَنْها حَبيبُها[1]

وقيلَ: إنَّ آخرَ مجلسٍ للمجنونِ مِن ليلَى أنهُ لما اختلَطَ عقلُهُ، ومزَّقَ ما عليهِ وتوحَّشَ جاءَتْ أمُّهُ إليها فأخبَرتها بذلِكَ، وسألَتْها أنْ تزورَهُ، فعساها أنْ تُخفِّفَ ما بِهِ، فقالَتْ: أمّا نهاراً فمتعذِّرٌ خيفةَ أهلي، وسآتيهِ ليلاً، فلمّا أمكنَتْها الفرصَةُ أتتهُ وهوَ مُطرِقٌ[2] يهذي، فسلَّمَتْ عليه، ثمَّ قالَتْ:

أُخبِرتُ أنّكَ مِن أجْلي جُنِنتَ وقَدْ ... فارقْتَ أهلَكَ لم تَعقِلْ ولم تُفِقِ

فرفَعَ رأسَهُ إلَيها وأنشَدَ:

قالَتْ: جُنِنْتَ على رأسي، فقُلْتُ لها ... الحُبُّ أعْظَمُ ممّا بالمَجانينِ

= ورواه أولَ بيتين ابنُ قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص٥٠٩ ـ ٥١٠) من رواية كثيّر عزّة عن مجنونٍ لقيه ولم يُسمّه، وكذا رواية ابن المبرد في «نزهة المسامر» (ص٤٥ ـ ٤٦) وأبياته أربعة.

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٥٩) بسياق مزيد.
وروى الأبياتَ في هذا الخبرِ ابنُ قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص٥٦٨ ـ ٥٦٩)، ورواها القاليُّ في «الأمالي» (ص٦١٠ ـ ٦١١)، ورواها السراجُ في «مصارع العشاق (٢/ ٥٢).
ورواها أبو الفرج في «الأغاني» (٩/ ١٤٢) في خبر لقيس بن ذريح.
والبيات في قصيدة في «ديوان المجنون» (ص٥٦).

(٢) في (ط): «متطرق».

الحُبُّ ليسَ يُفيقُ الدَّهْرَ صاحِبُهُ وإنَّما يصرعُ الإنسان في الحينِ

لَو تَعْلَمينَ إذا ما غِبْتُ ما سَقَمي وكَيْفَ تَسْهَرُ عَيْني لَمْ تَلُوميني

ثمَّ فارقَتهُ فهامَ مِن حينئذٍ معَ الوحشِ(١).

وقيلَ: إنهُ سُئلَ عَن سببِ خُروجهِ فقالَ: لقيتُها يوماً، فشكَوتُ إلَيها ما نزَلَ بي مِن حبِّها، وقلتُ: إنْ لَمْ ترحميني ذهَبَ عَقْلي، فقالَتْ: هوَ المطلوبُ، فهِمتُ لمُرادِها، وقيلَ: كانَ هيامُهُ مقاصّةً لقولِهِ:

قضاها لغَيْري وابْتَلاني بحُبِّها فهَلّا بشَيْءٍ غيرِ لَيْلَى ابْتَلانيا(٢)

---

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٥٨) بسياق مزيد.

وروى الخبر أبو الفرج في «الأغاني» (٢/ ٢٥) والسراج في «مصارع العشاق» (١/ ١٢٥) دون البيت الثالث، ودون سؤالها منظوماً.

والأبيات الثلاثة في «ديوانه» (ص٢١٨) مسبوقةً بسؤالها منظوماً كما هو هنا.

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٥٨).

وقوله: «مقاصة»، أي: قصاصاً وعقوبةً، وقد روى الأصبهاني في «الأغاني (٢/ ٢٥) عن القحذميّ: أنه لمّا قال المجنون هذا البيت سُلب عقله، وعنه رواهُ السرّاج في «مصارع العشاق» (٢/ ٣٣).

وروى مثله الأصبهانيُّ (٢/ ٣٥) عن موسى بن جعفر بن أبي كثير، ورواه عنه المرزباني في «الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء» (ص٢٠٧)، ورواه عن المقبل العقيلي، قال: يتحدث عندنا بالبادية أنّ مجنون بني عامر.. بنحوه.

وروى نحوه التنوخي في «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» (٥/ ١١٨) عن مصعب الزُّبَيري.

وروى الأصبهاني (٢/ ٤٤) عن ابن الكلبيّ أنه لما قاله نُودي في الليل: أنت المتسخِّطُ لقضاء الله، والمعترض في أحكامه؟ واختُلس عقلُه، فتوحّش منذ تلك الليلة، وذهب مع الوحش على وجهه.

والبيت في «ديوان مجنون ليلى» (ص٢٢٧) في اليائية المطوّلة التي سيختم الكرمي أخبار المجنون ببعضها عما قريب.

قالُوا: والأسانيدُ الصحيحَةُ والآثارُ الـمُتضافرَةُ[١] دلَّتْ على أنها كانت منَ الغرامِ بهِ والميلِ إليهِ أيضاً بمنزلَةٍ عظيمةٍ.

حكَى رباحُ بنُ عامرٍ قالَ: أقبلْتُ مِن نجدٍ أُريدُ الشامَ فمَررتُ بخيمَةٍ فإذا بامرأةٍ وقدْ أقبَلَ رعاةٌ وإبلٌ وغنمٌ كثيرَةٌ، ثمَّ قالتْ للعبيدِ: سلُوهُ مِن أينَ الرجُلُ؟ فقلتُ: مِن نجدٍ، فتنفَّسَتِ الصُّعداءَ ثمَّ قالَتْ: أتعرِفُ رجُلاً يقالُ لهُ: قيسٌ ويلقَّبُ بالمجنُونِ؟ قلتُ: إي واللهِ، سِرتُ معَ أبيهِ حتَّى أوقفَني عليهِ وهوَ معَ الوحشِ لا يعقِلُ إلا إنْ ذُكرَتْ لهُ ليلَى المشؤومَةُ عليهِ، فبكَتْ حتَّى أُغمي علَيها، فقلتُ: ممَّ تبكينَ، ولمْ أقُلْ إلا خيراً؟ فقالَتْ: أنا ـ واللهِ ـ لَيلى المشؤومَةُ عليهِ، غيرُ المساعدَةِ لهُ، أو قالَتْ: غيرُ المكافئةِ والمواسيةِ لهُ، ثمَّ أنشدَتْ:

ألا لَيْـتَ شِـعْري والخُطُـوبُ كَثيرةٌ ... مَتَـى رَحْـلُ قَيْـسٍ مُسْـتَقِلٌّ فَراجِـعُ
بنَفْسـيَ مَـنْ لا يَـسْـتَـقِــلُّ بـرَحْـلِــهِ ... ومَنْ هُـوَ إنْ لـم يحْـفَـظِ اللـهُ ضائِـعُ[٢]

وقالَ لهُ رجلٌ مِن قومهِ: إني قاصِدٌ حيَّ ليلَى، فهلْ عندَكَ شيءٌ تقولُهُ لها؟ قالَ: نعَمْ؛ أنشِدْها إذا وقفَتْ بحيثُ تسمَعُكَ هذِهِ الأبياتَ:

اللهُ يَعْلَـمُ أنَّ النَّفْـسَ قَـدْ هَـلَـكَـتْ ... بـالـيـأسِ مِنْـكِ ولكِنّـي أُمَنّيهـا

---

(١) في الأصل والمطبوع، وفي «تزيين الأسواق» (ص٥٨): «المتظافرة» بالظاء المعجمة، والصواب ما أثبتُّ، وجعلها ظاءً لحنٌ؛ نصّ على ذلك الداني في «الفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله عز وجل وفى المشهور من الكلام» (ص٢٩).

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٥٨ ـ ٥٩) بسياق مزيد.

وأخرج الخبرَ الأصبهانيُّ في «الأغاني» (٢/ ٥٦ ـ ٥٧) وابن المبرد في «نزهة المسامر» (ص٤٧ ـ ٤٩)، وذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص٥٦٦ ـ ٥٦٧)، ولم أجد البيتين في «ديوان المجنون».

وساعَةٌ مِنْك أَلْهُوها وإنْ قَصُرَتْ أَشْهَى إلَيَّ مِنَ الدُّنْيا وما فيها

قالَ الرجُلُ: فمضَيتُ حتى وقفْتُ بخيامِها، فأنشدْتُ بحيثُ تسمَعُ الأبياتَ، فبكَتْ حتى غُشيَ[١] عَليها، ثمَّ قالَتْ: أبلِغهُ عني السلامَ، وأنشِدهُ هذِهِ الأبياتَ:

نَفْسي فِداؤكَ لَوْ نَفْسي مَلَكْتَ إذَنْ ما كانَ غَيْرُكَ يُحْزِنُها ويُرْضيها

صَبْرا على ما قَضاهُ اللهُ فيْكَ عَلَى مَرارَةٍ في اصْطِباري عَنْكَ أُخْفيها

قالَ الرجلُ: فلما بلَّغتهُ ذلكَ بكَى حتى غُشيَ عليهِ[٢].

واجتمَعَ إليهِ النِّساءُ يوماً فقُلنَ لهُ: أمَا آنَ لكَ أنْ تصرِفَ عنْكَ هوَى ليلَى؛ ليردَّ إليكَ عقلُكَ؛ فإنَّها امرأةٌ منَ النساءِ، وفينا عَنها كفايةٌ، فاخترْ إحْدانا، فقالَ: لو ملكْتُ لفعَلتُ، ولكنّي مغلُوبٌ! فقلنَ: ما أعجبَكَ مِنْها؟ فقالَ: كلُّ شيءٍ رأيتُهُ وسمِعتُهُ[٣].

ومرَّ يوماً على جبلَي نُعمانَ بنجْدٍ فقالَ لرفقَتهِ: هذا مكانٌ يقرُبُ مِن منزلٍ كانَتْ تنزِلُ بهِ ليلَى، ثمَّ قالَ: أيُّ الرياحِ تهبُّ منهُ؟ قالُوا: الصَّبا، فأنشَدَ:

أيا جَبَلَيْ نُعْمانَ باللهِ خَلِّيا نَسيمَ الصَّبا يَخْلُصْ إلَيَّ نَسيمُها

أجِدْ بَرْدَها، أو تَشْفِ مِنّي حَرارةً على كبِدٍ لَمْ يبْقَ إلا صَميمُها

فإنَّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تنَسَّمَتْ على نَفْسِ مَهْمُومٍ تجَلَّتْ هُمُومُها[٤]

---

(١) في الأصل: «أغشي»، والصواب ما في (ط).

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٦١ ـ ٦٢) بسياق مزيد.

وأخرج الخبرَ مع أبياته الأصبهانيُّ في «الأغاني» (٢/ ٥٤ ـ ٥٥)، وهو في «ديوان مجنون ليلى» (ص٢٢٧).

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٦١) بسياق مزيد في خبر أخرجه الأصبهاني في «الأغاني» (٢/ ٥٣ ـ ٥٤).

(٤) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٦٠) بسياق مزيد، والأبيات مطلعُ قصيدة في «ديوان مجنون =

قالَ في «النُّزهةِ» بعدَ ذكرِ هذِهِ الأبياتِ: إنَّ أبا الفرَجِ ابنَ الجَوْزيِّ تزوَّجَ امرأةً اسمُها «نسيْمُ الصَّبا»، فأقامَ معَها مدةً، ثمَّ طلَّقَها، فاشتَدَّ بها كلفُهُ، وزادَ غرامُهُ، وراسلَها، فأبَتْ عليهِ، وطالَ بينَهُما الأمرُ، فحضَرتْ مجلِسَ وعظِهِ يوماً، فلاحَتْ منهُ نظرةٌ، فرآها وقدْ تستَّرتْ بجاريتَينِ، فتنفَّسَ الصُعداءَ وأنشدَ:

أيا جَبلَي نُعمانَ.. الأبياتَ

فاستَحيَتْ، ثمَّ ذهبَتْ وقدْ داخَلَتها الرِّقَّةُ لهُ، فحكَتْ ذلِكَ لبعضِ النِّساءِ، فمَضينَ فأخبرنَهُ، فراسَلَها، فأجابَتهُ، فتزوَّجَ بها[1].

ولما زادَ[2] بالمجنونِ الحالُ ساحَ في البريَّة، فجعَلَ يقتاتُ العُشبَ حتى طالَتْ أظفارُهُ، وغطاهُ شعرُهُ، فألِفتهُ الوحوشُ، فكانَ يرِدُ الماءَ معَها، ثمَّ يهيمُ على وجهِهِ حتى يقعَ بالشامِ، فيسألُ عَن نجدٍ أرضِ ليلَى، فيقُولونَ لهُ: أينَ أنتَ مِنها؟ ويعرِضُونَ عليهِ الثيابَ والطعامَ فيأبى ويقولُ: دُلُّوني على نجدٍ، فيرحَمونَهُ ويقولُونَ لهُ: اتبِعْ نجْمَ كذا يوصلْكَ، فيَمضي حتى يقَعَ باليمَنِ، فيكُونُ لهُ مِثلُ ذلكَ، إلى أنْ يظفَرَ[3] أحياناً بالجبلِ.

وسئلَ يوماً: ما أحسَنُ ما رأيتَ؟ قالَ: ليلَى، قيلَ: ثمَّ ماذا؟ قالَ: ما رأيتُ

= ليلى» (ص١٩٥).

(١) ذكر خبر ابن الجوزيِّ الأنطاكيُّ في «تزيين الأسواق» (ص٦٠) بهذا السياق، وذكره مختصراً ابنُ حجة في «ثمرات الأوراق» (بهامش «متطرف الأبشيهي») (١/ ٣٧). ولم أهتدِ إلى تحديد كتاب «النزهة»، والله أعلم.

(٢) في الأصل: «زال».

(٣) في الأصل و(ط): «يظهر»، والتصويب وفاقاً لِما في «تزيين الأسواق» (ص٥٩) بسياق أوجز. والخبر في «الأغاني» (٢/ ٣٤ـ ٣٥).

شَيئاً غيرَها، وذكرْتُها إلا سقطَ مِن عَيني إلا ظَبياً رأيتُهُ يوماً فذكرْتُ ليلَى، فزادَ في عَيني حُسناً، فانطلَقتُ أعدُو خلفَهُ حتَّى كلَّتْ رِجلايَ، وغابَ عَن عَيني، فأخذْتُ راحِلَتي ثمَّ انطلقْتُ حتَّى وجدتُهُ وقدْ فتكَ بهِ ذئبٌ، فأخذْتُ سهماً وضربْتُ الذئبَ، فلَمْ يخطِئ قلبَهُ، فشقَقتُ بطنَهُ وأخرجتُ ما أكلَ، فضمَمتُهُ إلى ما بقي منَ الظبيِ ودفنتُهُ(١).

وقدِمَ عاملُ الصدقةِ على بني عامرٍ ليأخُذَها منهُمْ، فرآهُ عارياً يلعَبُ بالترابِ، فأمرَ لهُ بثوبٍ فقيلَ لهُ: لو كانَ يلبَسُ لكانَ في مالِ أبيهِ الكفايةُ، فإنهُ سيِّدُ الحيِّ، ولكنَّهُ قدْ تولَّعَ بحبِّ امرأةٍ فصيرَهُ هكَذا، قالَ: فقُمتُ إليهِ وكلَّمتهُ فلَمْ يعقِلْ، فقيلَ لي: إنْ أردْتَ أنْ يفهَمَ ما تقولُ فاذكُرْ ليلَى، فقالَ: أتحِبُّ ليلى؟ قالَ: نعَمْ، فقلتُ لهُ: أتُريدُ أنْ أزوِّجكَ بها؟ قال: أو ممكِنٌ؟ قلتُ: نعَمْ، فقالَ: يا لهُ مِن جميلٍ، ثمَّ أُخبرَ بإهدارِ السلطانِ دمَهُ فتركَهُ(٢).

وما زالَ هائماً إلى أنْ وجِدَ مَيتاً بينَ حجَرينِ فاحتُمِلَ وغُسِّلَ وصلّي عليهِ ودفِنَ، وحضَرتْ جنازَتهُ جميعُ بني جَعْدةَ وسعْدٍ والحريشِ(٣)، وحضَرَ أبو ليلَى فأظهَرَ جَزَعاً شديداً، واعتذَرَ بأنهُ لمْ يعلَمْ أنَّ أمرَهُ يُفضي إلى هذِهِ الحالَةِ، ولو علِمَ لاحتمَلَ العارَ وزوَّجهُ بها، وقيلَ: إنَّ ليلَى تُوفِّيتْ قبلَهُ، فلمّا بلغَهُ موتُها سقَطَ مَيتاً(٤).

---

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٦١) بسياق مزيد، ورواه صاحب «الأغاني» (٢/ ٣٤ ـ ٣٥).

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٦٢) في خبر نوفل بن مساحق الطويل، وهو في «الأغاني» (٢/ ١٤ ـ ١٥).

(٣) في (ط): «والحريس».

(٤) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٦٥) بسياق مزيد.

وقيلَ: إنهُ مرَّ بزوجِ ليلَى وهوَ يصْطَلي، فوقَعَ عليهِ وأنشَدَ:

بِرَبِّـكَ هَـلْ ضَمَمْـتَ إِلَيْـكَ لَيْلَى ... قُبَيْـلَ الصُّـبْحِ أو قَبَّلْـتَ فاهـا

وهَـلْ رَفَّـتْ عَلَيْـكَ قُـرُوْنُ لَيْلَى ... رَفيـفَ الأُقْحُوانَـةِ فـي نَداهـا[1]

فقالَ لهُ: أما إذا حلَّفتَني فنعَمْ! فصرَخَ المجنونُ وقبَضَ الجمرَ[2] بكِلتا يدَيهِ، وسقَطَ مَغْشياً عليه، فماتَ[3].

وحكاياتُـهُ[4] وأشـعارهُ كثيـرةٌ، ولما مـاتَ رُؤيَ في المنـامِ فقيلَ لهُ: مـا فعَلَ اللهُ بكَ؟ قـالَ: غفـَرَ لي وجعلَني حجـةً علـى المحبّينَ[5].

ومِن أشعارِهِ اليائيّةُ، وهيَ طويلَةٌ بليغَةٌ، وللناسِ في الاقتصارِ على بعضِها، والاستصفاءِ مِنها اختلافٌ كثيرٌ، مِنها[6]:

---

(١) في الأصل و(ط): «زفت» و«زفيف» بالزاي المعجمة فيهما، وهو تصحيفٌ، ففي «خزانة الأدب» للبغدادي (١٠/ ٥٣): رَفَّت ـ بفتح الراء المهملة ـ مِن رَفّ لونه يرِفُّ ـ بالكسر ـ رَفِيفاً ورَفّاً: إذا برق وتلألأ، أراد: شدة سواد شعرها، والرَّفيفُ يوصف به خضرة النبات والأشجار، وذكر أنه بجعل المهملة معجمةً تصحيف، والأقحوانة: وهي البابونج، وقيّدها بكونها في نداها؛ لأنها لا أعطرَ منها في تلك الحالة. والقرون: الذوائب، جمع قَرْن.

(٢) في (ط): «الحجر».

(٣) ذكـر هـذا الخبـر الأنطاكي فـي «تزيين الأسـواق» (ص٦٤) مـع خبر ثان، وقـال: لم يصحّ إسـناده عندنا كصحـة غيره.

ورواه أبـو الفـرج الأصبهانـي فـي «الأغانـي» (٢/ ١٨)، وأسـنده ابن المبـرد في «نزهة المسـامر» (٥٣ ـ ٥٤)، والخبـر مـع البيتيـن فـي «ديـوان المجنـون» (ص٢٢٢).

(٤) في الأصل: «وحكاياه»، وما في (ط) هو الصواب.

(٥) ذكره الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٤/ ٥٠٩)، ويُنظر كتابي: «من رئي بعد موته فَسُئِلَ: ما فعَلَ اللهُ بكَ؟» (ص٢٥).

(٦) وهذه القصيدة ـ وتسمى «الـمُؤنِسة» ـ مطوّلة في «ديوان مجنون ليلى» (ص٢٢٦ ـ ٢٢٩)، ولها =

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى والسِّنينَ الخَوالِيا ... وأيّامَ لا أُعْدي على الدَّهْرِ عادِيا[1]

خَليلَيَّ إنْ لا تَبْكِيا لِيَ أَلْتَمِسْ ... خَليلاً إذا أَنْزَفْتُ دَمْعي بَكَى لِيا

وقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الشَّتيتَيْنِ بَعْدَما ... يَظُنّانِ كُلَّ الظَّنِّ أنْ لا تَلاقِيا

لَحَى اللهُ أقْواماً يقُوْلُونَ: إنَّنا ... وَجَدْنا طِوالَ الدَّهْرِ للحُبِّ شافِيا

سَقَى اللهُ جاراتٍ لِلَيْلَى تَباعَدَتْ ... بِهِنَّ النَّوَى حَيْثُ احْتَلَلْنَ المَطالِيا[2]

خَليلَيَّ ـ لا واللهِ ـ لا أَمْلِكُ الَّذي ... قَضَى اللهُ في لَيْلَى ولا ما قَضَى لِيا

قَضاها لغَيْري وابْتَلاني بحُبِّها ... فهَلَّا بشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابْتَلانِيا

ولَوْ أنَّ واشٍ باليَمامةِ دارُهُ ... وَداريْ بأعْلى[3] حَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِيا

إذا ما جَلَسْنا مَجْلِساً نَسْتَلِذُّهُ ... تَواشَوْا بِنا حَتَّى أَمَلَّ مَكانِيا

فيا رَبِّ سَوِّ الحُبَّ بَيْني وبَيْنَها ... يَكُوْنُ كِفافاً لا عَلَيَّ ولا لِيا

فما طَلَعَ النَّجْمُ الَّذي يُهْتَدَى بهِ ... ولا الصُّبْحُ إلا هَيَّجا ذِكْرَها لِيا

ولا سِرْتُ ميلاً مِنْ دِمَشْقَ ولا بَدا ... سُهَيْلٌ لأهْلِ الشّامِ إلا بَدا لِيا

ولا هَبَّتِ الرِّيحُ الجَنُوْبُ لأرْضِها ... مِنَ اللَّيْلِ إلا بِتُّ للرِّيحِ جانِيا

فأَشْهَدُ عِنْدَ اللهِ أنّي أُحِبُّها ... فهذا لها عِنْدي فما عِنْدَها لِيا

= روايات وزيادات، وبعضُها مما يُروى لغيره، وهي «تزيين الأسواق» (ص٦٨ ـ ٧٠) مزيدة.

(١) لا أعدي: لا أعين ولا أنصر

(٢) المطالي: جمعُ مطلاء، وهي المواضعُ السهلة اللينة؛ وقيل: هي التي تغذو فيها الوحش أطلاءها. يُنظر: «تاج العروس» (٣٨/ ٥٠٦).

(٣) في (ط): «على».

قَضَى اللهُ بالمعْرُوْفِ مِنْها لغَيْرِنا ... وبالشَّوْقِ مِنّي والغَرامِ قَضَى لِيا
أعُدُّ اللَّيالي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ ... وقَدْ عِشْتُ دَهْراً لا أعُدُّ اللَّيالِيا
وأَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ البُيُوْتِ لَعَلَّني ... أُحَدِّثُ عَنْكِ النَّفْسَ باللَّيْلِ خالِيا
عَلَيَّ إذا ما زُرْتُ لَيْلَى بخُفْيَةٍ ... زيارَة بَيْتِ اللهِ رَجْلانَ حافِيا[1]
أَراني إذا صَلَّيْتُ يَمَّمْتُ نَحْوَها ... بوَجْهِيْ وإنْ كانَ المُصَلَّى وَرائِيا
وما بيَ إشْراكٌ ولكِنَّ حُبَّها ... وعُظْمَ الجَوَى أعْيا الطَّبيبَ المُداوِيا
فلَمْ أرَ مِثْلَيْنا خَليلَي صَبابَةٍ ... أشَدَّ على رغْمِ الأعادي تَصافِيا
خَليلانِ لا نَرْجُو لِقاءً ولا نَرَى ... خَليلَيْنِ إلا يَرْجُوانِ التَّلاقِيا
ألا أيُّها الرَّكْبُ اليَمانُوْن عَرِّجُوا ... عَلَيْنا فقَدْ أمْسَى هَوانا يَمانِيا
أُسائلُكُمْ: هَلْ سالَ نُعْمانُ بَعْدَنا ... وَحَبَّ إلَيْنا بَطْنُ نُعْمانَ وادِيا
ألا يا حَمامَي بَطْنِ نُعْمانَ هِجْتُما ... عَلَيَّ الهَوَى لَمّا تَغَنَّيْتُما لِيا
عَشِقْتُكَ ـ يا لَيْلَى ـ وأنْتِ صَبيّةٌ ... وإنّي[2] ابنُ سَبْعٍ ما بَلَغْتُ ثَمانِيا
يَقُولُونَ: لَيْلَى بالعِراقِ مَريضَةٌ ... فيا ليْتَني كُنْتُ الطَّبيبَ المُداوِيا
على مِثْلِ لَيْلَى يَقْتُلُ المرْءُ نَفْسَهُ ... وإنْ كُنْتُ مِنْ لَيْلَى على اليأسِ طاوِيا

***

---

(١) رَجلان: راجلٌ غير راكب.

(٢) في الأصل و(ط): «وأنا»، ولا يصح معها الوزن، وصوّبتُ.

أخبارُ توبةَ وصاحِبتِه لَيلَى الأخيَلِيَّةِ[١]

هوَ تَوبةُ بنُ حُمَيِّـرَ بنِ أُسَيْدٍ الخفاجيُّ، وكانَ شُجاعاً فصيحاً مَشْهُوراً بمكارِمِ الأخلاقِ، مُبرِّزاً في قومِهِ، ولَيلَى هذِهِ هيَ ابنةُ رئيسِ بني الأخيَلِ حُذيفَةَ بنِ شدّادِ بنِ كعْبٍ، وكانَتْ قدْ شاعَ في العرَبِ ذِكرُها بالحُسنِ والفصاحَةِ، وحفْظِ أنسابِ العرَبِ وأشعارِها، فغَزَوا يوماً فلمّا رجعُوا حانَتْ مِن توبَةَ التِفاتةٌ وقدْ برزَتِ النساءُ بالبشرِ والإسفارِ لِلقاءِ القادِمينَ منَ الغزوِ، فرأَى ليلَى فافتتَن بها، فجعَلَ يُعاوِدُها فيتحادَثُ مَعها إلى أنْ أخذَتْ قلبَهُ، وأطارَتْ لُبَّهُ، فشكَى لها يوماً ما نزَلَ بهِ مِن حبِّها، فأعلمَتْهُ أنَّ بها مِن حبِّهِ أضعافَ ذلِكَ، فأقاما على التزاوُرِ إلى أنْ حجَبَها زوْجُها، فقلِقَ توبَةُ لذلِكَ حتى خامرَهُ الجزعُ، فكانَ يذهَبُ عقلُهُ أحياناً، فأشارُوا عليهِ بتعاطي الأسفارِ، والخوضِ في المحادثاتِ، فعزَمَ على الشامِ[٢].

فمرَّ في طريقِهِ سحَراً بأشجارٍ في وادٍ وعَليها[٣] حمائمُ تغرِّدُ، فعاوَدتهُ الأشجانُ، فأنشَدَ قصيدةً طويلةً مِنها:

يقُولُ رِجالٌ: لا يَضيـرُكَ نَـأْيُـها ... بَلَى كُلُّ ما شَفَّ النُّفُوسَ يَضيرُها[٤]

أَلَيْسَ يَضُرُّ العَيْنَ أن تُكْثِرَ البُكا ... ويُمْنَعَ مِنها نَوْمُها وسُرُورُها

---

(١) يُنظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص٤٤٥ ـ ٤٤٧)، وذكر ليلى ونسبها وخبر توبة بن الحميّر معها وخبر مقتله في «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (١١/ ١٤١ ـ ١٦٨)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (١٠/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠)، و«تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٩٦ ـ ١٠١).

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٩٦) بسياق مزيد.

(٣) في الأصل: «عليها» دون واو.

(٤) في (ط): «يضرها»، وفيها وفي الأصلِ قبلَ ذلك: «يضرك»، وصوّبتُ. وشفَّ النفوس: آذاها وأذابها وأهزلَها.

وأشْـرِفُ بـالأرْضِ اليَفَـاعِ لعَلَّنـي ... أرَى نـارَ لَيْلَـى أو يَرانـي بَصيرُهـا[١]

وإنّي ليَشْفيني مِنَ الشَّوْقِ أنْ أرَى ... على الشَّرَفِ النّائي المَخُوْفِ أزُوْرُها[٢]

حَمامَـةَ بَطْـنِ الواديَيْـنِ تَرَنَّمـي ... سَقاكِ مِنَ الغرِّ الغَـوادي مَطيرُهـا[٣]

وكُنْتُ إذا ما زُرْتُ لَيْلَى تَبَرْقَعَتْ ... فقَدْ رابَنـي مِنْهـا الغَـداةَ سُـفُوْرُها

لقَـدْ رابَنـي مِنْهـا صُـدُوْدٌ رأيتُـهُ ... وإعْراضُهـا عَـنْ حاجَتـي وقُصُوْرُهـا

وقَـدْ زَعَمَـتْ لَيْلَـى بأنّـي فاجِـرٌ ... لنَفْسـي تُقاهـا أو[٤] عَلَيْهـا فُجُورُهـا

أظُـنُّ بهـا خَيْـراً وأعْلَـمُ أنَّهـا ... سَـتَنْفَكُّ يَوْمـاً، أو يُفَـكُّ أسـيرُها

عَلَـيَّ دِمـاءُ البُـدْنِ إنْ كانَ بَعْلُهـا ... يـرَى لـيَ ذَنْبـاً غَيْـرَ أنّـي أزُوْرُهـا[٥]

ثمَّ دخَلَ الشامَ فأقامَ بها يسيراً، فلَمْ يأخُذهُ قرارٌ، وتاقَتْ نفسُهُ إلى العربِ، فكانَ يخرُجُ إلى الرَّبوةِ ليُسلّي نفسَهُ، فلَمْ يكُنْ لهُ دأبٌ إلا البكاءُ، فأقامَ أياماً لا يلَذُّ لهُ حالٌ،

---

(١) في الأصل و(ط): «البقاع»، وصوّبتُ. واليَفَاع ـ بفتح الياء ـ: ما ارتفع من الأرض.

والبصير: من أسماء الكلب؛ يُنظر: «التبري من معرة المعري» للسيوطي (ص٤١) بتحقيقي.

(٢) الشرف النائي: المكان العالي.

(٣) الغرّ: البيض، والغوادي: الممطرات في الغداة، أي: الصباح.

(٤) زيد في (ط): «لا»، وهو خطأ من كل وجه.

(٥) يُنظر: «تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٩٦ ـ ٩٨) بسياق مطوّل.

والقصيدة مطوّلةٌ في «ديوان توبة بن الحمير» (ص٣١ ـ ٤٣)، وفي «منتهى الطلب من أشعار العرب» لمحمد بن المبارك البغدادي (١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٩)، وأخرج بعضَها القاليُّ في «الأمالي» (ص١٥٠ ـ ١٥١) في خبر دخول ليلى على الحجاج بن يوسف الثقفي، وذكر ابن قتيبة من هذه الأبيات في «الشعر والشعراء» (ص٤٤٥ ـ ٤٤٦)، وكذلك فعل الأصبهاني في «الأغاني» (١١/ ١٤٣ ـ ١٤٤).

ولا ينعَمُ لهُ بالٌ، فخرَجَ يريدُ الباديةَ، فمرَّ بحيِّها، فرأى ولَداً صغيراً يلعَبُ، فقالَ لهُ: أتعرِفُ ليلَى؟ قالَ: نعَمْ، قالَ: امضِ إلَيها وأنشِدْها:

وكنْتُ إذا ما زُرْتُ لَيلَى تبرقَعَتْ..

وعُدْ إليَّ، فسُأحسِنُ مُنقَلَبكَ.

فمضَى الغُلامُ فأنشَدَ البيتَ، فعلِمتْ أنَّ توبةَ ورَدَ الحيَّ، فقالَتْ للغُلامِ: قلْ لهُ: إنَّها الآنَ مُبرقعَةٌ، لأنَّها كانَتْ سابِقاً قالَتْ لهُ لما شاعَ الكلامُ فيهما: إذا مرَرت فوجَدتَّني مُبرقعةً فاجلِسْ مُطمئنّاً، فلا حرجَ حينئذٍ.

فأقبَلَ إليها، فجدَّدَ زيارَتَها، ثمَّ قالَ لها: أمكِنيني مِن تَقبيلِ يدِكِ، وفي «الرَّوضِ النَّضيرِ»: أنهُ سألَها قُبلةً فأنشدَتْ:

وَذي[1] حاجَةٍ قُلنا لَهُ: لا تَبُحْ بها ... فلَيْسَ إلَيْها - ما حَييتَ - سَبيلُ

لنا صاحِبٌ لا يَنْبَغي أنْ نَخُونَهُ ... وأنْتَ لأُخْرَى - فاعْلَمَنَّ - خليلُ

ففطِنَ أنها استرابَتْ منهُ، فحلَفَ أنهُ لمْ يُرِدْ سوءاً، وأنَّ نفسَهُ قدْ حدَّثتهُ بأنْ يجرِّبها، فازدادَتْ شَوقاً إليهِ، ثمَّ ودَّعَها علَى استِحياءٍ ومضَى.

فما استقرَّ بها المنزِلُ حتى عزَمَتْ خَفاجةُ على غزوِ الهُذَليينَ، فخرَجَ فقُتِلَ في الوقعَةِ، ولما وقَعَ وبِهِ رمَقٌ أدركَهُ ابنُ عمِّهِ فقالَ لهُ: هلْ لكَ حاجَةٌ؟ قالَ: نعَمْ تبلِّغُ ليلَى هذِهِ الأبياتَ وهي:

ألا هَلْ فُؤادي مِنْ صِبا اليَوْمِ صافِحُ ... وهَلْ ما وأَتْ لَيْلَى بذَلِكَ ناجِحُ[2]

---

(١) في الأصل و(ط): «وذو»، وصوّبتُ وفاقاً لرواية البيت في عامة المصادر، وهذه الواو واوُ «رُبّ» حرف جرّ شبيه بالزائد.

(٢) وأت: وعدَت.

وهَلْ في غَدٍ إنْ كانَ في اليَوْمِ عِلَّةٌ سَراحٌ لِما تَلْوي[1] النُّفُوسُ الشَّحائحُ

ولو أنَّ لَيْلَى الأخْيَلِيةَ سَلَّمَت عَلَيَّ ودُوْني جَنْدَلٌ وصَفائِحُ[2]

لسَلَّمْتُ تَسْليمَ البَشاشَةِ أو زَقا إلَيْها صَدَىً مِن جانِبِ القَبْرِ صائحُ[3]

ولَو أنَّ لَيْلَى في السَّماءَ لأصْعَدَتْ بطَرْفي إلى لَيْلَى العُيُوْنُ الكَواشِحُ

فهَلْ تَبْكِينْ لَيْلَى إذا مِتُّ قَبْلَها وقامَ على قَبْري النِّساءُ النَّوائِحُ

كَما لو أصابَ المَوْتُ لَيْلَى بَكَيْتُها وَجادَ لها جارٍ مِنَ الدَّمْعِ سافِحُ[4]

وقيلَ: إنما ماتَ عِشقاً فلمّا بلَغَ ليلَى نعيُهُ خلعَتِ الزّينةَ وأقامَتْ على الحُزنِ حتَّى ماتَتْ بعدَهُ، لكِنْ بسنينَ كثيرةٍ، فقدْ قيلَ: إنَّ وفاةَ توبةَ كانَتْ سنةَ سبعينَ، ووفاةَ ليلَى كانَتْ سنةَ إحدَى ومئةٍ[5].

---

(١) في الأصل و(ط): «تنوي»، وصوّبت.
ويُروى في «الحماسة البصرية» (٢/ ١٠٩) وغيرها: «لِما تلقى».

(٢) الجندل: الحجارة، والصفائح: الحجارة العريضة، يريد: وهو مدفون في قبره.

(٣) الصدى: البوم، وزقا: صاح.

(٤) يُنظر: «تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٩٨ ـ ٩٩) بسياق مزيد.
وأخرج الشعرَينِ القاليُّ في خبر دخول ليلى على الحجّاج في «الأمالي» (ص١٥٠ ـ ١٥١) بسياق مختلف تماماً.
وفي روايته خبرَها مع الحجّاج أخرَج الأصبهانيُّ البيتين اللاميَّين في «الأغاني» (١١/ ١٤٣)، وهما في «ديوان ليلى الأخيلية» (ص٧٤)، والقطعة الحائية في قصيدة في «ديوان توبة بن الحمير» (ص٤٧ـ٤٩)، وفي «منتهى الطلب من أشعار العرب» لمحمد بن المبارك البغدادي (١/ ٢٣٠ـ٢٣٢)، وبعضُها في «الأغاني» (١١/ ١٦٤ ـ ١٦٥) في خبر مرور ليلى على قبر توبة وموتها.

(٥) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٩٩) بسياق مزيد.

وقيلَ: إنَّها مرَّتْ بقبرِ توبةَ فقالَ زَوجُها: هذا قبرُ توبةَ الكذّابِ، فقالَتْ: لمْ يكُنْ ـ واللهِ ـ كذّاباً، فقالَ لها: سلِّمي عليهِ لننْظُرَ، فامتنعَتْ، فأقسَمَ عَليها أنْ تفعَلَ، فلمّا سلَّمتْ خرجَتْ مِن طاقةِ القبرِ بومةٌ فأجفلَتِ الناقة، فوقعَتْ ليلَى مَيتةً، فدُفنَتْ إلى جانبهِ[1].

وكانَتْ مِن خيارِ النساءِ عَقلاً وفصاحَةً، وفدَتْ يوماً على الحجّاجِ، فلمّا وقفَتْ ببابِهِ قالَ لهُ الحاجِبُ: إنَّ بالبابِ امرأةً، فقالَ: أدْخِلْها، فلمّا رآها الحجّاجُ طأْطأَ رأسَهُ وأمرَها بالجلُوسِ، ثمَّ قالَ: مَن أنتِ؟ فانتسبَتْ فقالَ: ما جاءَ بكِ؟ قالَتْ: إخْلافُ النُّجومِ، وقلَّةُ الغُيومِ، وكلَبُ البردِ، وشدَّةُ الجهدِ، وكنتَ لنا بعدَ اللهِ الرِّفدَ[2].

ثمَّ تكلَّمتْ معَ الحجّاجِ فأعجَبهُ فصاحَتُها، ثمَّ مدحَتهُ حتَّى استَعْفَى وقالَ: لم يُصِبْ وَصفي منذُ دخلْتُ العِراقَ غيرُها، ثمَّ قالَ لخازِنِهِ: اقطَعْ لسانَها، فأرادَ ذلِكَ قالَتْ: ويحَكَ! إنما أرادَ العطاءَ، فراجعَهُ، فغضِبَ وأمرَ بعودِها، ثمَّ قالَ لجُلسائِهِ: هذِهِ ليلى التي ماتَ توبَةُ بحُبِّها! ثمَّ قالَ لها[3]: أنشِدينا ما قالَ فيكِ، وما قُلتِ أنتِ فيهِ، فأنشَدَتهُ مِن ذلكَ شيئاً كثيراً، فأنعَمَ عَليها الحجّاجُ فوقَ ما سألَتْ، ثمَّ قالَ لها: هلْ بقي لكِ حاجَةٌ؟ قالَتْ: نعَمْ تدفَعُ إليَّ النابغَةَ أحكُمُ فيهِ بما أرى، وكانَ يتهاجَى هوَ وإيّاها، فلمّا سمِعَ بذلِكَ هرَبَ إلى الشّامِ، فتبِعَتهُ فاجتمَعَتْ بالخَليفَةِ عبدِ الملِك،

---

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٩٩)، رواه صاحب «الأغاني» (١١/ ١٦٤ ـ ١٦٥) في خبر مطوّل.

(٢) أخرج ذلك في خبر دخولها على الحجّاج القاليُّ في «الأمالي» (ص١٥٠ ـ ١٥١)، والأصبهاني في «الأغاني» (١١/ ١٦٢ ـ ١٦٣).

(٣) ليس في (ط): «لها».

قيلَ: فسألها عَنْ توبةَ أكانَ كما يقُولُ الناسُ؟ فقالَتْ: يا أميرَ المؤمنينَ؟ كانَ ـ واللهِ ـ سبطَ البنان، حديدَ اللِّسان، عفيفَ المئزَر، جميلَ المنظَر[1].

ومِن كلامِها:

ومُخَـرَّقٍ عَنْـهُ القَميـصُ تـخالُهُ بَيْنَ البيُـوْتِ مِـنَ الحَيـاءِ سَـقيما
حَـتَّـى إذا رُفِـعَ الـلِّـواءُ رأيْتَـهُ تَحْتَ اللِّـواءِ علـى الجُيُـوشِ زَعيما[2]

***

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٠٠ ـ ١٠١)، و«أمالي القاليّ» (ص١٥٠ ـ ١٥٢)، و«أغاني الأصبهاني» (١١/ ١٦٣).

(٢) البيتان في قصيدة رواها لها القالي في «الأمالي» (ص٣٨٥ ـ ٣٨٦)، وهي في «ديوان الحماسة» بشرح المرزوقي (ص١١٢٦)، وذكرهما لها ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص٤٥١).
وهما في صلة «ديوانها» (ص١٠٢ ـ ١٠٣)؛ إذ إن في نسبتهما والقصيدةَ اختلاف بسطتُه في تحقيق «الأمالي».

أخبارُ جميلٍ وصاحبَتِه بُثينَةَ[(١)]

هوَ جميلُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عامرٍ[(٢)]، يتَّصلُ نسبهُ بقُضاعةَ، كانَ شاعِراً فَصيحاً صادِقَ الصَّبابةِ، عَفيفاً مُتنزِّهاً عنِ الرذائلِ، عارِفاً بالنسبِ، نشأَ في قومهِ بني ربيعَةَ بوادي القُرى بينَ مكَّةَ والمدينَةَ، فعلِقَ بُثينةَ بنتَ يحْيى بنِ ثعلَبَ مِن قومِهِ صغيرَينِ، فلمّا كبِرا خطَبها فرُدَّ؛ لأنَّ العرَبَ كانت تستَهجِنُ أنْ تُزوِّجَ مَن جرَى بينهُما العِشقُ، فكانَ يأتيها سِرّاً ويتَحادثانِ، فعلِمُوا بهِ وأرادُوا قتلَهُ فغمزَتهُ في ذلِكَ فاستَخفَى[(٣)].

واستَعدَى أهلُها عليهِ مَروانَ بنَ هشامٍ الحضرَميَّ وكانَ والياً مِن قبَلِ عبدِ الملْكِ على تيْماءَ فتوعَّدهُ فمضَى مُستَخفياً إلى الشامِ، وقيلَ: إلى سيِّدٍ مِن بني عُذرةَ، فأحسَنَ مكانَهُ وزيَّنَ لهُ سبعَ بناتٍ؛ رجاءَ أنْ يعلَقَ واحدَةً منهُنَّ فيزوِّجَهُ بها، فكُنَّ يرفعْنَ الخباءَ إذا أقبَلَ جميلٌ، ففطِنَ لذلِكَ فأنشَدَ:

حَلَفْتُ لكَيْما تعْلميني صادِقاً ... ولَلصِّدْقُ[(٤)] خَيْرٌ في الأُمُورِ وأنجَحُ
لَرُؤيَةُ يَوْمٍ واحِدٍ مِنْ بُثَينَةٍ ... ألَذُّ مِنَ الدُّنْيا لدَيَّ وأمْلَحُ

---

(١) يُنظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص٤٣٤ ـ ٤٤٤)، ونسب جميل وأخباره في «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (٨/ ٦٦ ـ ١١٢)، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٣٦٦ ـ ٣٧١)، و«تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٣٢ ـ ٣٩).

(٢) كذا هنا وفي «تزيين الأسواق» (ص٣٢)، وأحسبه تصحيفاً ـ أو خطأً ـ في مصدرَيهما، والمعروف في اسمه في عامة مصادر الأدب: «جميل بن عبد الله بن مَعمَر»، وأكثر ما يُنسَب إلى جدّه، وقال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص٤٣٤): وقد يقال فيه: جميل بن مَعمَر بن عبد الله.

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٣٢) بسياق مزيد.

(٤) في الأصل و(ط): «والصدق»، وصوّبتُ.

فقالَ الشيخُ: أرخينَ الخِباءَ، فواللهِ لا يفلحُ أبداً، يعني: لا يرجِعُ عنِ العشقِ[١].

وقيلَ: وشَتْ جاريةٌ بجميلٍ وبُثينَةَ إلى أبيها، وأنهُ الليلَةَ عِندَها، فأتى هوَ وأخُوها مُشتمِلَينِ مُعتمدَينِ سيفَيهما[٢] لقتلهِ، فسمِعاهُ يقولُ لها بعدَ شَكْوى شغفِهِ بها: هل لكِ في طَفْءِ ما بي مِن الغلَّةِ بما يفعَلُ المتحابّانِ؟ فقالَتْ: كنتَ عِندي بعيداً مِن هذا، ولو عُدتَ إليهِ لن ترَى وجهي أبداً، فضَحِكَ وقالَ: واللهِ ما قلتُهُ إلا اختِباراً، ولَو أجبْتِ[٣] إليهِ لضَربتُكِ بسيفي هذا إنِ استطَعْتُ، وإلا هجرتُكِ، أما سمِعتِ قَولي:

وإنّي لأرْضَى مِنْ بُثَيْنَةَ بالَّذي ... لَوَ ابْصَرَهُ الواشي لقَرَّتْ بَلابِلُهْ[٤]

بَلَى وبأنْ لا أسْتَطيعَ وبالمُنَى ... وبالأمَلِ المرْجُوِّ قدْ خابَ آمِلُهْ

وبالنَّظْرَةِ العَجْلَى وبالحَوْلِ يَنْقَضي ... أواخِرُهُ لا تَلْتَقي وأوائلُهْ

فقالا: ما ينبغي لنا إيذاءُ مَن هذهِ حالتُهُ، ولا منعُ التزاوُرِ، وانصرَفا[٥].

وسألَ عبدُ الملكِ يوماً كثيِّراً[٦] عَن حالِ جميلٍ وبُثينةَ، فقالَ: يا أميرَ المؤمِنينَ!

---

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٣٢-٣٣) بسياق مزيد، وأخرج الخبرَ السراجُ في «مصارع العشاق» (١/ ٥١).

والبيتان أوّلا خمسةِ أبياتٍ باختلاف يسير في «ديوان جميل بثينة» (ص٢٧).

(٢) في الأصل: «سيفهما»، وزيد في (ط) قبلها: «على».

(٣) في الأصل و(ط): «أجبتي».

(٤) بلابله: وساوسُ صدره.

(٥) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٣٣)، وأخرج الخبرَ صاحب «الأغاني» (٨/ ٧٦ - ٧٧)، والأبيات الثلاثة في «ديوان جميل» (ص١١٥)

(٦) في الأصل و(ط): «كثير»، وهو ليس ممنوعاً من الصرف.

سايرتُهُ يوماً إلَيها، فلمّا وصلَنْا بالقربِ منهُمْ أقبلَتْ معَ نسوةٍ، فلمّا رأينَهُ ولَّينَ فوقَفا[١] يتحادَثانِ مِن أولِ الليلِ حتَّى طلَعَ الفجرُ، ثمَّ قالَتْ حينَ دنا الفِراقُ: ادنُ مِني، فدَنا، فأسرَّتْ إليهِ، فخرَّ مَغشياً عليهِ[٢].

وقيلَ: دخلَتْ بُثينةُ يوماً على عبدِ الملكِ وقدْ أخلَقَها الدهرُ، فقالَ لها: ما الذي رأى فيكِ جميلٌ حتَّى عشِقَكِ؟ فقالَتْ: ما الذي رآهُ الناسُ فيكَ حتَّى ولَّوكَ الخلافةَ؟ فضحِكَ حتَّى بدَتْ لهُ سِنٌّ سوداءُ كانَ يستُرُها[٣].

وعَن ابنِ عيّاشٍ[٤] قالَ: لقيتُ عَجُوزاً مِن بني عُذْرةَ فقلْتُ لها: هلْ تَروينَ شَيئاً عن جميلٍ ومحبوبَتهِ؟ قالتْ: نعَمْ؛ كنتُ يوماً وبثينَةُ قدِ انفردَتْ تبرُمُ غَزْلاً، وإذا برجُلٍ قد أقبَلَ إلينا، فإذا هوَ جميلٌ، فقُلنا لهُ: أينَ تريدُ؟ قالَ: إلى مصرَ، ثمَّ حدَّثنا ساعةً وهوَ لا يتماسَكُ، فجئتُهُ بقدَحٍ فيهِ تمرٌ وأقِطٌ، فنالَ منهُ يسيراً، ثمَّ ودَّعَ ومضَى[٥].

ولهُ في بثينةَ أشعارٌ كثيرةٌ منها:

ألا لَيْـتَ أيّـامَ الصَّفـاءِ[٦] جَـديـدُ ... ودَهْراً[٧] تَولَّـى ـ يـا بُثَيْـن ـ يَعُـودُ

---

(١) في (ط): «فوقعا».

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٣٣). وذكر هذا الخبر ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص٤٣٨ ـ ٤٣٩) بسياق مزيد.

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٣٤)، ورواه أبو الفرج في «الأغاني» (٨/ ٨٩) باختلاف.

(٤) في الأصل و(ط): «عباس».

(٥) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٣٨ ـ ٣٩) بسياق مزيد.

وذكر هذا الخبر ابنُ قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص٤٣٩ ـ ٤٤٠) عن ابن عياش أيضاً، ولعله مصحَّف عن «عيابة»؛ حيث رواه الأصبهاني في «الأغاني» (٨/ ١١١ ـ ١١٢) مطوّلاً عن أيوب بن عيابة.

(٦) في الأصل و(ط): «الصبا»، والصواب ما أثبتُّ.

(٧) في الأصل و(ط): «ودهر».

فنَبقى[١] كما كُنّا نكُونُ وأنتُمُ صَديقَينِ إذ ما تبذُلينَ زَهيدُ
وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ[٢] قَوْلَها وقَدْ قَرَّبَتْ نَحْوي[٣]: أمِصْرَ تُريدُ
ولا قَوْلَها لَولا العُيُونُ التي تَرَى أتَيْتُكَ، فاعْذُرْني، فدَتْكَ جُدُودُ
خَليلَيَّ ما أُخْفي مِنَ الوَجْدِ ظاهِرٌ ودَمْعي بما أُخْفي العُداةَ شَهيدُ
إذا قُلْتُ: ما بي ـ يا بُثَيْنَةُ ـ قاتِلي مِنَ الحُبِّ، قالَتْ: ثابِتٌ ويزيدُ
وإنْ قُلْتُ: رُدّي بعْضَ عَقْلي أعِشْ بِهِ مَعَ النّاسِ، قالَتْ: ذاكَ مِنكَ بَعيدُ
وإنّ عُرُوْضَ الوَصْلِ بيني وبَيْنَها وإنْ سَهَّلَتْهُ بالمُنَى لصَعُودُ[٤]
ألا لَيْتَ شِعْريْ هل أبيتَنَّ ليلَةً بِوادي القُرَى؛ إنّي إذاً لسَعيدُ[٥]
وهَلْ أُلْفِينْ سَعْدي مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً وما رَثَّ مِنْ حَبْلِ الصَّفاءِ جَديدُ[٦]
إذا جِئتُها يَوْماً مِنَ الدَّهْرِ زائِراً تَعَرَّضَ مَنْقُوصُ اليَدَينِ صَدُوْدُ[٧]
يَصُدُّ ويُغْضي عَنْ هَوايَ ويَجْتَني ذُنُوباً عَلَينا إنهُ لعَنُود[٨]

---

(١) في (ط): «مبقى».

(٢) في الأصل و(ط): «ولم أنس ما الأشياء لأنسى»، والصواب ما أثبتُّ.

وفعل شرط «ما» وجوابها مجزومان، و«مِ الأشياء»: من الأشياء، بحذف النون من حرف الجرّ.

(٣) كذا في الأصل و(ط)، وفي تزيين الأسواق، والرواية العُليا: «نِضْوي»، وهي الناقة المهزولة.

(٤) العُروض: الطريق في عُرض الجبل، والصَّعود: العَقَبةُ الكَؤُود.

(٥) وادي القرى: وادٍ بين الشام والمدينة.

(٦) رثّ: بَلِيَ.

(٧) يعني زوجها.

(٨) في الأصل و(ط): «لعيود»، والأفعال الثلاثة فيهما بتاء المعارضة، وهو خطأ؛ فالكلام لا زال عن زوجها.

فأَصرِمُهـا خَوفـاً كأنّـي مُجانِـبٌ ... ويَـغْـفُـلُ عَـنّا مـرَّةً فنَعُـودُ[1]
يمُـوتُ الهـوَى مِنّي إذا ما لَقيتُها ... ويـحْـيَـا إذا فـارَقْـتُـهـا فيَعُـودُ
يَقُولُـونَ: جاهِـدْ ـ يا جَميـلُ ـ بغَـزْوَةٍ ... وأيَّ جِـهـادٍ غَـيـرَهُـنَّ أُريـدُ
لـكُلِّ[2] حَديـثٍ بينهُـنَّ بشاشَـةٌ ... وكُـلُّ قَـتـيـلٍ بَيْنَهُـنَّ شَـهيدُ[3]

ومِنها قولُهُ:

أرَى كُلَّ مَعشُـوقَيـنِ غَيـري وغَيرَهـا ... يَلَـذّانِ فـي الدُّنيـا ويَغتَبِطـانِ
وأمشـي وتَمشـي فـي البِـلادِ كأنَّنـا ... أسيـرانِ لِـلأعـداءِ مُرْتَـهـنانِ
أُصَلّـي فأبْكـي فـي صَلاتـي لِذِكْرِهـا ... لـيَ الوَيْـلُ ممّـا يَكتُـبُ المَلَـكانِ
ضَمِنْـتُ لهـا أنْ لا أَهيـمَ بغَيْرِهـا ... وقَـدْ وَثِقَـتْ مِنّـي بغَيـرِ ضَمـانِ
ألا يـا عِبـادَ اللـه قُومُـوا تَسَـمَّعُوا ... خُصُومـةَ مَعْشُـوقَيـنِ يختَصِمـانِ
وفـي كلِّ عـامٍ يَسـتَجِدّانِ مَـرَّةً ... عِتابـاً وهَجْـراً ثـمَّ يَصْطَلِحـانِ
يَعيشـانِ فـي الدُّنْيـا غَريبَيـنِ[4] أيْنَمـا ... أقامـا وفـي الأعـوامِ يَلتَقيـانِ[5]

---

(١) في (ط): «فتعود»، وقبلها وفي الأصل أيضاً: «فتغفل»، والكلام عن زوجها.

(٢) في (ط): «فكل».

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٣٦ ـ ٣٧).

والقصيدة مطولة في «ديوان جميل» (ص٢٨ ـ ٤١)، ورواها القالي بطولها في «الأمالي» (ص٨٥٩ ـ ٨٦٠)، وكان روى بعضها في (ص٤٢٤ ـ ٤٢٥)، وأورد الأصبهاني بعضها في «الأغاني» (٨/ ٧٥ ـ ٧٦).

(٤) في (ط): «غريبان».

(٥) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٣٧)، والأبيات في «ديوان جميل» (ص١٢٩). وروى الأبيات السراج في «مصارع العشاق» (٢/ ١٢) دون نسبة.

وعَن سهلٍ السَّاعديِّ قالَ: قالَ لي رجلٌ: هلْ لكَ أنْ تعودَ جَميلاً فإنهُ مريضٌ فدَخلنا عليهِ، وإذا هوَ يجودُ بنفسِهِ فنظرَ إليَّ، وقالَ: ما تقولُ في رجلٍ لم يزْنِ قطُّ، ولم يشرَبْ خَمراً قطُّ، ولمْ يسفِكْ دماً قطُّ[1]، يشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ منذُ خمسينَ سنةً، قلتُ: مَن هذا فإني أظنُّهُ ناجٍ، قالَ: أنا، قلتُ: عجيبٌ منكَ تُشبِّبُ ببُثينَةَ هذهِ المدةَ وأنتَ كذلكَ، قالَ: أنا في آخرِ يومٍ مِن الدُّنيا، لا نالتني شفاعةُ محمدٍ ﷺ إنْ كنتُ وضعتُ يدي علَيها بريبةٍ، وأكثرُ ما كانَ منّي أنْ أسنِدَ يدَها إلى فؤادي أستريحُ ساعةً، ثمَّ أُغميَ عليهِ، فلمّا أفاقَ أنشَدَ أبياتاً، ومنها:

قُوْمــي ـ بُثَيْنَــةُ ـ فانْدُبــي بعَـويـلِ ... وَابْــكِيْ خليلَــكِ دُوْنَ كُلِّ خَليــلِ

ثمَّ قالَ: مَن ينعاني إلى بُثينَةَ؟ قالَ رجلٌ: أنا، فأعطاهُ حُلّةً فراحَ حتَّى جاءَ الحيَّ فأنشدَ الأبياتَ، فسمِعتْهُ بُثينَةُ فخرَجَتْ مكشوفةً تقولُ:

وإنْ سـألُوا عَنّـي جَـمـيــلاً لِسـاعـةٍ ... مِــنَ الدَّهْـرِ لا حانَتْ ولا حـانَ حِينُها

سَــواءٌ عَلَينـا يـا جَميـلُ بـنَ مَعْمَـرٍ ... إذا مِـــتَّ بَـأْســاءُ الحَــياةِ وَلِيْنُهــا

ثمَّ قالَتْ للناعي: يا هذا! إنْ كنتَ صادِقاً فقدْ قتلْتَني، وإنْ كنتَ كاذِباً فقدْ فضحْتَني، قالَ: فقلتُ لها: واللهِ إني لصادقٌ، وأخرجْتُ الحلّةَ، فلما رأتْها صرخَتْ وصكَّتْ وجْهَها، وأقبلْنَ النِّساءُ يبكينَ معَها حتَّى خرَّتْ مَغشياً علَيها، ثمَّ أفاقَتْ وأنشدَتْ:

(وإنْ ســألُوا عنّــي جَميــلاً)... البيتَيــن

فلَمْ يُسمَعْ مِنْها غيرُهما حتى قضَتْ[2].

---

(١) قوله «قط» هنا وفي المرة السابقة زيادة من (ط).

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٣٩) بسياق مزيد.

وذكر هذا الخبر مختصراً ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص٤٤٠ ـ ٤٤١)، وذكر أبياتَيهما =

أخبارُ كُثَيِّرٍ وصاحبتِه عزَّةَ[1]

هوَ أبو صخرٍ كُثَيِّرُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الأسوَد، يتصِلُ نسبُهُ إلى ماءِ السماءِ بنِ حارثَةَ بنِ ثعلبَةَ المشهورِ، وهوَ صاحِبُ عزَّةَ بنتِ جميلِ بنِ حفصٍ، يتَّصِلُ نسبُها إلى عبدِ منافٍ، علِقَها جاريةً قدْ أكعَبتْ نهودُها بدليلِ قولِهِ:

نَظَرْتُ إِلَيْها نَظْرَةً وهيَ عاتِقٌ ... على حينَ ما شَبَّتْ وبانَ نُهُودُها

نَظَرْتُ إِلَيْها نَظْرَةً ما يَسُرُّني ... بها حُمُرُ أنعامِ البِلادِ وسُودُها

وكانَ سببُ دخولِ الهوَى بينَهُما: أنَّ كُثَيِّراً مرَّ بغنَمٍ لهُ يردُ الماءَ على نسوةٍ مِن ضمرةَ، فأرسلْنَ لهُ عزَّةَ بدراهِمَ تشتري منهُ بها كَبشاً لهنَّ، فنظَرَها[2] نظرةَ مُتأمِّلٍ، فداخلَهُ حبُّها، فرَدَّ الدراهِمَ وأعطاها الكبْشَ، وقالَ: إنْ رجعْتِ أخذْتُ حقِّي، فلمّا عادَ سألَهُ ذلِكَ فقالَ: لا أقضي إلا مِن عزةَ، فقُلنَ لهُ: ليسَ فيها

= (ص٤٤٢)، وأفاد أنه لا يُحفظ لبثينة شعرٌ غيره، وذكر الخبر بإيجازٍ الخفاجيُّ في «منازل الأحباب» (ص١٥٧ ـ ١٥٨).

وروى خبر وفاة جميلٍ باختلافٍ الأصبهاني في «الأغاني» (٨/ ١١٢) عن الأصمعي عن رجلٍ شهد جميلاً لما حضرته الوفاة؛ في سياق مختلف، ورواه مقتضباً السراج في «مصارع العشاق» (٢/ ٥٩)، وروى بيتيها القالي في «الأمالي» (ص٣١٧).

وبيت جميل اللاميّ آخرُ أربعة أبياتٍ في «ديوان جميل» (ص١١٩).

(١) يُنظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص٥٠٣ ـ ٥١٧)، وذكر أخبار كثير ونسبه في «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (٩/ ٥ ـ ٣٠)، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ١٠٦ ـ ١١٣)، و«منازل الأحباب» للخفاجي (ص٥٢ ـ ٥٤)، و«تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٣٩ ـ ٤٤).

(٢) في (ط): «فنظر لها».

كفـاءَةٌ، فاخترْ إحدانـا، فأبَى، وأنشـدَ البيتَينِ، فجعَلْـن يبرِزْنها لهُ كارهـةً، ثمَّ داخلَها مـنَ الحـب ما داخلَـهُ[١]، وشـاعَ أمرُهما بيـنَ الناسِ.

ودخلَ كُثَيِّر يَوماً على عبدِ الملكِ فقالَ لهُ ـ وكانَ يتهِمُهُ بالتشيُّعِ ـ: بحقِّ عليٍّ، هلْ رأيتَ أعشَقَ منكَ؟ فقال: لو أقسمْتَ عليَّ بحقِّكَ لأخبرتُكَ! فقالَ: بحَقّي إلا ما أخبَرتَني، فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ، مررْتُ بصيّادٍ قد نصَبَ شبكتَهُ ليصطادَ ما يسدُّ رمقَهُ، فقلتُ لهُ: إنْ ساعدتُكَ تشاركني؟ قالَ: نعَمْ؛ فجاءَتْ ظبيَةٌ، فوقعَتْ في الأُحبولةِ، فسبَقَني إليها، فحلَّها، ثمَّ مسحَ وجهَها وقبَّلَها وأطلَقَها، ثمَّ أنشدَ:

أيـا شِـبْهَ لَيْلَـى لا تُراعـي فإنَّـني ... لكِ اليَـوْمَ مِـن وحْشـيةٍ لصَديـقُ

أقـوْلُ وقَـدْ أطْلَقْتُهـا مِـن وِثاقِها: ... فأنْـتِ للَيْلَـى مـا حَييـتِ طَليـقُ

فعَيْنـاكِ عَيناهـا، وجيـدِكُ جيدُهـا ... ولكِنَّ عَظْـمَ السّـاقِ مِنـكِ دَقيـقُ[٢]

ودخلَتْ عزّةُ على أمِّ البنينَ بنتِ عبدِ العزيزِ فقالَتْ لها: ما الحقُّ الذي مطَلْتيهِ وقالَ فيهِ كُثَيِّر:

قَضَـى كلُّ ذي دَيْـنٍ فوَفَّـى غَريمَهُ ... وعَـزَّةُ مَمْطُـوْلٌ مُعَنَّـى غَريمُهـا

فقالَتْ: وعدتُهُ قبلَةً، فقالَتْ: أنجزيها، وعليَّ إثمُها، وقيلَ: إنَّ الحكايةَ معَ سكينةَ بنتِ الحُسينِ رضي اللهُ عَنهمُا[٣].

---

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٣٩ ـ ٤٠).
وقد روى هذا الخبر الأصبهاني في «أغانيه» (٩/ ٢٠ ـ ٢١) بسياقين، والبيتان في قصيدة في «ديوان كثير» (ص١٩٩ ـ ٢٠٢).

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤٠)، وذكر الخبر ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص٥٠٩ ـ ٥١٠).
وتقدّم بسياق مختلف في أخبار المجنون، وتخريجه ثمة.

(٣) يُنظر: «منازل الأحباب» (ص١٧٨ ـ ١٧٩)، و«تزيين الأسواق» (ص٤٠).
وقد روى الأصبهانيُّ في «الأغاني» (٩/ ٢٢) خبرَ دخولها على عاتكة بن يزيد، وقال: وفي غير هذه =

وللبيتِ حِكايةٌ مِن عجيبِ الاتفاقِ، وهوَ أنهُ كانَ لكُثيِّرٍ غُلامٌ يتَّجرُ على العربِ، فأعْطَى النِّساءَ إلى أجلٍ فلما اقتضَى مالَهُ منهُنَّ مطلَتْهُ عزَّةُ، فقالَ لها يوماً: أما آنَ أنْ تفي ما عندَكِ؟ فقالَتْ: كرامةٌ لمْ يبقَ إلا الوفاءُ، فقالَ: صدَقَ مَولايَ حيثُ يقُولُ:

قضَى كلُّ ذي دَينٍ... البيتَ

فقالَتْ لهُ النِّساءُ: أتَدري مَن غريمَتكَ؟ فقالَ: لا، فقُلنَ: هيَ ـ واللهِ ـ عزةُ صاحبةُ مولاكَ، فقالَ: أشهِدُكنَّ عَليَّ أنها في حلٍّ مما عندَها، ومضَى فأخبرَ مولاهُ بالحكايةِ، فقالَ لهُ: وأنتَ حرٌّ، وما عندَكَ لكَ، وكانَ الذي عندَهُ نحوُ ألفِ دينارٍ[1].

ودخلَتْ عزّةُ على عبدِ الملكِ فقالَ لها: أترَوينَ قولَ كُثَيِّر:

لقَدْ زَعَمَتْ أنّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَها ... ومَنْ ذا الَّذي ـ يا عَزّ ـ لا يَتَغَيَّرُ

تَغَيَّرَ جِسْمي والخَليقَةُ[2] كالَّتي ... عَهِدْتِ ولَمْ يُخبِرْ بسِرِّكِ مُخبِرُ

فقالَتْ: لا أعرِفُ هذا ولكنّي أروي قولَهُ:

كأنّي أنادي صَخْرَةً حينَ أعرَضَتْ ... مِنَ الصُّمِّ لو تَمْشي بها العُصْمُ زلَّتِ[3]

= الرواية أنها أُدخلت على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وذكر أن دخولها على أم البنين ابنُ قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص٥١٠).

وأخرج أن دخولها على سكينة بنت الحسين السراج في «مصارع العشاق» (٢/ ٨٤).

والبيت في قصيدة في «ديوان كثير» (ص١٤٣).

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤٠ ـ ٤١). وقد روى خبر كثيّر وغلامه الأصبهاني في «الأغاني» (٩/ ٢٢) بنحوه.

(٢) في (ط): «والخليفة». والخليقة: الطَّبْعُ.

(٣) الصُّمُّ: الصخور، والعُصم: الوُعول؛ لأنها تعتصم في الجبال، واحدها: أعصَم.

وقد روى خبر كثيّر وغلامه الأصبهاني في «الأغاني» (٩/ ٢٢) بنحوه.

صَفُوْحاً فما تَلْقاكَ إلا بخيلَةً … فمَنْ مَلَّ مِنْها ذلِكَ الوَصْلَ مَلَّتِ[(١)]

فضَحِكَ عبدُ الملكِ مِن ذلكَ[(٢)].

وهيَ قصيدةٌ طويلةٌ مِنها[(٣)]:

خَليلَيَّ هذا رَبْعُ عَزَّةَ فاعْقِلا … قَلُوصَيكُما ثُمَّ ابْكِيا حَيْثُ حَلَّتِ[(٤)]

وما كُنْتُ أدْري قَبْلَ عَزَّةَ ما البُكا … ولا مُوْجِعاتُ القَلْبِ حَتَّى[(٥)] تَوَلَّتِ

أباحَتْ حِمىً لَمْ يَرْعَهُ النّاسُ قَبْلَها … وحَلَّتْ مَكاناً لم تكُنْ قَبْلُ حَلَّتِ

فَلَيْتَ قُلُوصي عِنْدَ عَزَّةَ قُيِّدَتْ … بحَبْلٍ ضَعيفٍ غُرَّ مِنْها فضَلَّتِ[(٦)]

وكُنْتُ كَذي رِجْلَيْنِ: رِجْل صَحيحَة … ورِجْل رمَى فيها الزَّمانُ فشُلَّتِ

أريدُ الثَّواءَ[(٧)] عِنْدَها وأظُنُّها … إذا ما أطَلْنا عِنْدَها المُكْثَ مَلَّتِ

---

(١) صفوحاً: مُعرِضاً.

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤١).

وقد روى خبر دخولها الأصبهاني في «الأغاني» (٩/ ٢١ ـ ٢٢)، والقاليُّ في «الأمالي» (ص٥٨٤).

والبيتان الرائيان في أربعةٍ في «ديوان كثير» (ص٥٥)، والتائيان في تائيته التالية.

(٣) أوردها الأنطاكي في «تزيين الأسواق» (ص٤١ ـ ٤٢).

وساقها مطولة القاليُّ في «الأمالي» (ص٥٨٥ ـ ٥٨٧)، وابن ميمون في «منتهى الطلب» (٤/ ١١٢ ـ ١١٧)، وبعضها في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص٥١٤ ـ ٥١٦)، وفي «الأغاني» (٩/ ٢٣ ـ ٢٤).

(٤) القلوص: الفتيّة من الإبل.

(٥) في الأصل: «حيث»، والروايةُ ما في (ط).

(٦) غُرَّ منها: انقطَع على غِرّة منها، أي: غفلة.

(٧) في الأصل: «التواء» بالتاء، وفي (ط): «الثوى».

يُكَلِّفُهـا الخِنْزِيـرُ شَـتْمي ومـا بِها هَوانـي ولكَـنْ للمَليـكِ اسْـتَذَلَّتِ

هَنيئـاً مَريـئـاً غَيْـرَ داءٍ مُخـامِـرٍ لعَزَّةَ مِـنْ أعْراضِنـا مـا اسـتَحَلَّتِ[1]

يعني بالخنزيرِ: زَوجها؛ لأنهُ أمرَها أنْ تستَعطيَ سَمناً، فلقيها كثيِّرٌ، فأخبرتهُ حاجَتها، فأخرَجَ إداوةَ سَمنٍ وجعلَ يسكُبُ في إناءِ عزَّةَ وهما يتَحادثانِ، فلمْ يشعُرا[2] حتى غرِقَتْ أرجلُهما، فلمّا رجعَتْ أنكرَ زوجُها كثرةَ السَّمْنِ وأقسمَ عليها، فأخبرَتْهُ، فحلَفَ ليضْربنَّها أو لتَخرُجنَّ فتشْتِمَ كُثَيِّراً بحَيثُ يسمَعُها، ففعلَتْ، فأنشدَ:

يـكـلِّـفُـهـا الخنـزيرُ...[3]

وفي «منازلِ الأحبابِ»: أنَّها وقفَتْ عَليهِ وهوَ يَبري سَهماً، فجعَلَ يَبري ساعدَهُ، فمَسحَتِ الدَّمَ بثَوبِها، وأنَّ زوجَها لمْ يُنكِرْ إلا وُجودَ الدَّم[4].

وتوفّي كُثَيِّر سنةَ خمسٍ ومئةٍ في اليومِ الذي ماتَ فيهِ عِكرمَةُ مَولى ابنِ عبّاسٍ[5]، ودُفِنَ في مقابرِ المدينةِ، وماتَتْ عزَّةُ قبلَهُ، ولهُ في عزَّةَ أشعارٌ كثيرةٌ مِنها:

يَقُوْلُـوْنَ: سَـوْداءُ العُيُـوْنِ مَريضَـةٌ فأقْبَلْتُ مِـنْ أهْلـي إلَيْهـا أعُوْدُهـا

فـواللهِ مـا أدْري إذا أنـا جِئْـتُهـا أأُبْـرِئها مِـنْ دائهـا أمْ أَزيدُهـا

إذا جِئْتُهـا وَسْـطَ النِّسـاءِ مَنَحْـتُها صُدُوْداً كأنَّ النَّفْـسَ لَيْـسَ تُريدُهـا

(١) الداء المخامر: المُخالِط للجَوف.

(٢) في (ط): «يشعر».

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤١ ـ ٤٢)، ورواية السمن في «الأغاني» (٩/ ٢٣) بنحوها.

(٤) يُنظر: «منازل الأحباب» (ص١٧٦) باختلاف، وهذا ما في «تزيين الأسواق» (ص٤٢).

(٥) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤٢).

وروى ذلك بسياقين صاحب «الأغاني» (٩/ ٢٨ ـ ٢٩).

وَلِيْ نَظْرَةٌ بعْدَ الصُّدُوْدِ مِنَ الجَوَى كَنَظْرَةِ ثَكْلَى قَدْ أُصيبَ وَحيدُها

وقيلَ: إنَّ هذِهِ الأبياتَ لذي الرمَّةِ(١).

ومنها:

لا تَغْدِرَنَّ بوَصْلِ عَزَّةَ بَعْدَما أخَذَتْ عَلَيْكَ مَواثِقا وعُهُوْدا

إنَّ المُحِبَّ إذا أحَبَّ حَبيبَهُ صَدَقَ الوَفاءَ وأنجَزَ المَوْعُودا

اللهُ يَعْلَمُ لَو أرَدْتُ زيادَةً في حُبِّ عَزَّةَ ما وَجَدْتُ مَزيدا

رُهْبانُ مَدْيَنَ والَّذينَ عَهِدْتُهُمْ يَبْكُوْنَ مِن حَذَرِ العَذابِ قُعُوْدا

لو يَسْمَعُوْنَ كما سَمِعْتُ حَديثَها خَرُّوا لِعَزَّةَ خاشِعينَ سُجُوْدا(٢)

قالَ بعضُهمْ: وكثيراً ما ينقُلُ النُّحاةُ قولَهُ:

لا لا أبُوْحُ بحُبِّ بَثْنَةَ إنَّها أخَذَتْ عَلَيَّ مَواثِقاً وعُهُوْدا

وذِكرُ «بَثْنَةَ» سبقُ قلمٍ، والأصلُ: عَزّةُ، أو أنَّ الشعراءَ كثيراً ما يعدِلُونَ عن اسمِ مَن يريدُونَ توريةً(٣).

---

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤٣)، وهي في قصيدة في أشعار مختلطة النسبة في «ديوان كثير» (ص٢٠٠ ـ ٢٠٢)، وليست في «ديوان ذي الرمة».

وأورد صاحب «الحماسة البصرية» (٢/ ١٩١ ـ ١٩٢) الأبيات باختلافٍ ينسبها لأبي العوام بن كعب بن زهير بن أبي سلمى، قال: ومنهم من ينسبها للحسين بن مطير، وبعضها لكثير، والأول أصح.

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤٤).

وروى الأبيات له القالي في «أماليه» (ص٥٤١)، وهي في «ديوان كثير» (ص٤٤١ ـ ٤٤٢).

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤٤).

=

أخبارُ قيسٍ وصاحبَتِهِ لُبنى(١)

قالَ سيِّدي عُمرُ بنُ الفارِضِ:

بهـا قَيْـسُ لُبْنَـى هـامَ بَـلْ كُلُّ عاشِقٍ كـمَـجْـنُـوْنِ لَيْلَـى أو كُثَيِّـرِ عَـزَّةِ(٢)

هوَ قيسُ بنُ الحُبابِ، يتَّصِلُ نسبُهُ ببَكرِ بنِ عبدِ مناة، عُذْريٌّ، أو هوَ مِن خزاعةَ(٣)، وهو رضيعُ الحسَينِ بنِ عليٍّ، وصاحبَتُهُ لُبنى بنتُ الحُبابِ الكعبيَّةُ.

= وممن ذكره من النحاة ابن هشام في «شرح قطر الندى وبل الصدى» (ص٢٩١)، وصرّح البغدادي في «خزانة الأدب» (٥/ ١٦٠) بنسبته لجميل العذري، وما هو في «ديوانه»، والله أعلم.

(١) يُنظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص٦٢٨ ـ ٦٢٩)، وذكر قيس بن ذريح ونسبه وأخباره في «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (٩/ ١٣٣ ـ ١٦٢)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٢٤/ ٢٢٠ ـ ٢٢٣)، و«تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٤٤ ـ ٥٢).

(٢) «ديوان ابن الفارض» (ص٤٤).

(٣) كذا وفي «تزيين الأسواق» (ص٤٤): «أو هو من خزاعة».

وقبلَه في الأصل و(ط): «مناف»، وصوّبتُ، وأما تسميته قيس بن الحُبابِ، فقد ذكَره روايةً صاحب «تزيين الأسواق» (ص٤٤) بعد أن قدّم أنه قيسُ بن ذَريح بن سنّة.

ونسَبَهُ في «الأغاني» (٩/ ١٣٣) فقال: قيس بن ذريح بن سنّة بن حذافة بن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة ـ وهو عليّ ـ بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وذكر أبو شراعة القيسيّ: أنه قيس بن ذريح بن الحباب بن سنّة؛ وسائر النسب متّفِق.

وساق نسبه إلى كنانة الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ٣٧٩).

وهذا النسب إلى بكر بن عبد مناةٍ ليس عُذْرياً ولا خُزاعياً! فأما «العذري»، فمنسوب إلى عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثَور بن كلب بن زَبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وأما «الخزاعي»، فنسبة إلى خزاعة، وهو كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد؛ يُنظر: «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير الجزري (١/ ٤٤٠) و(٢/ ٣٣١).

وسببُ عِشقِهِ لها: أنهُ ذهَبَ في الحرِّ لبعضِ حاجاتِهِ، فمرَّ ببني كعبٍ فطلبَ الماءَ، فبرزَتْ إليهِ امرأةٌ مديدَةُ القامةِ بهيَّةُ الطلعةِ، عذبَةُ الكلامِ، حلوةُ النطقِ، فناولتْهُ إداوَةَ ماءٍ، فلمّا صدرَ قالَتْ لهُ: ألا تبرِدُ عندَنا؟ وقدْ تمكَّنتْ مِن فؤادِهِ، قالَ: نعمْ، فمهَّدَتْ لهُ وِطاءً، وأحضرَتْ ما يحتاجُ إليهِ، وإنَّ أباها جاءَ فلما وجدَهُ رحَّبَ بهِ ونحَرَ لهُ جَزُوراً، وأقامَ عندَهُمْ بياضَ اليومِ، ثمَّ انصرَفَ وهوَ أشغَفُ النّاسِ بها، فجعَلَ يكتُمُ ذلكَ إلى أنْ غلَبَ عليهِ الهوَى فنطَقَ فيها بالأشعارِ، وشاعَ ذلكَ عنهُ، وأنهُ مرَّ بها ثانياً، فنزَلَ عندهُمْ وشَكا إلَيها حينَ تخالَيا ما نزَلَ بهِ مِن حُبِّها، فوجَدَ عندَها مِن حبِّهِ أيضاً[1] أضعافَ ذلكَ، فانصرَفَ وقدْ علِمَ كلُّ واحدٍ ما عندَ الآخرِ، فمضَى إلى أبيهِ فشكَى إليهِ ذلِكَ، فقالَ: دعْ هذا وتزوَّجْ بإحدَى بناتِ عمِّكَ، فغُمَّ منهُ وجاءَ إلى أُمِّه، فكانَ مِنها ما كانَ مِن أبيهِ، فتركَهُما وجاءَ إلى الحسَينِ بنِ عليٍّ رضي اللهُ عنهُ وأخبرَهُ بالقصَّةِ، فرَثَى لهُ والتزَمَ أنْ يكفيهُ هذا الشأنَ، فمضَى معهُ إلى أبي لبنى، فسألَهُ في ذلكَ فأجابَ بالطاعةِ وقالَ: يا ابنَ رسولِ اللهِ! لو أرسلْتَ لكُفيتَ، غيرَ أنَّ هذا مِن أبيهِ أليَقُ كما هوَ عندَ العرَبِ، فشكرَهُ ومضَى إلى أبي قيسٍ[2].

قالَ السيوطيُّ: عنِ ابنِ عساكرٍ: أنَّ الحُسينَ لما بلغَهُ انقِباضُ أبي قيسٍ عَن ذلكَ جاءَ إليهِ حافياً على حرِّ الرَّملِ، فقامَ أبو قيسٍ ومرَّغَ وجهَهُ على أقدامِ الحسينِ، ثمَّ مضَى معهُ حتَّى زوَّجا قيساً بلُبنى، ونقلَ السيوطيُّ: وأدَّى المهرَ مِن عندِهِ[3].

---

(١) في (ط): «أيضاً من حبه».

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤٤ ـ ٤٥). ورواه أبو الفرج في «الأغاني» (٩/ ١٣٤ ـ ١٣٥) بسياق مطوّل.

(٣) ذكر ذلك الأنطاكي في «تزيين الأسواق» (ص٤٥) عن «شرح الشواهد» للسيوطي.
وليس في «شرح شواهد المغني» للسيوطي (٢/ ٥٣٩ ـ ٥٤٠) غير ما في «الأغاني»، وليس فيه المذكور، ولا في ترجمة قيس بن ذريح في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ٣٧٩ـ٣٩٦)، والله أعلم.

ولما تزوَّجها قيسٌ أقامَ معَها مدةً مديدةً على أرفعِ ما يكونُ منَ الأُلفةِ والمحبةِ، وكانَ قيسٌ قبلَ ذلكَ منَ البرِّ بأمهِ للغايةِ، فشغلَهُ الانهماكُ معَ لُبنى عَن بعضِ ذلكَ، فحسَّنَتْ لأبيهِ التفريقَ بينَهُما، فامتنَعَ قيسٌ مِن ذلكَ امتِناعاً يؤذِنُ بالاستحالَةِ، وأقامَ يُداهنُهما عشرَ سنينَ إلى أنْ أقسَمَ أبوهُ أو أمهُ لا يجمعُهما سقفٌ إلا إنْ طلَّقَ لُبنَى، فضاقَ بذلكَ ذَرْعاً، وصارَ يدخُلُ إلى لبنى فيتعانقانِ ويتباكيانِ، وهيَ تقولُ لهُ: لا تفعَلْ فتهلِكَ، إلى أن قدَّرَ اللهُ أنهُ طلَّقَها، فلمّا عزمَتْ على الرحيلِ بعدَ العدَّةِ سقَطَ مغشيّا عليهِ فلمّا أفاقَ أنشَدَ:

وإنّـي لمُفْـنٍ دَمْـعَ عَيْنَـيَّ بالبُـكا ... حَذارَ الَّـذي قَـدْ كانَ أو هُـوَ كائِـنُ

وقالُـوا غَـداً أو بَعْـدَ ذاكَ بلَـيْلَـةٍ ... فِراقَ حَبيـبٍ لَـمْ يَبِـنْ وهُـوَ بائِـنُ

ومـا كُنْـتُ أخْشَـى أنْ تَكُـوْنَ مَنِيّتي[١] ... بكَـفَّـيْـكِ إلا أنَّ مـا حـانَ حـائِـنُ

ولما رحلَتْ لُبنى تبِعها قيسٌ ينظُرُ إليها، فلمّا غابَتْ رجَعَ فجعَلَ يقبِّلُ أثرَ بعيرِها، فَلِيْمَ على ذلك، فأنشَدَ[٢]:

ومـا أحْبَبْـتُ أرْضَكُـمُ ولَكِنْ ... أُقَبِّـلُ أثَـرَ مَـنْ وَطِـئَ التُّرابَـا

لقَـدْ لاقَيْـتُ مِـن كَلَفـي بلُبْنَى ... بَـلاءً مـا أُسيـغُ لَـهُ الشَّـرابا

إذا نـادَى المُنـادي باسْـمِ لُبْنَى ... أَغيـبُ فـلا أُطيـقُ لَـهُ جَوابـا

ولمـا جنَّـهُ الليلُ أوى إلى مضجَعـهِ، فلَمْ يأخذهُ قـرارٌ، فجعَلَ يتململُ ويتمرَّغُ في موضِعِه[٣].

---

(١) في (ط): «مطيتي».

(٢) في (ط): «وأنشد»، وليس فيه قوله: «فليم على ذلك».

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤٥ ـ ٤٦) وخالفتُ وفاقاً لسياقه ما في الأصل و(ط): «موضعه». =

وزادَ بِهِ الحالُ فأرسلَتْ إليهِ أمُّهُ يوماً بناتٍ يَعِبنَ لُبنى عندَهُ، ويلهينَهُ بالتعرُّضِ إلى وَصْلِهِنَّ، فأنشدَ:

يَقَرُّ لعَيْني قُرْبُها ويَزيدُني ... بها عَجَباً مَنْ كانَ عِنْدي يَعيبُها

وكَمْ قائلٍ قَدْ قالَ: تُبْ، فعَصَيْتُهُ ... وتِلْكَ ـ لعَمْري ـ تَوْبةٌ لا أتُوبُها

فيا نَفْسُ صَبْراً لسْتِ ـ واللهِ ـ فاعْلَمي ... بأوَّلِ نَفْسٍ غابَ عَنْها حَبيبُها[1]

ولما زادَ غرامُهُ واشتدَّ شوقُهُ أفضَى بِهِ الحالُ إلى مرضٍ ألزمَهُ الوسادَ واختلالَ العقل، فلامَ الناسُ أباهُ على سوءِ فعلِه، فندِمَ حيثُ لا ينفعُ الندمُ[2]، وجعلَ يتلطَّفُ بِهِ، فأرسلَ لهُ طَبيباً وقَيْناتٍ ليلهُوَ بهنَّ، فأنشَدَ [من الخفيف]:

عِنْدَ قَيْسٍ مِنْ حُبِّ لُبْنَى ولُبْنَى ... داءُ قَيْسٍ والحُبُّ صَعْبٌ شَديدُ

فإذا عادَني العَوائِدُ يَوْماً ... قالَتِ العَيْنُ لا أرَى مَنْ أُريدُ

لَيْتَ لُبْنى تَعُودُني ثمَّ أقضي ... ما لها لا تَعُودُ في مَنْ يَعُودُ

فقالَ لهُ الطبيبُ: مذ كمْ هذِهِ العلةُ بكَ، ومذْ كم[3] وجدتَ بهذِهِ المرأةِ، فأنشَدَ:

تَعَلَّقَ رُوْحي رُوْحَها قَبْلَ خَلْقِنا ... ومِنْ بَعْدِما كُنّا نِطافاً وفي المَهْدِ

= وروى الأصبهاني الخبر مطوّلاً في «الأغاني» (٩/ ١٣٥ ـ ١٣٧)، وأخرجه باختلاف ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ٣٨٠)، والأبيات النونية في «ديوان قيس بن ذريح» (ص١١٣)، والبائية فيه (ص٥٥).

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤٦)، ورواه الأصبهاني في «الأغاني» (٩/ ١٤٢).

والشعر في قصة مختلفة لقيس المجنون تقدّمت من قبل، وقد رواها القالي في «الأمالي» (ص٦١٠ ـ ٦١١).

(٢) في الأصل: «الدم».

(٣) ليس في (ط): «كم».

فَــزادَ كمــا زِدْنــا وأصْبَــحَ نامِيــاً ... ولَــيْسَ إذا مِتْنــا بمُنْفَصِــمِ العَقْــدِ

ولكِنَّــهُ بــاقٍ عــلــى كــلِّ حــادِثٍ ... وزائرُني[1] فـي ظُلْمَـةِ القَبْـرِ واللَّحْـدِ

فقالَ: إنما يُسلّيكَ عَنها ذكرُ ما فيها منَ المساوئِ وما تعافُهُ النفسُ، فأنشدَ:

إذا عِبْتُهــا شَــبَّهْتُها البَــدْرَ طالِعــاً ... وحَسْبُكَ مِــنْ عَيْــبٍ يُشَــبَّهُ بالبَــدْرِ

لقَدْ فُضِّلَتْ لُبْنَى على النّاسِ مِثْــلَ مــا ... عــلى ألْفِ شَـهْرٍ فُضِّلَتْ لَيْلَةُ القَدْرِ[2]

فلما أيِسَ والدُهُ منهُ استشارَ قومهُ فيهِ فأشارُوا بأنْ يؤمَرَ بتصفُّحِ أحياءِ العربِ، فلعلَّ أنْ تقعَ عينُهُ على امرأةٍ تستميلُ عقلَهُ، فاتفقَ أنهُ نزلَ بحيٍّ مِن فزارَةَ، فرأى جاريةً ذا بهجةٍ فسألَ عنِ اسمِها، فقالَتْ: لُبنى، فسقَطَ مغشيّاً عليهِ، فارتاعَتْ منهُ، ونضحَتْ وجههُ بالماءِ، وقالَتْ: إنْ لم يكُنْ قيسَ لُبنى فمجنونٌ، فتبيَّن لها بعدَ سؤالِها أنه هوَ، فأقسمَتْ عليهِ أنْ ينالَ مِن طعامِها، فتناوَلَ قليلاً وركِبَ، فجاءَ أخوها على إثرِهِ، فأعلمَتهُ بذلِكَ، فركِبَ حتَّى استردَّهُ وأقسَمَ عليهِ أنْ يقيمَ عندَهُ شهراً، وعرضَ[3] عليهِ الصهارةَ، فلامهُ بعضُ العربِ، فقالَ: دعُوني ففي مثلِ هذا الفتى يرغبُ الكرامُ، وقيسٌ يقولُ لهُ: إنَّ فيكُمْ لكفايةً، ولكنْ فيَّ شُغلٌ لا ينتَفعُ بي معَهُ، فألحَّ عليهِ حتَّى عقدَ لهُ على أُختِهِ ودخلَ بها، فأقامَ مَعها أياماً لا تهَشُّ نفسُهُ إليها، ولا يكلِّمُها، ثمَّ

---

(١) في الأصل: «وزائرتي».

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤٦ ـ ٤٧)، وروى الخبر أبو الفرج بطوله في «الأغاني» (٩/ ١٤٣ ـ ١٤٤)، ثم أعاده باختلاف واختصار.

والأبيات الدالية المرفوعة في «ديوان قيس بن ذريح» (ص٦٩ ـ ٧٠)، والمكسورة فيه (ص٧٢ ـ ٧٣)، والرائيان فيه (ص٧٩).

(٣) في الأصل: «وأعرض».

استأذنَ في الخروجِ إلى أهلِهِ، فأذِنُوا لهُ، فخرَجَ إلى المدينةِ، وكانَ له بها صديقٌ[١]، فأعلمَهُ أنَّ لُبنى بلغَها تزويجهُ فغُمتْ لذلكَ، وقالتْ: إنهُ لغدّارٌ، وإني طالَـما خُطِبتُ فأبيتُ، والآنَ أُجيبُ.

واستعدَى أبو لُبنى معاويةَ ـ رضي اللهُ عنهُ ـ على قيسٍ، وأنهُ يشبِّبُ بابنتِهِ، فكتَبَ إلى مروانَ أنْ يُهدِرَ دمهُ، وأمرَهُ أنْ يزوجَ ابنتَهُ بخالدِ بنِ خلدَةَ الغطَفانيِّ[٢].

ولما بلغَ قَيساً زواجُها زادَ غرامُهُ، وأتى محلَّةَ قومِها، فقالَتْ لهُ النساءُ: ما تصنَعُ هُنا وقدْ دخلَتْ على زوجِها؟ فلَمْ يلتفِتْ حتَّى أتَى موضِعَ خِبائها، فتمرَّغَ بِهِ وأنشَدَ:

إلى اللهِ أشْكُو فقْدَ لُبْنَى كما شَكَى ... إلى اللهِ بَعْدَ الوالِدَيْنِ يَتيمُ
يَتيمٌ جَفاهُ الأقْرَبُوْنَ فجِسْمُهُ ... نَحيلٌ وعَهْدُ الوالِدَيْنِ قَديمُ[٣]

ولهُ في ذلكَ أشعارٌ كثيرةٌ.

ثمَّ مرِضَ وعادَهُ النّاسُ، فجعَلَ يتفكَّرُ لُبنى وعدَمَ رُؤيتَها وأنشَدَ:

أَلُبْنَى لقَدْ جلَّتْ[٤] عَلَيْكِ مُصيبَتي ... غَداةَ غَدٍ إذْ جَلَّ ما أتَوَقَّعُ
أأُخْبِرْتُ أنّي فيْكِ مِتُّ بحَسْرَةٍ ... فما فاضَ مِنْ عَيْنيكِ للوَجْدِ مَدْمَعُ
إذا أنْتِ لَمْ تَبْكي على جَنازَةٍ ... لدَيْكِ فلا تَبْكي غَدا حينَ أرْفَعُ

---

(١) في (ط): «وكان بها صديق له».

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤٧)، ورواه الأصبهاني في «أغانيه» (٩/ ١٤٥ ـ ١٤٦) مطوّلًا، وفيه: «وأمر أباها أن يزوّجها رجلاً يُعرَفُ بخالد بن حلّزة، من بني عبد الله بن غطفان».

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤٧)، وهو من خبر رواه صاحب «الأغاني» (٩/ ١٤٦).
والبيتان في «ديوانه» (ص١١١).

(٤) في (ط): «حلت».

فلمّا بلغَتها[1] الأبياتُ جزعَتْ وخرجَتْ إليهِ خفيةً، فاعتذرَتْ عنِ الانقطاعِ، وأنها إنما تترُكُ زيارتَهُ خوفاً عليهِ أنْ يهلِكَ، وإلا فعندَها منَ الحبِّ ما عندَهُ ولكنَّها جلدَةٌ[2].

وما زالَ قيسٌ مُغرماً بها إلى أنْ طلَّقَها زوجُها، قيلَ: إن سببَهُ أنَّ قيساً باعَ ناقةً لزوجِ لبنى وهوَ لا يعرفُهُ، فلمّا جاءَ معهُ ليقبِضَ الثمنَ رأى لبْنى فعادَ[3] مَبهُوتاً، فسألَهُ الرجلُ وقالَ: أنتَ قيسٌ؟ قالَ: نعَمْ، قالَ: ارجِعْ لأُخيِّرَها، فإنِ اختارَتكَ طلّقْتُها، وظنَّ الرجلُ أنها تُبغِضُ قَيساً، فخيَّرَها فاختارَتْ قيساً، فطلَّقَها لوقتِهِ[4].

وقيلَ: سببُهُ أنَّ قيساً قصدَ في ذلكَ ابنَ أبيَ عتيقٍ، وكانَ أكثرَ أهلِ زمانِهِ مُروءةً، فجاءَ إلى الحسنِ والحُسينِ وأعلمهُما أنَّ لهُ حاجةً عندَ زوجِ لُبنى، فذهَبُوا إليهِ فكلَّمُوهُ، فقالَ لهمْ: سلُوا ما شئتُمْ، فقالَ لهُ ابنُ أبي عَتيقٍ: أهلاً كانَ أو مالاً؟ قال نعَمْ، فقالَ: أُريدُ أنْ تطلِّقَ لُبنى ولكَ ما شئتَ عندي، فقالَ: أشهِدُكمْ أنها طالقٌ ثلاثاً، فاستَحيَوا منهُ، وعوَّضهُ الحسَنُ مئةَ ألفِ درهَمٍ[5].

وقيلَ: إنَّ لُبنى عاتَبتْ قيساً على تزويجِ الفَزاريةِ، فحلَفَ لها أنَّ عينَهُ لم تكتَحِلْ برؤيَتِها، ولمْ يكلِّمْها لفظةً واحدةً، وأنهُ لو رآها لمْ يَعرِفْها، فأخبرَتْهُ هيَ أيضاً أنها

---

(١) في (ط): «بلغها».

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤٨)، والخبر مطوّلٌ في «الأغاني» (٩/ ١٤٨ ـ ١٤٩). والشعر في «ديوانه» (ص٩٢).

(٣) في (ط): «فصار».

(٤) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤٩)، والخبر في «الأغاني» (٩/ ١٥١) مزيداً.

(٥) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤٩)، والخبر في «الأغاني» (٩/ ١٦٢) مطوّلًا.

تكرَهُ زوجَها ولا تزوَّجتهُ رغبةً فيهِ، بلْ شفقَةً على قيسٍ حينَ أُهدرَ دمُهُ ليرجِعَ عَنها، فلمّا علِمَ زوجُها بذلكَ طلَّقَها[١].

ولما طلِّقتْ نقلَتْ إلى العدةِ بأمرِ ابنِ أبي عَتيقٍ، فقيلَ: إنهُ تزوَّجَها بعدَ ذلكَ وأقامَتْ معهُ للموتِ، وقيلَ: إنها ماتَتْ في العدةِ، وهوَ قولُ الأكثرِ، ولما بلغَهُ موتُها جاءَ حتَّى وقفَ على قبرِها وأنشَدَ، ثمَّ بكَى حتى أُغميَ عليهِ، فحمِلَ وماتَ بعدَ ثلاثٍ، ودفِنَ إلى جانبِها[٢].

ولهُ فيها أشعارٌ كثيرةٌ مِنها العينيَّةُ، وهيَ طويلةٌ، وفيها:

وما مِنْ حَبيبٍ وامِقٍ لحَبيبِهِ ... ولا ذي هَوَىً إلا لَهُ الدَّهْرُ فاجِعُ
ألا يا غُرابَ البَيْنِ قَدْ طِرْتَ بالَّذي ... أُحاذِرُ مِن لُبْنَى فهَلْ أنْتَ واقِعُ
فيا قَلْبُ خَبِّرْني إذا شَطَّتِ النَّوَى ... بلُبْنَى وصَدَّتْ عَنْكَ ما أنْتَ صانِعُ
فوا كَبِدي مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ والأَسَى ... ووا كَبِدي إنِّي إلى اللهِ راجِعُ
نهاري نَهارُ النّاسِ حَتَّى إذا بَدا ... ليَ اللَّيْلُ هَزَّتْني إلَيْكِ المضاجِعُ
أُقَضّي نَهاري بالحَديثِ وبالمُنَى ... ويجْمَعُني باللَّيْلِ والهَمُّ جامِعُ
وما كُلُّ ما مَنَّيْتَ نَفْسَكَ خالياً ... تُلاقي ولا كُلُّ الذي أنْتَ تابِعُ[٣]

---

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٤٩)، وروى مقالة لبنى لزوجها صاحب «الأغاني» (٩/ ١٥٤) بنحوها.

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٥٠).

وقال في «الأغاني» (٩/ ١٦١): وقد اختُلف في آخر أمر قيسٍ ولبنى؛ فذكر أكثر الرّواة أنهما ماتا على افتراقهما، فمنهم من قال: إنه مات قبلها وبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه، ومنهم من قال: بل ماتت قبله ومات بعدها أسفاً عليها.

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» وذكر العينية بطولها (ص٥٠ ـ ٥٢)، وبعضها في «الأغاني» =

أخبارُ نُصَيْبٍ وصاحِبَتِهِ زَيْنَب[١]

وهوَ بضَمِّ النُّونِ وفتحِ الصادِ المهملَةِ، الزَّنْجي[٢]، وصاحبتُهُ أمُّ بكرٍ زينَبُ بنتُ صفوانَ، وهيَ كنانيَّةٌ لا زنجيَّةٌ كما قيلَ.

وسببُ عشقِهِ لها أنَّ نُصَيباً كانَ يرعَى إبلاً لمولاهُ، وكانتْ زينَبُ تأتي رعاةَ أبيها، فتأخُذُ لَبناً، فينظرُها نُصَيْبٌ، وكانَ حاذِقاً حسنَ التأملِ في دقائقِ المحاسنِ، ولطائفِ الشمائلِ، فنشأ عندَهُ مِن حبِّها ما غيَّرَ بالَهُ، وأشغَلَ حالَهُ، فشبَّبَ بها في أشعارٍ، وفَشا ذلكَ، فأتَتِ العرَبُ مولاهُ، وقالُوا: إنَّ عبدَكَ هذا شاعرٌ، ونخشَى أن يهجُوَ أحدَنا، أو يُشبِّبَ بنِسائنا، فقالَ لهُ مولاهُ: إنّي بائعُكَ فانظُرْ لنفسِكَ، فأقبلَ حتَّى دخَلَ على عبدِ العزيزِ بنِ مَروانَ، وهوَ يومئذٍ أميرٌ فأنشَدَهُ:

لعَبْدِ العَزيزِ علَى قَومِهِ[٣] ... وغَيْرِهِمُ مِنَنٌ ظاهِرَهْ

فبابُكَ أسْهَلُ أبْوابِهِمْ ... ودارُكَ مأهُولَةٌ عامِرَهْ

وكَلْبُكَ أرْأَفُ بالزّائرِيـ ... ـنَ مِنَ الأُمِّ بالابنَةِ الزّائرَهْ

= (٩/ ١٦٠ ـ ١٦١)، وروى بعضها ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ٣٨١ ـ ٣٨٢)، وهي في «ديوان قيس بن ذريح» (ص٨٧ ـ ٩١).

(١) يُنظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص٤١٠ ـ ٤١٢)، وذكر نصيب وأخباره في «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (١/ ٢١٤ ـ ٢٤٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٢/ ٥٢ ـ ٦٨)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٢٧/ ٥٨ ـ ٦٠)، و«تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٨٢ ـ ٨٧).

(٢) الأشهر في اسمه نُصيب بن رَبَاح، أبو مِحْجَن؛ كما في عامّة المصادر؛ وفي اسمه ونسبه وأصله خلافٌ مبسوط في «الأغاني» (١/ ٢١٤)، وسقط في «تزيين الأسواق» (ص٨٢) اسم أبيه، وجُعل: «ابن محجن»، وهو تحريف.

(٣) في الأصل و(ط): «غيره»، والرواية ما أثبتّ.

وكَفُّكَ حينَ تَرَى السّائليـ ـنَ أثْرَى مِنَ اللَّيْلَةِ الماطِرَهْ
فمِنْكَ العَطاءُ ومِنّا الثَّناءُ بكُلِّ مُحَبَّرَةٍ[1] سائرَهْ

فأمرَ لهُ بألفِ دينارٍ، فقالَ لهُ: أصلحَكَ اللهُ؛ إنّي عبدٌ لا آخذُ الجوائزَ، ولكِنْ أُباعُ! فقالَ لخادمِهِ: امضِ بهِ إلى بابِ الجامعِ، فإذا انتهَتِ الرَّغَباتُ فيهِ فأخبرْني، فلمّا نُودي عليهِ بالبيعِ بذلَ فيهِ شخصٌ خمسينَ ديناراً، فقالَ نُصيبٌ: قولُوا: يحسُنُ كذا.. وجعَلَ يعدِّدُ صنائعَهُ وهوَ يوفِّي بها، حتَّى انتهَى ثمنُهُ إلى ألفِ دينارٍ، فأخذَهُ الأميرُ فكانَ في خِدمَتِهِ إلى أنْ تُوفِّي، فأوصَى بهِ سُليمانَ بعدَ أنْ أعتقَهُ، فكانَ مِن أكبرِ سُمّارِهِ[2].

وكانَ يلهَجُ بالعشقِ، فاستخْفَى سليمانُ ليلةً فسمِعَ نُصَيباً وقدِ استَخلى[3] بنفسِهِ يبكي ويقُولُ مُتمثِّلاً بكلامِ المجنُونِ:

(قضاها لغَيري وابتَلاني بحُبِّها).. البيت

فقالَ لهُ: ما هذِهِ التي قضاها لغيرِكَ وابتلاكَ بحُبِّها، أو عاشِقٌ أنتَ؟ قالَ: إيْ واللهِ؛ جُعلتُ فِداكَ منَ العشقِ، فقالَ: لِمَنْ؟ قالَ: لجاريةٍ في كنانةَ عَلِقتُها، فمُنِعتُ منها لقلَّةِ حسَبي، وحقارةِ نسَبي عندَ العرَبِ، فكُنتُ أجلِسُ في ممرِّها لأخالِسَها النظرَ، وفي ذلكَ أقُولُ:

---

(١) في الأصل و(ط) بالخاء المعجمة، والمُحبَّرة: المُحسَّنة المُزيَّنة.

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٨٢ ـ ٨٣).

وروى أبو الفرج الشعر في خبر مختلفٍ لدخوله على عبد العزيز بن مروان في «الأغاني» (١/ ٢١٩)، وذكره ابن قتيبة «الشعر والشعراء» (ص٤١٢)، وهو في «شعر نصيب بن رباح» (ص٩٩).

ونسب الجاحظ الأبياتَ في «البخلاء» (ص٢٣٩) لعمران بن عصام، ونسبها في «الرسائل» (٢/ ٨١ ـ ٨٢) لأيمن بن خُريم.

(٣) في (ط): «اختلى»، وقبلها في الأصل: «نصيب».

جَلسْتُ لها كَيما تَمُرَّ لعَلَّني أُخالِسُها التَّسْليمَ إنْ لم أُسَلِّمِ
فلَمّا رأتْني والوُشاةَ تحَدَّرَتْ مَدامِعُها خَوْفاً ولم تتكَلَّمِ
مَساكينُ أهْلُ العِشْقِ ما كُنْتُ أشْتَري حَياةَ جَميعِ العاشِقينَ بدِرْهَمِ

فوعدَهُ سُليمانُ تزويَجها[1].

وإنهُ زوَّجهُ بها وأقامَ معَها، وإنها توفِّيتْ عندَهُ في خلافةِ سُليمانَ، وقيلَ: إنهُ تزوَّجَ بها على يدِ يزيدَ بنِ الوليدِ، وقيلَ: على يدِ ابنِ أبي عتيقٍ.

وفي «تسريحِ النَّواظرِ»: أنهُ لم يتزوَّجْها، وأنها تعلَّلتْ حينَ أرسلَ إلَيها بأنَّ العرَبَ تعيِّرُها بزواجِ الزَّنْجي، والمشهُورُ خِلافُهُ[2].

وتوفِّي نُصيبٌ سنةَ ثلاثَ عشرَةَ ومئةٍ، وقيلَ: توفيَتْ قبلَهُ، ورُئيَ باكياً عَليها، ويُنشِدُ الأشعارَ، ومِن كلامِهِ:

وما في الأرْضِ أشْقَى مِنْ مُحِبٍّ وإنْ وَجَدَ الهَوَى حُلْوَ المَذاقِ
تَراهُ باكياً أبداً حَزيناً مَخافَةَ فُرقَةٍ أو لِاشْتِياقِ
فيَبْكي إنْ نأَوْا شَوْقاً إلَيْهِمْ ويَبْكي إنْ دَنَوْا خَوْفَ الفِراقِ
فتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنائي وتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلاقي[3]

---

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٨٣).
والأبياتُ في «شعر نصيب بن رباح» (ص١٤٢ ـ ١٤٣)، وقد رواها ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٥٧ ـ ٥٨) في خبرَين لكلام لنُصيب مع مولاه عبد العزيز في أمَةٍ لبَني مَذْحِج، ورواها الأصبهاني في «الأغاني» (١/ ٣٤٣) والسراج في «مصارع العشاق» (٢/ ٥١) مع عبد العزيز أيضاً، يجعلان المحبوبةَ أمَةً لبَني مُدْلِج.

(٢) بسَطَ الأقوالَ وذكَرَ مصادرَها صاحبُ «تزيين الأسواق» (ص٨٣).

(٣) في الأصل و(ط): «التلاق»، وفيهما في أول البيت: «فتشحن»، وهما خطآن. ويُنظر: «تزيين =

أخبارُ عُروةَ بنِ حزامٍ وصاحبتِه عَفراءَ[1]

وهو مِنَ[2] بني عُذرةَ، شاعرٌ لبيبٌ حاذِقٌ متمكِّنٌ بالعشقِ، قيلَ: إنهُ أولُ عاشقٍ ماتَ بالهجرِ منَ المخضْرَمين، أو منَ العُذريينَ، ولشدَّةِ مُقاساتِهِ في العِشقِ ضُرِبَ بهِ المثلُ في أشعارِ العرَبِ بعدَهُ، وعَفراءُ بنتُ هَضراءَ أَخي[3] حِزامٍ؛ كلاهُما ابنُ مالكٍ.

قالَ في «تسريحِ النَّواظرِ»: إنَّ سببَ عشقِهِ لها: أنَّ أباهُ حِزاماً تُوفِّي ولعُروةَ أربعُ سنينَ، فكفِلَهُ هضْراءُ أبو عفراءَ، فكانَ يأْلَفُ عفراءَ صَغيرةً وتأْلفُهُ، فلمّا بلغَ الحُلمَ سأَلَ عروةُ عمَّهُ في تزويجِها، فوعدَهُ ذلِكَ، ثمَّ أخرجَهُ إلى الشامِ بِعِيرٍ لهُ، وجاءَ ابنُ أخٍ لهُ يريدُ الحَجَّ[4]، فنزَلَ عندَ أبيها، فرآها يوماً حاسرةً عَن وجْهِها، فوقعَتْ في قلبِهِ،

= الأسواق» (ص٨٤).

والأبياتُ في وهي في «ديوان الحماسة» بشرح المرزوقي (ص٩٣٧) غير منسوبة، وهي في «شعر نصيب بن رباح» (ص١١١).

(١) يُنظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص٦٢٢ ـ ٦٢٧)، وأخبار عروة بن حزام في «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (٢٤/ ٨٠ ـ ٩٠)، و«مصارع العشاق» للسراج (١/ ٣١٧ ـ ٣٢١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠/ ٢١٧ ـ ٢٢٦)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (١٩/ ٣٥٧ ـ ٣٦٠)، و«تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٧٠ ـ ٧٦).

(٢) في (ط): «وعروة هذا من».

(٣) في الأصل و(ط): «أخو»، وكذا اسم أبي عفراء هنا وبعد قليل، واسمه في «تزيين الأسواق» (ص٧٠): «هصر» بالصاد المعجمة.

وسمّاه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٢١٧): عروة بن حزام بن مهاصر، ويقال: ابن حزام بن مالك، وسماها: عفراء بنت مهاصر بن مالك، ويقال: بنت عقال بن مهاصر، وباسمِ القول الثاني ترجمها (٦٩/ ٢٨٧)، وهو ما في «الأغاني» (٢٤/ ٨٠).

وهي في «الشعر والشعراء» (ص٦٢٢): عفراء بنت مالك العذريّة.

(٤) في الأصل وفي «تزيين الأسواق» (ص٧١): «الحاج».

فخطَبَها مِن عمِّهِ، فزوَّجَهُ بها، فلما قدِمَ عُروةُ مِن سفرِهِ، وبلغَهُ الخبرُ انبَهَتَ لا يردُّ جَواباً حتَّى افترَقَ القومُ وأنشَدَ:

وإنِّي لتَعْرُوْني لِذِكْراكِ رِعْدةٌ[١] ... لها بَيْنَ جِلْدي والعِظامِ دَبيبُ

فما هُوَ إلا أنْ أراها[٢] فُجاءَةً ... فأُبْهَتُ حَتَّى ما أَكادُ أُجيبُ

فقُلْتُ لعَرّافِ اليَمامةِ: داوِني ... فإنَّكَ إنْ أبْرأْتَني لطَبيبُ

فما بيَ مِن حُمّى[٣] ولا مَسِّ جِنَّةٍ ... ولكِنَّ عَمّي الحِمْيَريَّ كَذُوْبُ

عَشيّةَ لا عَفْراءُ مِنْكَ بَعيدَةٌ ... فتَسْلُوْ[٤] ولا عَفْراءُ مِنْكَ قَريبُ

بنا مِن جَوَى الأحْزانِ والحُبِّ لَوْعَةٌ ... تكادُ لها نَفْسُ الشَّقيقِ تَذُوْبُ

وما عَجَبي مَوْتُ المُحِبّينَ في الهَوَى ... ولكِنْ بَقاءُ العاشِقينَ عَجيبُ

ثمَّ أخذَهُ الهَذَيانُ والقلقُ، وأقامَ أيّاماً لا يتناولُ طعاماً حتَّى شفَّتْ عظامُهُ، ولم يُخبِرْ بسرِّهِ أحداً، فحُمِلَ إلى عرّافٍ باليمامَةِ ـ وهوَ كاهنٌ لهُ قَرينٌ منَ الجنِّ يُعرِّفهُ الأخبارَ ـ فلمّا عالجَهُ أخبرَهم أنَّ ما بِهِ ليسَ إلا منَ العِشقِ[٥].

---

(١) في (ط): «هزّة».

(٢) في الأصل: «رآها».

(٣) في (ط): «حبا».

(٤) في الأصل بألف ممدودة، وفي (ط) بمقصورة.

(٥) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٧٠ ـ ٧١): «هصر» بالصاد المعجمة.

وخبره في «الشعر والشعراء» (ص٦٢٢ ـ ٦٢٣) بشيء من اختلاف وإيجاز، وذكر الشعر وأتمه في (ص٦٢٤)، ويختلف خبر عشقه وحرمانه في «الأغاني» (٢٤/ ٨٠ ـ ٨٣)، وساق (٢٤/ ٨٤) أبياته مع العراف.

ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤)، وفيه الأبيات، وهي في «ديوان عروة بن حزام» (ص١٥١ ـ ١٥٧) مطوّلة.

ولمّا أيسَ منَ الشفاءِ تمرَّضَ بينَ أهلهِ زماناً حتى شاعَ انتِحالُهُ في العربِ مَثلاً، وإنَّ ابنَ أبي عتيقٍ مرَّ بهِ يوماً، فرأى أمَّهُ تلاطِفهُ وهو كالخيالِ، فلما شاهدَهُ قضَى عجباً.

ولهُ في عفراءَ الأشعارُ الكثيرةُ مِنها النونيَّةُ وهيَ طويلةٌ جدّاً، مِنها:

خَليلَيَّ مِنْ عُلْيا هِلالِ بنِ عامِرٍ ... بصَنْعاءَ عُوْجا اليَوْمَ وانْتَظِراني
ولا تَزْهَدا في الأَجْرِ عِنْديَ وَاحْمِلا ... فإنَّكُما بي اليَوْمَ مُبْتَلَيانِ
ألا فاحْمِلاني بارَكَ اللهُ فيْكُما ... إلى حاضِرِ البَلْقاءِ ثُمَّ دَعاني
أحِبُّ ابنَةَ العُذْريِّ حُبّاً وإنْ نأتْ ... ودانَيْتُ فيها غَيْرَ ما مُتَدانِ
إذا رامَ قَلْبي هَجْرَها حالَ دُوْنَهُ ... شَفيعانِ مِنْ قَلْبي لها جَدِلانِ[1]
فيا رَبِّ أنْتَ المُسْتَعانُ على الَّذي ... تَحَمَّلْتُ مِن عَفْراءَ مُنذُ زَمانِ
فيا لَيْتَ كُلَّ اثْنَيْنِ بَيْنَهُما هَوىً ... مِنَ النّاسِ والأنعامِ يَلتَقيانِ
فيَقْضي حَبيبٌ مِنْ حَبيبٍ مُرادَهُ ... ويَرْعاهُما رَبّي فلا يُرَيانِ
فيا لَيْتَ مَحْيانا جَميعاً ولَيْتَنا ... إذا نَحْنُ مِتْنا ضَمَّنا كَفَنانِ
ويا لَيْتَ أنّا[2] الدَّهْرَ في غَيْرِ ريبَةٍ ... خَليلانِ نَرْعَى القَفْرَ مُؤتَلِفانِ
فَيا عَمِّ يا ذا الغَدْرِ لا زِلْتَ مُبتَلىً ... حَليفاً لِهَمٍّ لازِمٍ وهَوانِ
غَدَرْتَ وكانَ الغَدْرُ مِنْكَ سَجيّةً ... فألْزَمْتَ قَلْبي دائمَ الخفَقانِ

---

(١) في الأصل و(ط): «شغيفان»، والرواية ما أثبتّ، وجَدِلان: صاحبا جدَلٍ في الخصومة قادران عليها.

(٢) في الأصل و(ط): «أنّ»، والصواب ما أثبتّ، ويُروى البيت بألفاظ مختلفة.

فلا زِلْتَ ذا شَوْقٍ إلى مَنْ هَوِيْتَهُ ... وقَلْبُكَ مَقسُوماً بكُلِّ مَكانِ

ألا لَعَنَ اللهُ الوُشاةَ وَقولَهُمْ: ... فُلانَةُ أَضْحَتْ خُلَّةً لفُلانِ

إذا ما جَلَسْنا مَجلِساً نَسْتَلِذُّهُ ... تَواشَوا بنا حَتَّى أمَلَّ مَكاني

تَكَنَّفَني الواشُونَ مِن كُلِّ جانِبٍ ... ولَو كانَ واشٍ واحِدٌ لكَفاني

ولَو كانَ واشٍ باليَمامَةِ أرْضُهُ ... أُحاذِرُهُ مِنْ شُؤمِهِ لأَتاني

تَحَمَّلْتُ زَفْراتِ الضُّحَى فأَطَقْتُها ... وما لي بزَفْراتِ العَشِيِّ يَدانِ

أعَفْراءُ كَمْ مِنْ زَفْرَةٍ قَدْ أذَقْتِني ... وحُزْنٍ أَلَجَّ العَيْنَ بالهَمَلانِ

فوَيْليْ على عَفْراءَ وَيْلٌ كأَنَّهُ ... على الكِبْدِ والأحشاءِ حَدُّ سِنانِ

وقَدْ تَرَكَتْ عَفْراءُ قَلْبِيْ كأَنَّهُ ... جَناحُ غُرابٍ دائمُ الخَفَقانِ(١)

ولما علمَ الضَّجرَ مِن أهلِهِ قالَ لهُمْ: لو احتَملْتُموني إلى البَلْقاءِ لرَجَوتُ الشفاءَ، فلمّا حلَّ بها وجعَلَ يسارِقُ عفراءَ النظرَ في مَظانِّ مُرورِها عاودَتهُ الصِّحَّةُ، فأقامَ كذلِكَ إلى أنْ بلغَ زوجَها الخبرُ، وكانَ موصُوفاً بالسيادةِ ومحاسنِ الأخلاقِ في قومِهِ، فاستحَى عروةُ حيثُ علِمَ زوجُها، فخرَجَ عائداً إلى أرضِهِ، فعاودَهُ المرَضُ، فتوفِّي بوادي القُرى دونَ منازِلِ قومِهِ، وقيلَ: وصَلَها.

ولما بلغَ عفراءَ موتُهُ قالَتْ لزوجِها: قدْ علمْتَ ما بينكَ وبيني وبينَ الرجلِ منَ الرَّحِمِ، وما عندَهُ منَ الوَجدِ، وإنَّ ذلكَ على الحسنِ الجميلِ، فهَلْ تأذَنُ لي أنْ أخرُجَ

---

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص ٧٣ ـ ٧٥).

ورُوي بعض هذه القصيدة في «الأغاني» (٢٤/ ٨٤ ـ ٨٥)، وهي مطوّلة جداً في «ديوان عروة بن حزام» (ص١٢٠ ـ ١٤٩).

إلى قبرِهِ فأندُبَهُ؟ قالَ: ذاك إليكِ، فخرَجَتْ حتى أتَتْ قبرَهُ، فتمرَّغَتْ عليهِ وبكَتْ طويلاً، وأنشدَتْ [من الطويل]:

ألا أيُّها الرَّكْبُ المُخِبُّونَ[1] وَيحَكُمْ ... بحَقٍّ نَعَيْتُمْ عُرْوَةَ بنَ حِزامِ

فإنْ كانَ حَقّاً ما تَقُولُونَ فاعْلَمُوا ... بأنْ قَدْ نَعَيْتُمْ بَدْرَ كُلِّ ظَلامِ

فلا لَقِيَ الفِتْيانُ بَعْدَكَ راحَةً ... ولا رَجَعُوا مِن غَيْبَةٍ بسَلامِ

ولا وَضَعَتْ أُنْثَى تَماماً بمِثْلِهِ ... ولا فَرِحَتْ مِن بَعْدِهِ بغُلامِ

ولا لا[2] بَلَغْتُمْ حَيْثُ وُجِّهْتُمُ لَهُ ... ونُغِّصْتُمُ لَذّاتِ كُلِّ طَعامِ[3]

ولما فرَغَتْ مِن شِعرِها ألقَتْ نفسَها على القبرِ، فحُرِّكَتْ فإذا هيَ ميتةٌ.

وما قيلَ مِن أنها منعَتْ المجيءَ إلى قبرِهِ، ومِن أنهُ كانَ في عهدِ عُثمانَ، أو معاويةَ، أو أنَّ عمَرَ قالَ: لو أدركتُهُما لجمعْتُ بينَهُما غيرُ صحيحٍ، وكانَتْ وفاةُ عُروةَ على ما ذكرَهُ الذهبيُّ في «تاريخِهِ» في خلافةِ عُثمانَ سنةَ ثلاثينَ منَ الهجرَةِ[4].

---

(١) في الأصل و(ط): «المحيُّون»، والرواية ما أثبتّ.

(٢) ليس في (ط): «لا» الثانية.

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٧١ ـ ٧٢).

والخبر باختلافٍ في «الأغاني» (٢٤/ ٨١ ـ ٨٣)، وذكَرَ بعض أبياتها (ص٨٥)، وهي في «مصارع العشاق» (١/ ٣٢٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩/ ٢٨٨).

(٤) لم يجزم الذهبي بسنة وفاة عروة، بل ترجم له في «تاريخ الإسلام» (٢/ ١٨٩) في فصل فيه ذكرُ من توفي في خلافة عثمان تقريباً، وعقَدَه عَقِبَ ذِكرِ من توفّي في سنة ثلاثين.

وذكر قول معاويةَ رضي الله عنه ابنُ قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص٦٢٧)، ورواه صاحبا «الأغاني» (٢٤/ ٨٨)، و«مصارع العشاق» (١/ ٣٢٠)، وحكاه ابنُ الجوزي في «أخبار النساء» (ص٣٧) عن أبي الحسن الميداني، عن الأصمعيّ.

ولما قضَتْ عفراءُ دُفنَتْ إلى جانبِه، فنبَتَ منَ القبرينِ شجَرَتانِ، حتَّى إذا صارتا على حدِّ قامةٍ التفَّتا، فكانَتِ المارةُ تنظُرُ إليهِما ولا يُعرَفانِ مِن أيِّ ضربِ النَّباتِ هُما[1]، وكثيراً ما أنشدَتْ فيهِما الناسُ، فمِنْ ذلِكَ قولُ بعضِهِم:

بالله يا سَرْحَةَ الوادي إذا خَطَرَتْ ... تِلْكَ المَعاطِفُ حَيْثُ الرَّنْدُ والغارُ

فعانِقِيهِمْ عَنِ الصَّبِّ الكَئيبِ فَما ... على مُعانَقَةِ الأغْصانِ مِنْ عارِ[2]

وقولُ بعضِهِم:

غُصْنانِ مِنْ دَوْحَةٍ طالَ ائتِلافُهُما ... فيها فجاءَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ فافْتَرَقا

حَتَّى إذا ذَوَيا يَوْماً وضَمَّهُما ... بَعْدَ التَّفَرُّقِ بَطْنُ الأرْضِ واتَّفَقا

حَنّا على العَهْدِ في أرْجائِها فحَنا ... كُلٌّ على إلْفِهِ في التُّرْبِ وَاعْتَنَقا[3]

***

(١) قوله: «هما» زيادة من (ط).

(٢) بين البيتين إقواءٌ يسلمان منه لو رُوي ثانيهما: «على معانقة الأغصان إنكارُ»؛ كما في «تزيين الأسواق» (ص٧٢) ينسبهما إلى الشهاب محمود، وهو الحنبلي الدمشقيّ صاحب «منازل الأحباب»، والبيتان في كتابه (ص٢٤٦) لا ينسبهما لنفسه كعادته، والله أعلم.

(٣) في الأصل و(ط): «فحبا» بالباء، والصواب ما أثبتُّ، والأبيات في «تزيين الأسواق» (ص٧٢ ـ ٧٣) ينسبها إلى صاحب الأصل، وهو الشهاب الخفاجي الحنبلي نسبها لنفسه في كتابه «منازل الأحباب» (ص٢٤٦).

أخبارُ عبدِ اللهِ بنِ عجلانَ وصاحبَتِه هِندٍ(١)

عبدُ اللهِ هذا(٢) يتَّصلُ نسبُهُ بقُضاعةَ، وقيلَ: إنهُ عُذريٌّ؛ لأنَّ بينهُمْ وبينَهُ حيثُ لا تُرمى العصا؛ لأنَّ العربَ كانَتْ تعُدُّ الرجلَ مِنها ما لمْ يفارِقْهم بخَمسِ بطونٍ، فإذا بلَغَ ذلكَ قالوا: قُطِعَ النَّسبُ، ورُميتِ العَصا، وهوَ شاعرٌ مفلقٌ، وصاحبتَهُ هندُ بنتُ كعبٍ يتَّصلُ نسبُها بنسبِهِ.

وسببُ عشقِهِ لها: أنهُ خرَجَ إلى ماءٍ كانَتْ تغتسِلُ فيهِ بناتُ العربِ، فرأى هنداً تمشِّطُ شعرَها، وقدْ أرخَتهُ على بدنِها، فتأمَّلَ شفوفَ بياضِ جسمِها مِن خلالِ سوادِ الشَّعرِ، فعلِقتْ بقلبِهِ، فنهضَ ليركَبَ راحلتَهُ فعجَز وقعَدَ ساعةً بعدَ أنْ كانتِ العربُ تصُفُّ لهُ ثلاثَ رواحِلَ قائمةً فيخلِفُها ويركَبُ الرابعَةَ! لكنهُ قدْ داخَلَهُ منَ الحبِّ ما أعجزَهُ وعطَّلَ حَرَكاتِه، فأنشَدَ:

لقَدْ كُنتُ ذا بأسٍ شَديدٍ وهمَّةٍ ... إذا شِئتُ لمساً للثُرَيّا لمَسْتُها

---

(١) يُنظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص٧١٦ ـ ٧١٧)، أخبار عبد الله بن العجلان في «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (٢٢/ ١٦٦ ـ ١٧٠)، و«تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٧٦ ـ ٧٨).

ويُقال في اسمه: «عمرو بن عجلان»، وفي ذلك قول قيس بن ذريح:

وفي عُروة العُذريِّ إن مِتُّ أسوةٌ ... وعمرِو بنِ عجلانَ الذي قتَلَتْ هِندُ

وهو في شعرٍ رواه أبو الفرج الأصبهاني في «الأغاني» (٩/ ١٤٤)، والقالي في «الأمالي» (ص٧٤٤)، وهو في «ديوان قيس بن ذريح» (ص٧٣).

ووهم من خلط بين عمرو بن العجلان بن عبد الأحبّ العاشق، وعمرو بن العجلان بن عامر الهذلي الصعلوك، الملقب بـ«ذي الكلب»، الذي ترجمه الأصبهاني في «الأغاني» (٢٣/ ٩).

(٢) قوله: «عبدُ اللهِ هذا» زيادة من (ط).

أَتَتْنِي سِهامٌ مِنْ لِحاظٍ فأرْشَقَتْ ... بِقَلْبي ولو أسْطيعُ[١] رَدّاً رَدَدْتُّها[٢]

ولما عادَ وقد تمكَّنَ الهوى منهُ أخبَرَ صديقاً له بذلكَ، فقالَ: اكتُمْ ما بكَ واخْطُبْها إلى أبيها؛ فإنهُ يزوِّجكَ بها، وإنْ أشهَرتَ عِشقَها حُرِمتها، ففعَلَ وخطَبَها، فأُجيبَ وتزوَّجَ بها، فأقاما على أحسنِ حالٍ لا يزدادُ فيها إلا غراماً، فمضَى ثمان[٣] سِنينَ ولمْ تحمِلْ، وكانَ أبوهُ ذا ثَروةٍ وليسَ لهُ غيرُهُ، فأقسَمَ عليهِ أنْ يتزوَّجَ غيرَها؛ رجاءَ الولدِ لِحفظِ النسبِ والمالِ، فاستشارَ هنداً فلَمْ ترضَ، فعاوَدَ أباهُ، فأمرَهُ بطلاقِها، فأبى، فألحَّ عليهِ، فلَمْ يُفدْ إلى أن بلَغَ أباهُ أنَّ ابنَهُ عبدَ اللهِ سكرانُ، فعدَّها فرصةً، فأرسَلَ يدعوهُ وقدْ جلسَ معَ أكابرِ الحيِّ، فمنعَتْهُ هندٌ وقالَتْ: لا يدعوكَ لخيرٍ! وأظنُّهُ يريدُ يعرِضُ عليكَ الطلاقَ؛ لكونِكَ سكرانَ، ولئنْ فعلْتَ لَتَمُوتَنَّ[٤]، وأظنُّ أنكَ فاعلٌ! فذهَبَ، فلمّا جلسَ معَ أبيهِ أقبلَ إليهِ العرَبُ يُعنِّفونَهُ في عدمِ طلاقِها، فاستَحْيا منهُمْ، فطلَّقَها، فلما سمِعَتْ بذلك احتجبَتْ عنهُ، فوَجَدَ عليها وجداً كادَ أنْ يموتَ معهُ[٥].

وأنشدَ فيها الأشعارَ الكثيرَةَ منها:

ألا بَلِّغا هِنْداً سَلامي وإنْ نأتْ ... فقَلْبيَ مُذْ شَطَّتْ بِهِ الدّارُ مُدْنَفُ

ولَمْ أرَ هِنْداً بَعْدَ مَوْقِفِ ساعَةٍ ... بأنْعَمَ مِنْ أهْلِ الدِّيارِ تُطَوِّفُ

---

(١) في (ط): «أستطيع».

(٢) لم أجد الخبر والبيتين إلا في «تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٧٦ ـ ٧٧)، وعنه في «ديوان عبد الله بن العجلان النهدي» (ص١٩).

(٣) في (ط): «ثلاث».

(٤) في (ط): «تموتن».

(٥) يُنظر: «تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٧٧)، ورواه في «الأغاني» (٩/ ١٦٦).

أَتَـتْ بَيْـنَ أَتْـرابٍ تَمايَـسُ إنْ مَشَـتْ دَبيـبَ القَطـا، أو هُـنَّ مِنْهُـنَّ أَلْطَـفُ[1]

ولمْ يزَلْ شوقُهُ ينمُو، ووجدُهُ بها يزيدُ حتَّى لزِمَ الوِسادَ، ثمَّ تجلَّدَ وقصَدَها وقدْ تزوَّجَتْ في نَميرٍ[2] قَبيلَةٍ من بني عامرٍ، فرآها جالسَةً على حَوضٍ وزَوجُها يَسقي إبلاً لهُ، فلمّا تعارَفا اعتنَقا وسقَطا إلى الأرضِ، فجاءَ زوجُها فوجَدَهُما ميِّتَين، وكانَ ذلكَ قبلَ عامِ الفيلِ بأربعةِ أعوامٍ[3].

***

(١) في الأصل و(ط): «أو هي»، والصواب ما أثبتُّ، ورواه في «الأغاني» (٩/ ١٧٠) باختلاف، ويُنظر: «تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٧٨)، والقصيدة مطوَّلة في «ديوان عبد الله بن العجلان النهدي» (ص٣٠ ـ ٣٥).

(٢) في (ط): «غير».

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٧٧)، ورواه في «الأغاني» (٩/ ١٦٩).

أخبارُ ذي الرُّمَّةِ وصاحبَتِهِ مَيّ[1]

هوَ غَيلانُ بنُ مَعديْ بنِ عَمرٍو الكِنانيُّ القَحطانيُّ[2]، شاعرٌ فصيحٌ، و«الرُّمةُ» بالضمِّ: قطعَةُ حبلٍ تُجعَلُ في عنُقِ البَعيرِ، سمّي بذلِكَ؛ لأنهُ كانَ كثيراً ما يجعَلُ في عنُقِهِ أو على عاتقِهِ الحبلَ، ووهَبَ طريفُ بنُ غَطفانَ بعيراً لشخص بالحبلِ الذي في عُنقِهِ، فقيلَ: أعطاهُ برُمَّتِهِ، فضُرِبَ مثلاً لمنْ يُعطي الشيءَ جميعَهُ.

وميٌّ هيَ بنتُ طلابةَ بنِ قيسِ بنِ عاصِمِ الغَسّانيِّ، أحدِ ملوكِ العرَبِ، ووالدُهُ قيسٌ نظيرُ المنذِرِ بنِ ماءِ السماءِ[3].

---

(١) يُنظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص٥٢٤ ـ ٥٣٦)، وذكر ذي الرمة وخبره في «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (١٨/ ٥ ـ ٣٤)، و«وفيات الأعيان» (٤/ ١١ ـ ١٧)، و«تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٧٨ ـ ٨٠).

(٢) كذا قال متابعاً الأنطاكي في «تزيين الأسواق» (ص٧٨)، غير أن الأنطاكيَّ قال: أو هو سعديٌّ، وقيل: ابن عقبة بن يهوس بن ربيعة، يتصل من عبد مناف بإلياس بن مُضَر، وهو الأصحّ.
وقال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص٥٢٤): هو غيلان بن عقبة بن بهيش، ويكنى أبا الحارث، وهو من بني صعب بن ملكان بن عديّ بن عبد مناة، ونحوه في «وفيات الأعيان» (٤/ ١١).
والذي في «الأغاني» (١٨/ ٥): اسمه: غيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ملكان بن عديّ بن عبد مناة بن أدّ طابخة بن إلياس بن مضر، وقال ابن سلّام: هو غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ملكان، ويكنى أبا الحارث، وذو الرمة لقب.
ويُنظر: «طبقات فحول الشعراء» لمحمد بن سلّام الجمحي (٢/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥).

(٣) كذا قال متابعاً الأنطاكي في «تزيين الأسواق» (ص٧٨)، ولم أجد هذا القول في اسمها، وربما كان تحريفاً؛ فقد قال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص٥٢٦): وصاحبته ميّة بنت فلان بن طلبة بن قيس بن عاصم بن سنان.
وسماها البكري في «اللآلي في شرح أمالي القالي» (١/ ٨٢): ميّ بنت عاصم بن طلبة بن قيس بن عاصم، ونقله ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٤/ ١١)، وقدّم عليه أنّ اسمها: مية =

وسبَبُ عشقِهِ لها: أنه مرَّ يوماً بخيمَةٍ وقدْ عطِشَ فطلَبَ الماءَ، فأبرزَتْ إليهِ ماءً قدْ شِيْبَ بلَبنٍ فشرِبَ، ثمَّ ناشدَتهُ الراحةَ فنزَلَ، وقدَّمتْ إليهِ طَعاماً فأكلَ، ثمَّ نادمَتهُ فلَمْ ينصرِفْ إلا وقدْ أخذَ حبُّها بمجامِعِ قلبِهِ، فجعَلَ يعاوِدُها الزيارةَ، فقيلَ لهُ في تقليلِ ذلكَ وأنَّ بلادَها بعيدَةٌ مِن بلادِهِ، وذلكَ مشقَّةٌ عليهِ، فأنشَدَ:

وكُنْتُ إذا ما جِئْتُ مَيّاً أزُورُها ... أرَى الأرْضَ تُطْوَى لي ويَدْنُو بَعيدُها

مِنَ الخَفِراتِ البيضِ وَدَّ جَليسُها ... إذا ما انْقَضَتْ أُحْدُوثَةٌ لو تُعيدُها[1]

وقالَ بعضُ أصحابِهِ: جئتُ معَهُ يوماً لزيارَتِها فوجَدنا الحيَّ قدْ طعنَ، فقالَ: امضِ بنا نودِّعِ الآثارَ، فجِئنا حتَّى وقفَ على أطلالِ ميةَ فأنشَدَ:

ألَا فاسْلَمي ـ يا دارَ مَيَّ ـ على البِلى ... ولا زالَ مُنْهَلّاً بِجَرْعائكِ القَطْرُ

= ابنة مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري.

(١) في الأصل و(ط): «العفرات» بالعين، وفيهما: «لو يُعيدها» بالياء، والرواية ما أثبتُّ.

وتابع المؤلفُ في نسبة البيتين ما في «تزيين الأسواق» (ص٧٨)، واختُلف في نسبتهما تبعاً للاختلاف في رواية اسم المحبوبة، فنَسب ثانيَهما الأصبهانيُّ في «أغانيه» (٩/ ٢٠ ـ ٢١) في أبيات في خبرٍ لكثيّر عزة، لكنه عاد فنسب أولهما في أبيات لنصيب، ثم نقل على الفور في خبرٍ أن كليهما لكثيّر، وهما في «ديوانه» (ص٢٠٠) في قصيدة له، وفي أبيات في «شعر نصيب ابن رباح» (ص٨٢) أيضاً.

ونسبهما الخالديان في «حماستهما» (١/ ١٩٨) للعوَّام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى، وقدّم ذلك صاحب «الحماسة البصرية» (٢/ ١٩١) لكنه قال: ومنهم من ينسبها للحسين بن مطير، وبعضها لكثير، والأول أصحّ.

وليس البيتان في «ديوان ذي الرمة»، ولا في «شعر الحسين بن مطير الأسدي»، والله أعلم.

وفاضَتْ عَيناهُ بالعبرَةِ فقلْتُ: مَهْ! فقالَ: إنّي جَلْدٌ، وإنْ كانَ مني ما ترَى، ثمَّ انصرَفنا، فواللهِ ما رأيتُ أشدَّ صبابةً، ولا أحسَنَ صَبراً منهُ(١).

ولهُ في ميٍّ أشعارٌ كثيرَةٌ مشهُورةٌ منها:

إذا هَبَّتِ الأرْياحُ مِنْ نحْوِ جانِبٍ ... بهِ آلُ ميٍّ زادَ قَلْبي هُبُوبُها

هَوَىً تَذْرِفُ العَيْنانِ مِنْهُ وإنَّما ... هَوَى كلِّ نَفْسٍ أينَ حَلَّ حَبيبُها(٢)

* * *

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٧٨) بسياق مطوَّلٍ هو في «المحاسن والأضداد» للجاحظ (ص٢١٧ ـ ٢١٨)، و«مجالس ثعلب» (١/ ٣١ ـ ٣٤)، ورواه السراج في «مصارع العشاق» (١/ ٢١٠ ـ ٢١١). والبيت في مطلع قصيدة في «ديوان ذي الرمة» (ص١٠٣).

(٢) نسبهما له الجاحظ في «الرسائل» (٢/ ٤٠٥)، والأصبهاني في «الأغاني» (١٨/ ٣٨)، وهما في قصيدة في «ديوان ذي الرمة» (ص٣٩) باختلاف.

أخبارُ مالكٍ وصاحبَتِه جَنوبٍ[1]

هوَ مالكُ بنُ الحارثِ، يتصِلُ نسبُهُ بقحطانَ[2]، وجَنوبٌ هيَ بنتُ قيسٍ يتَّصلُ نسبُها بنسبِهِ:

وسببُ عشقِهِ لها: أنهُ رآها يوماً بغتةً، فوقَعَتْ مِن قلبِه وصارَ يهيمُ بها ويصيرُ أحياناً كالمصرُوعِ، وداخلَها أيضاً مِن حبِّهِ ما لا يوصَفُ، ولهُ فيها أشعارٌ كثيرةٌ.

ولما طالَ بِهِ الحالُ لزِمَ الوسادَ[3]، فدَعَوا لهُ بطبيبٍ، فلمّا نظرَ الطبيبُ أنشَدَ:

---

(١) يُنظر: أخبار مالك ونسبه في «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (٢٢/ ٥٥ـ٥٦)، و«منازل الأحباب» للخفاجي (ص١١٩ ـ ١٢١)، و«تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٨٠ ـ ٨١).

(٢) كذا مختصِراً سياقَ «تزيين الأسواق» (ص٨٠)، وهو بتمامه: مالك بن الحارث بن الصمصامة بن أخرش الجعدي، من بني أخرش أخو ذي الرمة، قال في «الأنساب» هم أكبر فخذ من قحطان. ا.هـ.
قلتُ: ليس في «الأنساب» ما ذكر، ولم يترجم السمعانيُّ لنسَب «أخرش» قط ـ والله أعلم ـ وتقدّم نسب ذي الرمة، وأنه ليس قحطانياً، والذي في «الأغاني» (٢٢/ ٥٥): مالك بن الصّمصامة بن سعد بن مالك، أحد بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. قلتُ: وصعصعة هو ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
وقحطان هو ابن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل: هو قحطان بن ألهميسع بن تيمن بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وهو أصلُ جميع عرب اليمن، إليه ينتسبون؛ يُنظر: «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (٣/ ١٦).
وقد قال ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» (١/ ٧): جميع العرب يرجعون إلى ولد ثلاثة رجال: وهم عدنان، وقحطان، وقضاعة، وذكر الأقوال في نسب قحطان.

(٣) في الأصل: «الوسادة». قلتُ: هي المخدّة، وليست المقصودة، والصواب ما أثبتُّ، لأن «الوساد» كلُّ ما يوضع تحت الرأس وإن كان من تراب أو حجارة، أي: أنه مرضَ فلم يستطيع القيام، والله تعالى أعلم.

خَليلَيَّ إنَّ العَبْدَليّةَ أزْمَعَتْ ... على الصَدِّ والهُجْرانِ فاسْتَدْنيا عَنْسي[١]

فلا صَبْرَ لي بَعْدَ الفِراقِ على الجَفا ... ولا راحَةً إلا التَّوسُّدُ في رَمْسي[٢]

فصَبْرُ محِبٍّ عَنْ حَبيبٍ يُحِبُّهُ ... مُحالٌ، وهَلْ جِسْمٌ يَعيشُ بلا نَفْسِ

ثمَّ شهَقَ شهقةً خرجَتْ فيها روحُهُ[٣].

وفي «لطائفِ الفوائدِ»: أنَّ مالكاً هذا لما قضَى اتصَلَ نعْيُهُ بجنُوبٍ، وقدْ قُدِّمَ إليها لبَنٌ فلمّا امتصَّتْهُ ووقعَ الكلامُ في أُذنِها اضطرَبتْ خفيفاً، ثمَّ اضطجَعَتْ فإذا هيَ ميتَةٌ[٤].

***

(١) العَنْس: الصُّلبة من النُّوق، وفي البيت أنه جعل محبوبته «عبدليّة»، وهي ليست كذلك!

(٢) الرَّمْس: القبر.

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٨١) عن مصادره، وذكر خلافاً بينها، وانفرد بهذا الشعر، والله أعلم.

(٤) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٨١) عن «لطائف الفوائد وظرائف الشوارد» لابن عبد ربه.

أخبارُ عبدِ اللهِ بنِ علقمَةَ وصاحبَتِهِ حُبيشٍ[(١)]

هوَ عبدُ اللهِ بنُ علقمَةَ بنِ زُرارَةَ مِن قحطانَ، وحبَيْشُ بنتُ سعدِ بنِ أسلَمَ مِن [خُزَيمةَ]، قبيلَةٍ منَ اليمَنِ[(٢)].

وسبَبُ عشقِهِ لها: أنهُ رآها يوماً تحلِبُ ناقةً ووجْهُها كالبدرِ، فلمّا عاينَها غابَ عَن حسِّهِ ساعةً، ثمَّ عاودَهُ الشعُورُ، فسَكتَ[(٣)] خيفَةَ أنْ يظهَرُوا على حالِهِ، ثمَّ جاءَتْ إليهِ باللبنِ ليشرَبَ، فلمّا تناولَهُ ارتعَدَ حتَّى سقَطَ مِن يدِهِ، ففطِنَتْ لِما حلَّ بهِ، وكانَ شاباً كأنهُ القمَرُ، فداخَلَها ما داخلَهُ، ولم يكُونا مُتقارِبينِ في المنزِلِ؛ لأنهُما مِن فَخِذَينِ، فافترَقا على ما داخَلَهُما منَ الهوَى، وإنَّ الغلامَ أرسَلَ أمَّهُ بهديَّةٍ إلَيها وتَبِعها، وأقاما عندَها، ولمْ يزَلْ كذلِكَ يذهَبُ معَ أمهِ إلَيها ويعودُ[(٤)].

---

(١) يُنظر: أخبار عبد الله بن علقمة وتعشقه حبيشة في «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (٧/ ٢١٢ ـ ٢٢٠)، و«مصارع العشاق» (١/ ٣١٤ ـ ٣١٦)، و«منازل الأحباب» للخفاجي (ص٢٦٨ ـ ٢٧٠)، و«تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٨١ ـ ٨٢).

(٢) كذا في «تزيين الأسواق» (ص٨١)، والاستدراك منه.
وروى أبو الفرج الأصبهاني (٧/ ٢١٢) أنه عبد الله بنُ علقمة، أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة، وأنها حبيشة بنت حبيشٍ، أحد بني عامر.
وروى خبرَه السراجُ في «مصارع العشاق» (١/ ٣١٤) عن أبي مسعود الأسلمي، عن أبيه قال: نشأ فينا غلامٌ يقال له: عبد الله بن علقمة، وكان جميلاً، فهوي جاريةً من غير فخذِه، يقال لها: حبيشة... إلخ.
والراوي في «الموشى» للفراء (ص١٠٩): أبو حَدْرَد الأسلمي، وهو في «سيرة ابن هشام» (٤/ ٧٦) ابن أبي حدرد الأسلمي، و«الأسلمي»: نسبةٌ إلى أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر؛ يُنظر: «اللباب» لابن الأثير (١/ ٥٨).

(٣) في الأصل و(ط): «فتشكى»، وأثبتُّ ما في «تزيين الأسواق»، فهو أصوب، والله أعلم.

(٤) رواه صاحب «الأغاني» (٧/ ٢١٣) بسياق فيه اختلاف.

وكانَ في أوائلِ الهجرَةِ فأرسلَ رسولُ اللهِ ﷺ سريَّةً وعليهِمْ خالدُ بنُ الوليدِ، فصادَفُوا العرَبَ ظاعِنينَ، ورأوا عبدَ اللهِ وراءَ القومِ، فمسَكُوهُ وعرَضُوا عليهِ الإسلامَ فقالَ: وما هوَ؟ فقالُوا: كذا وكذا، فقالَ: أرأيتُمْ إنْ أنا لم أُسلِمْ فما تصنعُونَ بي؟ قالُوا: نضرِبُ عُنقَكَ، فقالَ: هلْ تَتركُوني أمضي إلى الظَّعنِ؟ قالُوا: بلَى ونحْنُ في إثرِكَ، فمضَى حتَّى وقَفَ على هودَجِ حُبَيشٍ فناداها: أسلِمي يا حُبَيشُ! فقَدْ نفَدَ العيشُ، وتناشَدا الأشعارَ، ثُمَّ قتلُوهُ، فلمّا رأتْ ذلِكَ نزلَتْ فقبَّلتهُ، وشهقَتْ شهقَةً أو شهقتَينِ، فماتَتْ، ولما أخبَروا رسولَ اللهِ ﷺ بذلِكَ، قالَ: «أما كانَ فيكُمْ رجُلٌ رَحيمٌ»[1].

***

---

(١) أخرج هذا الخبرَ ـ دون تسمية العاشق القتيل ـ بنحوه النسائيُّ في «السنن الكبرى» (٨٦١٠)، وعنه الطبرانيُّ في «المعجم الكبير» (١٢٠٣٧) و«المعجم الأوسط» (١٦٩٧)، من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢١٠): إسناده حسن، بل صحح إسنادهُ الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٥٨).

وأخرجه مطوَّلاً ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٤٩) عن عبد الله بن عصام المزني، عن أبيه. ورواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ٧٦) عن ابن أبي حدرد الأسلمي باختلاف وزيادة.

أخبارُ الصِّمَّةِ وصاحبَتِه ريّا[١]

هوَ أبو مالِكٍ الصِّمَّةُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ مسعودَ بنِ رِقاشٍ القُشَيريُّ الثَّعلبيُّ[٢]، كانَ أديباً شاعِراً شُجاعاً عارِفاً بأيّامِ العرَبِ، وكثيراً ما يسنِدُ إليهِ الأصمَعي، وابنُ دريدٍ، وأدرَكَ أوائلَ الإسلامِ[٣]، والريّا هيَ بنتُ مَسعودِ بنِ رقاشٍ[٤]، كانَتْ ذاتَ معرفَةٍ وحُسنٍ، انتشَآ وتحابّا صغيرَينِ، وكانا يتذاكَرانِ الأشعارَ، فلمّا شكا محبَّتَها لصديقٍ لهُ أرشدَهُ إلى تزويجِها، فخطَبَها مِن عمِّهِ، فأجابَهُ على مئةٍ منَ الإبلِ، فمضَى الصمَّةُ إلى أبيهِ فأعطاهُ مئةً إلا واحدةً، فأبى أبُوها إلا التَّمامَ، وأبُوهُ إلا عدَمهُ، وحلَفَ كلٌّ على ما قالَ، وأوقفُوا الأمرَ، فخرَجَ الصِّمّةُ إلى العراقِ غَضبانَ، فقالَتِ الريّا: ما رأيتُ رَجُلاً أضاعَهُ أبوهُ وعمُّهُ ببعيرٍ إلا الصمَّةَ! لِـما عندَهُما منَ العلمِ بحُبِّهِ لها.

---

(١) يُنظر: أخبار الصّمّة القشيريّ ونسبه في «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (٦/ ٥ ـ ١٠)، و«الوافي بالوفيات» (١٦/ ١٩٣)، و«تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي (ص٨٧ ـ ٨٩).

(٢) كذا في الأصل و(ط)، وفي «تزيين الأسواق» (ص٨٧): «التغلبي»، واختَصَرَ المصنف سياقه، وفيه خلَل؛ ذلك أن «التغلبي» ـ كما في «اللباب» لابن الأثير (١/ ٢١٧) ـ نسبة إلى تغلب بن وائل بن قاسط من معدٍّ بن عدنان.

وأما «الثعلبي» فنِسبٌ كثيرةٌ بسَطَها ابنُ الأثير في «اللباب» (١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨)؛ ليس منها ما يتفق مع التسمية والنسب الوارِدَين في «الأغاني» (٦/ ٥)؛ حيث قال: الصّمّة بن عبد الله بن الطّفيل بن قرّة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب، وأوصل نسبه إلى مضر بن نزار.

ونسبة الصِّمَّة قشيرياً تكاد تكون محل اتفاق ـ والله تعالى أعلم ـ يُنظر: «الإكمال» لابن ماكولا (٢/ ٣٨١)، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (١/ ٢٨٩)، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (ص٨٥١).

(٣) فيه نظر؛ ذلك أن جده قرة بن هبيرة بن عامر القشيريَّ وفد على رسول الله ﷺ؛ يُنظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٣/ ١٢٨١)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٥/ ٣٣٣).

(٤) سماها في «الأغاني» (٦/ ٥): العامريّة بنت غطيف بن حبيب بن قرّة بن هبيرة.

فلمّا طالَ عليهِ الأمرُ، وتنازعَهُ الشوقُ والشهامَةُ المانعَةُ لهُ منَ العودِ بلا طلبٍ مرِضَ منَ الحبِّ حتَّى أضناهُ السقمُ، ثُمَّ خُطِبَتْ[١] ريّا وأُمهِرَتْ ثلاث مئةَ ناقةٍ برُعاتِها، وزُوِّجتْ لخاطِبِها[٢]، فبلَغَ الصمَّةَ ذلكَ، فلزِمَ الوسادَ وأنشَدَ:

أَمِـنْ ذِكْـرِ دارٍ بالرِّقاشَـينِ أعْصَـفَتْ ... بِهِ بارِحـاتُ الصَّيْـفِ بـدا ورُجَّعـا[٣]

حَنَنْـتَ إلـى رَيّـا ونَفْسُـكَ بـاعَـدَتْ ... مَـزارَكَ مِـنْ رَيّـا وسَـعْياكُما مَعـا[٤]

فمـا حَسَـنٌ أنْ يأتـيَ الأمْـرُ طـائعاً ... وتجْزَعُ إنْ داعـي الصَّبابَـةِ أسْـمَعا[٥]

كأنَّـكَ لـمْ تَسْـمَعْ وداعَ مُفـارِقٍ ... ولمْ تَـرَ شِـعْبَي صاحِبَيْـنِ تَقَطَّعـا

بكَـتْ عَيْنـيَ اليُمْنَـى فلَمّـا زَجَـرْتُها ... عَنِ الجَهْـلِ بعْـدَ الحِلْـمِ أسْـبَلَتا مَعـا

فلَيْسَـتْ عَشـيّاتُ الحِمَـى بـرَواجِـعٍ ... إلَـيْكَ ولكِـنْ خَـلِّ عَيْنَيـكَ[٦] تَدْمَعـا

أمَـا ـ وجَـلالِ اللهِ ـ لـو تَـذكُرينَنـي ... كَذِكْراكِ مـا كَفْكَفْـتِ لِلعَيْـنِ مَدمَعا[٧]

فقالَـتْ: بَلَـى ـ واللهِ ـ ذِكْـري لَـوَ انَّـهُ ... تَـضَـمَّـنَـهُ صُـمُّ الصَّفـا لتَصَدَّعـا[٨]

---

(١) في (ط): «وخطبت».

(٢) سماه في «الأغاني» (٦/ ٥): عامر بن بشر بن أبي براء بن مالك بن مُلاعب الأسنّة بن جعفر ابن كلاب.

(٣) الرقاشين: اسم واد بين نجد واليمن كانت تنزله بنو ربيعة، والبارحات: رياح معلومة صيفية تستبشر بها العرب.

(٤) يريد أن النفس والسعيَ أبعداه عن محبوبته، وكثيراً ما يُروى البيت: «وشِعباكُما معا».

(٥) كثيراً ما يُروى البيت: «تأتيَ الأمرَ».

(٦) في الأصل و(ط): «عيناك»، وهو خطأ ظاهر.

(٧) ليس هذا البيت في (ط).

(٨) روى الخبر والقصيدة الأصبهانيُّ في «الأغاني» (٦/ ٩ ـ ١٠).

=

ولما طالتْ عِلتهُ دعا لهُ صاحبُهُ العِراقيُّ بطَبيبٍ حاذقٍ، فلما تأمَّلهُ قالَ: إنما بهِ داءُ العشقِ، وأرَى أنْ يلزَمَ النُّزهةَ[1] ليتشاغَلَ، فبَينما هوَ يوماً على شاطئِ نهرٍ إذ سمِعَ امرأةً تُنادي ابنَتَها: يا ريّا! فسقَطَ مغشيّاً عليهِ، فلمّا أفاقَ أنشَدَ:

تَعَزَّ بصَبْرٍ - لا وجَدِّكَ - لا تَرَى سِنامَ الحِمَى إحْدَى اللَّيالي الغَوائرِ
كأنَّ لِساني مِنْ تَذَكُّريَ الحِمَى وأهْلَ الحِمَى يهْفُو بهِ ريشُ طائرِ

ولمْ يزَلْ يُردِّدُهما حتَّى ماتَ.

ولما وصَلَ خبرُهُ إلى ريّا داخَلَها منَ الوجدِ ما أمسكَتْ معهُ عنِ الأكلِ والشُّربِ، وجعلَتْ تبكي حتَّى ماتَتْ[2].

= وكان قال (٦/ ٨): وهذه الأبيات التي أوّلها «حننت إلى ريّا» تُروى لقيس بن ذريح في أخباره وشعره بأسانيد قد ذُكرت في مواضعها، ويُروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد ذُكرت أيضاً في أخباره، والصحيح في البيتين الأوّلين أنهما لقيس بن ذريح، وروايتهما له أثبت، وقد تواترت الروايات بأنهما له من عدّة طرق؛ والأُخَر مشكوكٌ فيها أهي للمجنون أم للصّمّة. ويُنظر: «الأغاني» (٢/ ٤٣ - ٤٤)، و(٩/ ١٤٥).

وقد تنوزع في نسبة هذه الأبيات وتداخلت في غيرها، وقد نسبها إلى الصمة بن عبد الله القشيري أبو تمام في «ديوان الحماسة» (بشرح المرزوقي) (ص٨٥١)، والقالي في «أماليه» (ص٢٩٧ - ٢٩٨)، والخالديان في «حماستهما» (١/ ٦٥)، والعينية مطوّلة في «شعر الصمة» (ص١٠٦ - ١١٣).

ونسبها اليزيدي في «أماليه» (ص١٤٨)، والسراج في «مصارع العشاق» (٢/ ٢٠٢) ليزيد بن الطثرية، وهي فيما نُسب له ولغيره في «شعره» (ص٨٠ - ٨٣).

(١) في (ط): «النزاهة».

(٢) البيتان في «شعر الصمة» (ص٩٨)، ورواهما في «الأغاني» (٦/ ٧) في خبر مختلف في وفاة الصمة، هو عند ابن حمدون في «التذكرة» (٦/ ١٥٢ - ١٥٣) لكنه كان نسبهما في (٦/ ٦٩) لعبد الله بن نمير بن حسوسة الثقفي، ونسبهما الرفاء في «المحب والمحبوب» (٢/ ١٢٥) للحماني، ويُنسبان لابن الدمينة، وهما في «ديوانه» (ص٤٥).

أخبارُ كَعبٍ وصاحبته مَيلاءَ(١)

هو كعبُ بنُ مالكٍ، مِن عربِ الحجازِ، كانَ جَواداً شُجاعاً مألُوفَ الصُّورة، ومَيلاءُ هيَ ابنةُ عمِّهِ أختُ زوجتِهِ.

وسبَبُ عشقِهِ لها: أنهُ قالَ يوماً لزوجَتِهِ وهيَ عُريانَةٌ: هلْ تعلَمينَ امرأةً أحسَنَ منكِ؟ قالَتْ: نعَمْ؛ أُخْتي مَيلاءُ، فقالَ: ومَن لي بأنْ أنظُرَها؟ فأخفَتهُ وأرسلَتْ إلَيها، فلمّا رآها وقعَتْ مِن قلبهِ موقِعاً أدَّى إلى زوالِ عقلِهِ، فانطلَقَ في طلَبِها وشَكا إليها ما لقيَ مِن حُبِّها، فأعلَمَتهُ أنَّ بها مثلَ ذلكَ، وشعرَتْ أُختُها، فلمّا سمِعتهُما يتشاكَيانِ المحبَّةَ مضَتْ إلى إخوَتِها، فأخبرَتهم بذلكَ، وقالَتْ: إما أنْ تُزوِّجُوها لهُ، أو تُغيِّبوها عنّي، فلمّا علِمَ بمعرفةِ إخوَتها هربَ إلى الشامِ، وزادَ بهِ الهيامُ، وأنشدَ الأشعارَ مِنها:

خَليلَيَّ قَدْ رُمْتُ الأُمُوْرَ وقِسْتُها ... بنَفْسِيْ وبالفِتْيانِ كُلَّ مَكانِ

فلَمْ أُخْفِ يَوماً للرَّفيقِ ولَمْ أجِدْ ... خَليّاً ولا ذا البَيْنِ يَسْتَويانِ

بُلينا بهجْرانٍ ولَمْ يُرَ مِثْلُنا ... مِنَ النّاسِ إنسانانِ يَهتَجِرانِ

فواللهِ ما أدْري: أكُلُّ ذَوي هَوىً ... على شَكْلِنا أم نحنُ مُبتَلَيانِ

فلا تَعْجَبا ممّا بيَ اليَوْمَ مِن هَوىً ... فَفي كُلِّ يومٍ مِثْلُ ما تَرياني

خَليلَيَّ - لا واللهِ - ما لي بالَّذي ... تُريدانِ مِن هَجْرِ الصَّديقِ يَدانِ

---

(١) روى خبره مطوَّلًا وفيه الأبيات مزيدة أبو الفرج الأصبهاني في أخبار المخبل القيسي ونسبه في «الأغاني» (٢٠/ ١٦٥ - ١٦٧)، وكذلك فعل السراج في «مصارع العشاق» (٢/ ١٤٠ - ١٤٢)، وابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٠/ ١٣٣ - ١٣٩)، ويُنظر: «تزيين الأسواق» للأنطاكي (٨٩ - ٩٠)، وذكروا جميعاً اختلافاً في اسمه، وبقبه المخبَّل القَيْسيّ.

إذا اغْرَورَقَتْ عَيْنايَ قالَتْ صَحابَتي: لقَــدْ أُوْلِعَــتْ عَيْنــاكَ بالهَمَــلانِ

فلما بلغَ إخوةَ مَيلاء ذلكَ توجَّهُوا في طلبهِ، وحصَلَ لميلاءَ صُداعٌ، فلمّا حضَرَ صادفَ وقتَ موتِها، فرأى الناسَ مجتمِعينَ، فسألَ مِن صبيٍ عَن ذلكَ فقالَ: ماتَتْ خالتي ميلاءُ الساعةَ، فلما سمِعَ ذلكَ وضَعَ يدَهُ على قلبِهِ، واستنَدَ إلى طنبِ البيتِ، وحرِّكَ، فوُجِدَ مَيتاً، فدُفنَ إلى جانبِها.

***

أخبارُ عُتبةَ وصاحبَتِه ريّا[١]

هو[٢] عُتبةُ بنُ الحُبابِ بنِ المنذِرِ الأنصاريّ، وريّا هيَ بنتُ الغِطريفِ السلَميّ، علِقها بمَسجِدِ الأحزابِ.

قالَ عبدُ اللهِ بنُ مَعمَرٍ القَيْسيّ: بينما زُرتُ رسولَ اللهِ ﷺ ليلاً وجلَسْتُ، وإذا بشَخْصٍ يُنشِدُ:

أشْـجاكَ نَـوْحُ حَمائـمِ السِّـدْرِ ... فأهَجْنَ مِنـكَ بَلابِـلَ الصَّـدْرِ[٣]

يـا لَيْلَـةً طالَـت عـلـى دَنِفٍ ... يَـشْكُو الفِـراقَ وقِلَّـةَ الصَّبْـرِ[٤]

أسْـلَمْتِ مَـنْ يَهْـوَى[٥] لحَـرِّ جَوىً ... مُتَـوَقِّـدٍ كتَـوَقُّـدِ الـجَـمْـرِ

مـا كُنْـتُ أعْلَـمُ أنّنـي كَلِفٌ ... مُغْـرىً بحُـبِّ شَـبيهَةِ البَـدْرِ

قالَ: فنظَرتُ، فإذا شابٌ خرقَتِ الدُّموعُ خدَّيهِ، فسألتُهُ، فقالَ: كنتُ يوماً بمَسجدِ الأحزابِ، فمرَّ بي نسوةٌ فيهِنَّ جاريةٌ لم أرَ مِثلَها، فوقفَتْ عليَّ وقالتْ: ما تقولُ في وَصلِ مَن يطلُبُ وصلَكَ؟ ثم مضَتْ فلَمْ أعرِفْ خبرَها، ثمَّ غشيَ[٦] عليهِ ساعةً، ثمَّ أفاقَ، فشرَعتُ في تسلِيَتِهِ، فقالَ: هيهاتِ!

---

(١) الخبر مطوَّلًا وفيه الأشعارُ مزيدةً في «المستجاد من فعلات الأجواد» للتنوخي (ص٦٠ ـ ٦٨)، و«ثمرات الأوراق» لابن حجة الحموي (بهامش «مستطرف الأبشيهي») (٢/ ١٧٤ ـ ١٧٩)، و«منازل الأحباب» للخفاجي (ص٢٠٢ ـ ٢٠٧). ويُنظر: و«تزيين الأسواق» للأنطاكي (٨٦ ـ ٨٧).

(٢) في (ط): «و».

(٣) السدر: من الأشجار، والبلابل: الوساوس والهموم.

(٤) الدَّنِف والمُدنَف: من أهزَلَهُ المرَضُ حتى قارب على الموت.

(٥) في الأصل و(ط) وفي «تزيين الأسواق»: «أسلمك من تهوى»، والصواب ما أثبتُّ.

(٦) في الأصل: «أغشي».

فلمّا طلَعَ الصبحُ قلتُ لهُ: قمْ بِنا إلى مسجِدِ الأحزابِ، فأقَمْنا بهِ، فلمّا صلَّينا الظهرَ أقبلَتِ النِّسوةُ ولم تكُنِ الجاريةُ فيهِنَّ، فقُلنَ لهُ: ما ظنُّكَ بطالبَةِ وصالِكَ؟ فقالَ: وأينَ هيَ؟ فقلنَ لهُ: مضَى بها أبوها إلى السَّماوةِ، فأنشَدَ:

خَليلَيَّ رَيّا قَدْ أجَدَّ بُكُورُها وسارَتْ إلى أرْضِ السَّماوَةِ عِيْرُها

خَليلَيَّ قَدْ غُيِّبْتُ مِنْ كَثْرَةِ البُكا فهَلْ عِنْدَ غيري عَبْرَةٌ أسْتَعِيرُها

فقلتُ لهُ: معي مالٌ كثيرٌ للحجِّ، فأنا أبذُلُهُ في حاجتِكَ، وسرْتُ أنا وهوَ إلى قومِها، ففرَشَ أبوها لهمُ الأنطاعَ ونحرَ لهُمْ، فحلَفُوا أن لا يأكلُوا إلا إنْ قضَى حاجتهُمْ، فلمّا ذكروها قالَ: نعَمْ ذاكَ إلَيها، فقُلنا لهُ: أعلِمْها، فأعلَمَها[1]، فرَضِيَتْ، فقالَ: قدْ نمى[2] إليَّ أمرُكِ معهُ، وأقسِمُ لا أُزوِّجكِ بهِ، فقالَتْ: إنَّ الأنصارَ لا يَردُّونَ رَدّاً[3] قبيحاً، فإنْ لم يكُنْ فأغلِظْ عليهِمُ المهرَ، فشكَرَها، وأغلَظَ المهرَ، فالتزمُوهُ وأحضرُوهُ، فأولَمَ أربعينَ يوماً، ثمَّ أخذناها، فلمّا قارَبنا المدينةَ خرَجَ علَينا خيلٌ كثيرةٌ ـ حسِبناهُمْ بأمرِ أبيها ـ فقاتَلناهُمْ، فجاءَتْ طَعنةٌ في نحرِ عُتبةَ فسقَطَ ميْتاً، ثمَّ جاءَتْنا النَّجدَةُ، فلمّا علمَتِ الجاريَةُ بموتهِ نزلَتْ وانكبَّتْ عليهِ تَبكي، وأنشدَتْ:

تَصَبَّرْتُ لا أنّي صَبَرْتُ وإنَّما أُعَلِّلُ نَفْسي أنَّها بكَ لاحِقَهْ

---

(١) قوله: «فأعلمها» زيادة من (ط).

(٢) في (ط) بألف ممدودة.

(٣) قوله: «ردّاً» زيادة من (ط).

ولَوْ أنْصَفَتْ رُوْحي لكانَتْ إلى الرَّدَى أمـامَـكَ مِــنْ دُوْنِ الـبَــرِيَّةِ سـابِقَهْ

فمــا أَحَــدٌ بَعْــدي وبَعْــدَكَ مُنْصِفٌ خَليــلاً ولا نَفْــسٌ لنَفْــسٍ مُوافِقَــهْ

ثمَّ شهقَتْ شهقة[1] فماتَتْ، فوارَيناهُما معاً.

* * *

(١) قوله: «شهقة» ليس في (ط).

أخبارُ زُرعةَ وصاحبَتِهِ طَريفَةَ[١]

هوَ زُرعةُ بنُ خالِدٍ العُذريُّ، وكانَ غُلاماً حسَنَ الوجه، عذْبَ المنطِقِ، سَخيّاً[٢]، عارِفاً بأيام العربِ وأشعارِها، خرَجَ يوماً للصيدِ فوجَدَ النساءَ يغترِفنَ الماءَ، وقدِ انفرَدَتْ منهُنَّ جاريةٌ تمشِّطُ شعرَها على جانبِ الغديرِ، ووجهُها كالبدرِ، فحينَ أبصرَها سقطَ مغشيّاً عليهِ، فقامَتْ إليهِ فرشَّتْ عليهِ الماءَ، فلمّا أفاقَ قالَ: وهَل مقتولٌ يداويهِ قاتلُه؟ قالَتْ: كُفيتَ ما تشكُو! وحادَثَتْهُ وقد داخلَها ما داخلَهُ منَ الحُبِّ، ثمَّ رجعَ يقولُ: خرَجْنا لنصيدَ، فاصطُدْنا، ثمَّ أنشدَ:

خَرَجتُ لصَيْدِ الوَحْشِ صادَفْتُ قانِصاً ... مِنَ الرِّيمِ صادَتْني سَريعاً حَبائلُهْ

فلَمّا رَماني بالنِّبالِ مُسارِعاً ... رَقاني، وهَلْ مَيْتٌ يُداويهِ قاتِلُهْ

ألا في سَبيلِ الحُبِّ صَبٌّ قدِ انْقَضَى ... سَريعاً ولَمْ يَبْلُغْ مُراداً يُحاوِلُهْ

ثمَّ إنهُ لزمَ الوسادَ أياماً، وإنَّ أمّهُ أقسمَتْ عليهِ لمّا سمعتْهُ يكرِّرُ الأبياتَ إلا ما أخبرَها بحالِهِ، فأخبرَها وعرفَتِ الجاريَةَ طريفَةَ بنتَ صَفوانَ بنِ وائلةَ[٣] العُذريِّ، فمَضَتْ إليها، وأعلَمتْها القصَّة، وقبَّلَتْ رجلَيها على أنْ تزورَ بيتَهُمْ، فعسَى يُشفى ولَدُها، فقالَتْ: إنَّ الوُشاةَ كثيرٌ، ولكِنْ خُذي هذا الشَّعرَ إليهِ فإن أمسكَهَ[٤] في فيهِ؛ فإنهُ يُشفَى، ثمَّ جزَّتْ لها شيئاً مِن شعرِها، فلمّا ذهبَتْ بهِ

---

(١) يُنظر الخبر مطوّلًا في «تزيين الأسواق» للأنطاكي (ص٩٣ ـ ٩٤)، واسم المحبوبة عنده: «ظريفة» بالظاء المعجمة.

(٢) في (ط): «سجياً».

(٣) في «تزيين الأسواق» (ص٩٣): «واثلة» بالثاء.

(٤) في (ط): «فإذا مسكه».

إليـهِ جعَـلَ ينتشَّـقهُ[1]، فتراجعَـتْ نفسـهُ شـيئاً فشـيئاً حتَّى اشـتَهى مـا يـأكلُ، فأكلَ وقـامَ، ثـمَّ صارَ يأتـي أبياتَها، فيُسـارِقُها النظرَ ويُجالِسُـها إلـى أن فطِنَ أهلُهـا، فآلَوا علَـى قتلِهِ، فهـرَبَ إلـى اليمنِ.

وكانَ كلما اشتدَّ شوقُهُ يقبِّلُ الشَّعرَ ويجعلُهُ على وجهِهِ فيستريحُ لذلكَ؛ إلى أنْ سقَطَ منهُ ولـم يَجدْهُ، فاشتَدَّ وَجْدُهُ فعزَمَ على العَوْد، فعُنِّفَ، فقالَ: دعُوني! فلمّا بلغَ الحيَّ راسَلَها بالأشعارِ وراسلتْهُ تخبرُهُ بحبِّها لهُ، فأُغشي عليه.

ثمَّ لزمَ بعدَ ذلكَ بيتَهُ إلى أن بلغَهُ أنَّ طريفةَ تزوَّجتْ، فلمّا بلغَهُ الخبرُ اضطرَبَ ساعةً، ثم أُغمي عليه، فحرِّكَ فإذا هوَ ميتٌ، فلما بلغَها موتُهُ لزمَتِ البكاءَ أيّاماً ولم تمكِّنِ الرجُلَ مِن نفسِها، فلمّا كانَتْ ذاتَ ليلةٍ خرجَتْ فتبِعَها[2]، فجاءَتْ إلى نهرٍ وألقَتْ نفسَها فيهِ، فقيلَ: ماتَتْ، وقيلَ: أُخرجَتْ حيةً، ثمَّ ماتَتْ بعدَ الإخراجِ بعدَ أنْ شرِبتْ قليلاً من الماءِ.

* * *

(١) في الأصل: «ينشقه».

(٢) أي: زوجُها.

أخبارُ قيسٍ الكِنانيِّ وصاحبَتهِ نُعْمَى الخُزاعيَّةِ[١]

كانَتْ كنانةُ وخُزاعةُ يتقاربُونَ في المنزِلِ لتقاربِهِمْ في النسبِ، فكانَ قيسٌ يجلِسُ إلى نُعمَى ويتحادَثُ معها، فدخَلَ بينَهُما الهوى، ولم يَزالا كذلكَ إلى أنْ حصَلَ لهمْ قحطٌ، فافترَقَتِ القَبيلتانِ في أطرافِ البلادِ، ثمَّ مرَّ قيسٌ يوماً، فنظَرَ إلى موضعِ خُزاعةَ فتذكَّرَ زمانَ اجتِماعِهِمْ وتنفَّسَ الصعداءَ، وأنشدَ[٢]:

---

(١) يُنظر «معجم الشعراء» للمرزباني (ص٣٢٥ ـ ٣٢٦)، وسماه: قيس بن عبيد بن أصرم بن ضاطر بن حبشية بن سلول، وقال: والحُدادية أمه، وهي من بني حُداد من كنانة، وقوم يجعلونها من حِداد محارب، وحداد ـ بالضم ـ من كنانة، وحداد ـ بالكسر ـ من محارب، وهو شاعر قديم كثير الشعر له مع عامر بن الظَّرب العدواني حديث.

ويُنظر: أخبار قيس بن الحُدَاديّة ونسبه في «الأغاني» (١٤/ ٩٣ ـ ١٠٢)، وسماه: قيس بن منقذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر، وساق نسبه، ثم ذكر أن أمه امرأة من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. ويُنظر: «منازل الأحباب» للخفاجي (ص١٢٢).

وسماه الأخفش في «الاختيارين» (ص٢١٦): قيس بن الحدادية الخزاعي، والحدادية: أمه، وأبوه منقذ، وكان فارساً شجاعاً، فاتكاً خليعاً، جاهلياً.

ويُنظر: «تزيين الأسواق» للأنطاكي (ص٩٥ ـ ٩٦)، وسماه: قيس بن منقذ بن مالك الكناني، المشهور ابنَ الحدادية، وقال: كان يهوى نُعمى الخزاعيّة، وتابعه الكَرميُّ هنا، واسمُ المحبوبة في عامّة المصادر: «نُعم»، وقال في «الأغاني» (١٤/ ٩٨): وكان قيس بن الحدادية يهوى أمّ مالك بنتَ ذؤيبٍ الخزاعيّ... وتقدّم قَبيصةُ بنُ ذؤيب ومعه أختُه أمُّ مالك، واسمها نُعْمُ بنتُ ذُؤَيب.

(٢) قصيدته العينية مطوَّلة للغاية في «الأغاني» (١٤/ ٩٨ ـ ١٠١)، وبعضُها في «الاختيارين» للأخفش الأصغر (ص٢٢٥ ـ ٢٢٩)، و«أمالي اليزيدي» (ص١٥٣)، وفي «أشعار الشعراء الستة الجاهليين» للأعلم الشنتمري (٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٢)، واسمه في مطبوعه: «قيش» بالشين المعجمة!

وهي قصيدة بديعة روى صاحب «الأغاني» (١٤/ ١٠١) عن أبي عمرٍو الشيبانيِّ قال: فأنشدتُ عائشةَ بنتَ طلحةَ بنِ عُبيد الله هذه القصيدةَ، فاستحسَنَتها، وبحضرتها جماعةٌ من الشعراء. =

إذا ما نأتْ نُعْمَى فهَلْ أنْتَ جازِعُ ... قدِ اقْتَرَبَتْ لوَ انَّ ذَلِكَ نافِعُ(١)

قدِ اقْتَرَبَتْ لوَ انَّ في قُرْبِ دارِها ... نَوالاً، ولكِنْ كلُّ مَنْ ضَنَّ مانِعُ(٢)

فإنْ تُلْفِيَنْ نُعْمَى ـ هُديتَ ـ فَحَيِّها ... وسَلْ كَيْفَ تُرْعَى بالمَغيبِ الوَدائعُ

وَظَنّي بها حِفْظٌ لِغَيْبِيْ ورِعْيَةٌ ... لِما اسْتُرْعِيَتْ والظَّنُّ بالغَيْبِ واسِعُ

وقَدْ يَلْتَقي بعْدَ الشَّتاتِ أولُو النَّوَى ... ويَسْتَرْجِعُ الحَيَّ السَّحابُ اللَّوامِعُ

كأنَّ فُؤادي بَيْنَ شِقَّيْنِ مِنْ عَصاً(٣) ... حَذارَ وُقُوْعِ البَيْنِ والبَيْنُ واقِعُ

فقُلْتُ لها: يا نُعْم خَلّي مَحَلَّنا ... فإنَّ الهَوَى والشَّمْلَ ـ يا نُعْم ـ جامِعُ

فقالَتْ وَعَيْناها تَفيضانِ عَبْرَةً: ... بأهْلِيَ بيِّنْ لي مَتى أنْتَ راجِعُ(٤)

فقُلْتُ لها: تاللهِ يَدْري مُسافِرٌ ... إذا أضْمَرَتْهُ الأرْضُ ما اللهُ صانِعُ(٥)

وإني لِعَهْدِ الوِدِّ راعٍ وإنَّني ... لوَصْلِكِ ما لم يَطْوِني المَوْتُ طامِعُ

= فقالت: من قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً واحداً يشبهها ويدخل في معناها فله حَلّتي هذه، فلم يقدر أحدٌ منهم على ذلك.

(١) اسمُ المحبوبة في عامّة المصادر غير «تزيين الأسواق»: «نُعم»؛ حيث روايةُ صدر البيت:

أَجِدَّكَ أنْ نُعْمٌ نَأَتْ أنْتَ جازِعُ

إلا أن البيت الثالث في القصيدة يُفيد أن اسمها «نعمى»، والأمر هيّن.

(٢) ضَنّ: بَخِل.

(٣) في (ط): «عصى» بالمقصورة.

(٤) أي: أفديك بأهلي... إلخ.

(٥) أي: تالله لا يدري مسافرٌ، وحذفُ «لا» النافية سائغ عند الكوفيين، وعليه خرّجوا قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، أي: لئلّا تضلوا.

ثـمَّ لـم يـزَلْ متعلِّـلاً بالأمانـي، يعتَريـهِ[1] الخبـالُ أيامـاً إلـى أنْ بلغَـهُ أنَّ خُزاعةَ باليمـنِ، فارتحَـلَ حتَّـى وقَـعَ بهـمْ، فقيـلَ: إنـهُ عنـدَ رُؤيتِها سـقَطَ مَيتـاً، وقيـلَ: أقامَ عندَهُـم إلـى أنْ غزَتهُـمْ فَـزارَةُ فقتِلَ يومئـذٍ[2].

***

(١) في (ط): «ويعتريه».

(٢) لم يذكر هذين القولين صاحب «الأغاني»، وذكر في مقتل قيسٍ (١٤/ ١٠٢) خبرين غير ما هنا.

أخبارُ عمرٍو وصاحبتِهِ عَقيلةَ[1]

هو عمرُو بنُ كعبِ بنِ النعمانِ بنِ المُنذِرِ بنِ ماءِ السَّماءِ مِلِكِ العربِ المشهورِ، وصاحبتُهُ ابنةُ عمِّهِ عَقيلةُ[2]، مِن أجملِ نساءِ العرَبِ، وأعلمِهنَّ بالأدبِ وأحوالِ العربِ ووقائعِها[3].

علِقَتْ بها نفسُ عَمرٍو واشتَدَّ بها غرامُه، فخطبَها مِن عمِّهِ، فطلَبَ منهُ مَهْراً يَعجِزُ عنهُ، فأشارَ عليهِ بعضُ أصحابِهِ بالخروجِ إلى ابنِ كِسرى مَلِكِ العجَمِ، فأخبرَهُ إنسانٌ في الطريقِ أنهُ ساعٍ فيما لا يدرَكُ، فعادَ فوجَدَ عمَّهُ قدْ زوّجَ عقيلَة، فهامَ على وَجهِهِ إلى اليمامةِ.

وكانَ عندَها مِن العشقِ لعمرٍو أضعافُ ما عندَهُ لها، فكانَتْ تشُدُّ زوجَها إذا جنَّ الليلُ إلى عمودِ البيتِ وتبيتُ في الخِدْرِ وَحدَها، فإذا أصبَحَ الصُّبحُ تطلقُه، فيستَحي يُخبِرُ العربَ بذلكَ، فأقامَ على هذا الحالِ سبعينَ ليلةً، فلما كثُرَ توبيخُ العربِ لهُ خرَجَ فلا يُدرَى أينَ ذهَبَ، وأقامَتْ عقيلةُ ببيتِ أبيها لا تتناوَلُ إلا الأقلَّ مما يُمسِكُ الرَّمَقَ، ودأبُها البكاءُ على عمرٍو، وهو كذلكَ، ولم يُمكِنْهُما الاجتماعُ.

---

(١) يُنظر الخبر مطوَّلًا في «تزيين الأسواق» للأنطاكي (ص١٠٣ ـ ١٠٤)، وبأوجز منه في «منازل الأحباب» (ص١٨٤ ـ ١٨٦).

(٢) ذُكر اسمُها في «الأغاني» (٨/ ٢٥٨) في خبرٍ لها مع الفرزدق رواه: عقيلةُ بنت الضَّحّاك بن عمرو بن مُحرِّق بن النّعمان بن المنذر بن ماء السماء، واسمُ ابن عمّها عمرُو بن كعب بن مُحرِّق بن النعمان بن المنذر.

وقد سمّى الأنطاكي أباها في «تزيين الأسواق» (ص١٠٣): أبا النجاد.

(٣) في (ط): «ووقائعهم».

قالَ في «عجيبِ الاتِّفاقِ في تطابُقِ أحوالِ العُشّاق»: فمرِضَ عمرٌو مرَضاً كادَ أنْ يأتيَ على نفسِهِ، فكانَ لا يُرَى إلا شاخِصاً إلى السماءِ مُتمسِّكاً بحَبلٍ قدْ علّقَهُ بيدَيهِ منَ العشاءِ إلى الصَّباحِ وهوَ ينشِدُ:

إذا جَنَّ لَيْلي فاضَتِ النَّفْسُ أدْمُعاً ... على الخَدِّ كالغُدْرانِ أو كالسَّحائبِ

أوَدُّ طُلُوعَ الفَجْرِ واللَّيْلُ قائلٌ: ... لقَدْ شَدَّتِ الأفْلاكُ بَعْدَ الكَواكِبِ

فما أسَفي إلّا على ذَوْبِ مُهْجَتي ... ولمْ أدْرِ يَوْماً كَيْفَ حالُ الحَبائبِ

فلمّا كانَ بعدَ أيامٍ دخَلَ عليهِ صديقٌ له، فوجدَهُ ضاحكاً، فسألَهُ فأنشدَ:

لقَدْ حَدَّثَتْني النَّفْسُ أنْ سَوْفَ نَلْتَقي ... ويُبْدَلُ بُعْدٌ بَيْنَنا بِتَدانِ

فقَدْ آنَ لِلدَّهْرِ الخَؤُوْنِ بأنَّهُ ... لتَفْريقِ ما قَدْ كانَ يَلْتَئمانِ

ثمَّ شهقَ شهقَةً فاضَتْ فيها نفسُهُ، فضبِطَ اليومُ الذي ماتَ فيه، فوُجِدَ موتُ عقيلَةَ في ذلكَ اليومِ أيضاً[1].

***

(١) يختلف خبر موتِ الحبيبَين المرويُّ عن الفرزدق في «الأغاني» (٨/ ٢٥٨) عن هذا، ويتفقان في موتهما في يوم واحد.

أخبارُ عامرِ بنِ سعيدٍ وصاحبتِه جميلَةَ(١)

وهوَ مِن طيئٍ، وكانَ يهوَى ابنةَ عمِّهِ جميلة، نشَآ صغيرَينَ معاً، وقدِ اشتدَّ كلَفُ كلٍّ منهُما بصاحبِهِ ولما بلغَ الحلمَ(٢) خطبَها مِن عمِّه، فامتنَعَ لكونهِ كانَ قد أشاعَ عشقَهُ لها، وحجَبَ جميلةَ عنهُ، فاعترَاهُ الخَبَلُ والجنونُ، ولما اشتدَّ بهِ الحالُ أشارَ النِّساءُ علَى والدتهِ أن تَعرُضَ عليهِ العَذارَى، فكانَ كلما رأى واحدةً يَشكُرها، ثمَّ يتنفَّس الصعداءَ، فلمّا كانَ بعدَ مدّةٍ تزوجَتْ جميلةُ، فلمّا زُفَّتْ لزَوجِها وقعَ عامرٌ على الوِسادة، فاعتَزَلَتْ بهِ أمُّهُ عنِ العرَبِ؛ لئلّا يرَى الزِّفافَ.

قالَ الأخفَشُ(٣) ـ وفي «نديمِ المسامرَةِ»: قالَ الأصمَعيُّ ـ: خرَجْتُ في طلَبِ ضالّةٍ لي فوقعْتُ على هذا البيتِ، فإذا عجوزٌ عليها بقيَّةُ الجمالِ ساهية متفكِّرة، وفي البيتِ شخصٌ كالخيالِ مُسجّىً عليهِ قطيفةٌ، قالَ: فسألتُها عنهُ، فقالَتْ: هوَ ولَدي،

---

(١) يُنظر الخبر مطوَّلًا في «تزيين الأسواق» للأنطاكي (ص١٠١ ـ ١٠٣)، وسمّاه في صدر كلامه: عامر بن سعيد بن راشد، وينسب إلى كعب بن الأميل الطائي، كان يهوى ابنة عمه جميلة بنت واثلة بن راشد.

ورواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٤٤٣ ـ ٤٤٤) عن محمد بن قيسٍ الأسديِّ بسياق فيه اختلاف، ولم يُسمَّ فيه الحبيبان، وذُكر في «عيون الأخبار» لابن قتيبة (٤/ ١٢٧ ـ ١٣٠)

ورواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٤٤١ ـ ٤٤٣) عن الأصمعيّ، عن أبي عمرو بن العلاء، عن رجل من بني تميم.

(٢) قوله: «الحلم» زيادة من (ط).

(٣) هو الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المجاشعي البصري، عيّنه الأنطاكي في «تزيين الأسواق» (ص١٠٢).

ولكن الذي في «منازل الأحباب» (ص١٨٠) أنه أبو الخطاب الأخفش، وهو الأكبر، واسمه عبد الحميد بن عبد المجيد مولى قيس ابن ثعلبة.

وشأنُهُ كذا وكذا، ثمَّ قالَتْ: هلْ لكَ أنْ تَعِظَهُ؟ قالَ: فوعَظْتُهُ وزهَّدتُهُ، حتَّى قلتُ لهُ: إنَّها امرأةٌ كغَيرِها، ألا ترَى كيفَ يقولُ كثيِّرُ عزَّةَ:

هَلْ وصْلُ عَزَّةَ إلا وَصْلُ غانيةٍ ... في وَصْلِ غانيةٍ مِنْ وَصْلِها خَلَفُ

فقالَ: هوَ مائقٌ ـ يعني: أحمَقُ ـ وأنا وامقٌ ـ يعني: صادقٌ[1] ـ وأنشَدَ:

ألا ما لِلمَليحَةِ لا تَعُودُ ... أبُخْلٌ بالمَليحَةِ أمْ صُدُودُ

مَرِضْتُ فعادَني عُوّادُ قَومي ... فمالَكِ لَمْ تُرَيْ في مَن يَعُودُ

فَقَدْتُكِ بَيْنَهُمْ فبَكَيْتُ شَوْقاً ... وَفَقْدُ الإلْفِ ـ يا أمَلي ـ شَديدُ

فلَوْ كُنْتِ المَريضَةَ لا تَكُوْني ... لعُدْتُكُمُ ولَوْ كَثُرَ الوَعيدُ[2]

ثمَّ فاضَتْ نفسُهُ، فجَزِعتُ، فقالتِ العجوزُ: لا تخَفْ؛ فقَدِ استَراحَ مما كانَ فيهِ، ولكِنْ إن أحبَبتَ إكمالَ الصنيعَةِ فَانعِهُ إلى الأبياتِ، ففعَلْتُ، فخرجَتْ جاريَةٌ عَليها أثرُ العُرسِ، وهيَ أجمَلُ مَن رأيتُ، فتخطَّتْ رقابَ النّاسِ حتَّى وقَعَتْ عليهِ، فقبَّلَتْهُ وأنشَدَت:

عَداني أنْ أَزُوْرَكَ يا مُنايَا ... مَعاشِرُ كُلُّهم واشٍ حَسُودُ

أذاعُوا ما عَلِمْتَ مِنَ الدَّواهي ... وعابُونا وما فيهِمْ رَشيدُ

---

(١) يقصدُ بالصِّدق صِدقَ الاتِّصاف بالمِقَة، وهي: المَحَبّةُ، وليس «صادق» تفسيراً لغوياً لـ«وامق»، يُقال: ومِقَ الشيءَ يَمِقُه مِقةً ووَمْقاً: أحَبَّه.

(٢) البيتان الأول والأخير في خبرٍ مختلف لموت عاشقَين رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى (ص٤٤٥ ـ ٤٤٦) عن الأصمعيّ، والعاشقان من طيّئ فيما حكاهُ ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٤/ ١٣٠ ـ ١٣١) عن هاشم بن حسّان، عن رجل من بني تميم، وبيت كُثيّر عزّة في «ديوانه» (ص٥٠٥).

فأمّا إذْ حَلَلْتَ ببَطْنِ أرْضٍ وقَصْرُ النّاسِ كُلِّهمُ اللُّحُودُ

فلا بَقيتْ ليَ الدُّنْيا فُواقاً ولا لهُمُ ولا أثَري عَديدُ[1]

ثمَّ خرَّتْ ميتةً، فخرجَ شيخٌ وهو يقولُ: لَئنْ لم أجمَعْ بينكُما حَيَّينِ، لأجمعَنَّ بينكُما ميِّتينِ! ودفنَهُما في قبرٍ واحدٍ، وقيلَ: أدركَتْهُ حيّاً، ثمَّ ماتا جميعاً.

***

(١) الفُوَاق: قَدْرُ ما بين الحَلْبَتَين من الرّاحةِ إذا فتح الحالبُ يَدَه، وقيلَ: إذا قَبَضَ الحالِبُ على الضَّرْعِ ثمّ أرسَلَهُ عندَ الحَلْبِ.
وقد روى ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٢٢٢) هذه الأبيات الداليّة لعفراءَ صاحبةِ عُروة بن حِزام في خبر وفاته، وذكَرها الأنطاكيُّ في «تزيين الأسواق» (ص٧٢) في ذلك الخبر.

أخبارُ الأسَديِّ وابنةِ عمِّهِ سُعدَى[١]

كانَ يهواها شديداً، ومنعَهُ أبوهُ أنْ يتزوَّجَ إلا بأرفَعَ منها؛ لأنهُ أيسَرُ منها، وأبى الغُلامُ إلا هيَ، فلمّا أيِسَ أبُوها زوَّجَها مِن رجلٍ، فاشتدَّ وجدُ الغلامِ، وأنهُ لقيها يوماً فأنشَدَ:

لعَمْريَ - يا سُعْدَى - لَطالَ تألُّمي[٢] ومَعْصِيَتي شَيْخَيَّ فيْكِ كِلَيْهما
وتَرْكِيَ ذا الحَيَّينِ[٣] لمْ أبْغِ مِنْهُما سِواكِ ولم يَرْبَعْ هَوايَ عَلَيْهِما[٤]

فأجابَتْهُ:

حَبيبيَ لا تَعْجَلْ لتفْهَمَ حُجَّتي كَفانيَ ما بيْ مِنْ بَلاءٍ ومِنْ جَهْدِ
ومِنْ عَبَراتٍ تَعْتَريني وزَفْرَةٍ تَكادُ لها نَفْسي تَسيلُ مِنَ الوَجْدِ
غُلِبْتُ على نَفْسي جِهاراً ولمْ أُطِقْ خِلافاً على أهْليْ بِهَزْلٍ ولا جِدِّ
ولَنْ يمنَعُونيَ أنْ أمُوْتَ بزَعْمِهِمْ غَداً جَوْفُ هذا الغارِ[٥] في جَدَثٍ وحْدي
فلا تَنْسَ أنْ تأتيْ هُناكَ فتَلْتَمِسْ مَكانيْ فتَشْكُوْ ما تَحَمَّلْتَ مِنْ جَهْدِ

---

(١) روى الخبر السراج في «مصارع العشاق» (١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦)، وعنه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٤٥١ ـ ٤٥٢) مطوَّلاً، وهو في «منازل الأحباب» للخفاجي (ص١٩١ ـ ١٩٢)، و«تزيين الأسواق» للأنطاكي (ص١٠٣).

(٢) كذا في الأصل و(ط)، وفي «تزيين الأسواق»: «تأيُّمي»، وهو أليق بما قبله من السياق؛ إذ التأيُّم: عدمُ التزوُّج، والأيِّم: من لا زوجَ له.

(٣) زاد في (ط): «لما»، وهي تفسد المبنى والمعنى.

(٤) لم يَربَعْ: لم ينزِلْ ويطمَئنّ.

(٥) ()في (ط): «الفار» بالفاء.

وقدْ أوضحَتْ لهُ أنها هالكَةٌ منَ الغدِ في عِشقِه، فلما كانَ الموعدُ جاءَ فوَجدَها ميتةً، فاحتمَلَها إلى شِعبٍ بذُرَى جبَلٍ يُقالُ لهُ: عَرفاتٌ ـ بفتحِ المهمَلةِ وضمِّها[1] ـ مُلتزِماً لها، فماتا[2]، واختفَى أمرُهما حولاً حتَّى مرَّ شخصٌ فسمِعَ هاتِفاً على الجبَلِ يقولُ [من الرجز]:

إنَّ الكَريمَيْــنِ ذَوي الـتَّصافـي ... الذّاهِـبَــيْنِ بالوَفــاءِ الصّافــي

واللهِ ما لاقَـيْــتُ في تَـطْوافـي ... أبْـعَــدَ مِن غَدْرٍ ومِن إخْلافِ[3]

مِــنْ مَيِّتَيْــنِ فــي ذُرَى الأعْــرافِ

فصعِدَ الناسُ، فوجَدُوهما على تلكَ الحالة، فَوارَوهُما.

* * *

(١) في الأصل و(ط): «بضم المهملة وضمها»، والتصويب من «التزيين». واسم الجبل في «المصارع» (١/ ٢٦٦) و«ذم الهوى» (ص٤٥٢):»أعراف»؛ كما في الرجز التالي.

(٢) في الأصل: «فمات».

(٣) في الأصل و(ط): «إخلافي»، وما تنبغي الياء.

أخبارُ مسعدةَ وصاحبَتِهِ رملةَ[١]

هـوَ مسـعدَةُ الصارمـي، وكانَ غلامـاً حسـنَ الوجهِ سـخيّاً شُـجاعاً، وردَ الماءَ يومـاً، فصـادَفَ جاريـةً علـى بعيـرٍ ناوَلَتْـهُ السِّـقايةَ ليَمْلأهـا، فلمّـا تناوَلَـتِ القِربـةَ انكشَـفَ البُرقُـعُ عَـن وَجـهٍ كالشـمسِ، فداخلَـهُ مـنَ الحُـبِّ ما خشـيَ معـهُ زُهوقَ نفسـهِ، وشَـكا إلـى صَديـقٍ لـهُ ما جـرَى لـهُ، وسـألَهُ عن اسـمِ الجاريـةِ فقـالَ: هيَ رَملَـةُ بنـتُ أُثيلـةَ بـنِ مِصقَـع، وأعلَمَـهُ بمكانِها، فـكانَ يمضي فـي كلِّ يـومٍ، فيقفُ حتَّـى يراهـا، فيشـكُو إلَيهـا ما عنـدَهُ مِـن حُبِّها.

قـالَ الشَّـيزَريُّ[٢]: فداخلَهـا مـنَ العشـقِ مـا داخلَـهُ، فلمّـا علِـمَ أهلُهـا بذلكَ حَجَبُوهـا، وبلغَـهُ الخبـرُ، فخـرَجَ حَياءً وخوفـاً، فرأَى حمامـاتٍ على أراكـةٍ يَنُحنَ، فهاجَـتْ بَلابلُهُ، فأنشَـدَ:

دَعَـتْ فَـوْقَ أغْصـانٍ مِنَ الأيْكِ مُوْهِناً   مُـطَـوَّقَـــةٌ وَرْقــاءُ فــي إثْــرِ آلِفِ[٣]

---

(١) روى الخبر السراج بنحوه في «مصارع العشاق» (١/ ٤٤ ـ ٤٥) لرجل من بني الصيداء لم يُسمِّه، ولم يمُت بعد موت محبوبته رملة.

وسماه الأنطاكي مسعدة بن واثلة الصارمي، ومات في ختام الخبر مطوّلاً في «تزيين الأسواق» (ص٩٢ ـ ٩٣).

(٢) فـي الأصـل و(ط): «الشـيرازي»، وأثبـتُّ مـا فـي «تزييـن الأسـواق»: وهي نسبةٌ إلى قلعة شَـيْزَر قـرب المعرّة.

ويترجّح لديَّ أنه يريدُ الأميرَ الأديب أسامة بن مُرشد بن علي ابن مُنقِذ الكنانيّ، صاحب قلعة شيزر، (٥٨٤هـ)؛ إذ إن له كتاباً اسمُه «أخبار النساء»، لم أعلَم أنه وُجد بلْهَ أن يكون حُقِّق! ولم أجد الخبر فيما عدتُ إليه من كُتبه المطبوعة، والله أعلم.

(٣) الأيك: جمع أيكة، وهي الشجر الكثير الملتفّ، والموهن: نحوٌ من نصف الليل، أو آخر ساعة منه، =

فهاجَتْ عَقابيلُ[١] الهَوَى إذْ تَـرَنَّـمَـتْ وشَبَّتْ ضِرامُ الشَّوقِ بينَ الشَّراسِفِ[٢]

ثمَّ أدركَهُ الليلُ قريباً مِن حيٍّ خَشيَ أنْ يكونُوا مِن قومِها، فنزَلَ قريباً منهُم، فسمِعَ قائلاً يقولُ:

تَمَتَّـعْ مِـنْ شَـميمِ عَـرارِ نَـجْـدٍ فـمـا بَعْـدِ العَشـيةِ مِـنْ عَـرارِ[٣]

وكانَ يرَى الطيرَةَ فارتابَتْ نفسُهُ مِن ذلكَ، وراجعَهُ القلقُ، ثمَّ أخذتهُ سِنةٌ فسمِعَ، فإذا[٤] هوَ بقائلٍ ينشِدُ ويقُولُ:

لَـنْ يَلْبَـثَ القُرَنـاءُ أنْ يَتَفَرَّقُوا لَـيْـلٌ يَكُـرُّ عَلَيْهِـمُ ونَهـارُ

لَـمْ يَبْـقَ يَوْمـاً عاشِـقانِ بحالَـةٍ إلا وقَـدْ جـاءَتْـهُما الأغْيـارُ

= والمطوَّقة: الحَمامةُ التي في عُنُقِها طَوْقٌ، وقد تُطلق على كل حمامة، والورقاء: ما خالط بياضها سواد، ويُطلَق على الحمامة والذئبة وغير ذلك.

(١) في الأصل: «عقاييل»، وفي (ط): «عقائيل»، والصواب ما أثبتُّ، والعقابيل: بقايا المرض والعِشْقِ، وبقايا العداوةِ كذلك، وهي أيضاً: الشَّدائدُ مِن الأُمور.

(٢) في (ط): «الشرائف»، والشراسف: واحدها شُرسوف، وهو غُضروف الضِّلَع.

وللبيتين ثالث فيما رواه القالي في «الأمالي» (ص٢١٣ ـ ٢١٤) لرجل من بني الصيداء دون خبَر.

(٣) العَرَار: نبتٌ طيبُ الرائحة، أو هو النَّرجِسُ البرّيّ.

وهذا البيت ثاني خمسة أبيات رواها القالي في «الأمالي» (ص٧٨) دون نسبة، وأولها:

أقـول لصاحبي والعيس تخدي بـنـا بـيـن الـمُـنيفة فالضِّمار

وقد عزا البيت الأول يتيماً صاحب «الحماسة البصرية» (٢/ ١٠٩) لمعقل بن جَناب، وقال: وتُروى لجعدة بن معاوية، وهي منسوبة في «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (ص٨٦٩) إلى الصمة بن عبد الله القشيري، وكذا نسبه ابن بري فيما ذكر ابن منظور في «لسان العرب» (٤/ ٥٦٠)، ونسبه له العباسي في «معاهد التنصيص» (٣/ ٢٥٠)، والأبيات في «ديوان الصمة» (ص١٩ ـ ٢٠).

(٤) في الأصل: «فإذ».

فقامَ فركبُ، فلمّا برقَ الفجرُ فإذا هوَ بِراعٍ ينشِدُ:

كَفَـى باللَّيالـي مُخْلِقـاتٍ لِجِـدَّةٍ وبالمَوْتِ قطّاعـاً[١] حِبـالَ القَرائـنِ

فعرَفَ صوتَهُ فقالَ: فلانٌ! ما دهاكَ؟ قالَ: قدْ ضاجَعَتْ رملَةُ الثَّرى، فسقَطَ مَغشيّاً علَيهِ[٢]، فلمّا أفاقَ أنشَدَ:

يـا راعي الضّأنِ قَـدْ ألْقَيْتَ لي[٣] كَمَداً يَـبْـقَـى ويُـقْـلِـقُني يـا راعي الضّانِ

نَعَيْـتَ نَفْسِـيْ إلـى رُوْحـي فكَيْفَ إذَنْ أبْـقَـى ونَـفْـسِيَ فـي أثْنـاءِ أكْفانِ[٤]

ولم يَزَلْ يُردِّدُ ذلكَ حتى ماتَ.

***

(١) في الأصل و(ط): «قطاع»، دون نصب، وهو لحن، وقبلَها فيهما: «مقلقات»، والتصويب من مصادر الخبر.

(٢) قوله: «عليه» ليس في الأصل.

(٣) في (ط): «بي».

(٤) في الأصل و(ط): «أكفاني»، وما تنبغي الياء إلا بتكلُّف.

أخبارُ واصفٍ ولطيفَةَ[١]

حكَى صاحبُ «النُّزهَةِ» قالَ: نشأَ شابٌّ لبعضِ التُّجارِ يُدعى واصِفاً[٢]، وكانَ كامِلَ الحسْنِ واللطافَةِ والعفَّةِ، وكانَتْ لهُ ابنةُ عمٍّ تُسمَّى لطيفَةَ، وكانَتْ غايةً في مراتبِ الجمالِ ومحاسِنِ الأخلاقِ والخصالِ، فتُوفِّي أبوها وترَكَها صغيرةً، فكفِلَها عمُّها حتَّى بلغَتْ، فكانَتْ تنظُرُ إلى ابنِ عمِّها، فيُعجِبُها إلى أنْ تمكَّنَ حبُّهُ منها، فمرضَتْ وهيَ تكتُمُ أمرَها، وكانَتِ امرأةُ عمِّها فطنَةً مجرِّبةً للأمورِ، فامتَحنَتْها فوجدَتْها تغيبُ عَن حِسِّها أحياناً، فإذا دخَلَ الغلامُ صحَّتْ والتَمسَتْ ما تأكُلُ، فأخبرَتْ أباهُ فقالَ: يا لها نعمةً!

ثمَّ زوَّجهُ بها، فأوقعَ اللهُ حبَّها في قلبِهِ، فأقاما على أحسنِ حالٍ مدَّةً، وهوَ يأمُرُها أنْ تكُونَ دائماً متزيِّنةً مُتطيبَةً، ويقولُ لها: لا أحبُّ أنْ[٣] أراكِ إلا كذا.

فلَمْ يزالا على ذلكَ حتَّى ضعُفَ الشابُّ فماتَ، فوجَدَتْ عليهِ وَجْداً عظيماً؛ بحيثُ كادَ يطيرُ عقلُها، فكانَتْ تتزيَّنُ بأنواعِ زينتِها كما كانَتْ، وتَمضي فتَمكُثُ على قبرِهِ باكيةً إلى الغروبِ.

قالَ الأصمَعيُّ: مررتُ أنا وصاحِبٌ لي بالجُبّانة، فرأيتُها على تلكَ الحالَة، فقُلنا لها: على ماذا الحزنُ الطويلُ؟ فأنشَأتْ تقولُ:

فإنْ تَسْألاني: فيْمَ حُزْنيْ؟ فإنَّني ... رَهينَةُ هذا القَبْرِ يا فتَيانِ

---

(١) روى الخبرَ السراجُ بنحوه في «مصارع العشاق» (٢/ ٨٨) ولم يُسمِّ العاشقَين، وحكاه الخفاجي في «المنازل» (ص٣٣٢ـ٣٣٣)، وقد نقل الكرميّ تسميتهما عن «تزيين الأسواق» (ص١١٤ـ١١٥).

(٢) في الأصل: «واصف».

(٣) «أن» ليس في الأصل.

وإنّي لأَسْتَحْيِيْهِ والتُّرْبُ بَيْنَنا كما كُنْتُ أسْتَحْيِيهِ وَهْوَ يَراني[١]

فعَجِبنا مِنها، ثمَّ تنحَّينا، فجلَسْنا بحيثُ لا ترانا لننظُرَ ما تصنَعُ، فأنشدَتْ:

يا صاحِبَ القَبرِ يا مَنْ كانَ يُؤنِسُني وكانَ يُكثِرُ في الدُّنْيا مُواتاتي

قد زُرْتُ قَبْرَكَ في حَلْيِيْ وَفي حُلَلي كأنَّني لَستُ مِنْ أهْلِ المُصِيْباتِ

لَزِمْتُ ما كُنتَ تَهْوى أنْ تَراهُ وَما قَدْ كُنْتَ تألَفُهُ مِنْ كُلِّ هَيْئاتي

فمَنْ رآنيْ رأى عَبْرَىٰ مُوَلَّهَةً مَشْهُوْرَةَ الزِّيِّ تَبْكي بَيْنَ أمْواتِ

ثمَّ انصرفَت، فتَبِعناها حتَّى عرَفْنا مَكانَها.

فلمّا جِئنا إلى الرَّشيدِ قالَ: حدِّثْني بأعجَبِ ما رأيتَ! فأخبرتُهُ بأمرِ الجارِيةِ، فكتَبَ إلى عامِلِهِ على البَصرةِ أنْ يُمْهِرَها عشرةَ آلافِ درهمٍ، ففعَلَ ووجَّهَ بها إليها وقدْ أنهكَها السّقمُ، فتوفّيتْ بالمدائنِ، قالَ الأصمعيُّ: فلَمْ يذكُرْها الرَّشيدُ مرّةً إلا وذرَفَتْ عيناهُ.

***

---

(١) هذا البيتان يُذكران في خبر لسليمان بن عبد الملك ويزيد بن المهلب مع امرأة تبكي على قبر في بعض جبابين الشام؛ يُنظر: «التذكرة الحمدونية» (٣/ ٢٩).

والبيت الثاني بصيغة المخاطَب منسوبٌ في «طبقات الشعراء» لابن المعتز (ص٤٠٣) لأخي بني أسد.

أخبارُ هندٍ وبشرٍ[١]

وهيَ قصةٌ قدِ اشتُهرَتْ إلى أنْ أُفردَتْ بالتأليفِ، وحاصِلُها أنَّ بشراً رجلٌ مِن أسَدٍ ذكرَهُ الحافظُ ابنُ حجرٍ، وهندٌ جُهنيَّةٌ[٢]، قيلَ: ذُكرَتْ في حديثٍ ساقطٍ، وكانَتْ بالمدينةِ في ممرِّ بِشرٍ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فعلِقتْهُ وتعرَّضَتْ إليهِ بمُراسلاتٍ بأشعارٍ كلُّها موضوعَةٌ؛ أي: مكذوبةٌ، ولذلِكَ لمْ أذكُرْها هُنا[٣].

فلمّا رأى بشرٌ إلحاحَها هجَرَ الممرَّ، وصارَ يأتي مِن غيرِهِ فلَزِمَتِ الوسادةَ، وهمَّ زوجُها أنْ يدعُوَ لها الأطبّاءَ فنهَتْهُ وقالَتْ: أنا أعرَفُ!

فلما علِمَتِ الطريقَ التي يمرُّ مِنها بِشرٌ أخبرَتْ زوجَها: أنَّها رأتْ في نَومِها: أنها متَى سكَنَتْ في مَوضِعِ كذا شُفِيَت، فنَقَلَها مِن وقتِها، فكانَتْ تنظُرُ إليهِ، فَبَرِئتْ، وأطلعَتْ عَجُوزاً على أمرِها، فوعدَتها أنْ تجمَعَها بهِ، ثمَّ وقفَتْ له، فسألَتْهُ أن يقرأَ لها كتاباً أو يكتُبهُ، ففعَلَ وهندٌ تسمَعُ.

---

(١) روى الخبر السراج بنحوه في «مصارع العشاق» (٢/ ٢٣٥ ـ ٢٤٠) بإسناده إلى أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، وهو البغدادي البزّاز (٣٥٤هـ) صاحب «الغيلانيات» بإسناده عن أبي سعد، عن أبيه، الخبرَ مطوَّلاً وفيه شعرٌ كثير.

وقد ذكر ابن الأثير في «أسد الغابة» (٦/ ٢٩٠) أنه روى القصة أبو بكر الشافعي بإسناده عن ابن سعد [كذا]، عن أبيه، ثم قال: ذكرها جعفر المستغفري، وأخرجها أبو موسى، يعني: المديني في «الذّيل»، عن المستغفريّ، عن الحسن بن محمد بن أبي عبد الله بن محفوظ السّمرقنديّ، عن أبي بكر الشّافعيّ، بإسناده المذكور؛ كما في ترجمة الحافظ ابن حجر لهند الجهنية في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٨/ ٣٤٩)، وكان ترجم (١/ ٤٤٠) لبشر صاحب هند عن المصادر المذكورة.

وسياق الكرمي من «تزيين الأسواق» (ص١٧٧ ـ ١٧٨).

(٢) في (ط): «جهينية».

(٣) هذا السياق قريب من سياق «التزيين»، وليس للحافظ ابن حجر، فليُتنبَّهْ.

ثمَّ قالَتْ لهُ العجوزُ: أراكَ مَسحُوراً وما قلتُ لكَ إلا عَن يقينٍ، ثمَّ وعدَتهُ أنْ يأتيها يوماً؛ لتنظُرَ في أمرِهِ، وقالَتْ لهندٍ: قدْ سمِعتِ فتهيَّئي، فلمّا خرجَ زوجُها إلى بعضِ القُرى، وقدْ وعدَتِ العجوزُ بِشراً فجاءَ، فحينَ جلسَ أدخلَتْ هِنداً عليهِ، وأغلقَتِ البابَ فجاءَ زوجُها، فحينَ رآهُ طلَّقَها، ثمَّ مضَى بهِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ، سلْ هذا: لمَ دخَلَ بيتي؟ فقالَ بِشرٌ: والذي بعثَكَ بالحقِّ ما كفَرتُ منذُ أسلَمْتُ، ولا زنَيتُ منذُ[1] عرَفتُكَ، ولكِنَّ القصةَ كذا وكذا، فأدَّبَ العجوزَ وقالَ: أنتِ أصلُ البليَّةِ، وانصرَفُوا.

فلَمْ يمكُثْ بشرٌ حتَّى ابتُلِي بحبِّ هندٍ، وراسَلَها، فامتنعَتْ، فلَمْ يزَلْ[2] حتَّى ماَت، فجاءَت[3]، فحينَ رأَتهُ سقطَتْ ميتةً، ودُفِنا معاً، كذا قيلَ، فجاءَتِ العجوزُ إلى النبيِّ ﷺ مُعتذرَةً وأخلَصَتْ توبَتَها.

* * *

---

(١) في الأصل: «مذ».

(٢) زاد في (ط): «ذلكَ دأبُهُ»، وليس في «التزيين»، فرجّحتُ حذفه.

(٣) في (ط): «فجأة».

أخبارُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ مع جاريةِ زوجتِهِ فاطمَةَ بنتِ عبدِ الملكِ[١]

كانَ لفاطمَةَ زوجتِهِ جاريةٌ، وزادَ فيها غرامُه، فطلَبَها منها، فأبَتْ عليهِ، فلمّا أفضَتْ إليهِ الخلافةُ زيَّنَتْها بأنواعِ الزينَةِ، ثمَّ قالَتْ: يا أميرَ المؤمِنينَ، قدْ كنتُ أمسكْتُ هذِهِ عنكَ، والآنَ فقَدْ وهبتُها لكَ، فسُرَّ بها سُروراً بالغاً، ثمَّ قالَ لها: اخلَعي ثيابَكِ، فحينَ همَّتْ أجلَسَها، ثمَّ قالَ لها: مِن أينَ جيءَ بكِ في الأصلِ؟ قالَتْ: غصَبَ الحجّاجُ مالَ عاملٍ، فاصطَفاني منهُ، فأرسلَني لعَبدِ الملكِ، فوهَبَني لابنتِهِ فاطمةَ، فقالَ: أحيٌّ هوَ؟ قالَتْ: لا، قالَ: هلْ لهُ ورَثةٌ؟ قالَتْ: لهُ ولدٌ!

فأحضرَهُ وأمرَهُ أنْ يذكُرَ ما أغرَمَ[٢] الحجّاجُ أباهُ، فذكرَهُ، فأعطاهُ عمرُ جميعَ ذلكَ معَ الجاريةِ، وقالَ لهُ: احذَرْ أنْ يكونَ أبوكَ[٣] نالَها، فقالَ: هيَ لكَ يا أميرَ المؤمِنينَ! فأبى، فقالَ: اشتَرِها، فأبى، فقالَتِ الجاريةُ: أينَ وجدُكَ بي يا أميرَ المؤمِنينَ؟! فقالَ: قدْ زادَ، ولكنّي أنهى النفسَ عنِ الهوَى، رضيَ اللهُ تعالى عنهُ، وقدَّسَ روحَهُ آمينَ.

* * *

---

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٧٧). وقد روى خبرَ عمرَ بنِ عبد العزيزِ الفَسَويُّ في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٦٠١)، ومن طريقه ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/ ١٩٥)، ورواه أيضاً الخرائطيُّ في «اعتلال القلوب» (٧٠)، ومن طريقه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٧٨ ـ ٧٩)، وذكره ابن القيم في «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» (ص٥١٣ ـ ٥١٥) وصدّره بقوله: وهذا عمر بن عبد العزيز وعشقه مشهور لجارية فاطمة بنت عبد الملك.

(٢) في (ط): «غرّم».

(٣) في (ط): «أباك».

أخبارُ محمَّدِ بنِ داودَ الظاهِريِّ مع صاحبِهِ محمدِ بنِ جامِعٍ الصيدَلانيِّ[١]

هـوَ أبـو بكـر بـنُ محمـدِ ابـنُ الإمـامِ المجتهِـدِ داودَ الظاهـريُّ الأصفَهانـيّ، وكانَ لبيباً حاذِقـاً وفقيهـاً[٢] شـاعِراً، ولهُ فـي فقهِ الظاهريـةِ والأحاديـثِ والتواريخِ اليـدُ الطُّولى.

قالَ الخطيبُ: إنهُ كانَ ملازِماً للهوَى ومتعلِّقاً بِهِ منذُ دخَلَ المكتبَ، وإنهُ شرعَ في تأليفِ كتابِ «الزهرَةِ»[٣] جمعَ فيهِ ظرائفَ العُشّاق ولطائفهُمْ، وصاحبُهُ

---

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٥٩ ـ ١٦١).

ولمحمد بن داود الظاهري (٢٩٧هـ) ترجمة حافلة في «تاريخ بغداد» للخطيب (٣/ ١٥٨ ـ ١٦٧) عنها أخذ من ترجم له بعده كابن الجوزي في «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١٣/ ٩٨ ـ ١٠١)، وكالذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ١٠٩ ـ ١١٦)، والخفاجي في «منازل الأحباب» (ص٩٥ ـ ٩٨).

ويُنظر: «الجواب الكافي» لابن القيم (ص٥١٥ ـ ٥١٩)، وصدره بقوله: وهو من أكابر العلماء، وعشقه مشهور.

وقد قال ابن الجوزيّ في «ذم الهوى» (ص١٤٠): فإن قال قائل: قد صرّح هذا الرجلُ بأن النظر مُباح، فما تقول في ذلك؟

فالجواب: أنه إنما يباح النظر إلى الأمرد مع عدم الشهوة، فإن عدمت لكنه يخاف أن تثور بالنظر فلأصحابنا فيه وجهان، ومتى كان الطبع صحيحاً فالشهوة قائمة والتحريم ملازم، فمن ادعى أنه لا يشتهي فهو كذاب، فلو قدّرنا صدقه كان بهيمةً لا آدميّاً، وظاهر قول ابن داود يدُلُّ على أنه لم يرَ النظر محرَّماً، ولقد أخطأ في ذلك، وجر عليه خطَوُّه التَّلَفَ بعد اشتهاره بين الناس وافتضاحه، ولو أن هذا الرجل غض بصره أول مرة لتخلّص، لكنه لم ير أن الحرام سوى الفاحشة! ا.هـ.

(٢) في (ط): «فقيهاً».

(٣) وكتابه هذا مطبوع متداول.

هوَ محمدُ بنُ جامعٍ الصيدلانيُّ، كانَ يبيعُ العطرَ ببغدادَ وكانَ مِن أجملِ أهلِ زمنهِ، فعلِقَهُ محمدُ بنُ داودَ فكانَ لهُ أُلوفاً، وعليهِ عطُوفاً، وبهِ رؤوفاً، واشتُهرَ أمرُهما فلَمْ يُنكِراه[١]، واتضَحَ فلم يخفياهُ[٢].

وكانَ ينفِقُ عليهِ، قالُوا: ولمْ يُعلَمْ ـ فيما سلفَ ـ مَعشوقٌ أنفقَ على عاشقٍ سوَى ابنِ جامعٍ[٣].

ومِن لطفِ ابنِ داودَ: أنهُ كانَ يدخُلُ الجامعَ مِن بابِ الورّاقينَ، فهجرَهُ أياماً، فسُئِلَ[٤] في ذلكَ، فقالَ: دخلْتُ يوماً فرأيتُ متَحابَّينِ يتحادثانِ، فتفرَّقا مُذ رأياني، فأحبَبتُ أنْ لا أدخُلَ مِن مكانٍ فرَّقتُ فيهِ بينَ المحبِّينَ[٥].

وكانَ يجتمِعُ معَ ابنِ سُريجٍ الشافِعيِّ في مجلسِ الوزيرِ ابنِ عيسَى[٦]،

---

(١) في (ط): «ينكر».

(٢) هذه عبارة الأنطاكي في «تزيين الأسواق» (ص١٥٩)، ويُنظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ١٦٣ ـ ١٦٤).

(٣) «تزيين الأسواق» (ص١٦٠)، وهو بنحوه قول محمد بن إبراهيم بن سكرة القاضي؛ رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٦٤).

(٤) سقط في (ط) قلوه: «فسئل».

(٥) أخرجه السراج في «مصارع العشاق» (١/ ٣٢٧)، ومن طريقه ابن الجوزي في «ذم الهوى (ص١٤٠)، والسياق للأنطاكي في «التزيين» (ص١٦٠).

(٦) كذا في «تزيين الأسواق» (ص١٦٠)، وأتمّ اسمَهُ ابْنُ أبي حَجلة في «ديوان الصبابة» (ص٢٥٥)، وابن القيم في «الداء والدواء» (١/ ٥١٧)، وهو علي بن عيسى بن داود بن الجراح، أبو الحسن، وزير المقتدر بالله والقاهر بالله، (٣٣٤هـ)، ترجمه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٤٥٩).

إلا أن الخطيب قد روى في «تاريخه» (٣/ ١٦٤ ـ ١٦٥) هذا الخبر بين ابن داود وابن سريج في مجلس القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، وهو الأزدي مولى آل جرير بن حازم (٣٢٠هـ)، وقد =

فتناظَرا يوماً في مسألةٍ، فقالَ لهُ ابنُ سريجٍ: أنتَ - أعزَّكَ اللهُ - بكتابِ «الزهرَةِ» أمسُّ مِن غيرِهِ[1]، فقالَ: أبكِتابِ «الزهرَةِ» تُعيرُني؟ واللهِ لا تصلُحُ للنظَرِ فيهِ، ألَمْ أقُل فيهِ:

أَنزِّهُ في رَوْضِ المحاسِنِ مُقْلَتي وأَمْنَعُ نَفْسي أنْ تَنالَ المُحَرَّما
وأَحْمِلُ مِنْ ثقلِ الهَوَى ما لَوَ انَّهُ[2] على جامِدِ الصَّلْدِ[3] الأصَمِّ تهَدَّما
ويَظْهَرُ سِرِّي عَنْ مُتَرْجِمِ خاطِري فلَولا اخْتِلاسُ الطَّرْفِ عَنهُ تَكَلَّما
رأَيْتُ الهوَى دَعْوَىٰ مِنَ النّاسِ كُلِّهِمْ فما إنْ أرَى حُبّاً صَحيحاً مُسَلَّما[4]

فقالَ لهُ ابنُ سُرَيجٍ: بمَ تفتخِرُ عليَّ؟ ولو شئتُ لقلتُ:

ومطاعِمٍ كالشَّهْدِ مِنْ نَغَماتِهِ[5] قَدْ بِتُّ أمْنَعُهُ لَذيذَ سُباتِهِ

= ترجمه في (٤/ ٦٣٥).

والمناظرُ لابن داودَ هو الإمام، شيخ الإسلام، فقيه العراقَين، أحمدُ بن عمر بن سريج، أبو العباس، القاضي البغدادي، شيخ الشافعية، (٣٠٦هـ)، ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٠١ - ٢٠٥)، و«طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي (٣/ ٢١ - ٣٩).

(١) كذا في الأصل و(ط) وفي «تزيين الأسواق»، بمعنى: أكثر قرباً ولصوقاً بمذهبك الظاهري، في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٦٥): أمهَرُ منك في هذه الطريقة.

(٢) أُسقطت ألف الهمزة في الأصل، ووُصلت الهمزة المقطوعة لضرورة الوزن.

(٣) في الأصل: «الصلت». والصلدُ: الصُّلْب الأملس.

(٤) أخرج هذه الأبيات الخطيبُ البغداديُّ في «تاريخه» (٢/ ١٨٢ - ١٨٣) من إنشاد الإمام أبي علي الروذباري الصوفي في ترجمته دون نسبة ولا خبر، وعنه رواها السراج في «مصارع العشاق» (٢/ ٢٢٢)، والسياقُ للأنطاكي في «تزيينه» (ص١٦٠).

(٥) مطلع البيت في «التزيين» (ص١٦٠): «ومسامر بالشهد»، وصدرُ البيت «تاريخ بغداد» (٣/ ١٦٥) =

صَبّاً بِهِ وبحُسْنِهِ وحَديثِهِ ... وأُنَزِّهُ اللَّحظاتِ في وَجَناتِهِ
حتَّى إذا ما الصُّبْحُ لاحَ عَمُودُهُ ... ولَّى بخاتمِ رَبِّهِ وبَراتِهِ

فقالَ ابنُ داودَ: ليحفَظْ مَولانا الوزيرُ قولَهُ حتَّى يقيمَ بيِّنةً بالبراءةِ!

فقالَ ابنُ سريجٍ: يلزَمُني في ذلِكَ ما يلزمُكَ في قولِكَ:

أنزِّهُ في روضِ المحاسِنِ...

فقالَ الوزيرُ: لقَدْ حَوَيتُما ظُرفاً وعِلماً.

قلتُ: وهذا منهُما مجرَّدُ مُباسطةٍ ومُؤانسةٍ، وإلا فالمرءُ يُقبلُ قولُهُ بلا يمينٍ فيما يتعلَّقُ بالدِّياناتِ، ولا يحتاجُ في ذلكَ إلى بيِّنةٍ؛ لأنهُ أمينٌ على نفسِهِ.

ومِن لُطفِ ابنِ داودَ أنهُ سُئلَ يوماً[1]:

يا ابْنَ داوُدَ يا فَقيهَ العِراقِ ... أفْتِنا في فَواتِكِ الأحْداقِ
هَلْ عَلَيْها بما جَنَتْ مِنْ جُناحٍ ... أمْ حَلالٌ لها دَمُ العُشّاقِ

فكتَبَ الجوابَ بخطِّهِ تحتَ البيتَينِ:

عِنْدي جَوابُ مَسائلِ العُشّاقِ ... فاسْمَعْهُ مِنْ قَرِحِ الحَشا مُشْتاقِ
لمّا سألْتَ عَنِ الهَوَى هَيَّجْتَني ... وأرَقْتَ دَمْعاً لم يَكُنْ بِمُراقِ
إنْ كانَ مَعْشُوقٌ يُعَذِّبُ عاشِقاً ... كانَ المُعَذَّبُ أنْعَمَ العُشّاقِ[2]

= وأكثر مراجع الخبر:

ومُساهِرٍ بالغُنْجِ مِن لَحَظاتِهِ

(١) في (ط): «أنه سأله سائلٌ قائلًا هذين البيتَين».

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٦٠)، وقد رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٦٠)، وعنه =

وفي روايةٍ: أنه أجاب بقوله:

كَيْـفَ يُفْتيكُـمْ قَتيـلٌ صَريعٌ بِسِهامِ الفِراقِ والإِشْتياقِ

فقَتيلُ التَّلاقِ أحْسَنُ حالاً عِنْدَ ابنِ داوُدَ مِنْ قَتيلِ الفِراقِ[1]

ولهُ ـ رحمَهُ اللهُ ـ في الهوى الأشعارُ الكثيرةُ الرائقةُ منها [من البسيط]:

أشْكُو عَليلَ[2] فُؤادٍ أنْتَ مُتْلِفُهُ شَكْوَى عَليلٍ إلى إلْفٍ يُعَلِّلُهُ

سُقْمي تَزيدُ معَ الأيّامِ كَثْرَتُهُ وأنْتَ في عُظْمِ ما ألْقَى تُقَلِّلُهُ

اللهُ حَرَّمَ قَتْلي في الهَوَى سَفَهاً وأنْتَ ـ يا قاتِلي ـ ظُلْماً تُحَلِّلُهُ[3]

ومِنها [من الطويل]:

حَمَلْتُ جِبالَ[4] الحُبِّ فيْكَ وإنَّني لأعْجَزُ عَنْ حَمْلِ القَميصِ وأضْعَفُ

= السراج في «مصارع العشاق» (٢/ ١١٩) و(٢/ ٢١٣).

(١) في الأصل و(ط): «عند ابن داود»، وزيادة «ابن» تُفسد الوزن.

وقد ذكر هذه الرواية ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٦١) عن ابن أبي الدنيا أنه حضر مجلس ابن داود قال: فجاءه رجل فوقف عليه ورفع له رقعة، فأخذها وتأملها طويلاً، وظن تلامذته أنها مسألة، ثم قلبها وكتب على ظهرها وردها إلى صاحبها، فنظرنا فإذا الرجل عليُّ بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور، وإذا في الرقعة، وذكر بيتَي السؤال، وهذين البيتين.

(٢) في الأصل و(ط): «عليل» بالمهملة، والصواب ما أثبتُّ وفاقاً لمصدره.

(٣) روى هذه الأبيات الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٦٠) في خبر.

(٤) في الأصل: «حبال».

ومـا الحُبُّ مِنْ حُسْـنٍ ولا مِنْ سَماحةٍ ولـكِـنَّـهُ شَـيءٌ بـهِ النَّفْسُ تَكْلَفُ[١]

ومِنها:

انظُـرْ إلـى السِّـحْرِ يجْري فـي لَواحِظِهِ وَانْـظُرْ إلى دَعَـجٍ في طَرْفِهِ السّـاجي

وانْظُـرْ إلـى شَـعَراتٍ فَـوْقَ عارِضِهِ كـأنَّـهُـنَّ نِـمـالٌ دَبَّ فـي عـاجِ

ومِنها:

مـا لهُـمْ أنْكَـرُوا سَـوادا بخَدَّيـ ـهِ ولا يُنكِـرُونَ وَرْدَ الغُصُـونِ

إنْ يَكُـنْ عَيْـبُ خَـدِّهِ بَـدَّدَهُ الشَّعرُ فـعَيْـبُ العُيُـونِ شَـعْرُ الجُفُـونِ

فقيلَ له: أنكَرتَ القياسَ في الفقهِ وأثبتَّهُ في الشِّعرِ؟ فقالَ: غلَبَ الحبُّ[٢].

ومنْها:

يـا يُوسُـفَ الحُسْـنِ تَمْثِيـلاً وتَشْبِيهاً يـا طَلْعَـةً ليـسَ إلا البَـدْرُ يَحْكيهـا

مَـنْ شَـكَّ في الحُوْرِ فَلْيَنْظُـرْ إلَيْكَ فَما صِـيْـغَـتْ مَـعـانِيْكَ إلا مِن مَعانيها

مـا لِلبُـدُورِ ولِلتَّحْـذيفِ يـا أَمَـلـي نُورُ البُـدُورِ عَـنِ التَّحْذيـفِ يُغْنِيهـا[٣]

إنَّ الدَّنانيـرَ لا تُجْلَـى وإنْ عَـتِـقَـتْ ولا يُـزادُ علـى النَّقْـشِ الَّـذي فيهـا[٤]

قـالَ إبراهيـمُ بـنُ محمـدٍ: دخلْـتُ على محمـدِ بـنِ داودَ فـي مرضِـهِ الـذي

---

(١) روى البيتَين الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٦٣).

(٢) روى ذلك الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٦٧) في خبر موت ابن داود رحمه الله.

(٣) التحذيف: التزيين.

(٤) روى هذه الأبيات الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٦٣).

مـاتَ فيهِ سـنةَ سـبعٍ وتسـعينَ ومِئتيـنَ فقلْتُ: كيـفَ تجدُكَ؟ فقـالَ: حبُّ مَـن تعلَمُ أورثَنـي مـا ترى، فقلـتُ: ما منعَـكَ منَ الاسـتمتاعِ بهِ مـعَ القُـدرةِ عليهِ؟ فقـالَ: أما النظـرُ المُبـاحُ فأورَثَني ما تـرَى، وأما اللَّـذَّةُ المحظورَةُ فإنـهُ مَنعَني منهـا ما حدَّثني بـهِ أبي قـالَ: رُوي عنِ ابـنِ عبّاسٍ عـنِ النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ عشِـقَ وكتَمَ، وعـفَّ وصبرَ، غفَـرَ اللهُ لـهُ وأدخلَـهُ الجنَّـةَ»[1]، وفي لفظٍ: «مَن عشِـقَ فعـفَّ فماتَ دخَـلَ الجنَّةَ»، وفي لفـظٍ: «ماتَ شَـهيداً»[2].

وهذا الحديثُ تنازَعَ فيهِ الأئمةُ، فبعضُهمْ جعلَهُ مَوضُوعاً، وبعضُهُمْ لا، والصوابُ أنهُ صحيحٌ مِن بعضِ الطُّرقِ، وقدْ صحَّحَهُ مُغْلَطايُ وغيرُهُ، وأعلَّهُ البَيهقيُّ والحاكِمُ في «التاريخِ»، بضَعفِ سُويدٍ[3].

---

(١) إبراهيم بن محمد هو ابن عرفةَ نفطويه النحويّ، صرّح باسمه الخطيب في رواية خبر وفاة ابن داود الذي رواه في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٦٥ ـ ١٦٦) إلى هنا بهذا اللفظ، وفيه سياقةُ إسناد الحديث إلى ابن عباسٍ رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) هو لفظ بعض رواياتٍ أسندَها ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٣١٤ ـ ٣١٥)، وللحديث ألفاظ مقاربة أخرى.

(٣) ذكر الكرمي ـ رحمه الله ـ في كتابه «الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة»، ثم قال: حديث موضوع، وأنكره ابن معين، ولكنه صحّ من طريق آخر. ا.هـ. ولم يبيّن الطريق الآخر.

فلعله يريد ما رواه السراج في «مصارع العشاق» (١/ ١٠٣) عن الزبير بن بكار بإسناده عكرمة عن ابن عباس موقوفاً بلفظ قريب، قال الزركشي في «التذكرة في الأحاديث المشتهرة» (ص١٨٠): وهو إسناد صحيح، وقال ابن الملقن في «البدر المنير» (٥/ ٣٧٢): هذه متابعة حسنة! وكان ذكر قبلَها إنكارَ الحاكم النيسابوري هذا الحديثَ في كتابه «تاريخ نيسابور»، وذكر إنكار البيهقي، لم أهتدِ إليه في مطبوع كتب أيٍّ منهما، والله أعلم.

وقد ذُكر هذا الحديث في عدَد من كتب الموضوعات، مثل «تذكرة الموضوعات» لابن =

= طاهر المقدسي (ص٩١)، و«تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» لابن عراق الكناني (٢/ ٣٦٤)، و«الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» لملا علي القاري (ص٣٥٢ ـ ٣٥٣)، وغيرها.

وقد أسند ابن الجوزي هذا الحديثَ من طُرق عديدةٍ بألفاظ مختلفة في كتابه «ذم الهوى» (ص٣١٢ ـ ٣١٥)، وأورد منها في «العلل المتناهية» (١٢٨٦) و(١٢٨٧).

ورواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (١٠٦) عن شيخه أبي يوسف يعقوب بن عيسى من ولد عبد الرحمن بن عوف بإسناده إلى ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، مرفوعاً، ومن طريق الخرائطيّ رواه ابنُ الجوزي في «ذم الهوى» (ص٣١٢)، وفي «العلل المتناهية» (١٢٨٨)، ونقل عن الإمام أحمد بن حنبل قال: يعقوب ليس بشيء.

ورواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٥٠١ ـ ٥٠٢) من طريق سويد بن سعيد، قال: حدثنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، مرفوعاً، وقال: رواه غير واحد، عن سويد، عن علي بن مسهر، عن أبي يحيى القتّات، عن مجاهد، عن ابن عباس، وهو المحفوظ.

وقد قال ابن القيم في «الداء والدواء» (ص٥٦٩): والصواب في الحديث أنه من كلام ابن عبّاس رضي الله عنهما موقوفًا عليه، فغلِط سويد في رفعه، ثم قال (ص٥٧١): وكلام حفاظ الإسلام في إنكار هذا الحديث هو الميزان، وإليهم، يُرجَع في هذا الشأن. وما صحّحه، بل ولا حسّنه أحدٌ يُعوَّل في علم الحديث عليه، ويُرجَع في التصحيح إليه؛ ولا مَن عادتُه التساهل والتسامح، فإنّه لم يُطنِّف نفسَه له، ويكفي أن ابنَ طاهر الذي يتساهَل في أحاديث التصوف، ويروي منها الغثَّ والسمين والمنخنقة والموقوذة قد أنكَرَه وحكَمَ ببطلانه، نعم، ابنُ عبّاس غير مستنكَر ذلك عنه. ا.هـ.

وأما تصحيح الحافظ مغلَطاي (٧٦٢هـ) لهذا الحديث ففي كتابه «الواضح المبين» (ص١٩)، وللشيخ أحمد بن الصديق الغماري (١٣٨٠هـ) رسالة «درء الضعف عن حديث من عشق فعف» تكلّف فيها ما أراد، والله تعالى أعلم.

أخبارُ القاضي شَمسِ الدينِ بنِ خَلِّكانَ وصاحِبِه أحمدَ[١]

وهوَ[٢] أحمدُ بنُ مسعُودٍ ابنُ الملكِ المظفَّرِ صاحبِ حماةَ، ولهُ معهُ حِكاياتٌ غريبَةٌ.

وسببُ تعلُّقِهِ بِهِ أن أباهُ دعاهُ ليلةً، فجلَسا يتحادثانِ، وخرجَ الغلامُ وعليهِ ثوبٌ أسودُ، وقدْ شدَّ وسطَهُ بمنديل مُطرَّزٍ بالذهبِ، وفي يدِهِ شَمعَةٌ ومعَهُ دينارٌ، فجلَسَ ليتناوَلَ مِن أبيهِ سكرجةً، فسقَطَ الدينارُ، فأقامَ الشَّمعَةَ ليَنظُرهُ، فالتهَبَتْ نارُ عشقِهِ في قلبِهِ، وخرَجَ وكتمَ ذلكَ أياماً، فمَرِضَ واشتدَّ بِهِ الحالُ، فأرسَلَ المظفَّرُ ولدَهُ يعودُهُ، فحينَ رآهُ وثَبَ قائماً، كأنْ لم يكُنْ بِهِ مرضٌ، وكانَ الغلامُ حاذِقاً، فعرَفَ ذلكَ منهُ، فأخبرَ أباهُ بذلِكَ، فحجبَهُ، فقالَ مَن رأى القاضي بعدَ ذلكَ: إنهُ كانَ يبيتُ الليلَ إلى الصباحِ لا يعرِفُ النومَ.

وحكي أنهُ كانَ بعدَ حَجْبِهِ لا يركَبُ إلا يومَ المَوكِبِ، وأنَّ القاضيَ كانَ يقصِدُهُ مُستَخفِياً فينظُرُ إليهِ، فبلَغَ أباهُ فمَنَعَهُ المَوكِبَ، فكتَبَ إليهِ ابنُ خَلِّكانَ يقولُ:

يا سادَتي إنّي قَنَعْتُ وحَقِّكُمْ ... في حُبِّكُمْ مِنكُمْ بأيسَرِ مَطْلَبِ
إنْ لم تَجُودُوا بالوِصالِ تَعَطُّفاً ... ورأيْتُمُ[٣] هَجْري وفَرْطَ تَجَنُّبي
لا تَمنَعُوا عَيْني القَريحَةَ أنْ تَرَى ... يَوْمَ الخَميسِ جَمالَكُمْ في المَوكِبِ

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٦١ ـ ١٦٢).

(٢) في (ط): «هو».

(٣) في الأصل و(ط): «ورأيتموا» كذا.

قَسَماً بوَجْهِكَ وَهْوَ بَدْرٌ طالِعٌ ... وبِلَيْلِ طُرَّتِكَ التي كالغَيْهَبِ

لَوْ لمْ أكُنْ في رُتْبَةٍ أرْعَى بها الـ ... ـعَهْدَ القَديمَ صِيانَةً للمَنْصِبِ

لهتكْتُ سِرّي في هَواكَ ولَذَّ لي ... خَلْعُ العِذارِ ولَوْ ألَحَّ العَذْلُ بي[1]

***

(١) روى الأبيات مطوَّلةً ابنُ شاكر في «فوات الوفيات» (١/ ١١٢ ـ ١١٣)، والصفدي في «الوافي بالوفيات» (٧/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤)، وابنُ حجة في «ثمرات الأوراق» (بهامش «متطرف الأبشيهي») (١/ ٢٩ ـ ٣٠).

ونقلوا جميعاً قول القاضي جمال الدين عبد القاهر التبريزي: كان الذي يهواه القاضي شمس الدين ابن خلكان الملك المسعود ابن الزاهر صاحب حماة.

أخبارُ مُدركٍ الشَّيْبانيِّ وصاحبِهِ عمرٍو[1]

هوَ مُدرِكُ بنُ عليٍّ الشَّيْبانيُّ، نسبةً إلى بني شَيبانَ، عُرِفَ ببادِيةِ البصرَةِ، دخَلَ بغدادَ صَغيراً، ونشأَ بها فتفقَّهَ وأحسَنَ العربيةَ والأدبَ والخطَّ، وعمرٌو صاحبُهُ هوَ ابنُ يُوحنّا النَّصرانيُّ البغداديّ، كانَ بدارِ الرُّومِ منَ الجانبِ الشرقيِّ، وكانَ عمرٌو يحضُرُ مجلسَه، فعشِقَهُ مُدركٌ وزادَ فيهِ وَجدُهُ، فألقَى إليهِ يوماً رُقعةً فيها:

بِمَجالِسِ العِلْمِ الَّتي ... بِكَ تَمَّ جَمْعُ جُمُوعِها

إلّا رَثَيْتَ لِمُقْلَةٍ ... غَرِقَتْ بِماءِ دُمُوعِها[2]

فاطَّلَعَ الحاضِرونَ عَليها، فاستحَى عمرٌو مِن ذلكَ، وانقطَعَ عَنِ المجلِسِ، فكانَ مُدرِكٌ يلزَمُ دارَ الرُّومِ ويتبَعُ عَمْراً، وزادَ بهِ الوسواسُ حتَّى اختلَطَ عقلُهُ ولزِمَ الفراشَ، ودخَلَ عليهِ الناسُ يعودُونَهُ، فقالَ: أما بَيني وبينكُمْ حُرمَةٌ

---

(١) قوله: «الشيباني» زيادة من (ط).

ويُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٦٣ ـ ١٧٠)، أكثرها في ذكر الأرجوزة المزدوجة وشرحِها.

وقد روى خبرَه السراج في «مصارع العشاق» (١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣)، وكرره في (٢/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩)، ومن طريقه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٤٧١) باختلاف، وترجم له ياقوتٌ «معجم الأدباء» (٦/ ٢٦٩٢ـ٢٦٩٨).

وسماه التنوخي في «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» (٤/ ٢٦٥) أبا القاسم مدرك بن محمد الشيباني، وقال: إنه أنشده لنفسه في عمرو النصراني، وروى الأرجوزة الطويلة (٤/ ٢٦٥ ـ ٢٧٥)، وعن التنوخي روى السراجُ في «مصارع العشاق» (٢/ ١٧٠ ـ ١٧٥).

(٢) سقط هذا البيت في (ط).

وعِشْـرةٌ؟ أمـا فيكُـم مَـن يرحَمُنـي بالنظَرِ إلـى عَمـرٍو؟ فمَضَوا إليـهِ، فلمـا أعلمُوهُ بحالـهِ ومـا صارَ إليـهِ مضَـى معهُم، فحينَ سـلَّمَ عليـهِ أُغمي عليـه، ثمَّ أفـاقَ وأخذَ بيدِهِ وأنشَـدَ:

أنـا[1] فـي عافـيـةٍ إلّا ... مِـنَ الشَّـوقِ إلَيْـكَا[2]

أيُّهـا العائـدُ مـا بِـيْ ... مِنْكَ لا يَخفَـى عَلَيْـكَا

لا تَعُـدْ جِسْـماً وعُـدْ قَلـ ... ـباً رَهـينـاً في يَدَيْـكَا

كَيْـفَ لا يَهْلِـكُ مَرْشُـو ... قٌ بسَهْمَـي مُقلَتَـيكَا

ثمَّ شهقَ شهقةً فماتَ.

ومِن أشعارِهِ المشهورةِ قَصيدَتهُ المعرُوفةُ بالمزدَوجَةِ، وقدْ خمَّسها الحلّيُّ، وهيَ مشهُورةٌ، مِنها:

مَـنْ عاشِـقٌ نـاءٍ هَـواهُ دانـي ... نـاطِقُ دَمْـعٍ صامِـتُ اللِّسـانِ

مُوْثَـقُ[3] قَلْـبٍ مُطْلَقُ الجُسْمانِ ... مُـعَـذَّبٌ بـالـصَّـدِّ والهُجْرانِ

طَليـقُ دَمْـعٍ قَلْبُـهُ فـي أسْـرِ

إلـى غَـزالٍ مِـنْ بَنـي النَّصارَى ... عَـذارا خَدَّيْـهِ سَـبْيُ العَـذارَى

وغـادَرَ الأُسْـدَ بـهِ حَـيـارَى ... في رِبْقَـةِ الحُـبِّ لَـهُ أُسـارَى

يُنْشِـدُ قَـوْلَ مُـدْرِكٍ فـي عَمْـرِو

---

(١) في (ط): «إني».

(٢) في الأصل و(ط) دون ألِفٍ في الأبيات الأربعة.

(٣) في (ط): «موثوق».

وهيَ طويلةٌ جداً لا ينبَغي ذكرُها؛ لِما فيها منَ الألفاظِ الكُفريَّةِ[١].

* * *

(١) الـذي سـيُورده الكرمـي ـ رحمهمـا الله ـ هو نبذة يسـيرة من الأرجـوزة بتخميس الحلّـي، وهي في «ديوانـه» (ص٢٠٩ ـ ٢١٣)، وأورد الأنطاكـيُّ التخميـسَ بطولـه ـ كما أسـلفت ـ وليتـه لم يفعَل!

في حكاياتٍ(١) عَن عُشّاقٍ مجهُولي الأسماءِ

حكَى أبو حمزَةَ الصُّوفيُّ قالَ: صحِبَ بعضُ الصوفيةِ غُلاماً زمناً طويلاً، فلمّا ماتَ الغلامُ انتحَلَ حتَّى بَدَتْ عِظامُهُ، فرأيتُهُ يَوماً وقدْ وقفَ على قبرِهِ يَبكي والسماءُ تمطِرُ، فما برِحَ حتى جئتُ منَ الغدِ، فوجدتُهُ مَيتاً، فدفنتُهُ إلى جانبِهِ(٢).

وحَكَى أيضاً قالَ: نظَرَ رجُلٌ صوفيٌّ إلى غلامٍ جميلٍ، فافتُتِنَ بِهِ وأُقعدَ، فكُنّا نأتيهِ، ونسألُهُ عَن حالِهِ فلا يخبِرُ بهِ، وبلغَ الغلامَ فعادَهُ، فهشَّ لهُ وضحِكَ، فأكثَرَ مِن زيارته، فقامَ وذهَبَ مرضُهُ، فعزمَهُ الفتى يوماً فأبى أنْ يذهَبَ معهُ، فقلتُ لهُ: لأيِّ شيءٍ امتنعْتَ؟ فقالَ: لستُ معصُوماً، وأخافُ أن تحدِّثَني نَفْسي عندَ الخَلوةِ بما يَحجِبُني عنِ اللهِ تعالى(٣).

وحكَى في «منازلِ الأحبابِ» قالَ: كانَ في بني عُذرةَ فتىً ظريفٌ يهوَى محادثَةَ النساءِ، فعلِقَ جاريةً، فأضنَتْهُ حتى لزِمَ الوساد، ورُوسِلَت في أمرِهِ فامتنَعَتْ، حتى إذا بلغَ الموتَ جاءتْهُ، فحينَ رآها تحسَّرَ وأنشَدَ:

أَرَيْتُكِ(٤) إنْ مَرَّتْ عَلَيْكِ جَنازَتي ... تَمُرُّ على أيْدي طِوالٍ وشُرَّعِ

---

(١) في الأصل: «حكايا».

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٨٠)، وقد رواه السراج في «مصارع العشاق» (١/ ١٢٠ ـ ١٢١) باختلاف.

وأبو حمزة الصوفي اسمه محمد بن إبراهيم، البغدادي الصوفي، أحد الكبار، (٢٦٩هـ)، يُنظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٦/ ٤٦٢).

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٧٩ ـ ١٨٠)، وقد رواه السراج في «مصارع العشاق» (١/ ١٣٧) باختلاف.

(٤) في الأصل و(ط): «أرأيتك»، وهو أصلُ الموجود لضرورة الوزن.

أمـا تَتْبَعيـنَ النَّعْشَ حيـنَ تُـسَلِّـمـي على رَمْسِ مَيْـتٍ فـي الحُفَيْرَةِ مُـوْدَعِ

فحلفَتْ أنها لم تعلَمْ أنهُ بلغَ بِهِ الحبُّ إلى هذا الحالِ، وأخذَتْ تستَعطِفُ بهِ، فتمثَّلَ بقولِ بشرِ بنِ حضرَمٍ الكُلاعي:

أَتَـتْ وَحِيـاضُ المَوْتِ بَيْنـي وبَيْـنَها وَجادَتْ بوَصْـلٍ حينَ لا يَنْفَـعُ الوَصْلُ

ثمَّ أُغْشي عليهِ، فانكَبَّتْ[1] تقبِّلُهُ، فإذا هوَ ميتٌ، فلمْ تمكُثْ بعدهُ إلا القليلَ[2].

وحكَى العُتْبـيُّ قـالَ: تذاكَرنـا العِشـقَ يوماً وبينَنا شـيخٌ سـاكِتٌ، فقُلنـا لهُ: ألا تحَدِّثُنـا بمـا عنـدَكَ في هـذا؟ فقالَ: جلَسـنا يومـاً للشُّـربِ ومعنَا قينـةٌ، فغنَّتْ:

عَلامَـةُ ذي[3] الـهَوَى على العاشِـقينَ البُـكا

وَلا سيَّمـا عـاشِـقٌ إذا لـم يَجِـدْ مُشْـتكَى

فقالَ[4] شابٌ كانَ في المجلِسِ: أحسنتِ ـ واللهِ ـ يا سيدَتي، أتأذَنينَ[5] لي أنْ أموتَ؟ فقالَ: مُتْ راشِداً إنْ كنْتَ عاشِقاً، وكانَ يهوى القَينةَ، فاضطجَعَ فإذا هوَ ميتٌ، فتنغَّصَ مجلِسُنا، ثمَّ دخلتُ إلى أهلي، فأخبرتهُمْ بالقصَّةِ، وكانَ لي ابنةٌ تهوَى

---

(١) في الأصل: «وانكبت».

(٢) يُنظر: «منازل الأحباب» (ص٢٤١) بواسطة «تزيين الأسواق» (ص١٠٧ ـ ١٠٨). وقد روى الخبر ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٤٤٥).

وذكرَ البيتَ اللاميَّ ابنُ داود في «الزهرة» (ص٩٨) فيما بلغه لفتىً من الأعراب يُكنى امرأَ القيس في خبر.

(٣) في الأصل: «ذل».

(٤) في (ط): «قال».

(٥) في الأصل و(ط): «أتأذني»، وهو خطأ ظاهر.

الشّابَّ ونحنُ لا ندري، فلمّا سمعَتِ الخبرَ قامَتْ إلى خَلوةٍ، وأنكرتُ قيامَها، فدخلْتُ إلَيها، فإذا هيَ متوسِّدةٌ كما وصَفتُ لها الشابَ وهيَ ميتةٌ، فلمّا خرَجْنا بجنازتِها وبالشّابِ وجَدْنا جنازةً ثالثةً، وإذا هيَ القَينَةُ ماتَتْ حينَ بلغَها مَوتُ ابنَتي؛ لأنها كانَتْ تَهواها[1].

وحكَى الرَّبيعُ قالَ: مررْتُ بجاريةٍ على قبرٍ تقولُ:

بنَفْسي فتًىً أوْفَى البَريةِ كُلِّها ... وأقْواهُمُ في المَوْتِ صَبْراً على الحُبِّ

قالَ: فقلْتُ لها: بمَ صارَ كذلكَ؟ قالَتْ: كانَ إذا عُنِّفَ في حُبّي يصبِرُ، وإذا لَجَّ عليهِ يسكُتُ، وإذا زادَ بهِ الغرامُ يُنشِدُ هذينِ البيتينِ:

يقُولُوْن إنْ هاجَرْتُ: قَدْ عَضَّكَ الهَوَى ... وإنْ لم أَبُحْ بالحُبِّ قالُوا: تَصَبَّرا

فما لذي يَهْوى ويكتُمُ حُبَّهُ ... مِنَ الأمرِ إلّا أنْ يَمُوتَ فيُعْذَرا

ولم يزَلْ يُكَرِّرُهما حتى ماتَ، فها أنا مُقيمةٌ على حفظِ عهدِهِ، ولا أبرَحُ حتى يتّصِلَ القبرانِ، ثمَّ صرخَتْ وسقطَتْ، فاجتَمَعَتِ النساءُ وحرَّكنَها فإذا هيَ ميتةٌ، فدُفنَتْ إلى جانبِهِ[2].

وحكَى ابنُ إسحاقَ قالَ: انحدَرتُ معَ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ مِن سُرَّ مَن رأى ودَجلَةُ في طُغيانِها، فأحَضَر الشرابَ، فاندفعَتْ جاريةٌ تُغَنّي:

---

(١) ذكر الخبر السريُّ الرَّفّاء في «الموشى» (ص٧٨ ـ ٧٩)، ويُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٠٦).
والعُتْبيُّ هو محمد بن عبيد الله بن عمرو، من بني عُتْبة بن أبي سفيان الأموي، شاعرٌ من أهل الأدب ورواته (٢٢٨هـ).

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١١٦). وقد روى الخبر ابنُ الجوزي في «ذم الهوى» (ص٤٥٧ ـ ٤٥٨) عن الربيع بن زياد، وذكره صاحب «المستطرف في كل فن مستطرف» (٢/ ١٧٠) فيما حُكي عن الأصمعي.

يَــا رَحْمَــةً للعاشِــقينا ما إنْ أرَى لهُــمُ مُعينــا

كَــمْ يُشْــتَمُونَ ويُضـرَبُــو نَ[١] ويُهجَـرُونَ فيَصبِرُونـا

فقالَتْ لها مُغنّيةٌ أُخرَى: فيصنَعُونَ ماذا؟ قالتْ: هكَذا، وألقَتْ نفْسَها في الماءِ، وكانَ على رأسِ محمَّدٍ غُلامٌ اشتراهُ بألفِ دينارٍ، فحينَ رأى فِعلَ الجاريَةِ ألقَى نفْسَهُ وهوَ يقولُ:

أنْـتِ الَّتـي غَرَّقْـتِنـي[٢] بَعْدَ القَضـا لَـو تَعْلَمينـا

لا خَيْـرَ بَعْدَكِ في البَقـا والمَوْتُ زَيْنُ العاشِـقينا

فبعَثَ من طلبهُما، فقيلَ: وُجِدا متعانِقَينِ وقَدْ غَرِقا[٣].

وفي روايةِ الجاحظِ[٤]: إنَّ القصةَ وقعَتْ في بيتِ محمَّدٍ المذكورِ، وكانَ على الدِّجلةِ، وإنَّ الغلامَ هوَ الذي ألقَى نفسَهُ، وإنَّ الجاريةَ تبِعَتْهُ.

وحُكيَ: أنَّ امرأةً أحبَّتْ رجُلاً، وكانَ مُتَمنِّعاً عنها زماناً، فراسلَتْهُ أنْ يتزَوَّجَ بها

---

(١) الكلمة كلها في صدر البيت في الأصل وفي (ط)، وفيها: «ويُضربونا» بزيادة ألف.

(٢) في الأصل و(ط): «عرفتني».

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٢٤).

وقد روى الخبرَ السراج في «مصارع العشاق» (١/ ١١٣)، وعنه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٤٩٢) عن عبد الرحمن ابن إسحاق القاضي مع محمد بن إبراهيم أخي إسحاق.

ورواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (٤٢٧) ومن طريقه في «ذم الهوى» (ص٤٩١ ـ ٤٩٢) بإسناد آخر إلى عبد الرحمن بن إسحاق.

(٤) كذا، وفي «تزيين الأسواق»: «الحافظ»، ولم أجِدها في كتب الجاحظ، والله أعلم. ولعله يريد الحافظ مغلطاي؛ لأن الأنطاكي ينقل عنه كثيراً بهذا الوصف

ففعَلَ، وكانَتْ بينهُما ألفةٌ شديدَةٌ، فمكَثا على ذلكَ مدةً، فمرِضَ فماتَ، فجعلَتِ المرأةُ تتردَّدُ إلى قبرِهِ، ولزمَتهُ يوماً تبكي وتنشِدُ:

كَفَى حَزَناً أَنّي أرُوحُ بحَسْرَةٍ ... وأغدُو على قَبْرٍ ومَن فيهِ لا يَدْري

فيا نَفْسُ شُقِّي جَيْبَ عُمْرِكَ عِنْدَهُ ... ولا تَبْخَلي باللهِ - يا نَفْسُ - بالعُمْرِ

فما كانَ يأْبَى أنْ يَجُودَ بنَفْسِهِ ... ليُنْقِذَني لَوْ كُنْتُ صاحِبَةَ القَبْرِ

ثمَّ زادَتْ في النَّحيبِ، وانكبَّتْ على القبرِ، فإذا هيَ ميتةٌ[(١)].

وبالجملة فحكاياتُ[(٢)] العُشّاق، وما حصَلَ لهم منَ الأمراضِ والأسقامِ والموتِ أكثرُ مِن أنْ تذكَرَ، وفيما ذكَرناهُ كِفايةٌ.

***

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١١٦)، والخبر في «أنس المسجون» لابن البحتري (ص٨٦ـ٨٧) عن ثمامة بن الوضين مع جارية باليمامة.

(٢) في الأصل: «فحكايا».

[فصل]

في بيانِ أنَّ العشقَ يوجَدُ في بقيةِ الحيواناتِ حتى في الجماداتِ

أما حبُّ كلِّ والدَةٍ لولدِها مِن سائرِ الحيواناتِ فمِمّا لا ينكَرُ، ومُشاهدةُ ذلِكَ تُغني عَن ذكرِهِ.

وعشقُ الجنِّ لبعضِهِمْ بعضاً، ولبعضِ الإنسِ مَشهورٌ أيضاً، ومِن ذلكَ مَن يعتريهِ الصَّرَعُ[1].

وأما بقيةُ الحيواناتِ فحكَى الجاحظُ[2] عَن ثقةٍ أنهُ تفردَ في معبَدٍ مُنقطعٍ، فوجَدَ فيهِ حمامتَينِ يبيتانِ فإذا برِقَ الفجرُ ذهبَتا، فلا تأتيانِ إلى الليلِ، قالَ: وكنتُ أشهَدُ إحداهما تتخلَّفُ فتأتيها الأُخرَى بقوتِها، وداما على ذلكَ مدَّةً، ففي بعضِ الأيامِ خرجَتا فإذا بباشقٍ انقضَّ فأخذَ واحدةً، فرأيتُ الأُخرى تتبَعُهُ حتَّى غابَ، وأيِسَتْ فعادَتْ إلى المَبيْتِ وفيهِ رِيشٌ فجَمَعَتهُ، وجعلَتْ تضرِبُ بجناحِها الأرضَ وتتمرَّغُ على الرِّيشِ وتضرِبُ نفسَها حتى انتتَفَ ريشُها، قالَ: فقدَّمتُ لها أكلاً وماءً، فلَمْ تلتفِتْ لشيءٍ، فلمّا طلَعَ الصبحُ رأيتُها مَيتةً والرِّيشُ في فَمِها.

وحُكي: أنَّ رجلاً اشترَى زوجَ بطٍّ، فلمّا ذبَحَ الواحدَ جعلَ الآخرُ يضطَربُ، ثم جاءَ إلى الدَّم، فلَم يزَلْ يتمرَّغُ فيهِ حتى ماتَ[3].

---

(١) في (ط): «الصداع».

(٢) كذا، وفي «تزيين الأسواق» (ص١٨٢): «الحافظ»، ولم أجِدها في كتب الجاحظ، والله أعلم. ولعله يريد الحافظ مغلطاي؛ لأن الأنطاكي ينقل عنه كثيراً بهذا الوصف

(٣) حكاه في «تزيين الأسواق» (ص١٨٢) عن كتاب «لطائف الأسرار وكيفية جريان الأقدار» لمؤلِّفٍ لم يَعرِفه!

وقالُوا: إن أوفى الطيورِ في المحبّةِ القُمْريُّ والفاخِتُ، وأنهُ إذا ماتَ أحَدُ الزَّوجَينِ تغرَّبَ الآخرُ، فلَمْ يأنَسْ حتى يموتَ، وكثيراً ما يُسمَعُ عَن نحوِ البُلبُلِ والشّحرُورِ الحنينُ إلى الغناءِ، والمَلاهي والأصواتِ الحسنَةِ[١].

وحكي عَنْ سُفيانَ: أنَّ بُلبلاً كانَ لولدِهِ، وكانَ يألَفُ الولَدَ، حتى قيلَ: إنهُ مضَى معَ الناسِ يومَ موتِهِ إلى القبرِ، ورجَع، فاضطربَ حتَّى ماتَ[٢].

وقالُوا: إنَّ أعظَمَ الحيوانِ إدراكاً مِن ذواتِ الأربعِ الخيلُ، وإنها أقربُ مِن غيرِها إلى مِزاجِ الإنسانِ، حتى إنها لا تنزُو على محرَّمٍ أبداً، قيلَ: جيءَ لحصانٍ بأُختِهِ مُبَرقعَةً، فلما نزَلَ عنها انكشَفَ الثوبُ، فعرفَها، فجعَلَ يجري حتى ألقَى نفْسَهُ مِن جبلٍ شاهقٍ فتقطَّعَ[٣].

وحكى في «لطائفِ الأسرارِ»: أنَّ رجُلاً من أصفهانَ، ولدَتْ عندَهُ فرسٌ حِصاناً، وأُخرى أُنثى، فائتلَفا، فكانَ إذا فرَّقَ بينَ واحدةٍ وأُخرَى لا تمشي كلٌّ منهُما ولا تأكُلُ ولا تشرَبُ، وتضِجُّ حتى تجتَمِعا قالَ: وربما كانَ يطرَحُ الأكلَ للواحدةِ قبلَ الأُخرى، فلَمْ تذقْهُ حتَّى يطرَحَ للأُخرى، قالَ: وشاهدْتُ إحداهُما تدفَعُ بيَدِها حَشيشَها إلى الأُخرَى، وأنَّ إحداهما مَغِلَتْ[٤]، ففصَدها

---

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٨٢)، والقُمْريُّ والفاخِتُ: من أنواع الحَمام.

(٢) كذا في «تزيين الأسواق» (ص١٨٢).

وقد أخرج هذه القصةَ الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» (٧/ ٥٨) عن أبي منصور ـ وهو الحارث بن منصور الواسطي الزاهد ـ وفيها: أن الطير كان لابن أبي منصور، وأن سفيان الثوريَّ اشتراه منه، ثم مات الطير حزناً على سفيانَ نفسِه.

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٨٤).

(٤) مَغِلَت الدّابّةُ تَمغَلُ مَغَلاً، ومَغَلَت: أكلت الترابَ معَ البَقْل، فأخذها لذلكَ وجَعٌ في بَطْنِها.

البيطـارُ، فلمـا رأتِ الأُخـرى الدمَ قطعَـتِ الرباطَ، وجـاءت[١] فمرَّغَتْ نفسَـها فيهِ حتـى سـقطَتْ ميتـةً، فلمّـا رأتهـا المفصـودَةُ طرحَـتْ نفسـها عَلَيهـا فإذا هـيَ ميتةٌ أيضاً.

وفيـهِ أيضـاً: أنَّ غـزالاً كانَ يـأوي إلى جبَـلٍ، وأنَّ شـخصا رآهُ يتـردَّدُ إلى ذلِكَ المحـلِّ، فتبِعَـهُ فـرأَى وَعلاً في غـارٍ بيدِهِ أَلَــمٌ لا يُمكِنُهُ المَشـي، ورأى مـعَ الغزالِ قِطفـاً مِـن عنَبٍ، وهـوَ يُلقيـهِ في فـمِ الوَعِلِ.

وفيهِ أيضاً: عنْ شخصٍ بغداديٍّ خرَجَ في بعضِ أسفارِهِ، فبينَما هوَ جالسٌ وقدْ بسَطَ سُفْرةً ليأكُلَ، وإذا بكلْبٍ أقبلَ، فأخَذَ رغيفاً، فقامَ وتبِعهُ حتَّى انتهَى إلى غارٍ، فإذا فيهِ كلبةٌ قدْ عطلتْ عنِ الحركةِ، فجعَلَ يكسِرُ الرغيفَ ويضَعُ في فمِها ويترضّاها، فتعجَّبَ التاجرُ وانصرَفَ[٢].

وأما الجماداتُ فقدْ قيلَ: زرعَ شخصٌ أربعَ نخَلاتٍ مُتَقابلاتٍ، فحسُنَ ثمرُهنَّ سنينَ، ثمَّ يبسَتْ واحدةٌ، فلَمْ تَحملِ التي في مقابِلَتها[٣].

وذكَـرَ بعضُهـمْ[٤] أنَّ النخلَـةَ تخـافُ وتفـرَحُ وتعشَـقُ نخلَـةً أُخـرى، فقدْ صحَّ أن النخلَـةَ إذا لـم تحمِلْ ضُـرِبَ في أصلِها بفأسٍ، فيقُولُ شـخصٌ آخرُ: لأيِّ شـيءٍ هـذا؟ فيقـولُ الضـاربُ: دَعْني أقطَعْهـا؛ فإنها لـمْ تحمِـلْ، فيقُولُ: دَعْهـا في ضَماني العـام، فـإنْ لمْ تحمِـلْ فاقطَعْها، فإنهـا تحمِلُ، وقـدْ جُرِّبَ[٥].

---

(١) سقط في (ط) قوله: «وجاءت».

(٢) الحكايات الثلاثُ في «تزيين الأسواق» للأنطاكي (ص١٨٤).

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٨٥).

(٤) في (ط): «لبعضهم».

(٥) حكاه الأنطاكي في «تزيين الأسواق» (ص١٨٥) عن «الفلاحة النبطية»، وهو لابن وحشية، والقول =

واعتـلاقُ حَجـرِ المغناطيـسِ والحديـدِ ممـا لـم يشـكَّ فـي وُجـودِهِ، ومَـن ينكِرُ ذلـكَ فغايتُـهُ أنْ يدَّعـي فيـهِ الخَـواصَّ، فيُقـالُ لـهُ: إنَّ شـدَّةَ الائتـلافِ بيـنَ العاشـقِ والمعشـوقِ مِـن قَبيـلِ الخَـواصِّ أيضـا، ولا تَنافـيَ؛ فـإنَّ هـذا كلَّـهُ مِـن قبيـلِ القـوّةِ العاشـقيَّةِ والمعشـوقيَّةِ؛ كمـا قالـهُ الحكمـاءُ، واللهُ سُـبحانهُ وتعالـى أعلَـمُ[1].

***

= فيه (ص١٣٧٩ ـ ١٣٨٠).

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٨٥).

خاتمةٌ

[في تصويب القول بذمّ العشق، وعلاجِ العاشق]

اعلَمْ أنّا قدْ أسلَفنا أنَّ الصوابَ القولُ بذمِّ العِشقِ، وأنهُ داعيةٌ للبَلايا والأسقامِ، والاشتِغالِ عنِ الملِكِ العلّامِ، وقدْ أطلْتُ الكلامَ على ذلكَ في كتابي «بغيةِ المحبّينَ ومُنيةِ العاشِقينَ».

بل قالَ الحكماءُ: العشقُ نصفُ الأمراضِ، وشطرُ الأعراضِ[1].

بل قالَ بعضُهمْ: إنَّ العشقَ غالبُ الأمراضِ، وبرهانُهُ أنَّ الأمراضَ غالباً تخصُّ البدنَ معَ سلامةِ الروحِ والعقلِ، وأما العشقُ فعاقبتُهُ إفسادُ البدنِ، وتعطيلُ الفكرِ، وإلحاقُ العُقلاءِ بأهلِ الجنونِ.

قالَ بعضُ حكماءِ الهندِ: ما علِقَ العشقُ بأحدٍ عندَنا إلا وعزَّينا أهلَهُ فيهِ[2].

وقالَ العباسُ بنُ الأحنَفِ:

أَيُّها النّادِبُ قَوْماً هَلَكُوا ... صارَتِ الأرْضُ عَلَيْهِمْ طَبَقا

أَنْدُبُ العُشّاقَ لا غَيْرَهُمُ ... إِنَّما الهالِكُ مَنْ قَدْ عَشِقا[3]

وقالَتْ أعرابيةٌ: العِشقُ يذهلُ العقلَ، وينحلُ الجسمَ، ويهملُ الدمعَ يجدِّدُهُ مرورُ الأيامِ، ولا يفسدُهُ بلْ لا تغيرُهُ إساءةُ المحبوبِ على الدوامِ[4].

---

(١) ذكره صاحب «تزيين الأسواق» (ص١٢) من قول المعلم، وهو ـ فيما أحسب ـ أرسطوطاليس.

(٢) ذكره في «تزيين الأسواق» (ص٩).

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٧)، وروى بيتي العباس بن الأحنف السراجُ في «مصارع العشاق» (١/ ٢٤٨)، وهما في قصيدة في «ديوانه» (ص١٩٣).

(٤) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١١ ـ ١٢).

ومن ثَمَّ قالَ الأصمَعيُّ وقدْ سألهُ الرَّشيدُ: ما حقيقَةُ العشقِ؟ فقالَ: إنهُ شيءٌ يستغرِقُ القلبَ في محاسنِ المحبوبِ، ويذهلُهُ عَن مساوئِهِ، فيجِد رائحةَ البصلِ منَ المحبوبِ أعظَمَ منَ المسكِ والعنبرِ[١].

وهذا هوَ مَعْنى قولِهِ ﷺ: «حُبكَ للشيءِ يُعمي ويُصِمُّ»[٢]، أي: يعميكَ عَن أنْ تنظُرَ لمعايبِهِ، ويُصمكَ عَن سماعِها، بلْ عندَكَ:

(كلُّ ما يفعَلُ المحبوبُ محبوبُ)[٣]

وقيلَ: إنَّ العشقَ يختلِفُ باختلافِ أصحابِهِ، فهوَ أشدُّ ما يكونُ معَ الفراغِ، وتكرارِ التَّردُّدِ إلى المعشُوقِ، والعجزِ عنِ الوصولِ إليهِ[٤]، وما أحسَنَ قولَه[٥]:

---

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٢).

وأسند قولَ الأصمعيّ السراج في «مصارع العشاق» (٢/ ٣١)، وابنُ الجوزي في «ذم الهوى» (ص٥٤٧).

(٢) رواه أبو داود في «سننه» (٩٣٩٨)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢١٦٩٤) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) عجز بيت لمهيار الديلمي في قصيدة في «ديوانه» (١/ ٢٤)، وهو بتمامه:

أرضى وأسخطُ، أو أرضى تلوُّنَهُ ... وكُلُّ ما يفعَلُ المحبوبُ محبوبُ

(٤) حكاه صاحب «تزيين الأسواق» (ص٩) عن الحافظ مغلطاي، وهو في كتابه «الواضح المبين» (ص٧٣) بنحوه.

وأسند قولَ الأصمعيّ السراج في «مصارع العشاق» (٢/ ٣١)، وابنُ الجوزي في «ذم الهوى» (ص٥٤٧).

(٥) سقط في (ط) قولُه: «قولَه»، ولم أهتدِ إلى قائل هذا البيت.

وأعظَمَ ما يكونُ العشقُ[١] يوماً إذا دنَتِ الخيامُ مِنَ الخيامِ

واعلَمْ أنهُ قدْ جعِلتْ مقدمةَ[٢] هذا المطلَبِ العفةُ، وهيَ مذهَبُ العقلاءِ وأربابِ الشرائعِ، بلْ أساسُ الحكمَةِ، وهيَ كما صرَّحَ بِهِ الحكماءُ ثمرة الأصل الظاهر[٣]، ودلالةٌ على الخلقِ الرضيِّ والمزاجِ المعتدِلِ، ومنها الكِتمانُ وهوَ ثمرةُ المروءة والشهامَةِ[٤]، وكلاهما مستلزمٌ علوَّ النفسِ وصحةَ المزاجِ[٥].

وعلى ذلكَ كانَ عشقُ السَّلَفِ؛ روى أبو نُعيمٍ عنِ ابنِ سِيرينَ: أنهُمْ كانُوا يعشَقُونَ بلا رِيبةٍ[٦].

وروَى الخطيبُ البغداديُّ عَن بعضِهمْ قالَ: رأيتُ عاشِقَينِ اجتَمَعا مِن أوّلِ الليلِ إلى الغَداةِ، ثمَّ قاما إلى الصلاةِ[٧].

وحكَتِ امرأةٌ عَن شخصٍ هَوِيَها وهَوِيَتْهُ أنهُ قالَ لها يوماً: هلْ لكِ أنْ تُحقِّقي ما قيلَ فينا؟ فقالَتْ: معاذَ اللهِ أنْ أفعَلَ ذلكَ وأنا أقرأُ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧][٨].

---

(١) في (ط): (العشق».
(٢) في الأصل و(ط): «مقدمات»، وما أثبتُّ أقوم.
(٣) في الأصل و(ط): «الظاهر» بالمعجمة، وقبلها في (ط): «عشرة الأصل».
(٤) في (ط): «المرور والشهادة».
(٥) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٦).
(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٧٤)، ويُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٧).
(٧) لم أهتد إليه في شيءٍ من كتب الخطيب، ونقله المصنف بواسطة «تزيين الأسواق» (ص٨).
(٨) ذكره ابن حزم في «طوق الحمامة» (ص١٤٤) عن امرأة يثق بها. =

وقيلَ لأعرابيٍّ ليلةَ تزويجِ محبوبَتِهِ: أيسرُّكَ أنْ تظفرَ بها؟ قالَ: نعَمْ، قيلَ: فما كنتَ تصنَعُ؟ قالَ: أُطيعُ الحبَّ في لثمِها، وأَعصي الشيطانَ في إثمِها.

وعَنِ الأصمعيِّ: قيلَ لأعرابيٍّ: ما تصنعُ إنْ ظفرْتَ بمحبُوبتِكَ؟ قالَ: أمتِّعُ عَيني مِن وَجْهِها، وسَمْعي مِن حديثِها، وأستُرُ مِنها ما يحرُمُ كَشفُهُ إلا عندَ حلِّهِ[1].

وما أحسَنَ قولَ ابنِ عرفَةَ:

كَمْ قَدْ ظَفَرْتُ بِمَنْ أَهْوَىٰ فيَمْنَعُني ... مِنْهُ الحَياءُ وخَوْفُ اللهِ والحَذَرُ

وكَمْ خَلَوْتُ بمَنْ أهْوَى فيُقْنِعُني ... مِنْهُ الفُكاهَةُ والتَّحْديثُ والنَّظَرُ

كذلِكَ الحُبُّ لا إتْيانُ فاحِشَةٍ ... لا خَيْرَ في لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِها سَقَرُ[2]

وسمِعَ الحسَنُ جاريةً تُنشدُ وهيَ طائفةٌ بالبيتِ الحرامِ:

لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مَعْشُوقَةٍ عَمَلاً ... يَوْماً وعاشِقُها غَضْبانُ مَهْجُورُ

ولَيْسَ يأجُرُها في قَتْلِ عاشِقِها ... لكِنَّ عاشِقَها في ذاكَ مأجُورُ

= والخبر معكوسٌ بين عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمار الناسك المعروف بالقس، وسلامة المغنية؛ أخرجه ابن قدامة في «التوابين لابن قدامة (ص٢٢٨ ـ ٢٢٩)، وأخرجه ثعلب في «المجالس» (١/ ٥ ـ ٦)، والأصبهاني في «الأغاني (٨/ ٢٤٠ ـ ٢٤١).

(١) الحكايتان في «روضة المحبين» لابن القيم (ص٣٢٩)، ولا زال المصنف ينقل عن «تزيين الأسواق» (ص٨).

(٢) ذكره الأنطاكي في «تزيين الأسواق» (ص٨) من إنشاد إبراهيم بن عرفة ـ وهو نفطويه ـ لنفسه؛ كما روى السراج في «مصارع العشاق» (١/ ١٥٩).

فقالَ لها: أفي هذا المكانِ يقالُ هذا؟! فقالَتْ: ألسْتَ ظريفاً؟ قالَ: بلى، قالَتْ: هلْ تروي الشعرَ؟ قالَ: نعمْ، قالَتْ: أما سمِعتَ قولَهُ:

بِيْضٌ غَرائرُ ما هَمَمْنَ بريبَةٍ كظِباءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرامُ
يُحْسَبْنَ مِنْ لينِ الكَلامِ زَوانياً ويَصُدُّهُنَّ عَنِ الخَنا الإسْلامُ[1]

وعَنْ سعيدِ بنِ عُقبةَ الهمدانيِّ أنهُ قالَ لأعرابيٍّ حضَرَ مجلسَهُ: ممَّنِ الرجلُ؟ قالَ: مِن قومٍ إذا عشِقوا ماتُوا، فقالَ: عُذريٌّ وربِّ الكعبةِ! ثمَّ سألهُ عَن علةِ ذلكَ فقالَ: لأنَّ في نسائنا صَباحةً، وفي فتيانِنا عفَّةً[2].

وعَن عروةَ بنِ الزبَيرِ قالَ: قلتُ لعُذريٍّ: إنكُم أرقُّ الناسِ قلُوباً، يريدُ:

---

(١) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٢٤٥).

وقد روى هذه الحكايةَ المُعافى النهروانيُّ في «الجليس الصالح الكافي» (ص٢٦٨)، ومن طريقه السراجُ في «مصارع العشاق» (٢/ ١٧٧) عن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب، وإلى عبدِ الله أسندَ ابنُ عساكرَ البيتَين الميميَّين في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٣٨١)، وعاد فأسندَهما ثانية (٥٩/ ٢٤٩) إلى معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

وروى السراجُ الحكايةَ مرة ثانية (٢/ ٢١٧) عن عيسى بن يزيد، وحكاها ابنُ داود في «الزهرة (ص١١٨ ـ ١١٩) فيما بلغه عن الأصمعيّ.

ونسب الجاحظُ البيتَين الميميَّين في «البيان والتبيين» (١/ ٢٧٦) إلى بشار بن برد، وعنه في «ديوانه» (٤/ ١٩٢)، ونسبهما البصريُّ في «حماسته» (٢/ ١١١) لعروة بن أذينة القرشي، وهما في «ديوانه» (ص٨٤).

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص٨).

وقد رواه المُعافى النهروانيُّ في «الجليس الصالح» (ص٢٧٦)، ومن طريقه السراجُ في «مصارع العشاق» (٢/ ١٨٦).

أصباهُـمْ للحـبِّ، فقـالَ: نعَـمْ؛ لقـدْ تركْـتُ ثلاثين شـابّاً خامرَهـمُ المرَضُ مـا بهِمْ داءٌ إلا الحـبُّ، وقيـلَ لشـخصٍ منهُـمْ مثلَهُ فقالَ كقولِـهِ، وزادَ: لكِنْ غلبَتنـا بنو عامرٍ بمَجنُونها[(١)].

وفي «منازِلِ الأحبابِ» للشهابِ محمودٍ: ليسَ حيٌّ أصدقُ في الحبِّ مِن بني عُذرةَ، لا تُضربُ الأمثالُ فيهِ إلا بهِمْ[(٢)].

ونظرَ رجلٌ إلى معشوقتِه، فأُغشيَ عليهِ، فسئلَ حكيمٌ عَن ذلكَ فقالَ: إنهُ مَن فَرِحَ قلبُهُ اضطرَبَ جسمُهُ، فقيلَ لهُ: ما بالُنا لا نكونُ كذلكَ عندَ النَّظَرِ إلى أهلِنا؟ فقالَ: محبَّةُ الأهلِ قلبيةٌ، وهذهِ رُوحانيَّةٌ، فهيَ أدقُّ وألطَفُ، وأعظَمُ سَرَياناً وفِعلاً[(٣)].

وحكَى صاحبُ «محاسِن البلدانِ ونُزهةِ الأزمانِ»: أنَّ مصرَ وُضِعتْ في طالعِ الجوزاءِ، وهيَ تُعرفُ عندهُمْ بالتوأمَينِ، والعَذراءِ، والمؤنثةِ، ومُقتَضاها الرِّقَّةُ وسرعةُ التأليفِ، واللُّطفُ وعدمُ الانضباطِ على حالةٍ، وقلّةُ الغَيرة، وكثرةُ الغفلَةِ، وقد ظهرَ أثرُ ذلكَ في أفعالِهِمْ قالَ: ألا ترَى إلى لُطفِ العزيزِ وتغافُلِهِ وقد رأى زَوجتَهُ متهيِّئةً للخَلوةِ مِن غَلْقِ البابِ ونحوِهِ، ولمْ يكُنْ عالِـماً بعِصمَةِ يوسُفَ لِيُقالَ: إنهُ استندَ إلى ذلكَ! ومعَ هذا قالَ: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [يوسف: ٣٠]، وقالَ للمرأةِ: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾ [يوسف: ٢٩][(٤)].

* * *

---

(١) رواه السراج في «مصارع العشاق» (١/ ٤٢)، وابن الجوزي في «ذم الهوى (ص٣١٧)، ويُنظر: «التزيين» (ص٩).

(٢) يُنظر: «منازل الأحباب» (ص٤٢)، ونقل المؤلف بواسطة «تزيين الأسواق» (ص٩).

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٤) عن «كتاب المتيمين».

(٤) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٤٧).

[فصل]

في علاجِ العِشقِ[١]

واعلَمْ أنهُ لا عِلاجَ للعِشقِ ـ على الأصحِّ ـ إلا دوامُ الوِصالِ ما لَمْ يتمَكَّنْ أو يُوقِعْ في الخَبالِ.

ومنَ العِلاجِ: ما ذكِرَ عَن عمرَ أنهُ عالجَ بالتغريبِ وتشويهِ الخِلقةِ، وفعَلَ ذلكَ بنَصْرِ بنِ حَجّاجٍ لـمّا افتُتِنَ بهِ بعضُ نساءِ المدينَةِ[٢].

وقيلَ: وُجِدَ على قبرٍ لـمُلوكِ حِمْيَرَ مكتوبٌ:

مـا أحْسَـنَتْ سَـلْمىٰ إلَيْـكَ صَنيعَها   تـرَكَـتْ فـؤادَكَ بالعِـراقِ مَرُوْعـا

ففحَصوا عنْ ذلكَ، فقيلَ: كانُوا يكتُبونها مقلُوباً ويسقُونهُ العاشقَ فيَسلُو[٣].

---

(١) هذا العنوان زيادة من (ط).

(٢) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٨٠). وقد روى خبره ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٨٥) عن عبد الله بن بُريدة الأسلَميِّ قال: بينا عمرُ بن الخطاب يعُسُّ ذاتَ ليلة إذا امرأةٌ تقول:

هـل مِـن سبيلٍ إلى خمرٍ فأشـرَبَها   أم هل سـبيلٌ إلـى نصرِ بـنِ حَجّاجِ؟

فلما أصبَحَ سأل عنه، فإذا هو من بني سُلَيم، فأرسل إليه فأتاه، فإذا هو من أحسَنِ الناس شَعراً وأصبَحِهم وجهاً، فأمره عمر أن يطُمَّ شعرَه ففعَل، فخرجت جبهتُه فازداد حُسناً، فأمره عمر أن يعتمَّ، ففعل فازداد حُسناً، فقال عمر: لا والذي نفسي بيده، لا تُجامعني بأرضٍ أنا بها، فأمر له بما يُصلحُه، وسيَّره إلى البصرة.

(٣) يُنظر: «تزيين الأسواق» (ص١٨١). وقد روى السراج في «مصارع العشاق» (٢/ ١٣٠) أن حِمْيَرَ كانت ترقي به العاشق، فيسلو.

ومنَ الشائعِ بينَ العربِ: أنَّ ترابَ قبرِ العاشقِ إذا شُربَ منهُ[١] في خشبِ الطَّرفاءِ يومَ الأربعاءِ قبلَ طلوعِ الشمسِ أحدَثَ السُّلوَّ.

وعَنْ بعضهِمْ: أنهُ عشِقَ امرأةً بحيثُ كادَ يشرَبُ السمَّ مِن شدةِ محبَّتهِ لها، فشكا إلى صاحبٍ لهُ فكتبَ لهُ في كفهِ يومَ الثلاثاءِ عشرَ صاداتٍ، وأربَعَ عيناتٍ، وثلاثَ ياءاتٍ، وخمسَ هاءاتٍ، وعشرينَ كافاً حروفَ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، وأمرَهُ أنْ يلحَسَ ذلكَ، وكرَّرَ الفعلَ ثلاثاً ثلاثاً، فكأنَّ اللهَ لم يخلُقْ حبَّها عندَهُ[٢]، واللهُ سبحانَهُ وتعالى أعلَمُ.

* * *

تم بخطِّ مؤلِّفه بالجامع الأزهر في نصف شعبان سنة تسع وعشرين وألف[٣].

---

(١) في الأصل: «عنه».

(٢) حكى ذلك صاحب «تزيين الأسواق» (ص١٨١) عمَّن يثقُ به.

(٣) جاء في خاتمة النسخة الأصل: «ووافق الفراغُ من كتابة هذه النسخة المباركة يوم الأربعاء المبارك الموافق لخامِسَ عَشَرَيْ صفَر الخيرِ من شهور سنة أربع وأربعين ومئة وألف، خُتمت بالخير ألوفٌ مِن هجرة من له العزُّ والشرَف، سيدنا محمدٍ ﷺ، وشرَّف وكرَّم، ومجد وعظَّم، وعلى آله وأصحابه الكِرام، مَدى الليالي والأيام، وحمدُ ربّي على الدَّوام، في كلِّ افتِتاحٍ واختِتام.

بقلم أفقَر الوَرى، وأحوَجِهم إلى ربِّ الثَّرى، من في رعايةِ ربِّه العليّ، محمد يعقوب المقدِسيِّ الحَنبَليّ، ابنِ المرحوم الشيخ محمد بن المرحوم الشيخ يحيى بن المرحوم الشيخ يوسف والد المؤلِّف لهذا الكِتاب، جعلنا اللهُ وإيّاه من الآمنين يومَ الحِساب، وأدخَلَنا وإيّاه الجنةَ بمَنِّهِ وكرَمِه مع الأحباب، بجاهِ سيدنا محمَّدٍ وآله والأصحاب؛ إنه رؤوفٌ رحيمٌ كريمٌ توّاب، وغفر أيضاً لكاتِبها الذنوب، وستَرَ له العُيوب، ونظَر له بعين الرِّضى، مع التَّجاوُز والصَّفْح عما قد مَضى، بجاه محمَّدٍ =

= المُرتَضى. آمين آمين آمين آمين».

ثم جاء في الهامش: «بلغ مقابلة على خط مؤلفه بحسب الطاقة».

وجاء في (ط): «قالَ مؤلِّفُهُ: وكانَ الفراغُ مِن تبييضِهِ بالجامعِ الأزهرَ في نصفِ شعبانَ سنةَ تسعٍ وعِشرينَ وألفٍ مِن هجرةِ مَن لهُ العزُّ والشرفُ».

